

رسالة الغفران

أبو العلاء المعري

تحقيق

د. درويش جويدي

المكتبة العصرية

صيدا - بيروت



رسالة الغفران

لأبي العلاء المعرّي

تحقيق

د. درويش جويدي





شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليڤار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

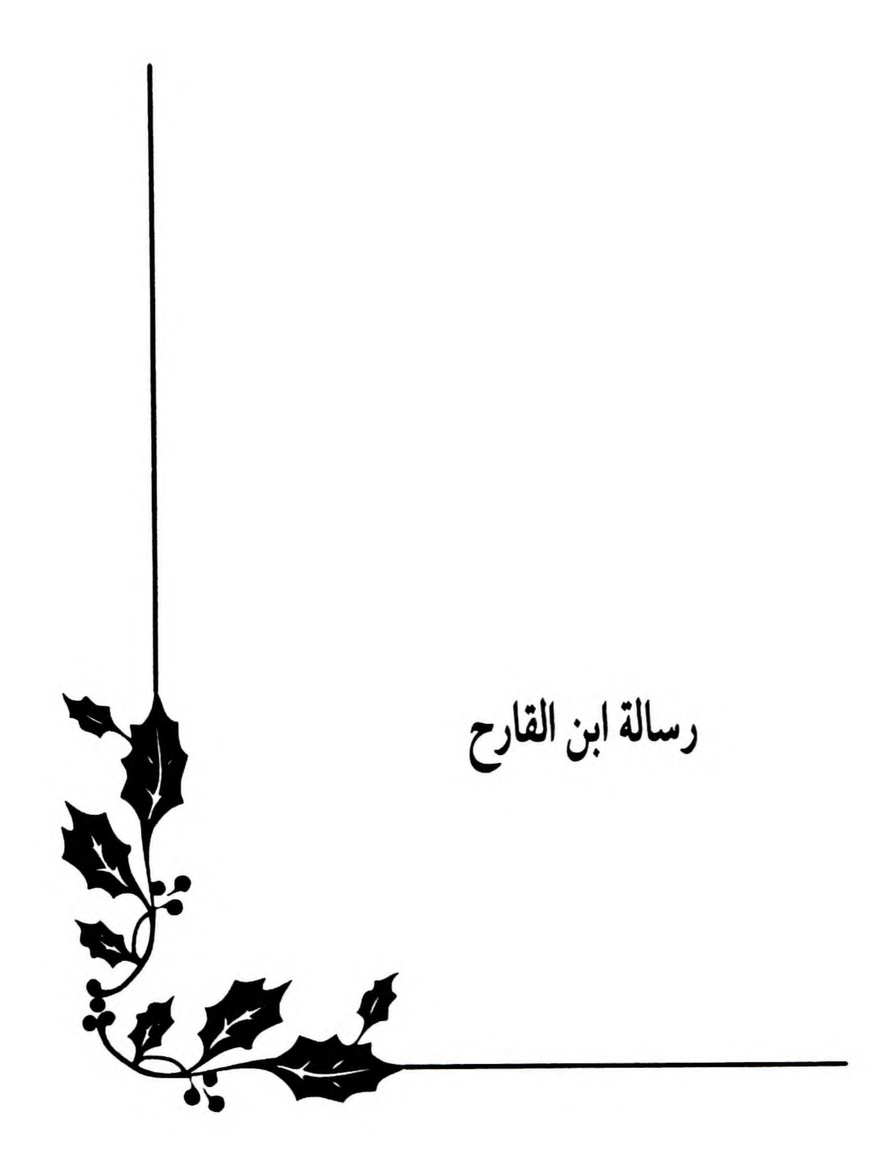
٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-294-6





رسالة ابن القارح



المقدمة

بعد الصلاة والسلام على أفضل خلق اللّه أجمعين محمد النبي الأمي والرسول الأعظم الكريم الذي علّم البشرية العلم اللّدني والدنيوي كلّه.

ها هي «رسالة الغفران» بحلة جديدة بين يدي القراء العرب الكرماء، وقد تزينت بتحريك ما صعب من مفرداتها، وذكر مصادر معظم أبياتها المذكورة في كتب التراث العربي، النحوية واللغوية منها، وبخاصة لسان العرب لما حواه من شعر؛ ممّا يسهّل على القارئ التمتع بقراءتها وفهم معانيها.

والرسالة هي عبارة عن نقد لبعض أبيات معظم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي.

وتأتي أهمية الرسالة من أنها تعتبر مصدراً هاماً لبعض الأبيات التي لم تذكر في دواوين أصحابها.

وقد ركّز أبو العلاء في نقده على الناحية اللغوية، ولو أضاف إلى ذلك النقد الفني الجمالي لبلغت الرسالة الغاية القصوى من الإتقان والروعة.

ويبدو وصف أبي العلاء للجنّة ونعيمها وحوار من فيها من الشعراء والعلماء ومن لهم اليد الطولى في الإسلام جذّاباً جميلاً مغلّفاً بمسحة شعرية خيالية جميلة تستند على ما ورد في القرآن الكريم، تزيّنها الآيات الكريمة الجميلة، تأييداً لما يذهب إليه. والرسالة بمجملها تحوي الكمَّ الهائل لشعر الخمرة عند العرب حتى عصر أبي نواس.

ويبدو نقد أبي العلاء للفرق الضالّة المُضلّة المنحرفة والخارجة على الإسلام نقداً عنيفاً ساخراً لا يرحم مُشفَّعاً بآيات قرآنية بديعة.

وإثراءً للرسالة قمت بتعريف معظم من ذكر فيها من شعراء ولغويّين وأعلام نفخر بمعظمهم ونجلّهم لما قاموا به من دور في إغناء تراث الأمة.

وأخيراً أقدّم عملي هذا راجياً من المولى عزَّ وجلَّ القبول والتوفيق.

د. درويش جويدي

ورسالة الغفران هي في النصف الثاني جواب على رسالة ابن القارح، ألّفها بين عامي ٤٢٢ ـ ٤٢٤هـ = ١٠٣١ ـ ١٠٣٣م.

ولعلّ الذي أثاره وحفزه إلى تأليفها رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي؛ انظر: النثر الفني لزكي مبارك ١/ ٢٦١، إرشاد الأريب لياقوت ٥/ ٤٢٤. قام بنشرها محمد كرد علي في «رسائل البلغاء» ١٩٤ ـ ٢١٣ وعلي بن منصور الحلبي البرقوقي بالقاهرة ١٩٠٣ وكامل الكيلاني بالقاهرة ١٩٣٨ وإبراهيم اليازجي بالقاهرة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧م.

اختصرها كامل الكيلاني بالقاهرة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣م. وانظر فردوس المعرّي للأرناؤوطي بيروت ١٣٣٣هـ = ١٩١٥م.

وانظر: الموازنة بين الألعوبة الإلٰهية ورسالة الغفران بين أبي العلاء ودانتي لكوستاكي حمصي ـ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٧/ ٤٨٠ ـ ٤٨٦؛ ٨/ ٢٨٧ ـ ٢٩١.

التعريف بأبي العلاء:

أبو العلاء المعرّي هو أحمد بن عبد اللّٰه بن سليمان. التنوخي: شاعر فيلسوف. ولد سنة ٣٦٣هـ = سنة ٩٧٣م في معرّة النعمان ومات فيها سنة ٤٤٩هـ = سنة ١٠٥٧م.

كان نحيف الجسم، أصيب بالجُدريّ صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وقد أدّى اتصاله بعبد السلام البصري خازن دار الكتب هناك، وكذلك اتصاله بأصدقائه المفكرين إلى أن يوجّه شعره إلى الأسلوب الفلسفي، غير أن المقام لم يستقرّ به في بغداد، لأنه دخل في خصومة مع المرتضى العلوي ذي النفوذ، أخي الشريف الرضي لتعصّب المعرّي للمتنبيّ.

وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه. وكان يلعب بالشطرنج والنرد. وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد اللّٰه بن أبي هاشم. وكان يحرّم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة. وكان يلبس خشن الثّياب.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣، معجم الأدباء ١/ ١٨١، ابن الوردي ١/ ٣٥٧، فهرست ابن خليفة: ٣٤٣، إعلام النبلاء ٤/ ٧٧ و١٨٠ و٣٧٨، لسان الميزان ١/ ٢٠٣ وفيه: «تصانيف المعرّي في اللغة والأدب أكثر من مئتي مجلد»، إنباه

الرواة ١/ ٤٦، تتمّة اليتيمة: ٩، مجلة المقتطف ٢٨/ ٨٩٧ ثم ٢٩/ ١٥٧ ونيكلسن Nicholson في دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٧٩.

من كتبه المطبوعة والمخطوطة.

في الشعر:

١ ـ لزوم ما لا يلزم، ويعرف باللزوميات. سميت بذلك لالتزامها بقافيتين في جميع القصائد.

طبع في القاهرة سنة ١٣٠٦هـ = سنة ١٨٩١ ـ ١٨٩٢م، كما طبع طبعة حجر في بومباي ١٣٠٣هـ، ثم طبع في القاهرة ١٣٣٢هـ (نشر أمين عبد العزيز: ١٩٣٠م).

٢ ـ سقط الزند، وهي مجموعة أشعاره في شبابه.

٣ ـ ضوء السقط.

تُرجم كثير من شعره إلى غير العربية.

في النثر:

١ ـ عبث الوليد.

٢ ـ رسالة الملائكة.

٣ ـ اختيارات الأشعار.

٤ ـ شرح ديوان المتنبي.

٥ ـ ملقى السبيل.

٦ ـ مجموع رسائله.

٧ ـ خطبة الفصيح.

٨ ـ الرسائل الإغريقية.

٩ ـ الرسالة المنبجية.

١٠ ـ الفصول والغايات.

١١ ـ اللامع العزيزي.

دراسات حول أبي العلاء المعرّي وكتبه:

ـ أوج التحرّي عن حيثية أبي العلاء المعرّي ليوسف البديعي.

ـ الإنصاف والتحرّي، في دفع الظلم والتجرّي، على أبي العلاء المعرّي لكمال الدين ابن العديم.

- أبو العلاء وما إليه لعبد العزيز الميمني.
- أبو العلاء المعرّي ناقد المجتمع لزكي المحاسني.
- أبو العلاء المعرّي لسامي الكيّالي.
- ذكرى أبي العلاء لطه حسين.
- مع أبي العلاء في سجنه لطه حسين.
- أبو العلاء المعرّي، نسبه وأخباره وشعره لأحمد تيمور.
- رجعة أبي العلاء لعباس محمود العقاد.
- آثار أبي العلاء المعرّي لوزارة المعارف المصرية.
- كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعرّي للمجمع العلمي العربي بدمشق.

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً بِٱسْمِهِ، وَٱسْتِنتاجاً ببركتِهِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ المبتدئِ بِٱلنِّعَمِ، ٱلمُنفرِدِ بِٱلقِدَمِ، ٱلَّذي جَلَّ عَنْ شِبهِ ٱلمخلوقينَ، وصِفاتِ ٱلمُحدَثِينَ؛ وَلِيِّ ٱلحسناتِ، ٱلمبرَّإِ مِنَ ٱلسَّيئاتِ، العادلِ في أفعالِهِ، ٱلصَّادِقِ في أَقوالِهِ؛ خالِقِ ٱلخَلْقِ ومُبديهِ، ومُبْقِيهِ ما شاءَ ومُفْنِيهِ. وصلواتُهُ عَلَى مُحمدٍ وأبرارِ عِتْرَتِهِ[١] وأَهليهِ، صلاةً تُرضِيهِ، وتُقَرِّبُهُ وتُدْنِيهِ، وتُزْلِفُهُ[٢] وتُحْظِيهِ[٣].

كتابي، أَطَالَ ٱللَّهُ بَقاءَ مولايَ ٱلشَّيخِ ٱلجليلِ، ومَدَّ مُدَّتَهُ، وأَدَامَ كِفايَتَهُ وسعادَتَهُ، وجعَلَني فِداءَهُ، وقَدَّمني قبلَهُ على ٱلصِّحةِ وَٱلْحَقِيقَةِ، وبُعدِ ٱلقَصْدِ وَٱلعَقِيدةِ، وليسَ على مجازِ ٱللَّفْظِ ومَجْرى ٱلكِتابةِ، ولا على تَنقُّصٍ وخِلابةٍ[٤]، وتَحَبُّبٍ ومُسَامَحةٍ، ولا كما قال بعضُهُم، وقد عاد[٥] صَدِيقاً له: كيف تَجِدُكَ، جعلَني اللَّهُ فِداكَ، وهو يقصدُ تَحَبُّباً، ويُريدُ تَملُّقاً، ويظنُّ أنَّه قَد أَسْدَى جميلاً[٦] يشكُرُه صاحبُهُ إنْ نَهضَ وَٱسْتَقَلَّ، ويُكافِئُهُ عليهِ إنْ أَفاقَ وأَبَلَّ[٧]، عن سلامةٍ، تَمامُها بحضورِ حضرتِهِ، وعافيةٍ نِظامُها بِٱلتَّشرُّفِ بشريفِ عِزَّتِهِ، وميمونِ نقيبتِهِ[٨] وطلعتِهِ[٩]. ويعلمُ اللَّهُ ٱلكريمُ، تقدَّسَتْ أَسماؤُهُ، أنِّي لو حَنَنْتُ إليهِ، أَدَامَ اللَّهُ تأييدَهُ، حنينَ الوالِهِ[١٠] إلى بِكرِها، أو ذاتِ

---

(١) «عِتْرة الرجل: أقرباؤه من ولد وغيره. انظر: لسان العرب ٣٨/٤، مادة «عتر».

(٢) «وزلف إليه وازدَلف وتزلّف: دنا منه.. قرَّبه». انظر: لسان العرب ١٣٨/٩ مادة «زلف».

(٣) «وقد حَظِيَ عنده يَحْظَى حِظوة.. المكانة والمنزلة للرجل من ذي سلطان ونحوه..». انظر: لسان العرب ١٤/ ١٨٥ مادة «حظا».

(٤) «الخِلابة، بكسر الخاء: المخادعة، وقيل: الخديعة باللسان». انظر: لسان العرب ١/ ٣٦٣ مادة «خلب».

(٥) عاد صديقاً له: زاره في حال مرضه.

(٦) أسدى جميلًا: قدّم خدمة.

(٧) أبلَّ من مرضه: شفي منه.

(٨) في فلان مناقب جميلة أي أخلاق. وهو حَسَنُ النقيبة أي حسن الخليقة انظر: لسان العرب ١/ ٧٧٠ مادة «نقب».

(٩) طلعته: هيئته.

(١٠) الوالهة: الأم التي أبعد عنها أولادها، تشتاق إليهم.

ٱلفَرْخِ إلى وِكْرِها، أَوِ ٱلحمامةِ إلى إلفِها، أَوِ ٱلغزالةِ إلى خِشْفِها[١]، لَكانَ ذٰلكَ مِمَّا تُغَيِّرُهُ ٱللَّيالي والأيامُ، وَٱلعُصُورُ وَٱلأعوامُ، لكنَّهُ حَنينُ ٱلظمآنِ إلى الماءِ، وَٱلخائفِ إلى الأَمْنِ، وَالسليمِ إلى ٱلسَّلامةِ، وَٱلغريقِ إلى ٱلنَّجاةِ، وَٱلْقَلقِ إلى ٱلسُّكونِ؛ بَلْ حنينُ نفسِهِ ٱلنفيسَةِ إِلى ٱلحَمْدِ وَٱلمَجْدِ، فإِنِّي رَأَيْتُ نِزاعَهَا إليهما نِزاعَ ٱلأُسْتُقصَّاتِ[٢] إلى عَناصِرِها، وٱلأَركانِ إلى جواهرِها، فَإِنْ وَهَبَ اللَّهُ لي أَمَلاً مِنَ ٱلعمرِ يُؤْنِسُني بِرُؤْيَتِهِ، وَيُعلِّقُني بحبلِ مَوَدَّتِهِ، صِرْتُ كَساري[٣] ٱللَّيلِ أَلْقى عَصاهُ، وأَحْمَدَ مَسْراهُ، وَقَرَّ عَيْناً، وَنَعِمَ بَالاً، وَكَانَ كَمَنْ لم يَمْسَسْهُ سُوءٌ، وَلَم يتخوَّنْهُ عَدُوٌّ، ولا نَهَكَهُ رَوَاحٌ ولا عَدُوٌّ. وعسى اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ بذٰلِكَ، بيومِهِ أَوْ بثانِيهِ، وبِهِ ٱلثِّقَةُ.

وَأَنَا أَسأَلُ اللَّهَ عَلَى ٱلتَّداني وَٱلنَّوى وَٱلبِعادِ، إمتاعَهُ بِٱلفَضْلِ ٱلَّذي ٱسْتعْلَى عَلى عاتِقِهِ[٤] وغارِبِهِ[٥]، وٱسْتَوْلى عَلى مَشارِقِهِ وَمغارِبِهِ، فَمَنْ مَرَّ على بحرِهِ ٱلهَيَّاجِ، ونظرَ في لَأْلاءِ بدرِهِ ٱلوهَّاجِ، خَليقٌ بأَنْ يَكْبُوَ[٦] قلمُهُ بِأَناملِهِ، وَيَنْبُوَ[٧] طبعُهُ عَنْ رَسائِلِهِ. إِلَّا أَنْ يُلْقِيَ إِليهِ بِٱلمقالِيدِ، أَوْ يستوْهِبَهُ إِقْليداً[٨] منَ ٱلأَقاليدِ، فيكونُ مَنْسُوباً إِليهِ، وَمَحْسُوباً عليهِ، ونازِلاً فِي شَعْبِهِ، وأَحَدَ أصحابِهِ وحِزْبِهِ، وشَرارةَ نارِهِ، وقُراضةَ[٩] دِينارِهِ، وسَمَلَ[١٠] بحرِهِ، وسَمَدَ[١١] غَمْرِهِ، وَهيهاتَ! ضاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسيرٍ، لَيسَ ٱلتَّكَحُّلُ في ٱلعينينِ كَٱلكَحَلِ، خُلِقُوا أَسخياءَ لا مُتساخِينَ، وليسَ ٱلسَّخِيُّ مَنْ يَتَساخَى، لا سِيَّمَا وأَخلاقُ ٱلنَّفسِ تلزمُها لزومَ ٱلأَلوانِ لِلأَبدانِ، لا يقدِرُ ٱلأَبيضُ على ٱلسَّوادِ،

---

(١) خشفِها: ولد الظبية أول ما يولد.

(٢) الأُسْتُقُصَّات: عناصر الكون الأربعة: الماء، الهواء، التراب. الحرارة.

(٣) السَّاري: المُدْلج والسائر في الليل.

(٤) «العاتق: ما بين المَنْكِب والعُنق، .. والجمع عُتْق وعُتُق وعواتق». انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٣٨ مادة «عتق».

(٥) «غارب كلِّ شيء: أعلاه. الليث: الغارب أعلى المَوْج، وأعلى الظهر..» انظر: لسان العرب ١/ ٦٤٤ مادة «غرب».

(٦) يكبو: يتعثَّر.

(٧) ينبو: يبعد جفاءً.

(٨) مفرد الأقاليد إقليد: مفتاح.

(٩) «القُراضة: ما سقط بالقَرْض، ومنه قُراضَةُ الذهب». انظر: لسان العرب ٧/ ٢١٦ مادة «قرض».

(١٠) سَمَل بحره: ما بقي في قعره من ماء.

(١١) سَمَد غمره: قلة الماء.

ولا الأسودُ على ٱلبياضِ، ولا الشجاعُ على ٱلجُبْنِ، ولا ٱلجَبَانُ على ٱلشجاعةِ، قالَ أَبو بكرٍ ٱلعَرْزَمِيُّ[١]:

[الطويل]

يَـفِـرُّ جَـبَـانُ الـقَـوم عَـنْ أُمِّ رَأْسِـهِ، وَيَحْمِي شُجَاعَ ٱلقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهْ

وَيُـرْزَقُ مَـعْـرُوفَ ٱلـجَـوَادِ عَـدُوُّهُ، وَيُـحْـرَمُ مَـعْـرُوفَ ٱلـبَـخِـيْـلِ أَقَـارِبُـهْ

وَمَـنْ لَا يَـكُـفَّ ٱلـجَـهْـلَ عَـمَّـنْ يَـوَدُّهُ، فَـسَـوْفَ يَـكُـفُّ ٱلـجَـهْـلُ عَـمَّـنْ يُـوَاثِـبُـهْ

وَمِنْ أَيْنَ لِلضَّبابِ صَوْبُ[٢] ٱلسَّحابِ، ولِلْغُرابِ هويُّ ٱلعُقابِ! وَكَيْفَ قَدْ أَصْبَحَ ذِكْرُهُ فِي مَوَاسِمِ ٱلذِّكْرِ آذاناً، وَعَلَى مَعَالِمِ ٱلشُّكْرِ لِساناً! فَمَنْ دَافَعَ ٱلعِيانَ، وكَابَرَ الإِنْسَ وَٱلجانَّ، وَٱسْتَبَدَّ بِٱلإِفْكِ وَٱلبُهْتَانِ، كَانَ كَمَنْ صَالَبَ[٣] بوقاحَتِهِ ٱلحَجَرَ، وحَاسَنَ بِقَبَاحَتِهِ ٱلقَمَرَ، وهَذَى وَهَذَرَ[٤]، وَتَعَاطَى فَعَقَرَ[٥]، وَكَانَ كَمَحْمُومٍ بلسم[٦] فَعَفَرَ[٧]، وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِٱلنَّقْصِ فِي ٱلبَدْوِ وٱلحَضَرِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ مَنْ يَعْنِيهِ، وَلَا يشكُّ فِيهِ:

[البسيط]

كَـنَـاطِـحٍ صَـخْـرَةٍ يَـوْمـاً لِـيَـفْـلِـقَـهَـا، فَـلَـمْ يَـضِـرْهَـا وَأَوْهَـى قَـرْنَـهُ ٱلـوَعْـلُ[٨]

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ، ﷺ، وَزَادَهُ شَرَفاً لديهِ، قَالَ: لَعَنَ ٱللَّهُ ذَا ٱللِّسَانَيْنِ، لَعَنَ ٱللَّهُ كُلَّ شَقَّارٍ[٩]، لَعَنَ ٱللَّهُ كُلَّ قَتَّاتٍ[١٠].

* * *

(١) هو: محمد بن عبيد اللّه بن أبي سليمان العرزمي الفزاري، أبو بكر، شاعر من مُخضرمي الدولتين، أصله من حضرموت، له اشتغال في الحديث، وليس بثقة. توفي سنة ١٥٥هـ. انظر ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني: ٤١٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٢٢.

(٢) الصوب: المطر.

(٣) صالب: قارع بصلابه.

(٤) «هذر كلامُه هَذَراً: كثر في الخطإ والباطل». انظر: لسان العرب ٥/ ٢٥٩ مادة «هذر».

(٥) عَقَر: ذبح.

(٦) بلسم: دواء.

(٧) عفر: غطى بالتراب.

(٨) ورد البيت في: المحتسب لابن جني: ٣٩٠، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/ ٥٢٩، التصريح بمضمون التواضيح، للشيخ خالد ٢/ ٦٦، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٩٥، ديوان الأعشى: ٤٦.

(٩) الشقّار: الكذاب.

(١٠) القتات: النمّام.

وَرَدْتُ حَلَبَ ظَاهِرَها، حَمَاهَا ٱللَّهُ وَحَرَسَها، بعدَ أَنْ مَنِيت بِرَبْضِهَا[١] بالدُّرَخْمين[٢] وَأُمِّ حَبوكَرَى[٣] وَٱلْفُتُكْرِينِ[٤]، بَلْ رَمَيْتُ بِآبِدَةِ ٱلآبادِ، وَٱلدَّاهِيَةِ ٱلنَآدِ[٥] فَلَمَّا دخلْتُها، وبعدُ لم تستقرَّ بِيَ ٱلدَّارُ، وَقَدْ نَكَرْتُها لِفُقْدَانِ مَعْرِفَةٍ وَجارٍ، وَأَنْشَدْتُها باكِياً:

[الطويل]

إِذَا زُرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طُولِ ٱجْتِنَابِهَا ... فَقَدْتُ حَبِيباً وَٱلبِلَادُ كَمَا هِيَا

غَرَامُ أَبِي ٱلْقَطِرَانِ

كَانَ أَبُو ٱلقَطِرانِ ٱلمرارُ بْنُ سَعِيدٍ ٱلفَقْعَسِيُّ[٦]، يَهْوَى ٱبْنَةَ عَمِّهِ بِنَجْدٍ، وَٱسْمُهَا وَحْشِيَّةُ، فَٱهْتَدَاهَا رَجُلٌ شَامِيٌّ إِلَى بَلَدِهِ، فَغَمَّهُ بُعْدُهَا، وَسَاءَهُ فِرَاقُهَا، فَقَالَ:

[الطويل]

إِذَا تَرَكَتْ وَحْشِيَّةُ ٱلنَّجْدَ لَمْ يَكُنْ ... لِعَيْنَيْكَ مِمَّا تَبْكِيَانِ طَبِيبُ

رَأَى نَظْرَةً مِنْهَا فَلَمْ يَمْلِكِ ٱلبُكَا ... مَعَاوِزُ يَرْبُو تَحْتَهُنَّ كَثِيبُ

وَكَانَتْ رِيَاحُ ٱلشَّامِ تَكْرَهُ مَرَّةً، ... فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ ٱلرِّيَاحُ تَطِيبُ

فَحَصَلْتُ مِنَ ٱلرِّباحِ على ٱلرِّياحِ، كَمَا حَصَلَ لِأَبِي ٱلقَطِرانِ مِنْ وَحْشِيَّةَ.

لَقِيتُ أَبَا ٱلفَرَجِ ٱلزَّهْرَجِيَّ بِآمدَ[٧] وَمَعَهُ خِزانةُ كُتُبِهِ، فعرَضَهَا عَلَيَّ فَقُلْت: كُتُبُك هٰذِهِ يهودِيةٌ، قَدْ بَرِئَتْ مِنَ ٱلشَّريعةِ ٱلحَنِيفِيَّةِ. فأظهرَ مِنْ ذٰلِكَ إِعْظَاماً وَإِنْكاراً، فقلْتُ له: أَنْتَ عَلَى المجرَّبِ، ومثلِي لا يَهْرُفُ[٨] بِمَا لا يعرِفُ، وأبلغُ تيقنٍ. فقرأَ هُوَ وولدُهُ وَقَالَ: صَغَّرَ ٱلخُبْرُ[٩] ٱلخَبَرَ. وَكَتَبَ إِلَيَّ رسالةً يُقَرِّظُنِي فِيهَا بِطَبْعٍ لَهُ كَرِيمٍ، وخُلُقٍ غيرِ ذَمِيمٍ.

---

(١) بربضها: ضاحيتها.

(٢) الدُّرَخْمين: الداهية.

(٣) أم حبوكرى: الداهية.

(٤) الفتكرين: المصائب والويلات العظام.

(٥) النآد: الشديدة.

(٦) هو: المرار بن سعيد: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، نسبته إلى قبيلة فقعس من بني أسد بن جزيمة، كان يهاجي المساور بن هند. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ١٩٦، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٦٨٠ ـ ٦٨٣.

(٧) آمد: «بلد حصين مبني بالحجارة السود على نشز من دجلة، وقد فتحت آمد في سنة عشرين من الهجرة». انظر: معجم البلدان ١/ ٥٦.

(٨) يهرف: يمدح بلا خبرة وتجربة.

(٩) الخُبر، بضم الخاء: التجربة.

آراءُ ٱلمتَنَبِّي

قال المتنبي: «أَذُمُّ إِلَى هٰذَا ٱلزَّمانِ أُهَيْلَهُ».

صَغَّرَهُمْ تَصغيرَ تَحقيرٍ غيرِ تكبيرٍ، وتقليلٍ غيرِ تكثيرٍ، فَنَفَثَ[1] مَصْدوراً، وأَظهرَ ضميراً مَسْتوراً. وهو سائغٌ في مَجازِ ٱلشِّعرِ، وقائلُهُ غيرُ ممنوعٍ منَ ٱلنَّظمِ وَٱلنَّثرِ، ولكنَّهُ وَضعَهُ غيرَ مَوْضِعِهِ، وخاطَبَ بِهِ غيرَ مُسْتَحِقِّهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّ زمانٌ ساعَدَهُ بِلقاءِ سَيفِ ٱلدَّوْلَةِ أَنْ يُطلِقَ على أَهْلِهِ ٱلذَّمَّ، وكيفَ وهُوَ ٱلقائلُ؟

[الطويل]

أَسِيْـرُ إِلـى إِقْـطَـاعِـهِ فِـي ثِـيَـابِـهِ   عَـلَى طِـرْفِـهِ مِـنْ دارِهِ بِـحُـسَـامِـهِ

وَقَدْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يجعلَهُم في خِفارتِهِ[2]، إِذْ كانُوا منسوبينَ إِليهِ مَحْسُوبينَ عليهِ. ولا يَجِبُ أَنْ يَشْكُوَ عاقِلًا ناطِقاً إِلى غيرِ عاقِلٍ ولا ناطِقٍ، إِذِ ٱلزمانُ حَرَكَاتُ ٱلفَلَكِ، إِلَّا أَنْ يَكونَ مِمَّنْ يعتقِدُ أَنَّ ٱلأَفلاكَ تَعقِلُ وتعلَمُ وتفهَمُ، وتَدْرِي بمواقِعِ أَفعالِها، بِقُصودٍ وإِراداتٍ. ويحملُهُ هٰذا ٱلاعْتِقادُ عَلَى أَنْ يُقَرِّبَ لَهَا ٱلقرابينَ ويدخنَ الدخنَ، فيكونُ مُناقِضاً لِقَوْلِهِ:

[المتقارب]

فَـتَـبًّـا لِدِيْـنِ عَـبِـيْـدِ ٱلـنُّـجُـو   مِ وَمَـنْ يَـدَّعِـي أَنَّـهـا تَـعْـقِـلُ

منزلةُ أبي العلاء المعرّيّ

ثُمَّ... وثُمَّ... وثُمَّ... ثُمَّ أُجري ذكرُهُ، أَدَامَ ٱللَّهُ تأْييدَهُ، مِنْ غيرِ سببٍ جَرَّهُ وغيرِ مُقْتَضٍ ٱقتضاهُ، فقال:

ٱلشَّـيْخُ بِالنَّحْوِ أَعْلَمُ من سيبويهِ[3]، وبِٱللُّغَةِ وَٱلعَرُوضِ منَ ٱلخليلِ[4]. فقلْتُ

---

(١) «نفث مصدوراً: والنفث: شبيه بالنفخ؛ وقيل: هو التفل بعينه» انظر: لسان العرب ٢/ ١٩٥ مادة «نفث».

(٢) خفارته: حراسته.

(٣) هو: أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ = سنة ٧٦٥م تتلمذ على الخليل. وصنف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» توفي سنة ١٨٠هـ ٧٩٦م: انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٨٥.

(٤) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب. ولد في البصرة سنة ١٠٠هـ = سنة ٧١٨م حيث توفي سنة ١٧٠هـ = سنة ٧٨٦م، من كتبه «العين» انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.

وَٱلْمَجلِسُ يأذَنُ[1]: بَلَغَنِي أَنَّهُ، أَدَامَ ٱللَّهُ تأييدَهُ، يُصَغِّرُ كبيرَهُ، ويُنَزِّرُ[2] صَغِيرَهُ، فَيُصَيِّرُ تَصغِيرَهُ تَكْبِيراً، وتَحْقيرَهُ تَكْثِيراً. وهٰكذا شاهدْتُ مَنْ شاهدْتُ مِنَ ٱلعُلماءِ، رحِمَهُمُ ٱللَّهُ أجمعينَ، وجعلَهُ وَارِثَ أطولِ أعمارِهم وأنضرِها وأرْغدِها، وما ثَمَّ لَهُ حاجةٌ دَعَتْ إلى هٰذا. . . قَدْ تفتَّحَ ٱلنَّورُ وتوضَّحَ ٱلنُّورُ، وأَضاءَ ٱلصُّبْحُ لِذي عينينِ!

* * *

كَانَ أَبُو ٱلفرجِ الزهرجيُّ كاتِبُ حضرةِ نصرِ ٱلدولةِ، أَدَامَ ٱللَّهُ حِراسَتَهُ، كَتَبَ رِسالةً إِلَيَّ أَعطانِيها، ورِسَالَةً إليهِ، أَدَامَ ٱللَّهُ تَأْيِيدَهُ، ٱسْتَوْدَعَنِيها، وسَأَلَنِي إيصَالَهَا إلى جليلِ حضرتِهِ، وأكونُ نافِثَها لا باعِثَها، ومُعَجِّلَهَا لا مُؤَجِّلَها، فسرقَ عَدِيلي[3] رَحْلًا لِي، ٱلرِّسالةُ فِيهِ، فكتبْتُ هٰذهِ ٱلرِّسالةَ أَشكُو أموري وأَبثُّ شُقُوري[4]، وأُطْلِعُهُ طَلْعَ عَجْرِي وَبَجْرِي[5]، وما لَقِيتُ في سَفَرِي مِنْ أُقَيْوام[6] يَدَّعونَ ٱلعِلْمَ وَٱلأَدَبَ، وَٱلأَدَبُ أَدَبُ ٱلنَّفْسِ لا أَدَبُ ٱلدَّرْسِ، وهُمْ أَصْفَارٌ مِنهُمَا جَمِيعاً، وَلَهُمْ تَصْحِيفاتٌ كُنْتُ إذا رَدَدْتُها عليهِمْ، نَسَبُوا ٱلتَّصْحِيفَ إِلَيَّ، وَصَارُوا إِلْباً[7] عَلَيَّ.

أَوْ يَكُونُ كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى في كِتابِهِ ٱلكريمِ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] ويُوشِكُ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ صفتَهُ.

المتنبِّي في ٱلسِّجْنِ

حَكَى ٱلقُطْرُبُليُّ[8] وَٱبْنُ أَبِي ٱلأَزْهَر[9] في كتابِ ٱجتمَعَا عَلَى تصنيفِهِ، وأَهلُ بغدادَ وأَهلُ مِصْرَ يَزْعَمُون أَنَّهُ لم يُصَنَّفْ في مَعْناهُ مثلُهُ لِصغرِ حجمِهِ وكِبَرِ عِلْمِهِ، يَحْكِيانِ فيهِ أَنَّ ٱلمتنبِّيَ أُخرجَ ببغدادَ مِنَ ٱلحَبْسِ إِلى مجلسِ أَبِي ٱلحسنِ عليِّ بْنِ عيسى ٱلوزير[10]، رَحِمَهُ

---

(١) يأذن: ينصت ويستمع.
(٢) ينزّر: يصغّر. (٣) عديلي: ما يساويني.
(٤) «والشقور: الحاجة، يقال: أخبرته بشُقُوري». انظر: لسان العرب ٤/ ٤٢٢ مادة «شقر».
(٥) عجري وبجري: حسناتي وسيئاتي. (٦) أقيوام، تصغير قوم.
(٧) الإلب: تجمع العدو وتدبير الكيد منهم.
(٨) هو: أحمد بن عبد اللّه، أبو الحسن، اشترك مع ابن أبي الأزهر في تأليف كتاب.
(٩) هو: محمد بن أحمد الخزاعي، أبو بكر الخزاعي البوشنجي: إخباري أديب من أهل بغداد. توفي سنة ٣٢٥هـ = سنة ٩٣٧م. من كتبه: الهزج والمرج «أخبار قدماء البلغاء». انظر: ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٨.
(١٠) هو: علي بن عيسى: استوزر للمقتدر العباسي، أحد العلماء الرؤساء في بغداد، فارسي الأصل، توفي سنة ٣٣٤هـ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٤.

ٱللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَحمدُ ٱلمتنبيُّ؟ فقالَ: أَنا أَحمدُ ٱلنَّبيُّ، وكَشَفَ عَنْ بَطْنِهِ فَأَرَاهُ سلعةً[١] فِيهِ وقال: هٰذا طابِعُ نُبُوَّتِي وعلامةُ رِسالَتِي. فأمرَ بقلعِ جَمْشَكِهِ[٢] وصَفَعَهُ بِهِ خَمْسِينَ، وأَعَادَهُ إِلى مَحْبَسِهِ.

ويقولُ لِسيفِ ٱلدولةِ: [البسيط]

وَتَـغْـضَـبُـونَ عَـلَى مَـنْ نَـالَ رِفْـدَكُـمُ، حَـتَّـى يُـعَـاقِـبَـهُ ٱلـتَّـنْـغِـيْـصُ وَٱلـمَـنَـنُ

وَكَذَبَ وَٱللَّهِ، لَقَدْ كَانَ يتحرَّشُ بِٱلمَكارِمِ ويتحكَّكُ بِها، ويَحْسُدُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا مِنْهُ وَبِهِ. وهٰذا غيرُ قادِحٍ[٣] في طلاوةِ شعرِهِ ورونقِ دِيباجَتِهِ.

ولكنِّي أَغْتاظُ على ٱلزنادقةِ وَٱلمُلْحِدِينَ ٱلَّذينَ يتلاعَبُونَ بِٱلدِّينِ، وَيَرومُونَ إِدْخَالَ ٱلشُّبَهِ وَٱلشُّكُوكِ عَلَى ٱلمُسْلِمينَ، وَيَسْتَعْذِبُونَ ٱلقَدْحَ فِي نُبُوَّةِ ٱلنَّبِيِّينَ ـ صلواتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ ـ وَيَتَظَرَّفُونَ ويَبتدِئُونَ إِعْجَاباً بذٰلِكَ ٱلمذهبِ:

«تِـيْـهُ مُـغَـنٍ وَظَـرْفُ زِنْـدِيـقِ»

بشارُ بْنُ بُرْدٍ[٤]

وَقَتَلَ ٱلمَهْدِيُّ[٥] بَشَّاراً عَلَى ٱلزندقةِ[٦]، وَلَمَّا شُهِرَ بِهَا وَخَافَ، دَافَعَ عَنْ نَفْسِهِ بقوله: [الخفيف]

يَـا ٱبْـنَ نَـهْـيَـا[٧] رَأْسِي عَـلَيَّ ثَـقِـيْـلُ وَٱحْـتِـمَـالُ ٱلـرَّأْسَـيْـنِ عِـبْءٌ ثَـقِـيْـلُ

فَـادْعُ غَـيْـرِي إِلَـى عِـبَـادَةِ رَبَّـيْـنِ فَـإِنِّـي بِـوَاحِـدٍ مَـشْـغُـوْلُ

(١) «السِّلعة، بالفتح: الشَّجَّة في الرأس ما كانت. . والسِّلعة، بكسر السين: الضَّواة، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغُدَّة. .» انظر: لسان العرب ٨/ ١٦٠ مادة: «سلع».

(٢) جمشكه: فارسي معرّب، تعني الخفّة.

(٣) قادح: عائب.

(٤) هو: أبو معاذ، بشار بن بُرد العُقيلي، بالولاء: أشعر المولدين على الإطلاق. كان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. اتهم بالزندقة وقتل سنة ١٦٧هـ = سنة ٧٨٤م. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٨٨.

(٥) هو: محمد بن عبد اللّه المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد اللّه. ولد سنة ١٢٧هـ = ٧٤٤م. ولي الخلافة بعد أبيه سنة ١٥٨هـ. وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. سنة ١٦٩هـ = سنة ٧٨٥م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١.

(٦) الزندقة: فشت بين العناصر الفارسية في العصر العباسي وكان الزنادقة يظهرون الإسلام ويبطنون المزدكية والمانوية من ديانات الفرس المجوس قبل الإسلام.

(٧) نهيا: وقيل (نهي) قيل: هو اسم والدة حماد عجرد الذي يخاطبه بشّار بقوله.

صَالِحُ بْنُ عبدِ ٱلقُدُّوسِ[١]

وَأُحْضِرَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ وأُحْضِرَ ٱلنَّطْع[٢] وَٱلسَّيَّافُ، فقالَ: عَلَامَ تقتلُنِي؟ قال: على قولِك:

[الخفيف]

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَأَنِّي ... أَخْرَسٌ، أَو ثَنَى لِسَانِي عَقْلُ

وَلَوَ انِّي أَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ دِيْنِي ... لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

يا عُديَّ اللَّهِ وعُديَّ نفسِهِ:

[السريع]

اَلسَّتْرُ دُونَ ٱلفَاحِشَاتِ، وَلَا ... يَلْقَاكَ دُوْنَ ٱلخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ زِنْدِيقاً وَقَدْ تُبْتُ عَنِ ٱلزَّندقةِ.

قالَ: كَيْفَ وأَنتَ ٱلقائِلُ؟

[السريع]

وَٱلشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ عَادَاتِهِ[٣] ... حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ[٤]

إِذَا ٱرْعَوَى[٥] عَادَ إِلَى غَيِّهِ ... كَذِي ٱلضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

وأَخذَ غَفْلَتَهُ ٱلسيَّافُ، فإذا رَأْسُهُ يَتَدَهْدَأُ[٦] على ٱلنِّطْعِ.

* * *

[ذكر من ادّعى الربوبية ومن ذاع كفره]

وَظَهرَ في أَيَّامِهِ في بَلَدٍ خَلْفَ بُخَارَى[٧] وَرَاءَ النهرِ، رَجُلٌ قَصَّارٌ[٨] أعورُ،

---

(١) هو: صالح بن عبد القدوس بن عبد اللّه بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، مولاهم، أبو الفضل: شاعر حكيم. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد نحو سنة ١٦٠هـ = نحو سنة ٧٧٧م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٣.

(٢) النطع: بساط من الجلد، يوضع في حال قطع رأس امرئ.

(٣) وثمة رواية ثانية للصدر على النحو التالي: والشيخ لا يترك أخلاقه.

(٤) رمسه: جدثه، قبره.

(٥) ارعوى: عاد عن غيّه وضلاله.

(٦) يَتَدَهْدَأ: يتدحرج.

(٧) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند سبعة أيام. انظر: معجم البلدان لياقوت ١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٦.

(٨) قَصَّار: أعور.

عَمِلَ لَهُ وَجْهاً مِنْ ذَهَبٍ وخُوطِبَ بِرَبِّ ٱلعِزَّةِ، وعَمِلَ لَهُمْ قَمَراً فوقَ جبلٍ ٱرتفاعُهُ فراسخُ، فَأَنْفَذَ[١] ٱلمَهْدِيُّ إليهِ، فَأُحِيطَ بِهِ وبِقَلْعَتِهِ، فَحَرَّقَ كُلَّ شَيْءٍ فِيها، وجمعَ كُلَّ مَنْ في ٱلبَلَدِ وَسَقَاهُمْ شَرَاباً مَسْمُوماً، فَمَاتُوا بأجمعِهِمْ، وشَرِبَ فَلَحِقَ بِهِمْ، وعُجِّلَ بِرُوحِهِ إلى النارِ.

❋ ❋ ❋

وَٱلصَّنادِيقِيُّ في ٱليَمَنِ، كانَتْ جُيُوشُهُ بِٱلمَذيخِرَةِ وَسَفْهَنَّةَ[٢] وخُوطِبَ بِرَبِّ ٱلعِزَّةِ، وَكُوتِبَ بِها، فكانَتْ لَهُ دارُ إفاضةٍ يجمعُ إليها نساءَ البلدةِ كلِّها ويُدخلُ الرجالَ عليهِنَّ ليلًا. قالَ مَنْ يُوثَقُ بِخبرِهِ: دَخَلْتُ إليها لِأَنظُرَ، فَسَمِعْتُ ٱمرأةً تَقول: يا بُنَيَّ! فقال: يا أمه، نُرِيدُ أَنْ نُمْضِيَ أَمْرَ وَلِيِّ ٱللَّهِ فينا.

وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا فَعَلْتُمْ هٰذا لم يتميَّزْ مالٌ مِنْ مالٍ ولا ولدٌ مِنْ وَلدٍ، فَتَكُونُوا كنفسٍ واحدةٍ. فغزاهُ الحَسَنِيُّ مِنْ صَنعاءَ فَهَزَمَهُ، وتحصَّنَ منه في حصنٍ هناك، فأنفذَ إليه الحَسَنِيُّ طَبِيباً بِمِبْضَعٍ[٣] مسمومٍ، ففصَدَهُ[٤] بِهِ فقتلَهُ.

❋ ❋ ❋

وَٱلوَلِيدُ بْنُ يزيدَ[٥] أَقامَ في ٱلمُلْكِ سنةً وشهرينِ وَأَيَّاماً، وهو القائل:

[الطويل]

إِذَا مِتُّ يا أُمَّ ٱلحُنَيْكِلِ[٦] فَٱنْكَحِي ... وَلَا تَأْمَلِي بَعْدَ ٱلفِراقِ تَلَاقِيَا
فَإِنَّ ٱلَّذِي حَدَّثْتِهِ مِنْ لِقَائِنَا ... أَحَادِيثُ طَسْمٍ[٧] تَتْرُكُ ٱلعَقْلَ وَاهِيَا[٨]!

وَرَمَى ٱلمُصْحَفَ بِٱلنُّشَّابِ وَخَرَّقَهُ وَقَالَ:

[الوافر]

إِذَا مَا جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ[٩] ... فَقُلْ: يَا رَبِّ خَرَّقَنِي ٱلوَلِيدُ

---

(١) أنفذ: أرسل.
(٢) المديخرة وسفهنة: مدينتان من مدن اليمن.
(٣) المبضع: من آلات الجراحة في الطبّ.
(٤) الفصد: من ضروب الطبّ العربي، حيث يعمد الطبيب إلى جروح خفيفة في بعض الأماكن من جسد المريض، فيشفى بإذن الله تعالى.
(٥) هو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة المروانية بالشام. ولد سنة ٨٨هـ = سنة ٧٠٧م. قتل سنة ١٢٦هـ = سنة ٧٤٤م. انظر ترجمته في: الأغاني (طبعة الدار) ٧/ ١ و٩/ ٢٧٤.
(٦) «الحنيكل: تصغير الحنكل والحناكِلُ: القصير. . اللئيم . . .» انظر: لسان العرب ١١/ ١٨٤ مادة «حنكل».
(٧) طَسْم: من قبائل العرب البائدة.
(٨) واهياً: متعباً في حيرته.
(٩) يوم الحشر: يوم البعث والقيامة.

وَأَنْفَذَ إِلى مكة بناءً مَجُوسِيًّا لِيبنِيَ لَهُ على ٱلكَعْبَةِ مَشْرَبَةً[١] فَمَاتَ قبلَ تمامِ ذلك، فَكَانَ ٱلحَجَّاجُ يقولون: لَبَّيْكَ ٱللَّهُمَّ لَبَّيْكَ! لَبَّيْكَ يَا قَاتِلَ ٱلوَلِيدِ بْنِ يَزيدَ لَبَّيْكَ!

* * *

وأُحْضِرَ بِنايجةٍ[٢] من ذهبٍ وفيها جوهرةٌ جليلةُ ٱلقَدْرِ على صورةِ رجلٍ، فَسَجَدَ لَهُ وقبَّلَهُ وقال: ٱسْجُدْ لَهُ يَا عِلْجُ[٣]! قُلْتُ: ومَنْ هٰذا؟ قال: هذا ماني[٤]، شَأْنُهُ كانَ عَظِيماً، ٱضمحلَّ أمرُهُ لِطُولِ ٱلمدَّةِ. فقلْتُ: لا يَجُوزُ ٱلسُّجودُ إِلَّا لِلَّهِ. فَقَالَ: قُمْ عنَّا.

وَكَانَ يَشْرَبُ على سَطحٍ وَبَيْنَ يَدَيهِ بَاطِيَةٌ[٥] كَبِيرَةٌ بلورٌ وَفِيْهَا أَقْدَاحٌ فَقَالَ لِنُدَمَائِهِ: أَيْنَ ٱلقَرُّ ٱللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ٱلبَاطِيَةِ! فَقَالَ: صَدَقْتَ! أَتَيْتَ على مَا فِي نَفْسِي، وَٱللَّهِ لَأَشْرَبَنَّ ٱلهَفْتَجَةَ، يَعْنِي شُرْبَ سَبْعَةِ أَسَابِيعَ مُتَتَابِعَةٍ.

وَكَانَ بِموضِعٍ حَوْلَ دِمَشْقَ يُقَالُ لَهُ ٱلبَخرا فَقَالَ:

[الوافر]

تَلَعَّبَ بِٱلنُّبُوَّةِ هَاشِمِيٌّ، ... بِلَا وَحْيٍ أَتَاهُ وَلَا كِتَابِ

فَقُتِلَ بِهَا، ورأَيْتُ رَأْسَهُ في ٱلبَاطِيَةِ ٱلتي أَرَادَ أَنْ يَهْفَتِجَ بِهَا[٦].

* * *

وَأَبُو عيسى بْنُ ٱلرَّشِيدِ القائل:

[الطويل]

دَهَانِي شَهْرُ ٱلصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهرِ ... وَلَا صُمْتُ شَهْراً بَعْدَهُ آخِرَ ٱلدَّهرِ

وَلَوْ كَانَ يُعْدِينِي ٱلإِمَامُ بِقُدْرَةٍ ... عَلَى ٱلشَّهْرِ لَٱسْتَعْدَيْتُ دَهْرِي عَلَى ٱلشَّهْرِ

عَرَضَ لَهُ فِي وَقْتِهِ صَرَعٌ فَمَاتَ ولم يُدرِكْ شَهْراً غَيْرَهُ، وَٱلحَمْدُ لِلَّهِ.

قَتْلُ ٱلأُلُوفِ في مكة

وَٱلجَنابِيُّ[٧] قَتَلَ بِمَكَةَ أُلُوفاً، وأَخَذَ سِتَّةَ وعِشْرِينَ أَلَفَ جَمَلٍ خَفًّا[٨]، وضَرَبَ

(١) المشربة: موئل ماء ليشرب القوم منه. (٢) النايجة: العلبة، فارسي معرّب.
(٣) العلج: الكافر من المجوس والكفّار.
(٤) ماني: أحد كبار أصحاب الديانة الفارسية، وهو القائل بثنائية الوجود: النور والظلمة، الخير والشرّ.
(٥) الباطية: وعاء الخمر من زجاج، وهو نوع من القناني.
(٦) يهفتج: يشرب سبعة أسابيع متتالية.
(٧) هو: سليمان بن الحسن بن بهرام، أبو طاهر القرمطي. خارجيّ طاغية جبّار أحرق البصرة. أغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧هـ والناس محرمون فاقتلع الحجر الأسود. مات بالجدري سنة ٣٣٢هـ = سنة ٩٤٤م. انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٥.
(٨) خفًّا: بلا مشقة وتعب.

آلاتِهِمْ وَأَثْقَالَهُمْ بِٱلنَّارِ، وَٱسْتَمْلَكَ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلغِلْمانِ وَٱلصِّبيانِ مَنْ ضَاقَ بِهِمُ ٱلفَضَاءُ كثرةً وَوفُوراً، وأَخَذَ حَجَرَ ٱلمُلْتَزِمِ[1] وَظَنَّ أَنَّها مَغْنَاطِيسُ ٱلقُلُوبِ، وأَخَذَ ٱلمِيزَابَ[2] قَالَ: وَسَمِعْتُ قَائِلًا يقولُ لِغُلَام دَحْسَمَانٍ[3] طوالٍ يرفُلُ فِي بُرْدَيِهِ وهو فَوْقَ ٱلكَعبةِ؛ يا رحمةُ، إقْلَعْهُ وَأَسْرِعْ، يعني مِيْزَابَ ٱلكَعْبَةِ. فَعَلِمْتُ أَنَّ أَصحابَ ٱلحَدِيثِ صَحَّفُوهُ فَقَالُوا: يَقْلَعُهُ غُلامٌ ٱسْمُهُ رَحْمَةُ؛ كَمَا صَحَفُوا على علي، رضيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَولَهُ: تَهْلَكُ ٱلبَصرةُ بِالريح؛ فَهَلَكَتْ بِٱلزَّنجِ، لِأَنَّهُ قَتَلَ علويَّ ٱلبصرةِ، فِي مَوْضِعٍ بِهَا، يُقَالُ لَهَا ٱلعَقِيقُ[4]، أَرْبَعَةَ وعِشْرِينَ أَلْفاً، عَدُّوهُم بِٱلقَصَبِ، وحَرَقَ جامِعَها، وَقَالَ في خُطْبَتِهِ يُخاطِبُ ٱلزّنجَ: إِنَّكُمْ قد أُعِنْتُمْ بقبحِ مَظْهَرٍ فَٱشْفَعُوهُ[5] بِقُبْحِ مَخْبَرٍ، اجْعَلُوا كُلَّ عَامِرٍ قَفْراً[6]، وكُلَّ بَيْت قَبْراً. قال لي بدمشقَ أبو ٱلحُسَيْنِ ٱليَزِيْدِيُّ ٱلوَزرِينيُّ: على نَسَبِ جَدِّي دَخَلَ، وَإِيَّاهُ ٱدَّعَى.

قَالَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ رزَام ٱلطَّائِيُّ ٱلكُوفِيُّ: كُنتُ بِمَكَّةَ وسَيْفُ ٱلجَنَابِيِّ قَدْ أَخَذَ ٱلحَاجَّ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا منهم قد قتلَ جماعةً وهو يقول: يا كِلابُ، أليسَ قالَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ المَكِّيُّ: ومَنْ دخلَهُ كَانَ آمِناً؟ أَيُّ أَمْنٍ هنا؟ فَقُلْتُ له: يا فَتَى العَرَبِ، تُؤَمِّنُنِي سَيْفَكَ أُفَسِّرُ لَكَ هٰذا؟ قال: نَعَمْ. قُلْتُ: فِيهَا خمسةُ أجوبَةٍ: **الأول**: ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً مِنْ عَذَابِي يومَ ٱلقِيَامَةِ؛ **والثَّاني**: مِنْ فَرْضِي ٱلَّذي فرضتُ عليهِ؛ **والثَّالث**: خَرَجَ مَخْرَجَ الخبرِ، وهو يُرِيدُ الأَمْرَ كَقولِهِ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. **والرابعُ**: لا يُقَامُ عليهِ الحدُّ فِيهِ إذا جَنَى في ٱلحِلِّ؛ **وَٱلخَامِسُ**: مَنَّ ٱللَّهُ عليهِمْ بقولِهِ: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] فقال: صَدَقْتَ، هٰذه اللحيةُ إلى توبةٍ؟ فقلْتُ: نَعَمْ. فخلَّاني[7] وَذَهَبَ.

* * *

(١) حجر الملتزم: الحجر الأسود.

(٢) الميزاب: تسميه العامة بـ«مزراب الرحمة» وهو عبارة عن فتحة ماء لسطح الكعبة المشرّفة في حال سقوط المطر.

(٣) غلام دحسمان: أي زنجي أسود غليظ الشفتين.

(٤) العقيق: هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة: انظر: معجم البلدان لياقوت ٤/ ١٣٩.

(٥) فأشفعوه: فأتبعوه وأشركوه.

(٦) قفراً: يباباً لا حياة فيه.

(٧) فخلّاني: تركني.

الحُسَيْنُ بْنُ منصورٍ ٱلحلَّاج[١]

وٱلحُسَيْنُ بْنُ منصورٍ ٱلحلاجُ مِنْ نيسابورَ، وقِيلَ: مَنْ مَرْو، يَدَّعي كُلَّ عِلْم، وكانَ مُتَهَوراً جَسُوراً يرومُ أقلابَ الدولِ ويدَّعي فيهِ أصحابُهُ ٱلإلٰهِيَّةَ، ويقولُ بِٱلحُلولِ، ويُظهِرُ مذاهِبَ الشيعةِ لِلْمُلُوكِ، ومذاهبَ الصوفيةِ للْعَامَّةِ، وفي تضاعيفِ ذلك يَدَّعي أَنَّ الإلٰهِيةَ قد حَلَّتْ فيه. وناظَرهُ عليّ بْنُ عيسى ٱلوزيرُ فوجدَهُ صِفراً مِنَ ٱلعُلُومِ، وقال: تَعَلُّمُكَ لِطُهورِكَ وفرضِكَ، أَجْدَى عليك مِنْ رسائلَ أنت لا تدري ما تقولُ فيها؛ كَمْ تكتبُ إلى الناسِ: تبارَكَ ذُو الشعشعانِيُّ الذي يلمَعُ بعدَ شعشعتِهِ! ما أحوجَكَ إلى أدبٍ!

حَدَّثَنِي أبو علي الفارسيُّ[٢] قال: رأيْتُ ٱلحلَّاجَ واقِفاً على حَلْقَةِ أَبي بكرٍ ٱلشِّبْلِيِّ[٣]: أنت بِاللَّهِ ستفسِدُ خشيةً؛ فنفضَ كُمَّهُ في وَجْهِهِ وأَنْشَدَ:

[مخلّع البسيط]

يا سِرَّ سِرٍّ يَدُقُّ حَتَّى ... يَجِلَّ عَنْ وَصْفِ كُلِّ حيِّ

وَظَاهِراً بَاطِناً تَبَدَّى ... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءِ

يَا جُمْلَةَ ٱلكُلِّ لَسْتَ غَيْرِي، ... فَمَا ٱعْتِذَارِي إذاً إليَّ!

وهو يَعْتَقِدُ أَنَّ «العارِفَ»[٤] مِنَ ٱللَّهِ بِمنزِلَةِ شُعاعِ الشمسِ، منها بَدَأَ وإليها يَعُودُ، ومنها يستمِدُّ ضَوْءَهُ.

---

(١) هو: أبو مغيث، الحسين بن منصور. كثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمرَ بالقبض عليه، فسجن وعذّب وقطعت أطرافه الأربعة سنة ٣٠٩هـ = سنة ٩٢٢م. انظر ترجمته في: الفهرست ١/ ١٩٠، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢.

(٢) هو: أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي الأصل: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) سنة ٢٨٨هـ = ٩٠٠م توفي سنة ٣٧٧هـ = سنة ٩٨٧م. من كتبه: «الإيضاح»، «الحجّة». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥.

(٣) هو: دُلف بن جحدر الشبلي: ناسك. ولد بسرَّ من رأى سنة ٢٤٧هـ = سنة ٨٦١م. توفي ببغداد سنة ٣٣٤هـ = سنة ٩٤٦م. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٨٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩.

(٤) العارف: من أعلى درجات الصوفية، حيث تؤدّي عندهم إلى اتّصال الصوفي بالخالق سبحانه وتعالى.

أَنشدَني الظاهِرُ لِنفسِهِ:

[الوافر]

أَرَى جِيلَ ٱلتَّصَوُّفِ شَرَّ جِيلٍ، فَقُلْ لَهُمْ، وَأَهْوِنْ بِٱلْحُلُولِ
أَقَالَ ٱللَّهُ حِينَ عَشِقْتُمُوهُ: كُلُوا أَكْلَ ٱلْبَهَائِمِ وَٱرْقُصُوا لِي؟

وحَرَّكَ يوماً يدَهُ فَٱنتثرَ على قوم مِسْكٌ، وحرَّكَ مرةً أُخرى فَٱنتثرَ دراهِمُ، فقالَ لَهُ بعضُ مَنْ حَضَرَ مِمَّنْ يفهمُ: «أَرِني دَرَاهِمَ معروفةً أُومِنُ بِكَ وخلق معي إِنْ أَعْطَيْتَنِي دِرْهماً عليهِ ٱسْمُكَ وَٱسْمُ أبيك». فقال: وكيف هذا وهذا لا يُصْنَعُ؟ قال: مَنْ أَحْضَرَ ما ليسَ بِحاضرٍ، صَنَعَ ما ليسَ بِمَصْنوعٍ!

وَكَانَ في كُتُبِهِ: إنِّي مُغْرِقُ قَوْمِ نُوحٍ ومُهْلِكُ عادٍ وثمودَ. فلَمَّا شاعَ أَمرُهُ وعَرَفَ ٱلسُّلْطان خبَرَهُ على صحةٍ، وَقَّعَ بِضَرْبِهِ ألفَ سَوْطٍ، وقَطَعَ يديهِ، ثُمَّ أحرقَهُ بِٱلنَّارِ في آخرِ سنةِ تسعٍ وثلاثمِائةٍ. وقالَ لِحامِدِ بْنِ العباسِ: أنا أُهلكُكَ. فقال حامِدٌ: ٱلآنَ صَحَّ أَنَّكَ تَدَّعي ما قُرِفْتَ بِه[1].

وَٱبْنُ أَبي ٱلعَزَاقِرِ، أَبُو جعفرٍ، محمدُ بْنُ عليٍّ ٱلشَّلْمَغانِيُّ[2]، أَهلُهُ من قريةٍ من قرى واسطٍ تُعرفُ بشلمغانِ، وصُورتُهُ صورةُ ٱلحَلَّاجِ، ويَدَّعي عنه قومٌ أَنَّهُ إلٰهٌ، وأَنَّ ٱللَّهَ حَلَّ في آدمَ ثُمَّ في شِيْثَ ثُمَّ في واحدٍ واحدٍ مِنَ ٱلأنبياءِ وٱلأَوْصِياءِ وَٱلأَئِمَّةِ حَتَّى حَلَّ في الحسينِ بْنِ عليٍّ ٱلعَسْكَرِيِّ[3] وأَنَّهُ حَلَّ فِيهِ. وكانَ قدِ ٱسْتَغْوى جماعةً، منهمُ ٱبنُ أَبي عَوْنٍ صاحبُ كتابِ ٱلتَّشْبِيهِ، ومعَهُ ضُرِبَتْ عنقُهُ، وكانوا يُبِيحُونَهُ حَرَمَهُمْ وأموالَهُمْ يَتَحَكَّمُ فيهم، وكانَ يتعاطَى الكِيمياءَ، وله كتبٌ معروفةٌ.

* * *

الرَّاوَنْدِيُّ ٱلزِّنْدِيقُ[4]

وَكَانَ أَحمدُ بْنُ يحيى ٱلرَّاوَنْدِيُّ: من أهلِ مَرْوِ ٱلرَّوذ، حَسَنَ ٱلسِّيرَةِ، جميلَ

---

(١) ما قرفت به: اتّهمت به.

(٢) هو: أبو جعفر، محمد بن علي، ويُعرف بابن أبي العزاقر: متأله مبتدع. كان أول أمره إمامياً، من الكتّاب، ثم ادّعى أن اللاهوت حلّ فيه قتله الراضي العباسي سنة ٣٢٢هـ = ٩٣٤م. انظر ترجمته في: الأعلام ٦/ ٢٧٣.

(٣) هو: الحسين بن عليّ العسكري، أحد أئمة الشيعة الإثني عشر. متوفى سنة ٢٧٠هـ.

(٤) هو: أبو الحسين، أحمد بن يحيى بن إسحاق: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى «راوند» من قرى أصبهان. أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) حيث صنف كتابه «الدامغ للقرآن». مات سنة ٢٩٨هـ = سنة ٩١٠م انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٧، المنتظم ٦/ ٩٩.

ٱلْمَذْهَبِ، ثُمَّ ٱنْسَلَخَ مِنْ ذلك كُلِّهِ بِأَسبابٍ عَرَضَتْ لَهُ، ولِأَنَّ عِلْمَهُ كَانَ أَكثرَ مِنْ عقلِهِ، وَكَانَ مَثَلُهُ كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[البسيط]

وَمَــنْ يَــطِـيْــقُ مَــرَدًا عِــنْــدَ صَــبْــوَتِــهِ، وَمَــنْ يَــقُــومُ لِمَــسْــتــورٍ إِذَا خَــلَــعَــا[1]

صَنَّفَ: كِتابُ ٱلتاجِ، يحتجُّ فِيهِ لِقِدَمِ ٱلعالَمِ، فنقضَهُ أبو ٱلحسينِ الخياطُ[2].

الزُّمرُّد: يحتجُّ فيهِ لإبطالِ الرسالة، نقضَهُ ٱلخيَّاطُ.

نَعْتُ الحِكْمَةِ: سَفَّهَ ٱللَّهَ، تعالى، في تكليفِ خلقِهِ أمرَهُ، نقضَهُ ٱلخَيَّاطُ.

الدامِغُ: يطعَنُ فيهِ على نظمِ القرآنِ.

القضيبُ: يُثْبِتُ أَنَّ عِلْمَ ٱللَّهِ مُحْدَثٌ، وَأَنَّهُ كانَ غيرَ عالِمٍ حتى خَلَقَ لِنَفسِهِ عِلْماً، نقضَهُ الخياطُ.

المرجانُ في ٱختلافِ أهلِ ٱلإسلامِ.

ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ[3] وتطَيُّرُهُ

عليُّ بْنُ العباسِ بْنِ جُرَيْجٍ الرومي. قالَ أبو عثمانَ ٱلنَّاجِمُ: دَخَلْتُ عليهِ في عِلَّتِهِ التي ماتَ فيها، وعندَ رَأْسِهِ جَامٌ[4] فيهِ ماءٌ مَثْلُوجٌ وخِنجَرٌ مجرَّدٌ لو ضُرِبَ بِهِ صَدْرٌ خَرَجَ مِنْ ظهرٍ، فقلْتُ: ما هذا؟ قال: الماءُ أَبلُّ بِهِ حَلْقي، فقلَّما يَموتُ إنسانٌ إلَّا وهو عطشانُ؛ والخَنجَرُ إنْ زادَ عليَّ الألَمُ نَحَرْتُ بِهِ نَفسي. ثُمَّ قالَ: أَقصُّ عليكَ قِصَّتِي تَسْتَدِلُّ بِها على حقيقةِ تَلَفي: أردْتُ ٱلانتقالَ مِنَ ٱلكَرْخِ[5] إلى بابِ ٱلبصرةِ، فشاورْتُ صديقَنا أَبا ٱلفَضْلِ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلأَفضالِ، فقالَ: إذا جِئْتَ ٱلقنطرةَ فَخُذْ على

---

(١) ورد في إحدى نسخ أصول الرسالة «مذلى» بدلاً من «مرداً»، ومرداً: نهياً. و«الصبوة: جَهْلَة الفُتُوَّة واللهو من الغزل، ومنه التصابي..» انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٤٩ مادة «صبا».

(٢) هو: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين بن الخياط: شيخ المعتزلة ببغداد. تنسب إليه فرقة منهم تدعى «الخيَّاطية». توفي نحو سنة ٣٠٠هـ = نحو سنة ٩١٢م. من كتبه «الانتصار» في الردّ على ابن الراوندي. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٨٧.

(٣) هو: علي بن العباس بن جريج، أبو الحسن: شاعر كبير. ولد في بغداد سنة ٢٢١هـ = سنة ٨٣٦هـ ومات فيها مسموماً سنة ٢٨٣هـ = سنة ٨٩٦م. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٥٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢.

(٤) جام: كأس.

(٥) الكرخ: محلّة في العراق. انظر: معجم البلدان لياقوت ٤/ ٤٤٧.

يمينِكَ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱليُمْنِ، وَٱذْهَبْ إلى سكةِ النعيمةِ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلنعيم، فَٱسْكُنْ دارَ ٱبنِ ٱلمعافى، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلعافيةِ. فخالَفْتُهُ لِتعسي ونَحْسِي، فشاوَرْتُ صديقَنا جعفراً، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلجُوعِ وَٱلفِرارِ، فقال: إذا جِئْتَ ٱلقنطرةَ فَخُذْ على شمالِكَ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلشُّؤْمِ، وَٱسْكُنْ دارَ ٱبنِ قُلَابَةَ، وهي هذه لا جَرَمَ[1]، قَدِ ٱنْقَلَبَتْ بِيَ ٱلدنيا وأَضَرُّ ما عليَّ ٱلعَصَافِيرُ في هٰذه ٱلسِّدْرَةِ[2] تَصِيح: سِيْق سِيْق؛ فَهَا أنا في ٱلسياقِ! ثُمَّ أنشد:

[الوافر]

أَبَا عُثْمَانَ أَنْتَ قَرِيعُ[3] قَوْمِكْ ... وَجُودُكَ لِلْعَشِيرَةِ دُونَ لَوْمِكْ

تَمَتَّعْ مِنْ أَخِيكَ فَمَا أَرَاهُ ... يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِكْ

وَأَلَحَّ بِهِ ٱلبَوْلُ، فَقُلْتُ لَهُ: ٱلبولُ مُلِحٌّ بِكَ. فقالَ:

غَداً يَنْقَطِعُ ٱلبَوْلُ ... وَيَأْتِي ٱلوَيْلُ وَٱلعَوْلُ

أَلَا إنَّ لِقَاءَ ٱللّـ ... ـهِ هَوْلٌ دُونَهُ ٱلهَوْلُ!

ومَاتَ مِنَ ٱلغَدِ؛ فَأَرْجُو أَنْ يكونَ هٰذا القولُ تَوْبَةً لَهُ مِمَّا كَانَ ٱعتقَدَه مِنْ ذبحِهِ نفسَهُ؛ وَٱلرسولُ، عليهِ ٱلصلاةُ وٱلسلامُ، يقول: مَنْ وجأ[4] نفسَهُ بِحديدةٍ حُشِرَ يومَ القِيامةِ وحديدتُهُ بيدِهِ يَجَأُ بِهَا نفسَهُ خَالِداً مُخَلَّداً في ٱلنارِ؛ مَنْ تَرَدَّى مِنْ شاهقٍ حُشِرَ يومَ القِيامةِ يَتَرَدَّى على مِنْخَرَيْهِ في ٱلنَّارِ خالِداً مُخَلَّداً؛ مَنْ تَحسَّى سُمّاً حُشِرَ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ وَسُمُّهُ بِيدِهِ يتحسَّاهُ خَالِداً مُخَلَّداً في ٱلنَّارِ.

ٱتِّهامُ أَبِي تَمَّام[5]

قَالَ ٱلحَسَنُ بْنُ رَجاءٍ ٱلكاتِبُ: جاءَنِي أَبُو تَمَّام إلى خُراسَانَ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ لا يُصَلِّي، فَوَكَلْتُ بِهِ مَنْ لَازَمَهُ أَيَّاماً فلَمْ يَرَهُ صَلَّى يَوْماً واحِداً، فعاتَبْتُهُ، فقالَ: يا مولايَ، قطعْتُ إلى حضرَتِكَ مِنْ بغدادَ، فَٱحْتَمَلْتُ ٱلمَشَقَّةَ وبُعْدَ ٱلشُّقَّةِ ولم أَرَهُ يثقلُ

(١) لا جرم: لا شكَّ، لا ريب.
(٢) السّدرة: شجرة النبق.
(٣) قريع قومك: سيدهم.
(٤) وجأ: طعن بشيء حادّ.
(٥) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـ = سنة ٨٠٤م. ارتبط اسمه بالخليفة المعتصم. توفي سنة ٢٣١هـ = سنة ٨٤٦م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٢١.

عَلَيَّ، فلو كانَتِ ٱلصلاةُ تنفعُني وتركُها يَضرُّني ما تَركْتُها. فأردْتُ قتلَهُ فخشِيْتُ أَنْ يُحْمَلَ على غيرِ هٰذا.

المُعْتَصِمُ(١) وَٱلمَازِيار(٢) وَٱلأَفْشِيْنُ(٣)

وفي تآريخَ كثيرةٍ، أَنَّهُ أُحْضِرَ ٱلمازيارُ إلى ٱلمُعْتَصِمِ وقَبْلَ قُدُومِهِ بيوم سَخِطَ على ٱلأفْشِينِ لِأَنَّ ٱلقاضِي ٱبنَ أَبي داود(٤) قالَ لِلْمُعْتَصِمِ: أَغْرَلُ(٥) ويطأُ ٱمرأةً عربيَّةً، وهو كاتِبُ ٱلمازيارِ وَزيَّنَ لَهُ ٱلعِصيانَ.

فَأَحْضَرَ كاتِبَهُ، وتهدَّدَهُ ٱلمُعْتَصِمُ فأقرَّ أَنَّهُ كَتَبَ إلى ٱلمازيارِ: لَمْ يَكُنْ في ٱلأَرْضِ ولا في ٱلعَصْرِ بَلِيَّةٌ إلَّا أَنَا وأنت وبابَكُ، وقَدْ كُنْتُ حَرِيصاً على حَقْنِ دَمِهِ حتَّى كانَ مِنْ أَمرِهِ ما كانَ، ولَمْ يَبْقَ غيري وغيرُك، وَقَدْ تَوجَّهَ إليكَ عَسْكَرٌ مِنْ عَسَاكِرِ ٱلقَوْمِ، فإِنْ هَزَمْتُهُ وَثَبْتُ أنا بِمَلِكِهِمْ في قرارِ دارِهِ، فظهرَ ٱلدينُ ٱلأبيضُ. فأَجابَهُ ٱلمازيارُ بِجوابٍ هو عندَهُ في سِفْطٍ(٦) أحمرَ.

فَجَمَعَ بينَ ٱلأَفشينِ وَٱلمازيارِ فَٱعْتَرَفَ ٱلمازيارُ بِمَا حُكِيَ عَنْهُ.

وقِيلَ لِلْمعتصِمِ: إِنَّ وَرَاءَ ٱلمازِيارِ مَالاً جَليلاً، فأنْشَدَ:

[البسيط]

إِنَّ ٱلأُسُودَ أُسُودُ ٱلغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ ٱلكَرِيهَةِ، فِي ٱلمَسْلُوبِ لَا ٱلسَّلَبِ

وَذَكَروا أَنَّ ٱثنين قَتَلا ثلاثةَ آلافِ أَلْفٍ وخمسَمائة ذباح بِٱلثِّيابِ ٱلحُمْرِ وَٱلخَناجِرِ الطوال، وأَنَّهُمْ وَجَدُوا أَسماءَهُمْ في وقعةٍ وقعةٍ وفي بَلَدٍ بَلَدٍ، وكانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ كلِّ

---

(١) هو: محمد بن هارون الرشيد بن المهدي باللّه العباسي، أبو إسحاق: خليفة من أعاظم الخلفاء. ولد سنة ١٧٩هـ = سنة ٧٩٥م بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ ابتنى مدينة سامراء. توفي سنة ٢٢٧هـ = سنة ٨٤١م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٦/ ١١٤.

(٢) هو: آخر سلاطين بني قارن: ثار على المعتصم العباسي ودعا الفلاحين إلى الثورة على أسيادهم اتهمه بعضهم بالزندقة. مات جلداً وعرضت جثته على أبواب سامراء.

(٣) هو: حيدر بن كاوس، تركي استعمله المعتصم في القضاء على بابك الخرّمي، وقاد جيوش الخليفة في فتح عمورية، رمي بالكفر ومات سجيناً سنة ٢٢٦هـ.

(٤) هو: أبو عبد اللّه، أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي. ولد في البصرة سنة ١٦٠هـ = ٧٧٧م. أحد القضاة المشهورين من المعتزلة. مات مفلوجاً في بغداد سنة ٢٤٠هـ = سنة ٨٥٤م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٤١ ـ ١٥٦.

(٥) الأغرل: هو من لم يختن، والختانة من طبيعة المسلمين.

(٦) السفط الأحمر: القفّة الحمراء.

واحدِ عَلَامَةً: خَاتِمَهُ أو ثَوْبَهُ أو مِنْدِيلَهُ أو تِكَّتَهُ[١]: «أَتَى ٱلوادِي فَطَمَّ على ٱلقَرِي»[٢].

قَدْ لَقِيْتُ مَنْ يُجادِلُني أَنَّ عَلياً، رضيَ للَّهُ عنه... وكذلك الحاكِم...

جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ[٣]

وَقَدْ ظَهَرَ بِٱلبصرةِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ جَعْفراً ٱبْنُ محمدٍ، عليهما السلامُ، وأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِهِ وَرُوْحُهُ فيهِ ومُتَّصِلَةٌ بِهِ.

وَلَوِ اسْتَقْصَيْتُ ٱلقَوْلَ في هٰذا ٱلفنِّ لَطالَ جِدًّا وَلَكِن:

[السريع]

لا بُـدَّ لِلمَـصْـدُورِ أَنْ يَـنْـفُـثَـا وَلِلَّذِي فـي ٱلـصَّـدْرِ أَنْ يُـبْـعَـثَـا

بَلْ لَوْ قُلْتُ كُلَّ ما أَعْلَمُهُ، أَكَلْتُ زادِي في مَخْبَسِي، بلْ كُنْتُ أُنْشِدُ:

[الرجز]

أَحْـمِـلُ رَأْسـاً قَـدْ مَـلَلْتُ حَـمْـلَهُ، أَلا فَـتًـى يَـحْـمِـلُ عَـنِّـي ثِـقْـلَهُ

وَأَسْتَرِيحُ إِلى أَنْ أُنْشِدَ:

[الخفيف]

لَيْسَ يَشْفي كُلُومَ[٤] غَيْرِي كُلُومِي، مَـا بِـهِ مـا بِـهِ، وَمَـا بِـي مَـا بِـي

شكوى ٱلعَصْرِ

إِنْ شَكَوْتُ ٱلعَصْرَ وَأَحْكَامَهُ، وذَمَمْتُ صُرُوفَهُ وَأَيَّامَهُ، شَكَوْتُ مَنْ لا يَشْكِي[٥] أبداً وَذَمَمْتُ مَنْ لا يُرضِي أَحَداً، شِيْمَتُهُ ٱصْطِفاءُ ٱللِّئامِ، وَٱلتَّحامُلُ على ٱلكِرامِ؛ وهِمَّتُهُ رَفْعُ ٱلخامِلِ ٱلوَضِيعِ، وَوضْعُ ٱلفاضِلِ ٱلرَّفيعِ؛ إذا سَمَحَ بِٱلحَباءِ[٦]، فَأَبْشِرْ بوَشْكِ

---

(١) تكته: رباط سِرْواله.

(٢) طمّ على القريّ: غمس عن المجرى الضيّق.

(٣) هو: محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر: من علماء الطالبيين وأعيانهم وشجعانهم. كانت إقامته بمكة. بويع بالخلافة وإمارة المؤمنين (٢٠٠هـ) وبايعه أهل الحجاز. وهو أول من بايعوا له من ولد علي بن أبي طالب. قضي على حركته. توفي في جرجان سنة ٢٠٣هـ = سنة ٨١٨م. انظر ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٦/ ١٢١، مقاتل الطالبيين: ٣٥٣.

(٤) كلوم: جراح.

(٥) يشكي: يحمل على الشكوى.

(٦) الحباء: العطاء.

ٱلاقْتِضاءِ؛ وإذا أَعارَ، فَأَحْسِبْهُ قَدْ أَغارَ؛ فَما بينَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيْكَ مُسْتَبْشِراً، ويُولي عَنْكَ مُتَجَهِّماً مُسْتَبْسِراً[١]؛ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلبَصَرِ، وَٱسْتطارةِ ٱلشَّرَرِ. لَمْ يَخْتَرِقْ ذِكْرَ ٱلوَفاءِ مَسامِعَهُ، ولم يَمْسَسْ ماءُ ٱلحياءِ مَدامِعَهُ؛ ظاهِرُهُ يَسُرُّ ويُونِسُ، وَباطِنُهُ يَسُوءُ ويُوئِسُ؛ يُخَيِّبُ ظَنَّ راجِيهِ، ويُكَذِّبُ أَمَلَ عافِيهِ[٢]؛ لا يَسْمَعُ ٱلشَّكْوى، ويُشْمِتُ بِٱلبَلْوى؛ قد ذَمِمْتُ شيئاً ووقَعْتُ فيه أنا، كَٱلغريقِ يَطْلُبُ مَعْلَقاً[٣]، وَٱلأَسِيرِ يَنْدُبُ مَطْلَقاً[٤]؛ وأَسْتَحْسِنُ قولَ عليِّ بْنِ ٱلعبَّاسِ بْنِ جُرَيْجٍ ٱلرُّومِيِّ:

[المتقارب]

أَلا لَيْسَ شَيْبُكَ بِٱلمُنْتَزَعْ ... فَهَلْ أَنْتَ عَنْ غَيِّهِ مُرْتَدِعْ؟[٥]

وَهَلْ أَنْتَ تارِكُ شَكْوى ٱلزَّما ... نِ، إذا شِئْتَ تَشْكُو إِلَى مُسْتَمِعْ؟

فَشَيْبُ أَخِي ٱلشَّيْبِ أُمْنِيَّةٌ، ... إذا ما تَناهى إِلَيْها هَلِعْ[٦]

* * *

مِنْ حَالٍ إِلَى حالٍ

كنتُ في حالِ الحداثةِ، أقربَ الناسِ إليَّ، وأعزَّهُمْ عَلَيَّ، وأقربَهُمْ عندي، وأجلَّهُمْ في نفسي مَرْتَبَةً، مَنْ قال له: نَسَأَ ٱللَّهُ في أجلِكَ[٧] جعلَ ٱللَّهُ لَكَ أمدَّ ٱلأعمارِ وأطولَها. فلمَّا بلَغْتُ عُشْرَ ٱلثمانينَ جاءَ ٱلجَزَعُ[٨] وَٱلهَلَعُ، فَمِمَّ أرتاعُ وَأَلْتاعُ[٩] وأخلُدُ إلى ٱلأطماعِ، وهوَ ٱلَّذي كنتُ أتمنَّى وَيَتَمَنَّى لي أهلي؟ أَمِنْ صُدُوفِ[١٠] ٱلغَواني عنِّي؟ فَأَنا وَٱللَّهِ عَنْهُنَّ أَصْدَفُ، وبِهِنَّ وأدوائِهِنَّ أَعْرَفُ، إِذْ لَسْتُ مِمَّنْ يُنْشِدُ تَحَسُّراً عليهِنَّ:

[البسيط]

لِلسُّودِ في ٱلسُّودِ آثارٌ تَرَكْنَ بِها ... لَمْعاً مِنَ ٱلبِيضِ تَثْني أَعْيُنَ ٱلبِيضِ[١١]

---

(١) مستبسراً: عابساً.
(٢) العافي: المحتاج، المعتر.
(٣) المعلق: الممسك.
(٤) مطلقاً: مهرباً وملجأ.
(٥) مرتدع: مرتجع.
(٦) هلع: خاف.
(٧) الأجل: العمر.
(٨) الجزع: الخوف.
(٩) ألتاع: أتوجع، أتألم، أتحسّر.
(١٠) صدوف: ابتعاد.
(١١) يقصد أن الزمن مرّ عليه فشاب شعره من مرور الليالي؛ وهذا ما جعل الغانيات يبتعدن عنه، ولا يعطينه التفاتة.

وقولُ ٱلآخر:

[الطويل]

وَلَمَّـا رَأَيْـتُ ٱلـنَّـسْـرَ عَـزَّ ٱبْـنَ دَأْيَـةٍ وَعَشَّشَ فِي وَكْرَيْهِ، جَاشَتْ لَهُ نَفْسِي[١]

وَلا أُنْشِدُ لِأَبي عُبادَةَ ٱلبحتريِّ[٢]:

[الوافر]

إنَّ أَيَّـامَـهُ مِـنَ ٱلـبِـيْـضِ بِـيْـضٌ، مَـا رَأَيْـنَ ٱلـمَـفَـارِقَ ٱلـسُّـودَ سُـودَا

وَإِذا ٱلـمَـحْـلُ ثَـارَ، ثَـارُوا غُـيُـوثـاً، وَإِذَا ٱلـنَّـقْـعُ[٣] ثَـارَ، ثَـارُوا أُسُـودَا

يَـحْـسُـنُ ٱلـذِّكْـرُ عَـنْـهُـمْ وَٱلأَحَـادِيْـ ـثُ، إِذَا حَـدَّثَ ٱلـحَـدِيْـدُ ٱلـحَـدِيْـدَا

بَـلْدَةٌ تُـنْـبِـتُ ٱلـمَـعَـالِي فَـمَـا يَـثْـ ـغَـرُ[٤] ٱلـطِّـفْـلُ فِـيْـهِـمْ أَوْ يَـسُـودَا

* * *

المَعَرَّةُ وَٱلمَعَرِّي

وَهٰذِهِ صفةُ معرَّة ٱلنُّعمان[٥] بِهِ، أَدامَ ٱللَّهُ تَأْيِيدَهُ، لا خَلَتْ منه ومِنَ ٱلنِّعْمَةِ عَلَيهِ وعندَهُ، فقد وجدْتُ أَهلَها معترفِينَ بعوارفِهِ[٦]، خَلَا أَبِي ٱلعباس أَحمدَ بْنِ خَلَفٍ ٱلمُمَتَّعِ، أَدامَ اللَّهُ عَزَّهُ، فَإِنِّي وَجَدْتُ آثارَ تفضُّلِهِ عليهِ ظاهرةً، ولِسانَهُ رَطباً بِشُكْرِهِ وذِكْرِهِ، قد مَلأَ السماءَ دُعَاءً وَٱلأَرضَ ثَناءً.

---

(١) «ابن دأية: الغراب، سمّي بذلك لأنه يقع على دأية البعير الدَّبِرِ» فينقرها؛ وقال الشاعر يصف الشيب:

ولَمَّـا رأيْـتُ الـنَّـسْـرَ عَـزَّ ابـنَ دَأْيَـةٍ، وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ، جاشَتْ له نفسي»

انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٤٨ مادة «رأي».

(٢) هو: أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي: شاعر كبير. ولد في منبج سنة ٢٠٦هـ = سنة ٨٢١م. ارتبط اسمه بالخليفة المتوكل. توفي في منبج سنة ٢٨٤هـ = سنة ٨٩٨م. له ديوان شعر وكتاب «الحماسة». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦.

(٣) النقع: الغبار.

(٤) يثغر: تنبت للطفل أسنانه ويبدأ بالنطق.

(٥) معرّة النعمان: تقع في محافظة حلب، وهي بلدة أبي العلاء المعرّي، وبها قبره. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٥٦.

(٦) عوارفه: فضائله.

النبيُّ محمدٌ ﷺ وقريشٌ

قالَتْ قريشٌ لِلنبيِّ، عليهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلَامُ: أَتْباعُكَ مِنْ هٰؤلاءِ ٱلموالي، كَبِلالٍ[1] وَعَمَّارٍ[2] وَصُهَيْبٍ[3]، خَيْرٌ مَنْ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ[4] وعَبْدِ مَنافٍ[5] وهاشِمٍ وعبدِ شَمْسٍ[6]؟ فقال: نَعَمْ، واللَّهِ لَئِنْ كَانُوا قَلِيلًا لَيَكْثُرُنَّ، وَلَئِنْ كَانُوا وُضَعَاء لَيَشْرُفُنَّ حَتَّى يَصِيروا نُجُوماً يُهْتَدَى بِهِمْ وَيُقْتَدَى، فَيُقَالُ: هٰذا قولُ فُلَانٍ وذِكْرُ فُلَانٍ، فلا تُفاخِرونِي بآبائِكُمُ ٱلَّذينَ ماتُوا فيها، فَٱتَّبِعُوني أجعلْكُمْ أَنْساباً، وٱلَّذِي نفسي بيدِهِ، لَتَقْتَسِمُنَّ كنوز كِسْرَى وقَيْصَرَ.

فقالَ لَهُ عَمُّهُ أَبو طالبٍ[7]: «أَبْقِ عَلَيَّ وعلى نفسِكَ». فظنَّ، عليهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ، أَنَّهُ خاذِلُهُ ومُسَلِّمُهُ، فَقَالَ: «يا عَمِّ، وَٱللَّهِ لَوْ وَضَعُوا ٱلشَّمْسَ في يمينِي وٱلقَمَرَ في شِمَالي على أَنْ أَتْرُكَ هٰذا ٱلأَمْرَ حتَّى يُظْهِرَهُ ٱللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ ما تَرَكْتُهُ». ثُمَّ ٱسْتَعْبَرَ بَاكياً، ثُمَّ قَامَ. فَلَمَّا وَلَّى ناداهُ: أَقبِلْ يا ٱبْنَ أَخِي، فأَقْبَلَ. فَقَالَ: اذهبْ وقُلْ ما

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه، بلال بن رباح الحبشي: مؤذن رسول اللَّه ﷺ وخازنه على بيت ماله. من مولَّدي السّراة، وأحد السابقين للإسلام. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ. توفي في دمشق سنة ٣٠هـ = سنة ٦٤١م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩، صفة الصفوة ١/ ١٧١.

(٢) هو: عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان: صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به. هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد. قتل مع علي في صفين سنة ٣٧هـ = سنة ٦٥٧م. انظر ترجمته في: الإصابة ت٥٧٠٦. حلية الأولياء: ١/ ١٣٩.

(٣) هو: صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي من أرمى العرب سهماً، وهو أحد السابقين إلى الإسلام. شهد المشاهد كلها. توفي في المدينة سنة ٣٨هـ = سنة ٦٥٩م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣/ ١٦١، الإصابة: ت ٤٠٩٩.

(٤) هو: قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم. قيل: هو أول من كان له مُلك في بني كنانة، هدم الكعبة وجدّد بناءها. مات في مكة ودفن بالحجون. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١/ ٣٦ ـ ٤٢. المحبر: ١٦٤.

(٥) هو: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب، والد علي (رضي اللَّه عنه) وعمّ النبي ﷺ وكافله ومربيه وناصره. توفي في مكة سنة ٣ ق.هـ = سنة ٦٢٠م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ١/ ٧٥، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٢٦١.

(٦) هو: عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، من قريش، من عدنان: جدّ جاهلي، كان له من الولد أميّة، وحبيب، وعبد أميّة، ونوفل، وربيعة، وعبد العزى، وعبد اللَّه. مات في مكة. انظر ترجمته في: المحبر: ١٦٢ ـ ١٦٣، الجمهرة: ٦٧.

(٧) هو: عمّ النبيّ ﷺ. مرّت ترجمته.

شِئْتَ، فوَٱللَّهِ لا أسلَمْتُكَ لِسُوءٍ أبداً. فكانَ، عليهِ ٱلصَّلَاةُ وٱلسَّلَامُ، يذكرُ يَوْماً ما لَقِيَ من قَوْمِهِ مِنَ ٱلجَهْدِ وَٱلشِّدَّةِ، قال:

لَقَدْ مَكَثْتُ أَيَّاماً وصاحِبي هٰذا، يُشِيرُ إلى أَبي بَكرٍ[١]، بِضعَ عَشْرَةَ ليلةً ما لَنَا طَعَامٌ إِلَّا ٱلبرير[٢] في شُعبِ[٣] ٱلجِبالِ.

* * *

وكانَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ[٤] يقولُ، إذا ذُكِرَ البَلَاءُ وَٱلشِّدَّةُ ٱلَّتِي كانُوا عليها بمكةَ: لقد مَكَثْنا زَمَاناً ما لَنا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقَ ٱلبشام[٥] أَكَلْنَاهُ حَتَّى تَقَرَّحتْ أَشْدَاقُنا، وَلَقَدْ وَجَدْتُ يوماً تمرةً فجعلتُها بيني وبينَ سَعْدٍ[٦]، وما مِنَّا ٱليومَ أَحَدٌ إِلَّا وهو أميرٌ على كُورةٍ[٧]. وَكَانُوا يقولون فِيمَنْ وَجَدَ ثَمَرَةً فقسَمَها بينَهُ وبينَ صاحبِهِ: إنَّ أَسعدَ ٱلرجلينِ مَنْ حصلتِ ٱلنَّواةُ في قِسْمِهِ، يَلُوكُها يومَهُ وليلَتَهُ مِنْ عَدَمِ ٱلقُوتِ.

وكذا قَالَ رسولُ ٱللَّهِ، ﷺ: لَقَدْ رَعَيْتُ غُنَيْماتِ أَهْلِ مَكَّةَ لهمْ بٱلقرارِيطِ.

* * *

وَٱبتدأَ أَمْرَهُ أَنَّهُ وَقَفَ على الصفا[٨] ونادى: يا صَبَاحَاهُ، يا صَبَاحَاهُ!

فجاءُوا يَهْرَعُونَ[٩] فقالُوا: ما دَهَمَكَ؟ ما طَرَقَكَ؟ قال: بِمَ تَعْرِفُونَنِي؟ قالوا: محمد الأَمينُ.

---

(١) هو: عبد اللّه بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي؛ أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول اللّه ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة سنة ٥١ ق. هـ = سنة ٥٧٣م. شهد الحرب مع النبي ﷺ. وحارب المرتدين وسير الجيوش إلى بلاد الشام والعراق. مات سنة ١٣هـ = سنة ٦٣٤م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦ ـ ٢٨، الإصابة، ت ٤٨٠٨.

(٢) البرير: ثمر الأراك.

(٣) «شُعَب الجبال: رؤوسها؛ وقيل: ما تفرّق من رؤوسها». انظر: لسان العرب ١/ ٤٩٩ مادة «شعب».

(٤) هو: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد اللّه: باني مدينة البصرة. صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً. مات سنة ١٧ هـ = سنة ٦٣٨م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣/ ٦٩.

(٥) البشام: شجر ذو رائحة عطرة. يسحق ورقه بعدما ييبس وتصبغ به النساء شعورهن، وهو الحنّاء.

(٦) يقصد: سعد بن أبي وقاص، الصحابي الجليل رضي اللّه تعالى عنه.

(٧) كورة: محلّة.

(٨) الصفا: صخرة ينتقل المعتمر بينها وبين المروة.

(٩) يهرعون: يتراكضون.

قَالَ: أَرأَيْتُم إِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّ خَيْلًا قَدْ طَرَقتكُم[١] في ٱلوادِي، وَإِنَّ عَسْكَراً قَدْ غَشِيَكُمْ مِنَ ٱلفَجِّ[٢]، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَني؟ قالوا: اللهُمَّ نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيكَ كَذِباً قَطُّ.

قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي أَنْتُمْ عليهِ، ليسَ ٱللَّه ولا مِنَ ٱللَّهِ ولا يرضاهُ ٱللَّهُ، قولوا: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَٱشهدوا أَنّي رَسُولُهُ، وَٱتَّبِعُوني تُطِعْكُمُ ٱلعَرَبُ وَتَمْلِكُوا ٱلعَجَمَ، وَإِنَّ ٱللَّهَ قالَ لي: ٱسْتَخْرِجْهُمْ كَما ٱسْتَخْرَجُوكَ، وَٱبْعَثْ جَيْشاً أَبْعَثْ خمسةَ أمثالِهِ، وضَمِنَ لي أَنَّهُ ينصرُني بِقوم مِنكُمْ، وقالَ لي: قاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، وضَمِنَ لي أَنَّهُ يَغلِبُ سُلْطَانِي سلطَانَ كِسْرَى وقيصرَ.

ثُمَّ إِنَّهُ، عليهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ، غزَا تبوكَ في ثلاثينَ أَلفاً، وهٰذا من قِبَلِ ٱللَّهِ ٱلَّذي يجعلُ مِنْ لا شيءَ كُلَّ شيءٍ، ويجعلُ كُلَّ شيءٍ لا شيءَ، يُجَمِّدُ ٱلمَائِعاتِ ويُمَيِّعُ ٱلجَامِدَات، يُجَمِّدُ ٱلبَحْرَ ثُمَّ يُفَجِّرُ ٱلصَّخْرَ، وما مَثَلُهُ في ذٰلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ مَنْ قَالَ: هٰذِهِ ٱلزُّجَاجَةُ ٱلرَّقِيقة ٱلسَّخِيفَةُ أَحُكُّ بِهَا هٰذِهِ ٱلجبالَ ٱلصَّلْدَةَ ٱلصَّلْبَةَ ٱلمُنِيفَةَ، فَتَرضُّها وَتَفضُّها[٣]؛ وَهٰذِهِ ٱلنَّمْلَةُ ٱلضَّعِيفَةُ ٱللَّطِيفَةُ تهزمُ ٱلعَسَاكِرَ ٱلكَثِيرَةَ ٱلمُعَدَّةَ.

وَكَذَا حقيقةُ أمرِهِ، عليهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلامُ، حتَّى لقد قالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسعودٍ ٱلثقفيُّ[٤] لِقُرَيْشٍ، وَكَانَ رَسُولَهُمْ إِلَيْهِ، ﷺ بِٱلحُدَيْبِيَةِ[٥]: لَقَدْ وَرَدْتُ عَلَى ٱلنَّجَاشِيِّ وكِسْرَى وَقَيْصَر، وَرَأَيْتُ جُنْدَهُمْ أَتْبَاعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَطْوَعَ وَلَا أَوْقَرَ وَلَا أَهْيَبَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لِمُحَمدِهِم، هُمْ حَوْلَهُ وكَأَنَّ الطَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَإِنْ أَشَارَ بِأَمرٍ بادَرُوا إِلَيْهِ، وَإِن تَوَضَّأَ ٱقتَسَمُوا وَضُوءَهُ، وَإِنْ تَنخَّمَ[٦] دَلَكُوا بِٱلنُّخامَةِ وُجُوهَهُمْ وَلِحَاهُمْ وجُلُودَهُمْ.

---

(١) طرقتكم: فاجأتكم بليل.

(٢) الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(٣) فترضّها وتَفَضّها: تدكّها وتحطمها.

(٤) هو: عروة بن مسعود بن معتب الثقفي: صحابي مشهور. كان كبيراً في قومه. ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فرجع فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة ٩هـ = سنة ٦٣٠م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٥٥٢٨، رغبة الآمل ٥/ ٣٠.

(٥) الحديبية: هي قرية سميت ببئر عند مسجد الشجرة التي بايع المسلمون رسول الله ﷺ تحتها على الجهاد ومقارعة الأعداء عندما شاع خبر مقتل الصحابي الجليل عثمان بن عفّان رضي الله عنه، رسول رسول الله ﷺ إلى قريش. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ٢٢٩، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: ١٧٥ ـ ١٧٧.

(٦) تنخم: أخرج النخامة (المخاط) من أنفه أو صدره.

وَكَانُوا لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَطْوَعَ مِنْهُمْ في حَيَاتِهِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ:

لا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا مِنْ خَوْفِ ٱللَّهِ، وأَسلَمَ ٱلنَّاسُ مِنْ خَوْفِ أَسيافِهِمْ.

فتأَمَّلْ كَيْفَ ٱسْتَفْتَحَ دَعْوَتَهُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَحْدَهُ، بِأَنَّ هٰذَا سَيَكُونُ، فرآهُ ٱلعَدُوُّ وَٱلوَلِيُّ، وَمَا كَانَ مَثَلُهُ فِي ذٰلِكَ إِلَّا مَثَلَ مَنْ قَالَ: هٰذِهِ ٱلهَبَاءَةُ[١] تَعْظُمُ وَتَصِيرُ جَبَلًا يُغَطِّي ٱلأَرْضَ كُلَّهَا؛ ثُمَّ أَنْذَرَ ٱلنَّاسَ بِهَا فِي حَالِ ضَعْفِهَا.

* * *

وَجَاءَ، ﷺ، يَوْماً لِيَدْخُلَ ٱلكَعْبَةَ، فَدَفَعهُ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ٱلعَبْدَرِيُّ[٢]، فَقَالَ: لا تَفْعَلْ يَا عُثمانُ، فَكَأَنَّكَ بِمفتَاحِهَا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ. فَقَالَ: لَقَدْ ذَلَّتْ يَوْمَئِذٍ قُرَيْشٌ وَقلَّتْ. قَالَ: بَلْ كَثُرَتْ وَعَزَّتْ.

* * *

عِبَرُ ٱلدُّنْيَا

وَأَنَا أَسْتَعِينُ بِعِصْمَةِ ٱللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَأَجْعَلُهُمَا مُعِيْنِي عَلَى دَفْعِ شَهْوَتِي، وَأَشْكُو إِلَيْهِ عُكُوفِي عَلَى ٱلأَمَانِي، وَأَسْأَلُهُ فَهْماً لِمَوَاعِظِ عِبَرِ ٱلدُّنْيَا، فَقَدْ عَمِيتُ عَنْ كُلُومٍ[٣] غَيْرِهَا، بِمَا جَثَمَ عَلَى خَوَاطِرِي مِنَ ٱلشَّغَفِ بِهَا، وَلَسْتُ أَجِدُ مُنْصِفاً لِي مِنْهَا، وَلَا حاجِزاً لِرَغْبَتِي فِيْهَا عَنْهَا[٤]، وَأَيْنَ وَدَائِعُ ٱلعُقُولِ وَخَزَائِنُ ٱلأَفْهَام يَا أُولِي ٱلأَبْصَارِ؟ صَفَحْنَا عَنْ مَسَاوِئِ الدُّنْيَا إِغْمَاضاً لِعَاجِلِ مُوْنَقِ ٱلتَّنْغِيصِ، وَتُومِئُ إِليهِ يَدُ ٱلزَّوَالِ، وَتَكْمُنُ لَهُ ٱلآفَاتُ. قَالَ كُثَيِّرٌ[٥]:

[الطويل]

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِيْنَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ ٱلصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا العُصْمُ زَلَّتِ[٦]

---

(١) «الهباء: التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يَلْزق لزوقاً». انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٥٠ مادة «هبا».

(٢) هو: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد اللّه القرشي العبدري، من بني عبد الدار: صحابي. كان حاجب البيت الحرام. أسلم مع خالد في هدنة الحديبية وشهد فتح مكة. سكن في المدينة ومات بها سنة ٤٢هـ = سنة ٦٦٢م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٥٤٤٢، إمتاع الأسماع ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

(٣) كلوم: جراح. (٤) رغب عن: كره.

(٥) هو: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر متيَّم مشهور. من أهل المدينة أكثر إقامته في مصر، توفي في المدينة سنة ١٠٥هـ = سنة ٧٢٣م، انظر ترجمته في: الأغاني ٨/ ٢٥، شذرات الذهب ١/ ١٣١.

(٦) ورد البيت في: الإنصاف لابن الأنباري: ٤٦٢، ديوانه ١/ ٤١.
«والأعصم من الظباء والوعول الذي في ذراعه بياض.. والوعول عُصْمٌ» انظر: لسان العرب ١٢/ ٤٠٥ مادة «عصم».

وَأَقُولُ على مَذْهَب كُثَيِّر: يا دُنْيا فِي كلِّ لَحْظَةٍ لِطَرْفِي مِنْكِ عِبْرَةٌ، وفِي كُلِّ فِكْرَةٍ لِي مِنْكِ حَسْرَةٌ! يا مُرْنِقَةَ ٱلصَّفا[١]، وَيَا نَاقِضَةَ عَهْدِ ٱلوَفَا؛ ما وُفِّقَ لَحْظَةً مَنْ عَرَجَ نَحْوكِ، ولا سَعِدَ مَنْ آثَرَ ٱلْمُقَامَ عَلَى حُسْنِ ٱلظَّنِّ بِك، هَيْهاتِ، يا مَعْشَرَ أَبْنَاءِ ٱلدُّنْيَا، لَكُمْ في ٱلظَّاهِرِ ٱسْمُ ٱلغِنَى، وفي ٱلبَاطِنِ أَهْلُ ٱلتَّقَلُّلِ لَهُمْ نَفْسُ هٰذَا ٱلمَغْنى.

كَمْ مِنْ يَوْمٍ لِي أَغَرَّ كَثِيرِ الأَهِلَّة، قَدْ صَحَتْ سَماؤُهُ وَٱمْتَدَّ عَلَيَّ ظِلُّهُ، تُمِدُّنِي سَاعَاتُهُ بِٱلْمُنى، وَيُضْحِكُ لِي عَنْ كُلِّ ما أَهْوَى، حَتَّى إِذَا ٱتَّصَلَ بِكُلِّ أَسْبَابِي، نَفِسَتْ[٢] عَلَيَّ بِهِ ٱلدُّنيا فَسَعَتْ بِٱلتَّشْتِيتِ إِلى إِلْفَتِهِ، وَٱلنَّقْصِ إِلى مُدَّتِه، فَكَسَفَتْ بَهْجَتَهُ كُسوفاً، وَأَرْهَقَتْ نَضْرَتَهُ وَحْشَةُ ٱلفِراقِ، وقطَّعتنا فِرَقاً في ٱلآفاقِ، بَعْدَ أَنْ كُنَّا كَالأَعْضَاءِ ٱلمُؤْتَلِفَةِ، وَٱلأَغْصَانِ ٱللَّدِنَةِ ٱلمُنْعَطِفَةِ:

[مجزوء الكامل]

وَٱ حَسْرَتِي فِي يَوْمِ يَجْـ ـمَعُ شِرَّتِي[٣] كَفَنٌ وَلَحْدُ
ضَيَّعْتُ مَا لا بُدَّ مِنْـ ـهُ بِٱلَّذِي لِيَ مِنْهُ بُدُّ

وَأُنْشِدُ قَوْلَ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ:

[المتقارب]

أَلَا لَيْسَ شَيْبُكَ بِٱلْمُنْتَزَعْ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ غَيِّهِ مُرْتَدِعْ

فَأَقْلَقُ وَأَبْكِي بُكَاءً غيرَ نافِعٍ ولا ناجِعٍ، وَيَجِبُ أَنْ أَبْكِيَ عَلَى بُكَائِي وَأُنْشِدُ:

[المتقارب]

لِسَانِي يَقُولُ، وَلَا أَفْعَلُ، وَقَلْبِي يُرِيدُ، وَلَا أَعْمَلُ
وَأَعْرِفُ رُشْدِي، وَلَا أَهْتَدِي، وَأَعْلَمُ لٰكِنَّنِي أَجْهَلُ

* * *

أمر الخمرة

عَرَضَ عَلَيَّ بعضُ ٱلنَّاسِ كَأْسَ خَمْرٍ، فَٱمْتَنَعْتُ مِنْهَا وقُلْتُ: خَلُّونِي وَٱلْمَطْبوخَ على مذهبِ ٱلشيخِ ٱلأَوْزَاعِيِّ[٤]. وقُلْتُ لهم: عَرَضَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ

(١) مرنقة الصفا: مكدرة صفاء العيش.

(٢) نفست: حسدت.

(٣) الشِّرَّة: الحدَّة والنشاط.

(٤) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في=

ٱلْمَهْدِيّ[١] على محمدِ بْنِ حَازِمٍ[٢] ٱلْخَمْرَةَ فَٱمْتَنَعَ وأَنْشدَ:

[مجزوء الكامل]

أَبَعْدَ شَيْبِي أَصْبُو ... وَٱلشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
سِنٌّ وَشَيْبٌ، وَجَهْلٌ ... أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ٱبْنَ ٱلإِمَامِ فَأَلَّا ... أَيَّامُ عُودِي رَطْبُ
وَإِذَا مَشِيبِي قَلِيلٌ ... وَمَنْهَلُ[٣] ٱلْحُبِّ عَذْبُ
وَإِذَا شِفَاءُ ٱلْغَوَانِي ... مِنِّي حَدِيثٌ وَقُرْبُ
فَٱلآنَ لَمَّا رَأَى بِيَ ٱلْـ ... ـعُذَّالُ مَا قَدْ أَحَبُّوا
وَآنَسَ[٤] ٱلرُّشْدَ مِنِّي ... قَوْمٌ، أُعَابُ وَأَصْبُو؟
آلَيْتُ أَشْرَبُ خَمْراً ... مَا حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

التَّوْبَةُ ٱلنَّصُوحُ

وَأَقْبَلْتُ على نفسِي مُخاطِباً، وَلَهَا مُعَاتِباً، وَٱلخِطابُ لِغيرِها، وَٱلْمَعْنَى لها: لَقَدْ أَمْهَلَكُمْ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَكُمْ! أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طُولِ ما لا تستحيونَ! فكُنْ كَٱلوليدِ تُقَلِّبُهُ يَدُ ٱللُّطْفِ بِهِ عَلَى فِرَاشِ ٱلعَطْفِ عَلَيْهِ، تُصْرَفُ إِلَيْهِ[٥] ٱلمَنَافِعُ بِغَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لِصِغَرِهِ، وَتُصْرَفُ عَنْهُ ٱلْمَضَارُّ بِغَيْرِ حَذَرٍ مِنْهُ لِعَجْزِهِ؛ أَمَا سَمِعْتَ ٱلرَّسُولَ، عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ، إِذْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ٱللَّهُمَّ ٱكْلأْنِي كَلاءَةَ[٦] ٱلوَلِيدِ ٱلَّذِي لا يَدْرِي ما يُرادُ بِهِ وَلَا ما يُرِيدُ.

= الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ = سنة ٧٠٧م وتوفي سنة ١٥٧هـ = سنة ٧٧٤م. له كتاب «السنن» في الفقه. انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ١/ ٢٢٧، المعارف: ٢١٧.

(١) هو: إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق ولد في بغداد سنة ١٦٢هـ = سنة ٧٧٩م. ولاه الرشيد إمرة دمشق. بويع بالخلافة، استتر من المأمون وعفا عنه بعد سجنه. توفي سنة ٢٢٤هـ = سنة ٨٣٩م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٨، الأغاني طبعة دار الكتب ١٠/ ٦٩ و٩٤.

(٢) هو: محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، أبو جعفر: شاعر مطبوع. كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي. مات في بغداد نحو سنة ٢١٥هـ = نحو سنة ٨٣٠م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٥، المرزباني: ٤٢٩.

(٣) منهل الحب: مورده.

(٤) آنس: وجده مؤنساً.

(٥) تصرف إليه المنافع: ترسل إليه.

(٦) كلاءة: حماية.

أَلَا مُتَعَلِّقٌ وَالأَذْيالُ أذْيالُ دَلِيلِهِ؟ أَلَا مُعِدٌّ مَطِيَّةً وَرَحْلًا لِيوم رَحِيلِهِ؟ يا هَلَاهُ! ٱلدُّلْجَةَ ٱلدُّلْجَةَ[١]! إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْبِقْ إلى ٱلمَاءِ يُضَمّ، إِنَّمَا مَنَعْتُكَ ما تَشْتَهِي ضَنًّا وغَيْرَةً عَلَيْكَ، قَالَ ٱلرَّسُولُ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِذَا أَحَبَّ ٱللَّهُ عَبْداً حَمَاهُ ٱلدُّنْيَا»؛ وَأَنْتَ تَشْكُونِي إِذَا حَمَيْتُكَ وتكرَهُ صِيانَتِي[٢] إِذَا صُنْتُكَ. أَلَا لائِذٌ بِفِنَائِنا لِيَعُزَّ؟ أَلا فَارٌّ إِلَيْنَا لا فَارٌّ مِنَّا؟

يا مَنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ارْحَمْ مَنْ لا بُدَّ لَهُ مِنْكَ على كُلِّ حالٍ! اللَّهُ يُغْنِي بِشَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ، وَلَيْسَ يُغْنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، فَلِهٰذَا قَالَ جبريلُ لِلْخليلِ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلا، اللَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْأَلَ وَإِنْ أَغْنَى، لِأَنَّهُ لا يُغْنَى بِشيءٍ عَنْهُ. أَطِعْهُ لِتُطِيعَهُ ولا تُطِعْهُ لِيُعْطِيكَ فتفترَّ[٣] وَتَمَلَّ. مَنْ تَرَكَ تَدْبِيرَهُ لِتَدْبِيرِنا أَرَحْنَاهُ! جلَّ مَنْ لَوالِبُ ٱلقُلُوبِ وَٱلهِمَمِ بِيَدِهِ، وَعَزَائِمُ ٱلأَحْكَامِ وَٱلأَقْسَامِ عِنْدَهُ:

[مجزوء الكامل]

أَنَسِيتَ ذِكْرَ أَحِبَّةٍ ... يَنْسَوْنَ ذَنْبَكَ عِنْدَ ذِكْرِكْ؟
وَجَفَوْتَهُمْ، وَلَطَالَمَا ... كَانُوا، خِلَافَكَ، طَوْعَ أَمْرِكْ
وَصَبَرْتَ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ ... مَا كَانَ عُذْرُكَ عِنْدَ صَبْرِكْ؟

تَتْرُكُ مَنْ إذا جَفَوْتَهُ وَنَسِيتَ ذِكْرَهُ وَتَعَدَّيْتَ حَدَّهُ وَتَرَكْتَ نَهْيَهُ وَضَيَّعْتَ أَمْرَهُ، وَتُبْتَ إِليهِ وَعَوَّلْتَ في تَفَضُّلِهِ عَلَيْكَ، عليهِ، وقلْتَ: يا رَبِّ، قالَ لَكَ: لبيك ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] إِنْ كانَ ٱلذُّبابُ بِوَجْهِكَ فَأَتَّهِمُكَ، وَإِنْ قَطَعْتُ أَنَا أَعْضَاءَكَ فلا تَتَّهِمْنِي. أَنْتَ الَّذِي إِذَا أَعْطَيْتُكَ ما أَمَّلْتَ تَرَكْتَنِي وَٱنْصَرَفْتَ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣]. يا واقِفاً بِٱلتُّهَمِ كَمْ وَكَمْ؟ أَلَيْسَ يقولُ لَكَ: ما غَرَّكَ بي؟ تقولُ: حِلْمُكَ، وَإِلَّا لَوْ أَرْسَلْتَ عَلَيَّ بَقَّةً لَجَمَعْتَنِي عَلَيْكَ إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَجْمَعَنِي:

[المتقارب]

أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ ٱلنُّهَى[٤] ... وَشَمِّكَ رَيْحَانَ أَهْلِ ٱلتُّقَى[٥]

---

(١) الدلجة: عتمة الليل البهيم.
(٢) صيانتي: حمايتي.
(٣) تفتر: تكسل.
(٤) النهى: العقل.
(٥) التقى: الورع والاحتراس.

عَشِقْتَ، فأَصْبَحْتَ فِي ٱلعاشِقِيـ ـنَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا[١]؟
أَدْنَيَايَ، مِنْ غَمْزِ بَحْرِ ٱلهَوَى خُذِي بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لَكِ عَبْدٌ، فَكُونِي كَمَنْ إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَقَا[٢]

* * *

«احذروا ميتة فاذوه»

كانَ بِبغدادَ رجلٌ كبيرُ ٱلرَّأْسِ، فِيلِيّ ٱلأُذنينِ، اسمَهُ «فاذوه»، رَأْسُهُ فِي ٱلأَزْمِنَةِ ٱلأَرْبَعَةِ مَكْشُوفٌ، لا يتورَّعُ[٣] عَنْ رُكُوبِ مُخْزِيَةٍ، يُقالُ لَهُ: يا فاذوه، وَيْلَكَ! تُبْ إلى اللَّهِ. فيقول:

يا قومُ، لِمَ تَدْخُلُونَ بيني وبينَ مولايَ، وهو ٱلَّذي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ مِنْ عِبادِهِ؟ فكانَ في بعضِ ٱلشَّوارعِ يوماً ذاهِباً، وَٱلشَّارِعُ قدِ ٱتَّسَعَ أسفلُهُ وضاقَ أَعلاهُ والتقى جَنَاحَانِ فيهِ، فَنَاوَلَتْ جَارَةٌ جَارَتَها مِهْراساً[٤]، ٱنْسَلَّ مِنْ يَدِهَا على رَأْسِ «فاذوه» فهرسَ[٥] رأسَهُ، وخلَّطَ كَخَلْطِ ٱلهَرِيسَةِ، وأَعجَلَهُ[٦] عنِ ٱلتوبةِ. وكانَ لَنَا واعِظٌ صالحٌ يقولُ لنا: «احذروا مِيْتَةَ فاذوه».

قال جبريلُ في حديثِهِ: خَشِيْتُ أَنْ يُتِمَّ فرعونُ الشهادةَ وَٱلتوبةَ، فأخذْتُ قِطْعَةً من حالِ ٱلبحر فَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَهُ، يعني طينَهُ، وَٱلحالُ ينقسِمُ ثمانيةَ أَقْسَام منها الطينُ، فكيف يَصْنَعُ مَنْ عِنْدَهُ أَنَّ ٱلتَّوْبَةَ لا تَصِحُّ مِنْ ذنبٍ مَعَ ٱلإقامَةِ على آخرَ؟ فلا حَولَ ولا قُوَّةَ.

* * *

مَعْرِفَةُ ٱلخَبر

بَلَغَنِي عَنْ مَوْلاي ٱلشَّيْخِ، أَدامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ، أَنَّهُ قَالَ، وَقَدْ ذُكِرْتُ لَهُ: أَعْرِفُهُ خُبْراً، هو ٱلَّذي هَجَا أَبَا القاسمِ بْنَ عليِّ بْنِ ٱلحُسينِ ٱلمَغْرِبيَّ.

---

(١) «بلق الدابّة: سواد وبياض». انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٥ مادة «بلق».
(٢) أعتق: حرّر.
(٣) لا يتورّع: لا يمتنع.
(٤) المهراس: آلة الهرس.
(٥) هرس: هشم.
(٦) أعجله: لم يمهله.

فذلِكَ منه، أَدَامَ ٱللَّهُ عِزَّهُ، رَائِعٌ لِي، خَوْفاً أَنْ يستشِرَّ طَبْعِي، وَأَنْ يَتَصَوَّرَنِي بِصُورَةِ مَنْ يَضَعُ ٱلكُفر مَوْضِعَ ٱلشُّكرِ. وهو بتعريفِ ٱلتنكيرِ أنفعُ لي عِنْدَهُ، لِجلالِ قَدْرِهِ ودِينِهِ وَنُسُكِهِ، وأنا أُطْلِعُهُ طَلْعَةً[١]، لِيَعْرِفَ خَفْضَهُ وَرَفْعَهُ، وفِراداهُ وَجَمْعَهُ.

كُنْتُ أَدْرُسُ عَلَى أَبِي عبدِ ٱللَّهِ بْنِ خَالَوَيْهِ[٢]، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَأَخْتَلِفُ[٣] إِلَى أَبِي ٱلحَسَنِ ٱلمَغْرِبي[٤]، وَلَمَّا ماتَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ سَافَرْتُ إِلى بغدادَ وَنزلْتُ على أَبِي عليّ ٱلفارسِيّ[٥] وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلى علماءِ بغدادَ: إِلى أَبِي سعيدِ ٱلسِّيرَافِيّ[٦]، وعليّ بْنِ عيسى ٱلرُّمَّانِيّ[٧]، وأَبِي عُبَيدِ ٱللَّهِ ٱلمَرْزُبانيّ[٨]، وأَبِي حَفْصٍ ٱلكِتانيّ صاحبِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ[٩]. وَكَتَبْتُ حَدِيثَ رَسُولِ

---

(١) الطلعة: السرّ.

(٢) هو: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد اللَّه: لغوي، من كبار النُّحاة. أصله من همذان. كانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة توفي في حلب سنة ٣٧٠هـ = سنة ٩٨٠م. من كتبه: «الشجر» شرح مقصورة ابن دريد. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٥٧، بغية الوعاة: ٢٣١.

(٣) اختلف إلى: تردّد مجيئه وزيارته إليه.

(٤) هو: أبو الحسن، علي بن الحسين المغربي الكاتب: كان من أصحاب سيف الدولة. رحل إلى مصر حيث أصبح من جلساء الحاكم الفاطمي، ثم تغيّر عليه فقتله سنة ٤٠٠هـ = سنة ١٠١٠م. انظر ترجمته في: الإشارة إلى من نال الوزارة: ٤٦١، زبدة الحلب ١/ ١٨٨.

(٥) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) سنة ٢٨٨هـ = ٩٠٠م، تجوّل في البلاد. توفي سنة ٣٧٧هـ = سنة ٩٨٧م، من كتبه: «الإيضاح»، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٣١، نزهة الألبا ٣٨٧.

(٦) هو: الحسن بن عبد اللَّه بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد، نحوي، عالم بالأدب، أصله من سيراف (من بلاد فارس) تولى القضاء في بغداد. توفي سنة ٣٦٨هـ = سنة ٩٧٩م. من كتبه: «شرح كتاب سيبويه»، «الإقناع» في النحو. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٣٠.

(٧) هو: أبو الحسن، علي بن عيسى بن علي بن عبد اللَّه، الرماني: باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة. ولد في بغداد سنة ٢٩٦هـ = ٩٠٨م حيث توفي سنة ٣٨٤هـ = سنة ٩٩٤م. من كتبه: «شرح سيبويه»: «النكت في إعجاز القرآن». انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٣٤٤، وفيات الأعيان: ١/ ٢٣١.

(٨) هو: محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد اللَّه: إخباري مؤرخ أديب. ولد في بغداد سنة ٢٩٧هـ = سنة ٩١٠م. وبها كانت وفاته سنة ٣٨٤هـ = سنة ٩٩٤م. من كتبه: «معجم الشعراء»، «الموشح». انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ١/ ١٣٢، تاريخ بغداد ٣/ ١٣٥.

(٩) هو: أحمد بن موسى بن العباس التميمي: كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد، حيث توفي سنة ٣٢٤هـ = سنة ٩٣٦م. من كتبه: «كتاب القراءات الكبير»، «كتاب اليآت»، «كتاب الهاآت». انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم: ١/ ٣١، غاية النهاية ١/ ١٣٩.

ٱللَّهِ، ﷺ، وَبلَغَتْ نَفْسِي أَغْرَاضَها[١] جُهْدِي، والْجُهْدُ عاذِرٌ.

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إلى مِصْرَ، وَلَقِيْتُ أَبا الحَسَنِ ٱلمَغْرِبيَّ فَأَلْزَمَني أَنْ لَزِمْتُهُ لُزُومَ ٱلظِّلِّ، وكُنْتُ مِنْهُ مكانَ ٱلمَثَلِ، في كثرةِ ٱلإنْصَافِ، وَٱلحُنوِّ وَٱلتحافِ، فقالَ لي سِرًّا: أَنا أَخافُ هِمَّةَ أَبِي القاسِمِ أَنْ تَنْزوَ بِهِ إلى أَنْ يُورِدَنا وِرْداً لا صَدْر عَنْهُ. وَإِنْ كانَتِ ٱلأَنْفَاسُ مِمَّا تَحْفَظُ وَتُكْتَبُ، فَٱكْتُبْها وَٱحْفَظْها وَطَالِعْنِي بِها.

فقالَ لِي يوماً: ما نرضى بِٱلخُمُولِ ٱلّذي نَحْنُ فِيهِ. قلْتُ: وأيّ خُمُولٍ هنا؟ تَأْخُذُون مِنْ مولانا، خَلَّدَ ٱللَّهُ مُلْكَهُ، في كُلِّ سنةٍ ستةَ آلافِ دينارٍ، وأَبوكَ من شيوخِ ٱلدَّوْلَةِ، وهو مُعَظَّمٌ مُكَرَّمٌ. فقال: أُريدُ أَنْ تُصارَ إلى أَبوابِنَا ٱلكَتَائِبُ وَٱلمَواكِبُ وَٱلمَقانِبُ[٢]، ولا أَرْضَى بِأَنْ يُجْرَى عَلَينا كَٱلوِلْدَانِ وَٱلنِّسْوانِ؟

فَأَعَدْتُ ذلكَ على أبيهِ فقالَ: ما أَخْوَفَنِي أَنْ يَخْضِبَ[٣] أَبُو القاسِمِ هٰذِهِ من هٰذِهِ! وقبضَ على لِحْيَتِهِ وهامتِهِ.

وَعَلِمَ أَبُو ٱلقاسِمِ بذٰلِك، فَصَارَتْ بيني وبينَهُ وقفةٌ.

وَأَنْفَذَ إليَّ ٱلقائدُ أبو عبدِ ٱللَّهِ ٱلحسينُ بْنُ جوْهر[٤] فشرَّفَني بشريفِ خِدْمتِهِ، فرأَيْتُ ٱلحاكِمَ كُلَّما قتلَ رئِيْساً أَنفذَ رأْسَهُ إليهِ وقالَ: هٰذا عدوِّي وعدوُّك يا حسينُ. فقلْتُ: مَنْ يرَ يوماً يُرَ بهِ. وَٱلدَّهْرُ لا يُغْتَرُّ بِهِ، وعَلِمْتُ أَنَّهُ كذا يُفْعَلُ بِهِ، فَٱستأْذَنْتُهُ في ٱلحجِّ فأَذِنَ، فخرجْتُ في سنةِ سبعٍ وتسعينَ، وحجَجْتُ خمسةَ أَعوامٍ، وعُدْتُ إلى مصرَ وقد قتلَهُ، فجاءَني أولادُهُ سِرًّا يرومون الرجوعَ إليهم، فقلْتُ لهم: خيرُ ما لي ولكمُ ٱلهَرَبُ، ولأَبيكم بِبغدادَ ودائِعُ، خمسُمائةِ ألفِ دينارٍ، فَاهربوا وأَهربُ. ففعلُوا وفعلْتُ، وبلغَني قتلُهُم بدمشقَ وأنا بطرابُلسَ، فدخلْت إلى أَنطاكيةَ وخرجْتُ منها إلى ملطيةَ[٥] وبها المايَسْطُريَّةُ: خولةُ بنتُ سعدِ ٱلدولةِ، فأقمْتُ عندَها إلى أَنْ وَرَدَ عليَّ

---

(١) أغراضها: أمانيها.

(٢) المقانب: فرق الخيالة المستعدة للإغارة.

(٣) يخضب: يصبغ شعره بالحناء.

(٤) هو: الحسين بن جَوْهَر: قائد قواد الحاكم بأمر الله الفاطمي بمصر. وجعله مدبر مملكته سنة٣٩٠هـ. هرب خوفاً من الحاكم الذي استرضاه ثم قتله سنة ٤٠١هـ = سنة ١٠١٠م. انظر ترجمته في: الإشارة إلى من نال الوزارة: ٢٨.

(٥) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام، وهي من بناء الإسكندر. انظر: معجم البلدان لياقوت ٥/ ١٩٢.

كِتابُ أَبي ٱلقاسم، فسِرْتُ إلى ميافارقينَ[١]، فكانَ يَسِرُ حَسْواً في ٱرتغاءٍ. قال لي يوماً منَ ٱلأيام: ما رأَيْتُك! قُلْتَ: أَعَرَضَتْ حاجةٌ؟

قال: لا، أردْتُ أَنْ أَلعنَك.

قلْت: فَٱلعَنّي غائباً؟

قال: لا، في وجهِكَ أَشفى!

قلْتُ: ولِمَ؟

قال: لِمخالَفَتِكَ إِيَّايَ فِيما تعلمُ.

وقلْتُ لَهُ، ونحنُ على أُنسٍ بيني وبينَهُ: لي حُرُماتٌ ثلاثٌ: البلديَّةُ، وتربيةُ أَبيهِ لي، وتربيتي لإِخوتِهِ.

قال: هٰذه حُرَمٌ مُهتَّكَةٌ: البلديةُ نَسَبٌ بينَ ٱلجُدرانِ، وتربيةُ أَبي لَكَ مِنَّةٌ لَنا عليك، وتربيتُك لإِخْوتي بالخِلَع وَٱلدنانيرِ.

أَردْتُ أَنْ أَقولَ لَهُ: ٱسترحْتُ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ ٱلكِرامُ، فخشِيْتُ جنونَ جنونِهِ، لِأَنَّهُ كانَ جنونُهُ مَجْنُوناً، وأَصَحُّ منه مجنونٌ، وأَجَنّ منه لا يكونُ.

وقد أُنشِدَ:

[الطويل]

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ ولَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُداوي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

بَلْ جَنَّ جنّانُه[٢]، ورَقَصَ شَيْطانُهُ:

[الطويل]

بِهِ جِنَّةٌ مَجْنُونَةٌ غَيْرَ أَنَّها إذا حَصَلَتْ مِنْهُ أَلَبُّ وَأَعْقَلُ

وقالَ لي ليلةً: أُريدُ أَنْ أَجمَعَ أَوْصافَ ٱلشمعةِ ٱلسَّبْعَة في بيتٍ واحدٍ، وليس يسنحُ لي ما أَرْضَاهُ. فقلْتُ: أَنا أفعلُ من هٰذه ٱلسَّاعةِ.

قالَ: أَنْتَ جُذَيْلُها ٱلمُحَكَّكُ وعُذَيقُها ٱلمُرَجَّبُ[٣].

---

(١) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. انظر: معجم البلدان ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨.

(٢) الجنّانة: صيغة مبالغة من جنّ.

(٣) «العَذْق: كل غصن له شُعَب. والعَذْق أيضاً: النّخلة عند أهل الحجاز... ومنه حديث السقيفة: أنا عُذَيقُها المرجّب، تصغيراً لِعذْق النخلة وهو تصغير تعظيم». انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٣٨ مادة عذق.

فَأَخَذْتُ ٱلقَلَمَ مِنْ دَواتِهِ وكتبْتُ بحضرتِهِ:

[الطويل]

لَقَدْ أَشْبَهَتْنِي شَمْعَةٌ فِي صَبَابَتِي[١] وفي هَوْلِ مَا أَلْقَى ومَا أَتَوقَّعُ[٢]
نُحولٌ، وَحَرْقٌ، في فِنَاءٍ، وَوَحْدَةٌ، وَتَسْهِيدُ عَيْنٍ، وَٱصْفِرَارٌ، وَأَدْمُعُ

فقالَ: كُنْتُ عَمِلْتُ هٰذا قبلَ هٰذا ٱلوقتِ!

فقلْتُ: تَمْنَعُني سُرْعَةَ ٱلخاطِرِ وتُعْطِيني عِلْمَ ٱلغَيْبِ؟

وقلْتُ: أنت ذاكرٌ قولَ أبيكَ لي، ولك، ولِلبَتِّي ٱلشَّاعِرِ[٣]، وَلِلْمُحْسِنِ ٱلدِّمشقيِّ، ونحنُ في ٱلطارِمَةِ[٤]: ٱعْمَلُوا قِطعةً قِطعةً، فَمِنْ جُودِ جعلْتَ جائزَتَهُ كتبَها فيها، فقلْتُ:

[مجزوء الكامل]

بَلَغَ ٱلسَّمَاءَ سُمُوُّ بَيْـ ـتٍ شِيدَ فِي أَعْلَى مَكَانِ
بَيْتٌ عَلَا حَتَّى تَغَوَّ رَ فِي ذُرَاهُ ٱلفَرْقَدانِ[٥]
فَٱنْعِمْ بِهِ لَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِ ٱلحَوَادِثِ فِي أَمَانِ

فَٱسْتَجادَ سُرْعَتَها وكَتَبها في ٱلطَّارِمَةِ، وخلَعَ عَلَيَّ.

* * *

وَكَانَ أَبُو ٱلقاسمِ مَلُولاً، وَٱلمَلُولُ رُبَّما مَلَّ ٱلمَلَالَ، وكانَ لا يَمَلّ أَنْ يَمَلَّ، وَيَحْقِدُ حِقْدَ مَنْ لا تَلِينُ كَبِدُهُ، ولا تَنْحَلُّ عُقَدُهُ.

وقالَ لي بعضُ ٱلرُّؤساءِ مُعَاتِباً: أَنْتَ حَقُودٌ ولم يَكُنْ حَقُوداً.

فقلْتُ لَهُ: أَنت لا تعرفُهُ، وَٱللّهِ ما كانَ يُخْنَى عودُهُ، ولا يُرجَى جُودُهُ، وَلَهُ رَأْيٌ

---

(١) «والصبابة: الشوق؛ وقيل: رقته وحرارته. وقيل: رقة الهوى». انظر: لسان العرب ١/ ٥١٨ مادة (صبب).

(٢) ورد البيت الأول ولم يعز لقائله في: كتاب الحيوان للجاحظ ٧/ ١٤٨، البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ٣٣٠، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٢٣٧، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ١٣١٦.

(٣) هو: أحمد بن علي البتي، أبو الحسن: كاتب أديب، غلب عليه الظرف والمجون. كان يكتب للقادر بالله العباسي في ديوان الخلافة ونادم الوزراء توفي سنة ٤٠٥هـ = ١٠١٠م. من كتبه: «القادري»، «العميدي». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ٣٢، إرشاد الأريب ١/ ٢٣٣ ـ ٢٤١.

(٤) الطارمة: بيت بشكل القبّة.

(٥) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدى بهما.

يُزَيِّنُ لَهُ ٱلعُقُوقَ[١]، ويُمْقِتُ إليهِ رِعايةَ ٱلحُقُوقِ، بعيدٌ مِنَ ٱلطَّبْعِ ٱلَّذي هو لِلصَّدِّ صدُود، ولِلتآلُفِ أَلُوفٌ وَدُودٌ؛ وكأَنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ قَدْ رَكِبَ ٱلفُلْكَ وَٱسْتَوَى على ذاتِ ٱلحُبُكِ[٢]؛ ولسْتُ مِمَّنْ يَرْغَبُ في رَاغِبٍ عَنْ وَصْلَتِهِ، أَوْ ينزِعُ إلى نازعٍ عن خُلَّتِهِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَادِراً، جَارِياً في قِلَّةِ إِنْصَافِي على غُلْوائِهِ، مَحَوْتُ ذِكْرَهُ عَنْ صَفْحَةِ فُؤَادِي، وَٱعْتَدْتُ وُدَّهُ فِيما سَالَ بِهِ ٱلوادِي:

[الطويل]

فَفِي ٱلنَّاسِ إنْ رَثَّتْ حِبالُكَ وَاصِلٌ، ... وَفِي ٱلأَرْضِ عَنْ دَارِ ٱلقِلَى[٣] مُتَحَوَّلُ

وَأَنْشَدْتُ ٱلرَّجلَ أَبياتاً أَعتذِرُ بها في قَطْعِي لَهُ:

[الطويل]

فَلَوْ كَانَ مِنْهُ ٱلخَيْرُ، إذْ كَانَ شَرُّهُ ... عَتِيداً[٤]، لَقُلْنَا: إنَّ خَيْراً مَعَ ٱلشَّرِّ

وَلَوْ كَانَ، إذْ لَا خَيْرَ، لَا شَرَّ عِنْدَهُ ... صَبَرْنَا وَقُلْنَا: لَا يَرِيشُ ولا يَبْرِي[٥]

وَلٰكِنَّهُ شَرٌّ وَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ، ... وَلَيْسَ عَلَى شَرٍّ إِذَا دَامَ مِنْ صَبْرِ

وبُغْضي لَهُ، شَهِدَ ٱللَّهُ، حَيًّا ومَيْتاً، أَوْجَبَهُ أَخذُهُ مَحَارِيبَ ٱلكَعْبَةِ، ٱلذَّهَبَ وَٱلفِضَّةَ، وَضَرْبُهَا دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ وسَمَّاهَا ٱلكُعْبِيَّةَ، وأَنْهَبَ ٱلعَرَبَ ٱلرَّمْلَةَ[٦]، وخَرَّبَ بغدادَ. وَكَمْ دَمٍ سَفَكَ، وَحَرِيمٍ أَنهَكَ، وحُرَّةٍ أَرْمَلَ، وصَبِيٍّ أَيْتَمَ!

امْتِدَاحُ أَبِي ٱلْعَلاءِ ٱلْمَعَرِّيِّ

وَأَنَا مُعْتَذِرٌ إلى ٱلشَّيْخِ ٱلجَلِيلِ مِنْ تَقْرِيظِهِ[٧] مَعَ تَفْرِيطِي فِيهِ، لِأَنَّهُ قَدْ شَاعَ فضلُهُ في جميعِ ٱلبَشَرِ، وَصَارَ غُرَّةً على جَبْهَةِ ٱلشَّمْسِ وَٱلقَمَرِ. خَلَّدَ ذٰلك في بدائعِ الأَخبارِ، وكُتِبَ بِسَوادِ ٱللَّيْلِ على بياضِ ٱلنَّهارِ. وَأَنَا فِي مُكَاتَبَةِ حضرتِهِ بمنظومٍ وَمنثورٍ، كَمَنْ أَمَدَّ ٱلنارَ بِٱلشَّرَرِ، وأَهْدَى ٱلضَّوْءَ إِلَى ٱلقَمرِ، وَصَبَّ في ٱلبَحْرِ جُرْعَةً، وَأَعَارَ سيرَ

(١) العقوق: عدم طاعة وليه ومخالفته.
(٢) «وفي التنزيل: ﴿والسماء ذات الحُبُك﴾؛ يعني طرائق النجوم، واحدتها حَبِيكة..» انظر: لسان العرب ١٠/ ٤٠٨ مادة «حبك».
(٣) «القِلى: البُغض..» انظر: لسان العرب ١٥/ ١٩٨ مادة «قلا».
(٤) «عَتَد الشيء عَتاداً، فهو عتيد: جسيم». انظر: لسان العرب ٣/ ٢٧٩ مادة «عتد».
(٥) لا يريش ولا يبري: كناية عن أنه لا يضرّ ولا ينفع.
(٦) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين. انظر: معجم البلدان لياقوت ٣/ ٦٩.
(٧) تقريظه: مدحه والثناء عليه في عمله.

ٱلفَلَكِ سُرْعةً، إِذْ كَانَ لا يَحلّ ٱلنَّقْصُ بوَادِيهِ، ولا يَطُورُ[١] ٱلسَّهْوُ بنادِيهِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسائِلِهِ عَقَائِلَ[٢] لَفظٍ إِنْ نَعتُّها فَقَدْ عِبْتُها، وإِنْ وَصَفْتُها فما أَنْصَفْتُها. وَأَطْرَبَتْنِي، يَشْهَدُ ٱللَّهُ، إِطْرابَ ٱلسَّماعِ. وبِاللَّهِ لَوْ صَدَرَتْ عن صَدْرٍ من خِزانتِهِ، وكتبُهُ حولَهُ، يُقلِّبُ طَرْفَهُ في هٰذا، ويَرْجِعُ إِلى هٰذا، فَإِنَّ ٱلقَلَمَ لِسَانُ ٱليَدِ، وهو أحدُ ٱلبَلَاغتينِ، لَكانَ ذٰلك عَجِيباً، صَعْباً شَدِيداً. وَوَٱللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عُلَماءَ، منهمُ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ، إِذَا قُرِئَتْ عليهِمُ ٱلكُتُب، ولا سيَّما ٱلكبارَ، رَجَعُوا إِلى أُصُولِهِم كَٱلمُقابِلِينَ يتحفَّظُونَ من سَهْوٍ وَتَصْحِيفٍ وغَلَطٍ.

وَٱلعَجَبُ ٱلعَجِيبُ، وَٱلنَّادِرُ ٱلغَرِيبُ حِفْظُهُ، أَدَامَ ٱللَّهُ تَأْيِيدَهُ، لِأَسماءِ ٱلرِّجالِ وَٱلمَنْثُورِ، كَحِفْظِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلأَذْكِياءِ ٱلمُبَرِّزِينَ ٱلمنظومَ، وهٰذا سَهْلٌ بِٱلقَوْلِ صَعْبٌ بِٱلفِعْلِ، مَنْ سَمِعَهُ طَمِعَ فِيهِ، وَمَنْ رَامَهُ ٱمتَنَعتْ عليهِ مَعَانِيهِ وَمَبانِيهِ.

ابْنُ خَالَوَيْهِ وَأَبو ٱلطَّيِّبِ

حَدَّثَنِي أَبُو علي ٱلصَّقَلِيُّ بدمشقَ قال: كنتُ في مجلسِ ٱبنِ خالويهِ إِذْ وَرَدَتْ عليهِ من سيفِ الدولةِ[٣] مَسَائِلُ تتعلَّقُ باللُّغةِ، فَٱضطربَ لَهَا، وَدَخَلَ خِزَانَتَهُ، وأخرجَ كتبَ ٱللُّغَةِ، وفرَّقَهَا على أصحابهِ يُفتِّشونَها لِيُجيبُ عنها. وتركْتُهُ وذهبْتُ إِلى أَبي ٱلطَّيبِ ٱللُّغوي[٤] وهو جالِسٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ عليهِ تلك ٱلمسائلُ بعينِها وبيدِهِ قلمُ ٱلحُمْرَةِ، فأجابَ بِهِ ولم يُغيِّرْهُ، قُدْرَةً على ٱلجَوَابِ.

وقَالَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ: قرأتُ على أَبي عُمَرَ[٥] (الفصيحَ) و(إِصْلَاحَ ٱلمَنْطِقِ) حِفْظاً.

---

(١) يطور: يقرب منه.

(٢) «عقيلة كل شيء: أكرمه.. وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة ثم استُعمِل في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني، وفيه عقائل الكلام..» انظر: لسان العرب ١١/ ٤٦٣ مادة «عقل».

(٣) هو: علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن: صاحب المتنبي وممدوحه، لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة. ملك حلب سنة ٣٣٣هـ. حيث توفي سنة ٣٥٦هـ = سنة ٩٦٧م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ٨ ـ ٢٢، زبدة الحلب: ١١١ ـ ١٥٢.

(٤) هو: عبد الواحد بن علي الحلبي: أديب. أصله من «عسكر مكرم» سكن حلب، حيث قتل سنة ٣٥١هـ = سنة ٩٦٢م. من كتبه: «مراتب النحويين»، «الأضداد». انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٣١٧.

(٥) هو: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب: أحد الأئمة في اللغة. مات سنة ٣٤٥هـ = سنة ٣٥٧م، من كتبه: «المداخل»، «القبائل». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٥٠٠، تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٦.

وقالَ لي أَبو عُمَرَ: كنتُ أُعَلِّقُ ٱللُّغَةَ عن ثَعْلَبٍ[١] على خَزَفٍ، وأجلِسُ على دِجْلةَ أَحْفَظُها وَأَرْمِي بِها.

ذاكرةُ ٱبْنِ ٱلقارِحِ

وَأَنَا تَعِبْتُ وَحَفِظْتُ نِصْفَ عُمْرِي، ونَسِيتُ نِصْفَهُ. وذاكَ أَنِّي دَرَسْتُ بِبَغْدادَ وَخَرَجْتُ عَنْها، وأنا طَرِيُّ ٱلحِفْظ، ومَضَيْتُ إلى مِصْرَ فأَمْرَجْتُ[٢] نفسي في الأَغراضِ ٱلبَهيمِيَّةِ، وٱلأَغْراضِ ٱلمُؤْثِمِيَّةِ[٣]، وأَردتُ بِزَعْمِي وَخَدِيعَةِ ٱلطَّبْعِ ٱلمُلِيم[٤] أَنْ أُذِيقَها حَلاوَةَ ٱلعيش، كَمَا صَبَرْتُ في طَلَبِ ٱلعِلْمِ وٱلأَدَبِ، ونَسِيتُ أَنَّ ٱلعِلْمَ غِذاءُ ٱلنَّفس ٱلشَّرِيفَةِ وصَيْقَلُ الأَفْهامِ ٱللَّطِيفَةِ. وكنتُ أَكتُبُ خمسينَ ورقةً في ٱليومِ، وأَدرسُ مِائتين، فصِرْتُ ٱلآنَ أَكتُبُ ورقةً واحدةً وتَحُكُّني عينايَ حَكًّا مُؤْلِماً؛ وأَدرسُ خمسَ أوراقٍ وتكِلُّ.

كَسادُ ٱلعِلْمِ

ثُمَّ دُفِعْتُ إلى أَوقاتٍ ليس فيها مَنْ يَرْغَبُ في عِلْمٍ ولا أَدَبٍ، بَلْ في فِضَّةٍ وَذَهَبٍ، فلو كُنْتُ إِياساً[٥] صِرْتُ باقِلًا[٦] وأَضَعُ كِتاباً عَنْ يَميني وأَطلبُهُ عَنْ شِمَالي، وأُرِيدُ، مَعَ ضَعْفي، أَرتادُ لنفسي مَعَاشاً بِظَهْرٍ غيرِ ظَهِيرٍ، بلْ كَسِيرٍ عقيرٍ، وصُلْبٍ غيرِ صَلِيبٍ[٧]، إنْ جَلَسْتُ فهو كَٱلدُّمَّلِ، وإنْ مَشَيْتُ فَجُمْلَتِي كدماميلَ. ومعي بقيةُ نزرةٍ يسيرةٍ من جملةٍ كثيرةٍ، لَوْ وَجَدْتُ ثِقَةً أَعطَيْتُهُ إِيَّاها لِيَعُودَ عليَّ بما أُرفِّهُ بِهِ عَنْ جِسْمي

---

(١) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس: إمام الكوفيين في النحو واللغة. ولد في بغداد سنة ٢٠٠هـ = سنة ٨١٦م وفيها كانت وفاته سنة ٢٩١هـ = سنة ٩٠٤م. من كتبه «المجالس». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٠، تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤.

(٢) «مَرَجَ الدابة يمرُجُها إذا أرسلها ترعى في المرج. وأمرجها: تركها تذهب حيث شاءت..» انظر: لسان العرب ٢/ ٣٦٤ مادة «مرج».

(٣) المؤثمية: نسبة إلى الإثم والفاحشة.

(٤) «مليم: استحقّ اللوم». انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٥٧ مادة «لوم».

(٥) هو: إياس بن معاوية بن قرّة المزني، أبو واثلة: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. توفي في واسط سنة ١٢٢هـ = سنة ٧٤٠م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٨١، حلية الأولياء ٣/ ١٢٣.

(٦) «باقل: اسم رجل يضرب به المثل في العِيّ.. وهو اسم رجل من ربيعة وكان عيّاً فَدْماً». انظر: لسان العرب ١١/ ٦٢ مادة «بقل».

(٧) صليب: قوي.

مِنَ ٱلحركةِ، وقلبي مِنَ ٱلشُّغلِ. وَأَنا أَجِدُ مَنْ أدفعُها إليهِ، وَبَقِيَ أَنْ يَرُدَّها إليَّ!

طُرْفَةٌ

دَفَعَ رَجُلٌ إلى صديقٍ جاريةً أَوْدَعَها عندَهُ وذَهَبَ في سفرِهِ، فقالَ بعدَ أيام لِمَنْ يَأْنَسُ بِهِ وتسكُنُ نفسُهُ إليه: يا أخي، ذهبَتْ أماناتُ ٱلنَّاسِ! أَوْدَعَنِي صَدِيقٌ لِي جارِيةً في حسابِهِ إنَّها بِكْرٌ، جَرَّبْتُها فإذا هِيَ ثيِّبٌ[١]!

بنتُ أُختِهِ

ومِنْ ظريفِ الأَخبارِ أَنَّ بِنْتَ أخِي سَرَقَتْ لي ثلاثةً وثمانينَ دِيناراً، فلَمَّا هَدَّدَها ٱلسُّلْطَانُ، أَطَالَ ٱللَّهُ بقاءَهُ، ومَدَّ مُدَّتَهُ، وأَدَامَ سُمُوَّهُ ورِفعَتَهُ، وأَخْرَجَتْ إليهِ بعضَها قالَتْ: وٱللَّهِ لو عَلِمْتُ أَنَّ ٱلأمرَ يجرِي كذا، كُنْتُ قتلْتُهُ! فَٱعجبوا مِنْ هَرِيسَتي وزَبُوني!

* * *

وَٱللَّهِ لَوْلا ضَعْفي وعَجْزِي عنِ ٱلسَّفَرِ، لَخَرَجْتُ إليهِ مُتَشَرِّفاً بِمُجالَسَتِهِ ومُحاضَرَتِهِ، فأمَّا مُذاكَرتُهُ فَقَدْ يئِسْتُ منها لِمَا قَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَيَّ مِنَ ٱلنِّسْيانِ، وَٱحْتَوَى على قَلْبِي مِنَ ٱلهُمُومِ وَٱلأحزانِ. وإلى ٱللَّهِ ٱلشَّكْوَى لا مِنْهُ، وليس بِحكيمٍ مَنْ شَكَا رَحِيماً إلى غيرِ رَحِيمٍ.

* * *

وَكانَ أَبُو بَكرٍ ٱلشِّبْلِيُّ[٢] يقولُ: ليسَ غيرَ ٱللَّهِ غيرٌ، ولا عندَ غيرِ ٱللَّهِ خيرٌ.

وقالَ يوماً: يا جَوادُ! ثُمَّ أَمسَكَ مُفكِّراً وَرَفَعَ رأْسَهُ، ثُمَّ قالَ:

ما أَوقحَني! أَقولُ لَكَ يا جوادُ، وقد قِيلَ في بعضِ عَبِيدِكَ؟

[الطويل]

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ سَائِلُهْ[٣]

---

(١) ثيِّب: امرأة دُخِلَ عليها.

(٢) هو: دلف بن جحدر الشبلي: ناسك، ترك الولاية وشؤونها، فاشتهر بالصلاح والنسك. توفي في بغداد سنة ٣٣٤هـ = سنة ٩٤٦م. له شعر جيد في التصوّف. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦.

(٣) البيت لبكر بن النطّاح. ورد البيت في: العمدة ٢/ ١٠٥، دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣١٩.

وقدْ قِيلَ في آخَرَ:

[الطويل]

تَــرَاهُ إِذَا مَــا جِـئْـتَــهُ مُـتَــهَــلِّلًا كَـأَنَّـكَ مُـعْـطِـيـهِ ٱلَّذِي أَنْـتَ سَـائِلُهْ(١)

ثمَّ قالَ: بلى، أقولُ: يَا جَوادُ فَاقَ كُلَّ جَوَادٍ، وبِجودِهِ جَادَ مَنْ جادَ.

ابنُ ٱلسَّمَّاكِ(٢) وٱلرَّشيدُ

وَدَخَلَ ٱبنُ ٱلسَّمَّاكِ على ٱلرَّشيدِ، فقال لَهُ: عِظْنِي، وفي يَدِ ٱلرَّشيدِ كُوز ماءٍ.

فقالَ: مَهْلًا يا أميرَ ٱلمؤمنينَ، أرأَيْتَ إِنْ أَقْدَرَ ٱللّٰهُ عليكَ مُقَدَّراً فقال: لَنْ أُمَكِّنَكَ مِنْ شُرْبِهِ إِلَّا بِنِصْفِ مُلْكِكَ، أَكُنْتَ فَاعِلًا ذلك؟

قال: نعم.

قال: إِشْرَبْ هَنَّاكَ ٱللّٰهُ. فلَمَّا شَرِبَ قال: أَرَأَيْتَ يا أَميرَ ٱلمؤمنينَ، أَنْ لَوْ أُسِفَّتْ نفسُ هٰذا ٱلمُقَدَّرِ عليكَ، فقال: لَنْ أُمَكِّنَكَ مِنْ إخراجِ هٰذا ٱلكوزِ إِلَّا بِأَنْ أَسْتَبِدَّ بِمُلْكِكَ دَونَك، أَكُنْتَ فاعِلًا ذٰلك؟

قال: نعم.

قال: فَٱتَّقِ ٱللّٰهَ في مُلْكٍ لا يُساوي إِلَّا بَولَةً.

عِنايَةُ ٱللّٰهِ

وكيف أَشْكُو مَنْ قاتَني وعَالَني نيِّفاً وسبعينَ سنةً، كانَ قميصي ذِراعينِ، فَوَكَل بي وَٱلدينِ حَدبينِ مُشفِقينِ، يَتَناهيان في دِقَّتِهِ ورِقَّتِهِ وطِيبِهِ، فَلَمَّا صار ٱثني عَشَرَ ذِراعاً تَوَلَّاهُ هو وطَعَامِي، فمَا أجاعَني قَطُّ ولا أَعْرَاني: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] خاطَبَ رَبَّهُ بِٱلأَدَبِ: فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فَنَسَبَ ٱلمَرَضَ إلى نفسِه، لِأَنَّها تنفرُ مِنَ ٱلأَعْرَاضِ وَٱلأمراضِ، وكُلُّ شيءٍ يَطْرَأُ على ٱلإنسانِ لا يقدِرُ على دفعِهِ، مثلُ ٱلنومِ وَٱليَقَظَةِ وَٱلضَّحِكِ وَٱلبُكَاءِ وَٱلغَمِّ وَٱلسُّرورِ وَٱلخِصْبِ وَٱلجَدْبِ وَٱلغِنَى وَٱلفَقْرِ، فهو منه تَقَدَّسَتْ أسماؤُهُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لا يتوَعَّدُ على فِعلِهِ، ولا يُعاقِبُ عليهِ؟ وَمَا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ فهو منه، مثلُ أَنْ يُرِيدَ ٱلكِتَابَةَ فلا يقعُ منهُ ٱلبِناءُ،

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى. ورد البيت في: المصون، لأبي أحمد العسكري: ٢١، ديوانه: ١٤٢.

(٢) هو: محمد بن صبيح، أبو العباس: زاهد ورع نشأ في الكوفة عاصر الرشيد، وكانت له معه مواقف في الزهد، تدل على جراءته وانصياع الرشيد لمواعظه.

ويُريدُ ٱلبِناءَ فَلَا تقعُ مِنهُ ٱلكِتَابَةُ. ومَنْ بِهِ ٱلرَّعْشَةُ لا يقدِرُ على إمْساكِ يدٍ، ومَنْ لَيْسَتْ بِهِ يَقْدِرُ على إمساكِها.

كُنتُ بتنّيسَ[١] وبينَ يَدِي إنسانٌ يَقْرَأُ ويحزَنُ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ﴾ [الإنسان: ٧] ويَبْكِي، فَخطَرَ لي خاطِرٌ فقلْتُ: أَنا بِضِدِّ هٰؤلاءِ ٱلقومِ، صلواتُ ٱللَّهِ عليهم، أَنا لا أُنْذِرُ ولا أَفِي، ولا أخافُ شَقَاءً ولا عَناءً، وَلَوْ كُنتُ أَخافُ ما أَصبحتُ إلَّا مَخمُوماً وكُنتُهُ.

وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ ولا أَتَّهِمُهُ عَنْ أَبِيهِ، وكَانَ زاهِداً، قال: كُنْتُ مَعَ أَبِي بكرٍ ٱلشِّبْلِيِّ[٢] ببغدادَ، وفي ٱلجانبِ ٱلشَّرْقِيِّ ببابِ ٱلطَّاقِ، فَرَأَيْنَا شاوِياً قَدْ أَخرَجَ حَمَلاً مِنَ ٱلتَّنُّورِ كَأَنَّهُ بُسْرَةٌ[٣] نُضجاً، وإلى جانِبِهِ قَد عَمِلَ حَلاوَى فَالُوذَجاً[٤]. فوَقَفَ يَنْظُرُ إليهِمَا وهو سَاهٍ مُفكِّرٌ، فقلْتُ: يا مولايَ، دَعْنِي آخُذُ مِنْ هٰذا وهٰذا وَرِقاقاً وخُبْزاً، ومنزلِي قريبٌ، تُشرِّفُني بِأَنْ تَجعَلَ رَاحَتَكَ ٱليوم عِنْدِي. فقال: يا هٰذا، أَظَنَنْتَ أَنِّي قَدِ ٱشْتَهَيْتُهُمَا؟ وإنَّما فِكْرِي في أَنَّ ٱلحيوانَ كُلَّهُ لا يدخلُ ٱلنَّارَ إلَّا بعدَ ٱلمَوْتِ، ونحنُ نَدْخُلُها أَحياءً:

[البسيط]

يَا رَبِّ عَفْوَكَ عَنْ ذِي شَيْبَةٍ وَجِلٍ[٥] كَأَنَّهُ مِنْ حَذَارِ ٱلنَّارِ مَجْنُونُ

* * *

تَمَّتِ ٱلرِّسالةُ، وَٱلحَمْدُ لِلَّهِ ذي الأفضالِ، وصلواتُهُ على محمَّدٍ وخِيْرةِ ٱلآلِ.

ما فرِغتُ مِنَ ٱلسَّوداءِ حتَّى ثارَتْ بِيَ ٱلسَّوداءُ، وَأَنا أَعتذِرُ مِنْ خَطَلٍ فيها أَو زَلَلٍ، فَإِنَّ ٱلخطَأَ مَعَ ٱلاعتذارِ وَٱلاجْتِهادِ وَٱلتحرِّي مَوْضُوعٌ عنِ ٱلمُخْطِئِ:

[الطويل]

«وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُؤْتَى ٱلكَمالَ فَيَكْمُلُ»[٦]

---

(١) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البَر ما بين الفرما ودمياط. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ٥١.

(٢) الشبلي: مرَّت ترجمته.

(٣) بُسرة: تمرة لم تنضج بعد.

(٤) الفالوذج: فارسي معرّب، وهو ضرب من الحلواء يصنع من الدقيق ويمزج بالماء والعسل.

(٥) «الوجل: الفزع والخوف..» انظر: لسان العرب ١١/ ٧٢٢ مادة «وجل».

(٦) ورد البيت ولم يعز لقائله في: خزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٥٨٦، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٥، الدرر اللوامع ٢/ ٥.

قالَ عُمرُ بْنُ ٱلخطَّابِ: رَحِمَ ٱللَّهُ ٱمْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي.

وَأَسْأَلُهُ، أَدَامَ ٱللَّهُ عِزَّهُ، تَشْرِيفِي بِٱلجَوَابِ عَنْهَا، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلرسالةَ، على ما بِها، قدِ ٱسْتُحْسِنَتْ وكُتِبَتْ عنِّي، وَشَرَّفْتُهَا بِٱسْمِهِ، وَطَرَّزْتُها بِذِكرِهِ.

وَٱلرِّسالةُ الَّتِي كَتَبَها ٱلزَّهْرَجِيُّ إِلَيَّ كانَتْ أَكبَرَ ٱلأَسبابِ في دُخُولي إِلى حلبَ.

وَإِذَا جاءَ جَوَابُ هٰذِهِ، سَيَّرْتُها بحلبَ وغيرِها، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، وبِهِ ٱلثِّقَةُ، وصلَّى ٱللَّهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ـ تَمَّتْ رِسالةُ ٱبنِ ٱلقارِحِ ـ

رسالة الغفران

أَملى أَبُو ٱلعلاءِ ٱلمَعرِّي هٰذِهِ ٱلرِّسالةَ سنةَ ٤٢٤هـ وذلك رَدًّا على رسالةِ ٱبنِ ٱلقارِحِ، عليِّ بْنِ منصورٍ، ٱلأَديبِ ٱلحَلَبِيِّ، وقدْ أَمْلَى هٰذِهِ ٱلرِّسالةَ، وهو في سِنِّ ٱلتَّشاؤُمِ وَٱلانهزامِ مِنَ ٱلحياةِ..

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱللَّهُمَّ يَسِّرْ وَأَعِنْ

قَدْ عَلِمَ ٱلجَبْرُ[١] ٱلَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ جبريلُ ـ وهو في كُلِّ ٱلخَيْرَاتِ سَبِيلٌ ـ أَنَّ فِي مَسْكَنِي حَمَاطَةً[٢]، ما كانَتْ قَطُّ أَفانِيَةً[٣]، ولا ٱلنَّاكِزَةُ[٤] بها غانِيَةً[٥]، تُثْمِرُ مِنْ مَودَّةِ مَوْلَايَ ٱلشَّيخِ ٱلجَلِيلِ، كَبَتَ ٱللَّهُ عَدُوَّهُ، وأَدَامَ رَوَاحَهُ، إلى ٱلفضلِ، وغُدوَّهُ، ما لَوْ حَمَّلَتْهُ ٱلعادِيَّةَ[٦] مِنَ ٱلشَّجَرِ، لَدَنَتْ إِلى ٱلأَرْضِ غُصُونُها، وَأُزِيلَ مِنْ تلكِ ٱلثَّمَرَةِ مَصُونُها.

وَٱلحَمَاطَةُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلشَّجَرِ، يُقَالُ لَهَا، إِذَا كانَتْ رَطْبَةً: «أَفانية»، فَإِذَا يَبِسَتْ فَهِيَ حَماطةٌ. قالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

«إِذَا أُمُّ ٱلـوُلَيِّـدِ لَمْ تُـطِـعْـنِـي ... حَـنَـوْتُ لَهـا يَـدِي بَـعَـصَـا حَـمَـاطِ»[٧]

«وقُـلْـتُ لَهَـا عَـلَيْـكِ بَـنِـي أُقَـيْـشٍ[٨] ... فَـإِنَّـكِ غَـيْـرُ مُـعْـجِـبَـةِ ٱلشَّـطَـاطِ»[٩]

---

(١) الجبر: القوّة.

(٢) «الحَماطة: حُرقة وخشونة يجدها الرجل في حَلْقه. وحَماطة القلب: سواده» انظر: لسان العرب ٧/ ٢٧٦ مادة «حمط».

(٣) الأفانية: ضرب من شجر الحماط الرطب.

(٤) الناكزة: الحيّة.

(٥) الغانية: المقيمة.

(٦) الشجر العاديّ: نسبة إلى عادٍ، ويقصد بذلك أنها قديمة معمّرة.

(٧) البيتان للمتنخّل الهذلي. وردا في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٤٤، الدرر اللوامع ٢/ ٥١، ديوان الهذليين ٢/ ٢١، شرح السكري: ١٢٦٩.

(٨) «بنو أقيش: حيٌّ من الجنّ إليهم تنسب الإبل الأقيشية... وقال ثعلب: هم قوم من العرب». انظر: لسان العرب ٦/ ٢٦٤ مادة أقش.

(٩) و«الشِّطاط: الطول واعتدال القامة، وقيل: حُسن القَوام..» انظر: لسان العرب ٧/ ٣٣٣ مادة «شطط».

وَتُوْصَفُ ٱلحماطةُ بِإلفِ ٱلحَيَّاتِ لَهَا. قالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

«أُتِيحَ لَهَا وَكَانَ أَخَا عِيَالٍ شُجاعٌ[١] فِي ٱلحَمَاطَةِ[٢] مُسْتَكِنُّ»

وَإِنَّ ٱلحَمَاطَةَ ٱلَّتِي في مَقرّي، لَتَجِدُ مِنَ ٱلشَّوْقِ حَمَاطَةً لَيْسَتْ بِٱلمُصَادَفَةِ إِمَاطةً؛ وَٱلحَمَاطَةُ حُرْقَةُ ٱلقَلْبِ. قالَ ٱلشَّاعِرُ:

«وَهَمٌّ تَمْلأُ ٱلأَحْشَاءُ مِنْهُ»

فَأَمَّا ٱلحَمَاطَةُ ٱلمَبْدُوءُ بِهَا، فهي حبةُ ٱلْقَلْبِ. قالَ ٱلشَّاعِرُ:

[البسيط]

رَمَتْ حَمَاطَةَ قَلْبٍ غَيْرِ مُنْصَرِفٍ عَنْها، بِأَسْهُمِ لَحْظٍ، لَمْ تَكُنْ غَرَبَا[٣]

وإِنَّ فِي طِمْرِيَّ[٤] لَحِضْباً[٥] وَكَلَ بِأَذَاتِي، لَوْ نَطَقَ لذَكَرَ شَذَاتِي[٦]؛ ما هو بِسَاكِنٍ في ٱلشِّقابِ[٧] ولا بمُتشرِّفٍ على ٱلنِّقَابِ[٨] ما ظَهَرَ فِي شِتاءٍ ولا صَيْفٍ، ولا مَرَّ بحَبْلٍ وَلَا خَيْفٍ، يُضْمِرُ مِنْ مَحَبَّةِ مَوْلَايَ ٱلشَّيخِ الجليل ـ ثَبَّتَ ٱللَّهُ أَرْكَانَ ٱلعِلْمِ بِحياتِهِ ـ ما لا تُضْمِرُهُ لِلْوَلَدِ أُمٌّ، أَكَانَ سُمُّها يُذَّكَرُ[٩]، أَمْ فُقِدَ عِنْدَها ٱلسُّمُّ وليسَ هٰذا ٱلحِضْبُ مُجَانِساً لِلَّذِي عَنَاهُ ٱلرَّاجِزُ في قولِهِ:

«وَقَدْ تَطَوَّيْتُ ٱنْطِوَاءَ ٱلحِضْبِ»

وَقَدْ عَلِمَ ـ أَدامَ ٱللَّهُ جَمَالَ ٱلبَرَاعَةِ بسلامتِهِ ـ أَنَّ ٱلحِضْبَ ضَرْبٌ مِنَ ٱلحَيَّاتِ،

---

(١) «الشُّجاع والشِّجاع، بالضم والكسر: الحيّة الذكر، وقيل: هو الحيّة مطلقاً..» انظر: لسان العرب ٨/ ١٧٤ مادة «شجع».

(٢) «الحَماط يَبس الأفاني تألفه الحيات». انظر: لسان العرب ٧/ ٢٧٧ مادة «حمطَ».

(٣) «الغَرْب: عِرْق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع.. وقيل: هو عرق في العين لا ينقطع سقيه.. والغَرَب: مسيل الدمع، والغَرْب: انهماله من العين..» انظر: لسان العرب ١/ ٦٤٢ مادة «غرب».

(٤) طمري: ثوبي البالي.

(٥) الحضب: ضرب من الحيّات.

(٦) «الشذاة: الحِدّة، وجمعها شَذَوات وشذاً» انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٢٦ مادة «شذا».

(٧) «الشقاب، واحده شَقْب وشِقْب: مهواة ما بين كل جبلين، وقيل: هو صَدْع يكون في لُهُوب الجبال، ولصوب الأودية..» انظر: لسان العرب ١/ ٦. مادة «شقب».

(٨) «النّقاب: الطريق الضيق في الجبل». انظر: لسان العرب ١/ ٧٦٧ مادة «نقب».

(٩) يذّكر: يحفظ.

وَأَنَّهُ يُقالُ لِحَبَّةِ ٱلْقَلْبِ: «حَضَبٌ» وإنَّ في منزلي لأَسْوَدَ[١] هو أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ «عنترةَ»[٢] على «زبيبةَ»[٣]. وأكرمُ عِنْدِي مِنَ ٱلسُّلَيكِ عِنْدَ ٱلسُّلَكَةِ[٤]، وَأَحَقُّ بِإِيثارِي مِنْ خِفَافٍ ٱلسُّلَمِي بِخَبَايا نُدْبَةَ[٥]. وهو، أبداً، مَحْجُوبٌ، لا تُجَابُ عَنْهُ الأَغْطِيَةُ، ولا يجوبُ، لَوْ قَدرَ لَسَافَرَ، إِلَى أَنْ يَلْقَاهُ، ولم يَجِدْ عَنْ ذٰلِكَ، لِشَقَاءِ يَشْقَاهُ، وإنَّهُ، إِذْ يَذْكُرُ، لِيُؤَنَّثُ في ٱلْمَنطِقِ ويُذَكَّرَ، وما يعلمُ أَنَّهُ حقيقي ٱلتَّذْكِير، ولا تأنيثُهُ ٱلْمُعْتَمَدُ بنَكِيرٍ. لا أَفْتَأُ دائِباً فِيما رَضِيَ، على أَنَّهُ لا مَدْفَعَ لِمَا قُضِيَ. أُعَظِّمُهُ أَكْثَرَ مِنْ إِعْظام لَخْمٍ ٱلأَسْودَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ[٦]، وكِنْدَةَ ٱلأَسودَ بْنَ مَعْدِ يَكْرِب، وبَنِي نَهْشَلِ بْنِ دارِمٍ ٱلأَسْوَدَ بْنَ يَعْفُرَ[٧]، ذا ٱلْمَقَالِ ٱلْمُطْرِبِ، ولا يبرحُ مُولَعاً بِذِكْرِهِ، كَإِيلاعِ سُحَيْمٍ[٨] بِعُمَيْرَةَ، فِي مَحْضَرِهِ وَمَبْدَاهُ، وَنُصَيْبٍ[٩] مَوْلَى أُمَيَّةَ بِسُعْدَاهُ، وَقَدْ كَانَ مَثَلُهُ، مَعَ ٱلأَسْوَدِ بْنِ زَمْعَةَ،

---

(١) الأسود: الحيّة العظيمة.

(٢) هو: عنترة بن شدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. شهد حرب داحس والغبراء. قتل نحو سنة ٢٢ق.هـ = نحو سنة ٦٠٠م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة دار الكتب ٨/ ٢٣٧، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٦٢.

(٣) زبيبة: والدة عنترة بن شدّاد.

(٤) هو: السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك عدّاء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية، يلقب بالرئبال قتله أسد بن مدرك الخثعمي نحو سنة ١٧ق.هـ = نحو سنة ٦٠٥م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٨/ ١٣٣ ـ ١٣٧، الشعر والشعراء: ١٣٤.

(٥) هو: خُفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلميّ، من مضر، أبو خراشة: شاعر، فارس، من أغربة العرب. كان أسود اللون (أخذ السواد من أمه نَدْبَة). أدرك الإسلام فأسلم. وشهد فتح مكة وشهد حُنيناً والطائف، توفي نحو سنة ٣٠هـ = نحو سنة ٦٤٠م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٦/ ١٣٣، الإصابة ١/ ٤٥٢.

(٦) هو: الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي. من ملوك العراق في الجاهلية. قتل في إحدى معاركه مع الغسانيين نحو سنة ١٦٤ق.هـ = نحو سنة ٤٩٣م. انظر ترجمته في: العرب قبل الإسلام: ٢٠٦، ابن الأثير: ١٤٣.

(٧) هو: الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل: شاعر جاهلي من سادات تميم. من أهل العراق. كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر. توفي نحو سنة ٢٢ق.هـ = نحو سنة ٦٠٠م. انظر ترجمته في: الشعر الشعراء: ٧٨، الموشح: ٨١ ـ ٨٢.

(٨) هو: سُحَيْم بن وثيل بن عمرون، الرياحيّ اليربوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية أربعين سنة. وناهز عمره المئة. توفي نحو سنة ٦٠هـ = نحو سنة ٦٨٠م. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٢٦ ـ ١٢٩، الإصابة ت ٣٦٦٠.

(٩) هو: نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدّم في النسيب والمدائح. كان عبداً أسود. تنسك في أواخر أيامه. توفي سنة ١٠٨هـ = سنة ٧٢٦م. انظر ترجمته في: الأغاني (طبعة الدار ١/ ٣٢٤ ـ ٣٧٧، إرشاد الأريب ٧/ ٢١٢).

والأَسْوَدِ بْنِ عبدِ يَغُوثٍ، وَٱلْأَسْوَدَيْنِ ٱللَّذينِ ذَكَرَهُمَا ٱلْيَشْكُرِيُّ[(١)] في قولِهِ:

[الخفيف]

«فَهَدَاهُمْ بِٱلْأَسْوَدَيْنِ وَأَمْرُ ٱللَّـ ـهِ بَلْغٌ يَشْقَىٰ بِهِ ٱلْأَشْقِيَاءُ»[(٢)]

وَمَعَ أَسودَان، ٱلَّذِي هو نبهانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلْغَوْثِ بْنِ طَيءٍ[(٣)]، وَمَعَ أَبِي ٱلْأَسْوَدِ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ ٱمرؤُ ٱلقيسِ[(٤)]، في قولِهِ:

[المتقارب]

وَذٰلِكَ مِنْ خَبَرٍ جَاءَنِي وَنُبِّئْتُهُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ»[(٥)]

وَمَا فَارَقَهُ أَبُو ٱلْأَسودِ ٱلدُّؤَلِيُّ[(٦)]، في عمرِهِ، طَرْفَةَ عَيْنٍ، في حَالِ ٱلرَّاحَةِ، ولا ٱلْأَيْنِ[(٧)] وَقَارَنَ سُوَيْدَ بْنَ أَبِي كَاهِلٍ[(٨)]، يَرُدُّ بِهِ على ٱلْمَنَاهِلِ وَحَالَفَ سُوَيْدَ بْنَ ٱلصَّامِتِ[(٩)]، ما بينَ ٱلْمُبْتَهِجِ وَٱلشَّامِتِ وَسَاعَفَ سُوَيْدَ بْنَ

---

(١) هو: سويد بن أبي كاهل (غطيف، أو شبيب) ابن حارثة بن حسل، الذبياني الكناني اليشكري، أبو سعد: شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. توفي بعد سنة ٦٠هـ = بعد سنة ٦٨٠م. انظر ترجمته في: الإصابة، ت ٣٧١٦، الشعر والشعراء: ١٦٠.

(٢) أورد لسان العرب ٨/ ٤٢٠ مادة «بلغ» وعزاه للحارث بن حلزة. وانظر: شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٦٣ البيت الثاني.

«ويقال: أمرُ اللَّه بَلغ، بالفتح، أي بالغ من قوله تعالى: ﴿إن الله بالغ أمره﴾... قال الحارث بن حلّزة:

فَهَداهم بالأسودين وأمرُ الـ ـلَهِ بَلْغٌ يَشقى به الأشقياء»

(٣) هو: نبهان بن عمرو بن الغوث، من طيء: جدّ جاهلي. تكاثر نسله من ابنيه «سعد» و«نابل». انظر ترجمته في: صبح الأعشى ١/ ٣٢٠، جمهرة الأنساب: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٤) هو: امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. ولد بنجد وتوفي أثناء رحلته إلى القسطنطينية نحو سنة ٨٠ق.هـ = نحو سنة ٥٤٥م. انظر ترجمته في الأغاني طبعة دار الكتب ٩/ ٧٧، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٦٠؛ ٣/ ٦٠٩ ـ ٦١٢.

(٥) ورد البيت في: ديوانه: ٨٤ البيت الثالث.

(٦) هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب. مات في البصرة سنة ٦٩هـ = سنة ٦٨٨م. انظر ترجمته في: الإصابة، ت ٤٣٢٢، إنباه الرواة: ١/ ١٣.

(٧) الأين: التعب.

(٨) مرّت ترجمته.

(٩) هو: سُوَيْد بن الصامت بن حارثة بن عدي الخزرجي الأنصاري: شاعر، من أهل المدينة، كان يسميه قومه «الكامل». لقيه النبي ﷺ «بسوق ذي المجاز» فأسلم. وانصرف عائداً إلى المدينة فقتلته الخزرج. انظر ترجمته في: الإصابة، ت ٣٥٩٢، سيرة ابن هشام ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩.

صُمَيعٍ، فِي أَيَّامِ ٱلرُّتَبِ وَٱلرَّيْعِ[١]، وَسُوَيْدٌ، هٰذا، هو ٱلَّذِي يقولُ:

[الطويل]

«إِذَا طَلَبُوا مِنِّي ٱلْيَمِينَ مَنَحْتُهُمْ ... يَمِيناً كَبُرْدِ ٱلأَتْحَمِيِّ[٢] ٱلْمُمَزَّقِ»

«وَإِنْ أَحْلَفُونِي بِٱلطَّلَاقِ أَتَيْتُهَا ... عَلَى خَيْرِ مَا كُنَّا وَلَمْ نَتَفَرَّقِ»

«وَإِنْ أَحْلَفُونِي بِٱلْعِتَاقِ فَقَدْ دَرَى ... عُبَيْدٌ غُلَامِي أَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَقِ»

وَكَانَ يَأْلَفُ فِرَاشَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ[٣] بْنِ قَيْسٍ ٱمْرأَةَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، ويعرِفُ مَكَانَهُ ٱلرَّسُولُ، ولا يَنْحَرِفُ عَنْهُ ٱلسُّولُ[٤]. وَدَخَلَ ٱلجَدَثَ[٥] مَعَ سَوادَةَ بْنِ عَدِيٍّ، وَمَا ذٰلِكَ بِزَوْلٍ[٦] بدي. وحَضَرَ في نَادٍ، حَضْرَهُ ٱلأَسودانِ ٱللَّذانِ هُمَا ٱلهَنَمُ[٧] وَٱلمَاءُ، والحَرَّةُ الغابِرَةُ وَٱلظُّلَمَاءُ. وإِنَّهُ لَيَنفِرُ مِنَ ٱلأَبيضينِ[٨] إِذَا كَانَا في الرَّهجِ[٩] مُعَرَّضَيْنِ. الأَبيضانِ ٱللَّذانِ ينفِرُ مِنْهُمَا سيفانِ، أَوْ سَيْفٌ وَسِنانٌ، ويصبِرُ عَلَيْهِما إِذَا وَجَدَهُمَا. قال ٱلرَّاجِزُ:

ٱلأَبْيَضَانِ أَبْرَدا عِظَامِي ... ٱلْمَاءُ وَٱلْفَثُّ[١٠]، بِلَا إِدَامِ[١١]

---

(١) الريع: الحصاد والإنتاج.

(٢) «الأتحمي: ضرب من البرود» انظر: لسان العرب ١٢/ ٦٣ مادة «تحم».

(٣) هي: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، لؤيّ، من قريش: إحدى أزواج النبي ﷺ، كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت، ثم أسلم زوجها، توفي زوجها في مكة. تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة توفيت في المدينة سنة ٥٤هـ = سنة ٦٧٤م انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨/ ٣٥، الإصابة، كتاب النساء، ت ٦٠٣.

(٤) «سول الإنسان: أُمْنِيَتُهُ أن يتمناها فتُزين لطالبها الباطلَ وغيره من غرور الدنيا..» انظر: لسان العرب ١١/ ٣٥٠ مادة «سول».

(٥) الجدث: القبر.

(٦) الزول: العجب. انظر: لسان العرب ١١/ ١٦ مادة «زول».

(٧) «الهَنم: ضرب من التمر، وقيل: التمر كلّه». انظر: لسان العرب ١٢/ ٦٢٣ مادة «هنم».

(٨) الأبيضين: «الشحم والشباب، وقيل: الخبز والماء، وقيل: الماء واللبن». انظر: لسان العرب ٧/ ١٢٣ مادة «بيض».

(٩) «الرَّهْج والرَّهَج: الغبار. والرَّهَج: السحاب الرقيق كأنه غبار..» انظر: لسان العرب ٢/ ٢٨٤ مادة «رهج».

(١٠) «الفَثُّ حبٌ يشبه الجاوَرْس، يختبز ويؤكل؛ وقال أبو منصور: وهو حبٌّ بَرِّيّ يأخذه الأعراب في المجاعات، فيدُقّونه ويختبزونه وهو غذاء رديء، وربما تبلّغوا به أياماً..» انظر: لسان العرب ٢/ ١٧٦.

(١١) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ولم يعزه لقائله مادة «أدم» «وشاهد الإدام قولُ الشاعر:

الأَبْيَضانِ أَبْرَدا عِظَامي: ... المـاءُ وَٱلْفَثُّ بِلا إدام»

وَيَرْتَاحُ إليهِمَا، في قولِ الآخَرِ:

[الطويل]

وَلٰكِنَّهُ يَمْضِي لِيَ ٱلحَوْلُ كُلُّهُ وَمَا لِيَ، إِلَّا ٱلأَبْيَضَيْنِ، شَرَابُ[١]

فَأَمَّا ٱلأَبْيَضانِ ٱللَّذانِ هُمَا شَحْمٌ وَشَبَابٌ، فإنَّما تَفْرَحُ بِهِمَا الرَّبَابُ؛ وَقَدْ يُبتَهجُ بِهِمَا عِنْدَ غَيْرِي، فَأَمَّا أنا فَيَئِسا مِنْ خَيْرِي. وَكَذٰلِكَ الأَحَامِرَةُ وَٱلأَحْمَرَانِ[٢]، فإنَّهُ يُعجبُ لَهُمَا أَسْوَدُ رانٍ[٣] فَيَتْبَعُهُ حَلِيفُ سِتْرٍ، ما نَزَلَ بِهِ حادِثٌ هِتْرٌ[٤].

وُصُولُ ٱلرِّسالَةِ

وَقَدْ وَصَلَتِ ٱلرِّسَالَةُ ٱلَّتِي بَحْرُهَا بِٱلحِكَمِ مَسْجُورٌ، وَمَنْ قَرَأَهَا لا شَكَّ مَأْجُورٌ، إذْ كَانَتْ تَأْمُرُ بِتَقَبُّلِ ٱلشَّرْعِ، وَتَعِيبُ مَنْ تَرَكَ أَصْلًا إلى فَرْعٍ، وغَرِقْتُ في أَمْوَاجِ بِدَعِها ٱلزَّاخِرَةِ، وَعَجِبْتُ مِنِ ٱتِّسَاقِ عُقُودِها ٱلفاخِرَةِ، ومِثْلُهَا شَفَعَ وَنَفَعَ، وَقَرَّبَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَرَفَعَ. وأَلْفَيْتُهَا مُفْتَتَحَةً بِتَمْجِيدٍ، صَدَرَ مِنْ[٥] بَليغٍ مُجيدٍ، وفِي قُدْرَةِ رَبِّنَا ـ جلَّتْ عَظَمَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا شَبَحَ نُورٍ، لا يمتزِجُ بِمقالِ ٱلزُّورِ، يستغفِرُ لِمَنْ أَنْشَأَهَا إلى يوم ٱلدِّينِ، ويذكرُهُ ذِكْرَ مُحِبٍّ خَدِينٍ[٦].

وَلَعَلَّهُ، سُبْحَانَهُ، قَدْ نَصَبَ لِسُطُورِهَا ٱلمُنْجِيَةِ مِنَ ٱللَّهَبِ، مَعَارِيجَ مِنَ ٱلفِضَّةِ أَوِ ٱلذَّهَبِ، تعرُجُ بِهَا ٱلمَلائِكَةُ مِنَ ٱلأَرضِ ٱلراكِدَةِ إلى ٱلسَّمَاءِ، وتكشِفُ سُجُوفَ[٧] ٱلظَّلْماءِ بِدليلِ ٱلآيَةِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وهٰذِهِ الكَلِمَةُ الطَّيبةُ وكأنَّها ٱلمغنِيَّةُ بقولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

---

(١) أورد لسان العرب ٧/ ١٢٣ البيت وعزاه لقائله، مادة «بيض». «والأبيضان: الشحم والشباب، وقيل: الخبز والماء، وقيل: الماء واللبن، قال هُذيلٌ الأشجعيُّ من شعراء الحجازيين:

ولكنَّما يَمْضي ليَ الحَوْلُ كامِلًا، وما ليَ إلّا الأَبْيَضَيْنِ شرابُ

مِنَ ٱلماءِ أو مِن دَرِّ وَجْناءَ ثَرَّةٍ، لَهَا حَالِبٌ لا يَشْتَكي وحِلابُ»

(٢) «ابن سيده: الأحمران الذهب والزعفران، وقيل: الخمر واللحم.. وقال الليث: هو اللحم والشراب والخَلُوق..» انظر: لسان العرب ٤/ ٢٠٩ مادة «حمر».

(٣) رانٍ: اسم فاعل من رنا يرنو: نظر.

(٤) «قول هِتْرٌ: كذب، بالكسر: السقط من الكلام والخطأ». انظر: لسان العرب ٥/ ٢٤٩ مادة «هتر».

(٥) ورد في نسخة أخرى «عن» بدلًا من «من».

(٦) الخدين: الصاحب الموافق.

(٧) سجوف، مفرده سَجْف: أستار.

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وفي تِلْكَ ٱلسُّطُورِ كَلِمٌ كثيرٌ، كُلُّهُ عِنْدَ الباري ـ تَقَدَّسَ ـ أثِيرٌ[١].

وَقَدْ غُرِسَ لِمولايَ ٱلشَّيخِ ٱلجَليلِ، إنْ شاءَ ٱللَّهُ، بذٰلِكَ ٱلثَّناءِ، شَجَرٌ في ٱلجَنَّةِ لَذيذُ ٱجْتِناءٍ، كُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهُ تَأْخُذُ ما بينَ ٱلمَشْرِقِ إلى ٱلمَغْرِبِ بِظِلٍّ غاطٍ[٢]، لَيْسَتْ فِي ٱلأَعْيُنِ كَذاتِ أَنواطٍ[٣]. وذاتُ أَنواطٍ، كَمَا يُعْلَمُ ـ شجرةٌ كانُوا يُعَظِّمُونَها في ٱلجاهِلِيَّةِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ بعضَ ٱلنَّاسِ قالَ: «يا رسولَ اللَّهِ، اِجْعَلْ لَنا ذاتَ أنواطٍ. كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنواطٍ». وقالَ بعضُ ٱلشُّعَراءِ:

[البسيط]

«لَنا ٱلمُهَيْمِنُ يَكْفِينَا أَعَادِيَنا كَمَا رَفَضْنَا إِلَيْهِ ذَاتَ أَنْواطِ

وَٱلوِلْدانُ ٱلمُخَلَّدونَ في ظِلالِ تِلْكَ ٱلشَّجَرِ قِيامٌ وَقُعُودٌ، وَبِٱلمَغْفِرَةِ نِيلَتِ ٱلسُّعُودُ.

يقولون، وَٱللَّهِ ٱلقادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَزيزٍ: نَحْنُ وهٰذِهِ ٱلشَّجَرُ صِلَةٌ مِنَ ٱللَّهِ لِعَلِيِّ بْنِ منصورٍ[٤]، نُخَبَّأُ لَهُ إلى نَفْخِ ٱلصُّورِ؛ وَتَجْرِي في أُصُولِ ذٰلِكَ ٱلشَّجَرِ أَنْهَارٌ تَخْتَلِجُ مِنْ ماءِ ٱلحَيَوانِ، وَٱلكَوْثَرِ يُمُدُّهَا في كُلِّ أَوانٍ. مَنْ شَرِبَ مِنْهَا ٱلنُّغْبَةَ[٥] فَلَا مَوْتَ؛ قَدْ أَمِنَ هُنَالِكَ ٱلفَوْتَ. وسُعُدٌ[٦] مِنَ ٱللَّبَنِ مُتَخَرِّقَاتٌ[٧]، لا تغيَّرُ بِأَنْ تَطُولَ ٱلأَواقتُ؛ وَجَعافِرُ[٨] مِنَ ٱلرَّحيقِ ٱلمَخْتُومِ، عَزَّ ٱلمُقْتَدِرُ على كُلِّ مَخْتُومٍ.

---

(١) أثير: مفضّل ومميَّز.

(٢) الغاط: المطمئن من الأرض.

(٣) «وذات أنواطٍ: شجرة كانت تُعبد في الجاهلية. قال ابن الأثير: هي اسم سَمُرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلّقونه بها ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك..» انظر: لسان العرب ٧/ ٤٢٠ مادة «نوط».

(٤) هو: علي بن منصور بن طالب الحلبي، أبو الحسن، المعروف بابن القارح، الملقب بدَوْخَلة: أديب من العلماء. من أهل حلب. توفي ابن القارح بالموصل بعد سنة ٤٢٤هـ = بعد سنة ١٠٣٣م. انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ٣٥٥، الأعلام ٥/ ٢٥.

(٥) النُّغبة، جمعها نُغب: جرعة الماء.

(٦) سُعُد، مفرده سعيد: صغار الأنهار والمجاري.

(٧) متخرِّقات: متَّسعات.

(٨) جَعَافِر، واحده جعفر، وهو النهر.

تِلْكَ هِيَ ٱلرَّاحُ ٱلدَّائِمَةُ، لا ٱلذَّمِيمَةُ وَلَا ٱلذَّائِمَةُ، بَلْ هي كَمَا قالَ عَلْقَمَةُ[١] مُفْتَرِياً، وَلَمْ يَكُنْ لِعَفْوٍ مُقْتَرِياً:

[البسيط]

«تَشْفِي ٱلصُّدَاعَ، وَلَا يُؤْذِيهِ طَالِبُهَا ... وَلَا يُخَالِطُ مِنْهَا، ٱلرَّأْسَ تَدْوِيمُ»[٢]

وَيَعْمَدُ إِلَيْهَا المُغْتَرِفُ بِكُؤُوسٍ مِنَ ٱلعَسْجَدِ[٣]، وَأَبَارِيقَ مِنَ ٱلزَّبَرْجَدِ؛ ينظرُ مِنْهَا ٱلنَّاظِرُ إلى بَدِيٍّ، ما حَلِمَ بِهِ أَبُو ٱلهِنْدِيِّ[٤]، فَلَقَدْ آثَرَ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ شَرَابَ ٱلفانِيَةِ، وَرَغِبَ فِي ٱلدَّنِيَّةِ ٱلدَّانِيَةِ. ولا رَيْبَ، فَإِنَّهُ يَرْوِي دِيوانَهُ، وهو ٱلقائِلُ:

[الطويل]

«سَيُغْنِينِي أَبَا ٱلهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ ... أَبَارِيقُ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ ٱلزُّبْدِ»[٥]

مُفَدَّمَةٌ قَزًّا كَأَنَّ رِقَابَهَا ... رِقَابُ بَنَاتِ ٱلمَاءِ، أَفْزَعَهَا ٱلرَّعْدُ

هٰكَذا يُنْشَدُ على ٱلإِقْوَاءِ وبَعْضُهُمْ يُنشِدُ:

«رِقَابُ بَنَاتِ ٱلماءِ خَافَتْ مِنَ ٱلرَّعْدِ»

---

(١) هو: علقمة بن عَبَدَة بن ناشر بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصراً لامرئ القيس. توفي نحو سنة ٢٠ق.هـ = نحو سنة ٦٠٣م. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦، الأغاني ٢١ طبعة رونو ١٧٢ ـ ١٧٥.

(٢) التدويم: الدوران.

(٣) العسجد: الذهب.

(٤) هو: غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن ربعيّ الرياحي اليربوعي، أبو الهندي: شاعر مطبوع، أدرك الدولتين الأموية والعباسية. وكان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني. مات نحو سنة ١٨٠هـ = نحو سنة ٧٩٥م. انظر ترجمته في: طبقات ابن المعتز: ٥٨ ـ ٦١، فوات الوفيات ٢/ ١٢١.

(٥) ورد البيتان في لسان العرب ٥/ ٢٨٤ مادة «وضر». «ابن الأعرابي: يقال لِلقُنْدورة وَضْرَى وقد وَضِرَت القصعة.

«تَوْضَرُ وَضَراً أي دَسِمَتْ؛ قال أبو الهندي واسمه عبد المؤمن بن عبد القدّوس:

سَيُغني أبا ٱلهِنْديّ عَنْ وَطْبِ سالمٍ ... أباريقُ، لم يَعْلَقْ بِها وَضَرُ ٱلزُّبْدِ

مُفَدَّمَةٌ قَزًّا، كأنَّ رِقَابَها ... رِقابُ بناتِ ٱلماءِ تَفْزَعُ ٱلرَّعْدِ

الوَطْبُ: زقّ اللبن، وهو في البيت زق الخمر. والمُفدّم: الإبريق الذي على فمه فِدَامٌ، وهو خِرْقة من قَزٍّ أو غيره، وشبّه رقابها في الإشرافِ والطول برقاب بنات الماء، وهي الغرانيق، لأنها إذا فزعت نصبت أعناقها. ووَضِرَ الإناءُ يَوْضَرُ وَضراً إذا اتسخ...» انظر: لسان العرب ٥/ ٢٨٤ مادة «وضر».

ورد البيت الأول في: المقتضب للمبرد ٤/ ٤٧، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٤٢.

ورد البيت الثاني في: الشعر والشعراء: ٢٤٣.

وَٱلرِّوَايَةُ ٱلأُولَى إِنْشَادُ ٱلنَّحوِيِّينَ.

وَأَبُو ٱلهِنْدِيِّ إِسْلَامِيٌّ، وَٱسْمُهُ عَبْدُ ٱلمُؤْمِنِ بْنُ عبدِ ٱلقُدُّوسِ؛ وهذانِ ٱسْمَانِ شَرْعِيَّانِ. وَمَا ٱسْتُشْهِدَ بِهٰذَا ٱلبيتِ، إِلَّا وَقَائِلُهُ عِنْدَ ٱلمُسْتَشْهِدِ فَصِيحٌ. فَإِنْ كَانَ أَبُو ٱلهِنْدِيِّ مِمَّنْ كَتَبَ وعَرَفَ حُرُوفَ ٱلمُعْجَمِ، فَقَدْ أَسَاءَ فِي ٱلإِقْوَاءِ؛ وَإِنْ كَانَ بَنَى الأَبْيَاتَ عَلَى السُّكُونِ، فَقَدْ صَحَّ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ مَسْعَدَة[1]، في أَنَّ ٱلطَّوِيلَ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَهُ أَرْبَعَةُ أَضْرُبٍ. وَلَوْ رَأَى تِلْكَ ٱلأَبَارِيقَ أَبُو زُبَيْدٍ لعَلِمَ أَنَّهُ كَٱلعَبْدِ ٱلماهِنِ[2]، أَوِ ٱلعُبَيْدِ؛ وَأَنَّهُ ما تَشَبَّثَ بِخَيرٍ، وَرَضِيَ بِقليلِ ٱلمِيرِ، وَهَزِئَ بِقَوْلِهِ:

[الخفيف]

«وَأَبَارِيقُ مِثْلُ أَعْنَاقِ طَيْرِ ٱلـ ـمَاءِ قَدْ جِيبَ فَوْقَهُنَّ خَنِيفُ»[3]

هَيْهَاتَ[4] هٰذِهِ أَبَارِيقُ تَحْمِلُهَا أَبَارِيقُ، كَأَنَّهَا فِي ٱلحُسْنِ ٱلأَبَارِيقُ. فَٱلأُولَى هِيَ ٱلأَبَارِيقُ المعروفةُ، وَٱلثَّانِيةُ مِنْ قولِهِمْ: «جاريةٌ إبريقٌ»، إذا كَانَتْ تَبرقُ مِنْ حُسْنِها.

قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الطويل]

«وَغَيْدَاءَ إِبْرِيقٍ كَأَنَّ رُضَابَهَا[5] جَنَى ٱلنَّخلِ مَمْزُوجاً بِصَهْبَاءِ[6] تاجِرِ

وَٱلثَّالِثَةُ مِنْ قَوْلِهِم: «سيفٌ إبريقٌ»، مَأْخُوذٌ مِنَ ٱلبَرِيقِ.

---

(١) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب. تتلمذ على سيبويه. مات في البصرة سنة ٢١٥هـ = سنة ٨٣٠م. من كتبه: «تفسير معاني القرآن»، «معاني الشعر». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٠٨، إنباه الرواة ٢/ ٣٦.

(٢) العبد الماهن: الممتهن الخدمة.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٩٨ مادة «خنف».
«والخنيف: أردأ الكتّان. وثوب خنيف: رديء ولا يكون إلّا من الكتّان خاصّة، وقيل: الخنيف ثوب كتّان أبيض غليظ؛ قال أبو زبيد:
وأباريقُ شِبْهُ أعناقِ طَيْرِ ٱلماءِ، قد جِيبَ فَوْقَهُنَّ خَنِيفُ
شبَّه الفِدام بالجَيْب، وجمع كل ذلك خُنُفٌ..».

(٤) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُد.

(٥) الرضاب: الريق.

(٦) الصهباء: من أسماء الخمرة.

قَالَ ٱبنُ أَحْمَرَ[١]:

[الطويل]

تَقَلَّدْتَ إبْرِيقاً، وَعُلِّقْتَ جُعْبَةً لِتُهْلِكَ حَيّاً ذا زُهاءٍ وَجَامِلِ[٢]

وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهَا عَلْقَمَةُ لَبَرِقَ وَفَرِقَ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ طُرِقَ؛ وَأَيْنَ يَرَاهَا ٱلمِسْكِين وعَلْقَمَةُ؟! وَلَعَلَّهُ في نارٍ لا تغيرُ، ماؤُها لِلشَّارِبِ وَغِيرٌ[٣]! ما ٱبنُ عبدةَ وما فَرِيقُهُ؟! قَدْ خَسِرَ وَكُسِرَ إبريقُهُ! أَليسَ هُو ٱلقائِلَ:

[البسيط]

«كَأَنَّ إِبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ بِرَابِيَةٍ مُجَلَّلٌ[٤] بِسَبَا ٱلكَتَّانِ[٥]، مَفْدُومُ[٦]

«أَبْيَضُ أَبْرَزَهُ لِلضِّحِّ[٧] رَاقِبُهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ ٱلرَّيْحَانِ، مَفْغُومُ[٨]

نَظْرَةٌ إلى تِلْكَ ٱلأَبَارِيقِ، خيرٌ مِنْ بِنْتِ ٱلكَرْمَةِ ٱلعاجِلِيَّةِ، ومِنْ كُلِّ رِيقٍ، ضَمَّنَتْهُ هٰذِهِ ٱلدَّارُ ٱلخادِعَةُ، ٱلَّتِي هِيَ لِكُلِّ شَمَمٍ جادِعَةٌ[٩]. وَلَوْ بَصُرَ بِهَا عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ[١٠]، لَشُغِلَ عنِ ٱلمُدامِ وَٱلصَّيْدِ، وَٱعْتَرَفَ بِأَنَّ أَبَارِيقَ مُدامِهِ، وما أَدْرَكَ مِنْ شُرْبِ ٱلحيرةِ

(١) هو: هنئ بن أحمر، من بني الحارث من كنانة: شاعر جاهلي. انظر ترجمته في: المرزباني ٤٨٩ ـ ٤٩٠، الآمدي: ٣٨.

(٢) الجامل: اسم للجمع، وهو ذو جمل.

(٣) وغير: هو اللبن ترمى فيه الحجارة المحماة ثم يشرب.

(٤) «جَلَّل الشيءُ تجليلاً أي عَمَّ. والمُجلَّل: السحاب الذي يُجَلِّلُ الأرض بالمطر أي يعم» انظر: لسان العرب ١١/١١٨ مادة «جلل».

(٥) سبا الكتّان: ضرب من الكتّان.

(٦) الفِدامُ: شيء تشدّه العجم على أفواهها عند السَّقي، الواحدة فِدامة، وأما الفِدام فإنه مِصْفاة الكوز والإبريق ونحوه، وسُقاة الأعاجم المجوس إذا سَقَوا الشَّرْبَ فَدَّموا أفواههم، فالسَّاقي مُفدّم، والإبريق الذي يُسقى منه الشَّرْب مُفَدَّم. انظر: لسان العرب ١٢/ ٤٥٠ مادة «فدم».

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٥٢٤ مادة «ضحح». ولم يعزه لقائله. «وقال الأصمعي: الضِّحُ: الشمس بعينها؛ وأنشد:

أَبْيَضُ أَبْرَزَهُ لِلضِّحِّ راقِبُهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ ٱلرَّيْحانِ مَفْغُومُ»

(٨) مفغوم: طيّب الرائحة.

(٩) جدع: قطع.

(١٠) هو: عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد العِبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين كان يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب. تزوّج هنداً بنت النعمان الذي قتله نحو سنة ٣٥ق.هـ = نحو سنة ٥٩٠م. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ٢/ ٢٩٧ جمهرة أشعار العرب: ١٠٢.

وَنَدَامِهِ، أَمْرٌ هَيِّنٌ، لا يُعْدَلُ بِنَابِتٍ مِنْ حَمْصِيصٍ[(١)]، أَوْ مَا حَقَرَ مِنْ خَرْبِصِيصٍ[(٢)].

وَكُنْتُ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلام، فشاهَدتُ بعضَ ٱلورَّاقينَ يَسْأَلُ عنْ قافيةِ عَديِّ بْنِ زَيْدٍ ٱلَّتِي أَوَّلُها:

[الخفيف]

«بَكَرَ ٱلعَاذِلَاتُ[(٣)] في غَلَسِ ٱلصُّبْحِ ... يُعَاتِبْنَهُ: أَمَا تَسْتَفِيقُ؟

«وَدَعَا بِٱلصَّبُوحِ فَجْراً، فَجَاءَتْ ... قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيقُ»

وَزَعَمَ ٱلوَرَّاقُ أَنَّ ٱبْنَ حاجِبِ ٱلنُّعْمَانِ سَأَلَ عَنْ هٰذِهِ ٱلقصيدةِ، وطُلِبَتْ في نُسَخٍ مِنْ دِيوانِ عَدِيٍّ فَلَمْ تُوجَدْ.

ثُمَّ سَمِعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَسترابَاذ[(٤)]، يَقْرَأُ هٰذِهِ ٱلقافيةَ فِي دِيوانِ ٱلعِبَادِيِّ، وَلَمْ تَكُنْ فِي ٱلنُّسْخَةِ ٱلَّتِي فِي دارِ ٱلعِلْمِ.

فَأَمَّا ٱلأُقَيْشِرُ الأَسَدِيُّ[(٥)] فَإِنَّهُ مُنِيَ بِقَاشِرٍ[(٦)]، وَشَقِيَ إِلى يَوْمِ حَاشِرٍ. وَقَالَ، وَلَعَلَّهُ سَيَنْدَمُ، إِذ تَفَرَّى الأَدَمَ:

[البسيط]

أَفْنَى تِلادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ ... قَرْعُ ٱلقَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ الأَبَارِيقِ»[(٧)]

---

(١) «الحمصيص: بقلة دون الحُمَّاض في الحموضة طيبة الطعم تنبت في رمل عالج وهي من أحرار البقول، واحدته حَمَصِيصَةٌ» انظر: لسان العرب ٧/ ١٧ مادة «حمص».

(٢) «الخربصيص: القُرط. وما عليها خَرْبَصِيصةٌ أي شيء من الحَلْي». انظر: لسان العرب ١٧/ ٢٤ مادة «خربص».

(٣) العاذلات: اللائمات.

(٤) أستراباذ: بلدة مشهورة من أعمال طبرستان. انظر: معجم البلدان لياقوت ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٥) هو: المغيرة بن عبد الله بن مُعرض الأسدي، أبو معرض: شاعر هجاء، عالي الطبقة. من أهل بادية الكوفة. وكان عثمانياً من رجال عثمان بن عفَّان. قتل بظاهر الكوفة خنقاً بالدخان نحو سنة ٨٠هـ نحو سنة ٧٠٠م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٠/ ٨٠ ـ ٩١، المرزباني: ٣٦٩.

(٦) القاشر: العام المجدب القاحل.

(٧) ورد البيت مع أبيات أخرى في لسان العرب ٥/ ٣٩٦ مادة «قفز». «القاقُوزة: كالقازوزة وهي أعلى منها، أعجميّة معرّبة. قال أبو عبيد في كتاب ما خالفت فيه العامة لغات العرب: هي قاقوزةٌ وقازوزة تسمى قاقُزَّة. قال ابن السكيت: أما القاقُزَّة فمولّدَة؛ وأنشد للأقيشِر الأسدي واسمه المُغيرة بن الأسود:

أفنى تلادي وما جَمَّعْتُ من نَشَبٍ ... قَرْعُ القَواقيزِ أفواه الأباريقِ

كَأَنَّهنَّ، وأيدي الشَّرْبِ مُغْلَمَةٌ ... إذا تَلألأنَ في أيدي الغرانيقِ

بناتُ ماءٍ تُرى، بِيضٌ جَآجِئُها ... حُمْرٌ مناقِرُها، صُفْرُ الحماليقِ

=

ما هو وما شَرَابُهُ؟ تقضَّتْ فِي ٱلحانِيةِ[١] آرابُهُ. لو عاينَ تِلْكَ الأَبَارِيقَ لَأَيْقَنَ أَنَّهُ فُتِنَ بِٱلغُرورِ، وَسُرَّ بِغيرِ موْجِبٍ للسُّرورِ.

وكذٰلِكَ إِياسُ بْنُ الأَرَتّ[٢]، إِنْ كَانَ عَجِبَ لِأباريقَ كإوزِّ الطَّفِّ[٣]، فَإِنَّ ٱلحوادِثَ بَسَطَتْ لَهُ أَقبضَ كَفٍّ. فَكَأَنَّهُ مَا قَالَ:

[الطويل]

كَأَنَّ أَبَارِيقَ ٱلْمُدَامَةِ بَيْنَهُمْ إِوَزٌّ بِأَعْلَى ٱلطَّفِّ، عُوجُ ٱلحَنَاجِرِ

وَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱلعَجَّاجَ[٤]، فَإِنَّهُ خَلَطَ في رَجزِهِ ٱلعُلَبِطَ وَٱلسَّجَاجَ[٥]، أَيْنَ إِبريقُهُ ٱلَّذي ذُكِرَ فَقَالَ:

[الرجز]

قَطَّفَ مِنْ أَعْنَابِهَا مَا قَطَّفَا، فَغَمَّهَا حَوْلَيْنِ، ثُمَّ ٱسْتَوْدَفَا[٦]

= التلاد: المال القديم الموروث. والنشَب: الضياع والبساتين التي لا يقدر الإنسان أن يرحل بها. والقواقيز: جمع قاقوزة، وهي أوانٍ يُشرب بها الخمر. والغرانيق: شبّان الرحال، واحدهم غُرْنُوقٌ: قال.. وبنات ماء: طير من طير الماء طوال الأعناق. و الجُؤْجُؤ: الصدر...»

ورد البيت في: المقتضب للمبرد ١/٢١، الجمل، للزجاجي: ١٣٤، المؤتلف: ٥٦، الإنصاف لابن الأنباري: ٢٣٣، المقرّب لابن عصفور: ٢٥ شذور الذهب، لابن هشام: ٣٨٣، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٣٦ (٣٠١)، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/٥٠٨، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/٦٤، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/٢٨٩.

(١) الحانية: الخمارة أو الماخور، وفي بعض النسخ «الحائنة» وهي الدنيا.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

(٣) الطف: الشاطئ. وهو اسم مكان يقع بالقرب من الكوفة.

(٤) هو: عبد اللّه بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، توفي نحو سنة ٩٠هـ = نحو سنة ٧٠٨م. انظر ترجمته في: شرح شواهد المغني: ١٨، الشعر والشعراء ٢٣٠.

(٥) العُلبِط والسّجَاج: ضربان من اللبن.

(٦) ورد في لسان العرب ٩/١٢ مادة «رصف» ثلاثة أشطار.

«والرَّصَف: الحجارة المتراصفة، واحدتها رَصَفَةٌ، بالتحريك.

والرَّصَف: حجارة مَرْصُوفٌ بعضُها إلى بعض؛ وأنشد للعجاج:

فَشَنَّ فِي ٱلإبْرِيقِ مِنْهَا نُزَفَا مِنْ رَصَفٍ نَازَعَ سَيْلًا رَصَفَا

حتّى تناهى في صَهَارِيجِ ٱلصَّفَا =

صَهْبَاءَ، خُرْطُوماً، عُقَاراً، قَرْقَفَا، فَشَنَّ فِي الإِبْرِيقِ مِنْهَا نُزَفَا
مِنْ رَصْفِ نَازَعَ سَيْلاً رَصَفَا

وَكَمْ عَلَى تِلْكَ الأَنْهارِ مِنْ آنيةِ زَبَرْجَدٍ مَخْفُورٍ، وياقُوتٍ خُلِقَ على خلْقِ ٱلْفُورِ، مِنْ أَصْفَرَ وَأَحْمَرَ وَأَزْرَقَ، يَخالُ إنْ لُمِسَ أَحْرَقَ، كَمَا قَالَ ٱلصَّنَوْبَرِيُّ[(١)]:

تَخَيَّلَهُ سَاطِعاً وَهْجُهُ، فَتَأْبَى ٱلدُّنُوَّ إِلَى وَهْجِهِ

وفي تلك ٱلأَنْهَارِ أوانٍ عَلَى هيئةِ ٱلطَّيْرِ ٱلسَّابِحَةِ، وَٱلغانيةِ عنِ ٱلماءِ ٱلسَّائِحَةِ، فَمِنْها ما هُو عَلَى صُورِ ٱلكَرَاكِي، وأُخَرُ تُشَاكِلُ ٱلمَكَاكِي[(٢)]، وعلى خَلْقِ طَوَاوِيسَ وَبَطّ، فبعضٌ في ٱلجاريَةِ وبعض في ٱلشَّطِّ يَنْبُعُ مِنْ أَفْوَاهِهَا شَرابٌ، كَأَنَّهُ مِنَ ٱلرِّقَّةِ سَرَابٌ؛ لَوْ جَرَعَ جُرْعَةً مِنْهُ ٱلحَكَمِيُّ، لَحَكَمَ أَنَّهُ ٱلفَوْزُ ٱلقَدَمِيُّ. وَشَهِدَ لَهُ كُلُّ وُصَّافِ ٱلخَمْرِ، مِنْ مُحْدَثٍ في ٱلزَّمَنِ وَعَتِيقِ ٱلأَمْرِ، أَنَّ أَصْنَافَ ٱلأَشْرِبَةِ ٱلمَنْسُوبَةِ إِلَى ٱلدَّارِ ٱلفانيةِ، كَخَمْرِ عانَة[(٣)] وأَذرعاتٍ[(٤)]، وهي مِظَنَّةٌ لِلنعّاتِ؛ وغزّةَ وبيتِ راسٍ وَٱلفلسطيَّةِ[(٥)] ذواتِ ٱلأحراسِ؛ وما جُلِبَ مِنْ بُصْرَى[(٦)] في ٱلوسُوقِ، تُبغى بِهِ ٱلمُرَابَحَةُ عِنْدَ سوقٍ؛ وَمَا ذَكَرَهُ ٱبنُ بُجْرَة بوجٍّ[(٧)]، وَٱعْتمدَ بِهِ أَوْقاتَ ٱلحجِّ، قبلَ أَنْ

= قال الباهلي: أراد أنه صَبَّ في إبريقِ الخمر من ماءِ رَصَفٍ نازَعَ سَيْلاً كان في رصَف فصار منه في هذا، فكأنه نازعه إيّاه.
قال الجوهري: يقول: مُزِجَ هذا الشرابُ من ماء رصَف نازَعَ رصَفاً آخرَ لأنه أصفى له وأبرقُ، فحذف الماء، وهو يريده فجعل مَسِيله من رَصَفٍ إلى رصف مُنازعة «منه إيّاه»». وانظر: ديوان العجاج تحقيق سعدي ضناوي: ٣٧٠.
واستودف: ارتقب.

(١) هو: أحمد بن محمد بن الحسن بن مَرَّار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر: شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. توفي سنة ٣٣٤هـ = ٩٤٦م. انظر ترجمته في: فوات الوفيّات ١/ ٦١، إعلام النبلاء ٤/ ٢٣.
(٢) الكراكي والمكاكي: نوعان من الطير.
(٣) عانة: بلد مشهور بين الرقة وحيث يعدّ في أعمال الجزيرة، ونسبت العرب إليه الخمر. انظر: معجم البلدان لياقوت ٤/ ٧٢.
(٤) أذرعات: بلد في أطراف الشام. انظر: معجم البلدان ١/ ١٣٠ ـ ١٣١.
(٥) غزّة وبيت راس والفلسطية من مدن فلسطين.
(٦) بصرى: بلدة في جبل حوران مشهورة بآثارها القديمة.
(٧) وج: كانت فيها آخر غزوات النبي ﷺ وهي الطائف. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٦١.

تُحرِّمَ عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلقَهَوَاتُ، وتُحظَّرَ لِخوفِ ٱللَّهِ ٱلشَّهواتُ. قال أَبُو ذُؤَيْبٍ[١]:

[الطويل]

وَلَوْ أَنَّ مَا عِنْدَ ٱبْنِ بُجْرَةَ عِنْدَهَا مِنَ ٱلخَمْرِ، لَمْ تَبْلُلْ لَهَاتِي بِنَاطِلِ[٢]

وما ٱعْتَصَرَ بِصَرْخَدَ[٣] أو أَرضِ شَبام[٤]، لِكُلِّ مَلِكٍ غيرِ عبام[٥] وما تَرَدَّدَ ذِكرُهُ من كُمَيْتِ بابلَ وصريفينَ[٦] وَٱتُّخِذَ لِلأَشْرَافِ ٱلمُنِيفِينَ؛ وما عُمِلَ مِنْ أَجناسِ ٱلمُسْكِراتِ، مُفوّقاتٍ لِلشاربِ ومُوكَّراتٍ، كَٱلجِعَةِ وَٱلبِتَعِ[٧] وَٱلمِزرِ[٨] وَٱلسُّكُرْكَةِ[٩] ذاتِ الوِزْرِ؛ وما وُلِدَ مِنَ ٱلنخيلِ، لِكريمٍ يُعْتَرَفُ أو بخيلٍ؛ وما صُنِعَ في أيامِ آدمَ وشِيْثٍ، إلى يومِ ٱلمَبْعَثِ من مُعَجَّلٍ أو مَكِيْثٍ؛ إِذْ كَانَتْ تلكَ ٱلنُّطْفَةُ مَلِكَةً، لا تصلحُ أَنْ تَكُونَ برعاياها مشتبكةً.

ويُعارِضُ تلك ٱلمُدامَةَ أَنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى ما كَسِبَتْهُ ٱلنَّحْلُ ٱلغادِيَةُ إلى ٱلأَنْوارِ[١٠]، ولا هو في مُوم مُتَوَارٍ، ولٰكِنْ قالَ لَهُ ٱلعزيزُ ٱلقادِرُ: «كُنْ، فَكَانَ»، وبكرَمِهِ أَعْطَى ٱلإِمْكَانَ. واهاً لذٰلِك عَسَلًا، لم يَكُنْ بِٱلنَّارِ مُبَسَّلًا! لو جَعَلَهُ ٱلمَحْرُورُ غِذاءَهُ طُولَ ٱلأَبدِ ما قُدِرَ لَهُ عارِضُ مُومٍ[١١]، ولا لَبِسَ ثَوْبَ ٱلمَحْمُومِ؛ وذٰلِكَ كُلُّهُ

---

(١) هو: خويلد بن خالد بن محرّث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح. مات أبو ذؤيب في مصر نحو سنة ٢٧هـ = نحو سنة ٦٤٨م. انظر ترجمته في: الأغاني ٦/٣٢٥٦ خزانة الأدب للبغدادي ١/٢٠٣.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١١/٦٦٦ مادة «نطل».
«والناطِل: الجُرعة من الماء واللبن والنبيذ؛ قال أبو ذؤيب:
فلو أَنَّ ما عندَ ابن بُجْرَةَ عندَها مِنَ الخَمْرِ، لم تبلُلْ لَهاتي بِناطِلِ
الناطل: الخمر عامة..».

(٣) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٤) شبام: جبل بصنعاء. انظر: معجم البلدان ٣/٣١٨.

(٥) العبام: الغليظ الخلقة في حمق.

(٦) بابل وصريفين: من مدن العراق.

(٧) البتع: عصارة العسل.

(٨) المزر: عصارة الشعير أو القمح.

(٩) السُّكُركة: خمر الحبشة وهو من الذرة.

(١٠) الأنوار، مفرده نور: الأزهار البيضاء.

(١١) «الموم: البرسام، والموم: الجُدري الكثير المتراكب، وقال الليث: قيل: الموم أشدّ الجدريّ...» انظر: لسان العرب ١٢/٥٦٦ مادة «موم».

بدليلِ قولِه: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [محمد: ١٥]، فَلَيْتَ شِعْرِي عنِ ٱلنَّمِرِ بْنِ تَوْلَبٍ ٱلعُكْلِيِّ[١]، هَلْ يُقْدَرُ لَهُ أَنْ يَذُوقَ ذٰلِكَ ٱلأَرِي، فيَعلَمَ أَنَّ شُهْدَ ٱلفانيةِ إذا قِيسَ إليهِ وُجِدَ يُشَاكِهُ[٢] ٱلشَّرِيُّ[٣]؛ وهو لِمَا وُصِفَ أُمَّ حُصِنَ، وما رُزِقَتْهُ في ٱلدَّعَةِ وَالأَمْنِ، ذَكَرَ حَوارِيَ[٤] بِسَمْنٍ، وعَسَلٍ مُصَفًّى؛ فرَحِمَهُ ٱلخالِقُ متوفًّى، فقدْ كانَ أَسْلَمَ ورَوَى حَدِيثاً مُنْفَرِداً، وحسبُنا بِهِ لِلْكَلِمِ مُسَرَّداً[٥]، قال ٱلمِسْكِينُ ٱلنَّمِرُ:

[الوافر]

أَلَمْ بِـصُـحْـبَـتِـي، وَهُـمُ هُـجُـوعُ، خَـيَـالٌ طَـارِقٌ مِـنْ أُمِّ حِـصْـنِ
لَهَـا مَـا تَـشْـتَـهِـي: عَـسَـلًا مُـصَـفًّـى إِذَا شَـاءَتْ، وَحَـوَّارِي بِـسَـمْـنِ

وَهُوَ، أَدَامَ ٱللَّهُ تَمْكِينَهُ، يَعْرِفُ حِكايَةَ خَلَفِ ٱلأَحْمَرِ[٦]، مَعَ أَصْحَابِهِ فِي هٰذينِ ٱلبيتين، وَمَعناها أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: لو كانَ مَوْضِعُ أُمِّ حِصْنٍ أُمَّ حَفْصٍ، ما كانَ يقولُ في ٱلبيتِ ٱلثَّاني؟ فَسَكَتُوا، فقَال: حُوارَى بِلَمْصٍ؛ يَعْنِي الفالوذَ[٧].

وَيُفَرَّعُ عَلَى هٰذِهِ الحِكايَة، فيُقالُ: لَوْ كَانَ مَكَانُ أُمِّ حِصْنٍ أُمَّ جُزْءٍ وآخِرُهُ همزةٌ، ما كانَ يقولُ في ٱلقافيةِ ٱلثانيةِ؟ فإِنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يقولَ: وحُوارى بكَشْءٍ، من قولِهِم: كَشَأْتُ ٱللَّحْمَ إِذَا شَوَيْتَهُ حَتَّى يَيْبَسَ، ويُقالُ: كَشَأَ ٱلشِّواءَ إِذا أَكَلَهُ[٨]. أَوْ يَقُولُ: بِوَزْءٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَزَأْتُ ٱللَّحْمَ إِذا شَوَيْتَهُ[٩]. وَلَوْ قَالَ: حُوَّارى بِنَسْءٍ، لَجازَ، وَأَحْسَنُ ما يُتَأَوَّلُ فِيهِ، أَنْ يَكُونَ مِنْ نَسَأَ ٱللَّهُ في أَجَلِهِ؛ أَيْ لَهَا خبزٌ مَعَ طولِ حياةٍ، وهٰذَا أحسنُ

(١) هو: النمر بن تولب بن زهير بن أُقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلًا في الجاهلية، ومثل بين يدي النبي ﷺ فأسلم. مات نحو سنة ١٤هـ = نحو سنة ٦٣٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٨٨٠٤، خزانة الأدب للبغدادي: ١٥٤.
(٢) يشاكه: يشاكله.
(٣) الشري من الخيل: المختار المميّز.
(٤) الحواري: القمح الأبيض.
(٥) المسرّد: المتابع السياق.
(٦) هو: خلف بن حيّان، أبو محرز؛ راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. له ديوان شعر، وكتاب «جبال العرب» مات نحو سنة ١٨٠هـ = نحو سنة ٧٩٦م. انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ٤/ ١٧٩، بغية الوعاة: ٢٤٢.
(٧) الفالوذ: نوع من الحلوى يصنع من العسل والدقيق الممزوجين بالماء.
(٨) انظر: لسان العرب ١/ ١٣٨ مادة «كشأ».
(٩) انظر: لسان العرب ١/ ١٩٤ مادة «وزأ».

مِنْ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّ ٱلنَّسْءَ ٱللَّبَنُ ٱلكَثِيرُ ٱلمَاءِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ٱلنَّسْءَ ٱلخَمْرُ، وَفَسَّرُوا بَيْتَ عُرْوَةَ بْنِ ٱلوَرْدِ[١] على ٱلوَجْهَينِ:

[الوافر]

سَقَوْنِي ٱلنَّسْءَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي، عُداةُ ٱللهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ[٢]

وَلَوْ حُمِلَ حُوّارى بِنَسْءٍ، عَلَى ٱللَّبَنِ أَوِ ٱلخَمْرِ، لَجازَ، لِأَنَّهَا تَأْكُلُ ٱلحُوارَى بذٰلِكَ، أَيْ لَهَا ٱلحُوَارى مَعَ ٱلخَمْر، وَقَدْ حَدَّثَ مُحَدِّثٌ أَنَّهُ رَأَى بسيل[٣] ملكَ ٱلرُّومِ، وهو يَغْمِسُ خُبْزاً في خَمْرٍ وَيُصِيبُ مِنْهُ.

وَلَوْ قِيلَ: حُوّارى بِلَزْءٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: لَزَأَ إِذَا أَكَلَ، لِمَا بَعُدَ، وَتَكُونُ ٱلبَاءُ في «بِلَزْءٍ» بمعنى في.

ولا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رَوِيُّ هٰذا ٱلبيتِ أَلِفاً، لِأَنَّها لَا تَكُونُ إِلَّا سَاكِنَةً، ومَا قَبْلَ ٱلرَّوِيِّ هٰهُنَا ساكِنٌ، فَلَا يجوزُ ذٰلِكَ.

فَإِنْ خَرَجَ إِلَى ٱلباءِ، فَقَالَ: مِنْ أُمِّ حَرْبٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: وحُوّارى بِصَرْبٍ، وهو ٱللَّبَنُ ٱلحامِضُ؛ ويَجُوزُ بإِرْبٍ، أَيْ بِعُضْوٍ مِنْ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيدٍ؛ وَيَجُوزُ بكَشْبٍ، وهو أَكْلُ ٱلشِّوَاءِ.

فَإِنْ قَالَ: مِنْ أُمِّ صَمْتٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: وحُوّارى بِكُمْتٍ، يَعْنِي جَمْعَ تَمْرَةٍ

---

(١) هو: عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إيّاهم. له ديوان شعر، توفي نحو سنة ٣٠ق.هـ = نحو سنة ٥٩٤م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتاب ٣/ ٧٣، الشعر والشعراء: ٢٦٠.

(٢) ورد البيت في: ديوانه جمع وشرح كرم البستاني: ٣٢.
«يقال لكلّ مسكر نسء. يقول: سقوني نسأ أنساني الحبّ الذي كنت أجده». انظر: ديوانا عروة بن الورد والسموأل: ٣٢.
وورد البيت في: لسان العرب ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠ مادة «نسأ». «ونسأته نَسْأً ونَسَأته له ونسأتُه إياه: خلطته له بماء، واسمه النِسْء: قال عروة بن الوَرْد العبسي:
سَقَوْني ٱلنَسْءَ، ثم تَكَنَّفوني، عُداة اللهِ، مِنْ كَذِبٍ وزورِ
وقيل: النسْء الشراب الذي يزيل العقل، وبه فسّر ابن الأعرابي النسْء ههنا. قال: إنما سَقَوْه الخمر..».
وورد البيت في: الكتاب، لسيبويه ١/ ٢٥٢، مجالس ثعلب: ٤١٧.

(٣) بسيل: أحد قياصرة الروم.

كُمَيْتٍ[١]، وذلك مِنْ صِفَاتِ ٱلتَّمرِ، ويُنْشَدُ لِلأَسْوَدِ بْنِ يَعْفُرٍ[٢]:

[الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا مَا قُرِّبَ ٱلزَّادُ مُولَعاً ... بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَلْدَةٍ لَمْ تُوَسَّفِ[٣]

وَقَالَ الآخَرُ:

[الطويل]

وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَمَا أَكْمَتَّ[٤] مِرْبَدِي[٥] ... مِنَ ٱلتَّمْرِ، أَنْ لَا يُمْطِرَ الأَرْضَ كَوْكَبُ

وَيَجُوزُ وَحُوّارى بِحَمْتٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: تَمْرٌ حَمْتٌ، أَيْ شَدِيدُ ٱلحَلَاوَةِ.

فَإِنْ أَخْرَجَهُ إِلَى ٱلثَّاءِ، فَقَالَ: مِنْ أَمْ شَثٌّ، قَالَ: وحُوّارى بِبَثٍّ، وَٱلْبَثُّ: تَمْرٌ لَمْ يُجِدْ كَنْزُهُ فَهُوَ مُتَفَرِّقٌ.

فَإِنْ أَخرَجَهُ إِلى ٱلجيم، فقَالَ: أَمُ لَجٍّ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: وحُوّارى بِدَجٍّ، وَٱلدَّجُّ: ٱلفروج، جَاءَ بِهِ ٱلعُمَانِيُّ[٦] في رَجَزِهِ.

فَإِنْ خَرَجَ إِلَى ٱلحاءِ، فقالَ: مِنْ أَمْ شُحٍّ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: وحُوّارى بِمُحٍّ، وَبِبُحٍّ، وَبِرَحٍّ، وبِجَحٍّ، وبسَحٍّ. فَٱلمُحُّ: مَحُ ٱلبَيْضَةِ، وَبُح: جَمْع أَبَحّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: كِسْرٌ أَبَحُّ، أَيْ كَثِيرُ ٱلدَّسَمِ، وقال:

[الطويل]

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي، ... وَفِي كَفِّهَا كِسْرٌ أَبَحُّ رَزُومُ[٧]

---

(١) الكميت من كل شيء: هو الذي يتراوح لونه بين السواد والحمرة.

(٢) مرّت ترجمته.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٣٥٦ مادة «وسف».
«والوسف تشقق.. وتوسَّفت التمرة كذلك؛ قال الأسود بن يعفُر:
وكنتُ، إذا ما قُرِّبَ ٱلزَّادُ، مُولَعاً ... بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَلْدَةٍ لم تُوَسَّفِ
كميت: تمرة حمراء إلى السواد. وجَلْدة: صُلبة. لم تُوسَّف: لم تُقشَّر...».
وأورد لسان العرب عجز البيت ٢/ ٨٢ مادة «كمت».
«قال أبو منصور: ويقال تمرة كُمَيْتٌ في لونها، وهي من أصلب التَّمران لِحاءً، وأطيبها مُمْضَغَةً؛ قال الشاعر:
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَلْدَةٍ لم تُوَسَّفِ»

(٤) «وقد كُمِّيَتْ: صُيِّرَتْ بالصَّنْعة كُمَيْتاً..» انظر: لسان العرب ٢/ ٨٢ مادة «كمت».

(٥) «وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف مِرْبداً..» انظر: لسان العرب ٣/ ١٧١ مادة «ربد».

(٦) هو: محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي، أبو العباس: راجز من بني تميم، توفي نحو سنة ٢٢٨هـ = نحو سنة ٨٤٣م. انظر ترجمته في: طبقات ابن المعتز: ١٠٩ ـ ١١٤، المحمدون من الشعراء: ٣٢٢.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٤٠٦ مادة «بحح» ولم يعزه لقائله:

=

وَيَجُوزُ أَنْ يُعنى بِٱلبَحِّ ٱلقِدَاحُ، أَيْ هٰذِهِ ٱلمَرْأَةُ أَهْلُهَا أَيْسَارٌ، كَمَا قَالَ ٱلسُّلَمِيُّ(١):

[الوافر]

قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ رِبْحاً بِبُحٍّ، يَعِيشُ بِفَضْلِهِنَّ ٱلحَيُّ سُمْرِ(٢)

وَرُحٌّ: جَمْعُ أُرَحَّ، وهوَ مِنْ صِفات بَقَرِ ٱلوَحْشِ، أَيْ يُصَادُ لِهٰذِهِ ٱلمَرْأَةِ، وَيُقَالُ لِأَظْلَافِ ٱلبَقَرِ: رُحٌّ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ ٱلأَعْشَى(٣):

[الوافر]

وَرُحٌّ(٤) بِٱلزِّمَاعِ(٥) مُرَدَّفَاتٌ، بِهَا تَنْضُو(٦) ٱلوَغَىٰ وَبِهَا تَرُودُ(٧)

[أنواع الأطعمة عند العرب]

وَٱلسُّحُّ: تَمْرٌ صِغَارٌ يَابِسٌ. وَٱلجُحُّ: صِغَارُ ٱلبِطِّيخِ قَبْلَ أَنْ يَنْضُجَ.

= «وكِسْرٌ أَبَحُّ: كثير المخ؛ قال:

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلُومُني، وفي كَفِّها كِسْرٌ أَبَحُّ رذُومُ

رذوم: يسيل وَدَكُهُ . . .».

(١) مرّت ترجمته.

(٢) ورد البيت مع أبيات أخرى في لسان العرب ٢/ ٤٠٦ مادة «بحح».

«والبُحُّ: جمع أبَحّ. والبُحُّ: القِداح التي يُستقسم بها؛ قال خُفاف بن نُدْبَةَ السلميّ:

إذا ٱلحسناءُ لم تَرْحَضْ يديها، ولم يُقْصَرْ لَهَا بَصَرٌ بِسِتْرِ

قَرَوْا أَضْيافَهُمْ رَبحاً بِبُحٍّ، يعيشُ بفضلِهِنَّ الحَيُّ سُمْرِ

هُمُ ٱلأيسارُ، إن قَحَطَتْ جُمادى بكُلِّ صَبيرِ غاديةٍ وقَطْرِ

قال: والصبير من السحاب الذي يَصير بعضُه فوق بعض دَرَجاً. . أراد بالبُحّ القداحَ التي لا أصوات لها. والرّبح، بفتح الراء: الشحم. وكِسْرٌ أبحُّ بـ «كثير المخّ»».

(٣) هو: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، من شعراء الطبقة الأولى. وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس. أدرك الإسلام ولم يسلم. مولده ووفاته في قرية «منفوحة» باليمامة قرب مدينة الرياض. سنة ٧هـ = سنة ٦٣٩ انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٩/ ١٠٨، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٨٤ ـ ٨٦.

(٤) «الليث: الرَّحَحُ انبساط الحافر وعِرَض القدم وكلّ شيء كذلك، فهو أرحُ، والوَعِل المنبسط الظلف أرحّ . . .» انظر: لسان العرب ٢/ ٤٤٦.

(٥) «الهَنَة الزائدة وراء ظلف الشاة، وهي أيضاً الشعرة المدلّاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب، والجمع زَمَع وزِماع . . .» انظر: لسان العرب ٨/ ١٤٣ مادة «زمع».

(٦) «الجوهري: نضا الفرسُ الخيلَ نُضِيًا سَبَقها وتقدّمها وانسلخ منها وخرج منها. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٣٠ مادة «نضا»».

(٧) وردت المفردة التالية «تذود» بالذال بدلاً من «ترود» بالراء.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ دُخٍّ، قالَ: حُوّارى بِمُخٍّ، ونحوَ ذٰلِكَ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ سَعْدٍ، قالَ: حُوّارى بِثَعَدٍ، وَهُوَ ٱلرُّطَبُ ٱلَّذِي لَانَ كُلُّهُ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ وَقْدٍ، قَال: حُوّارى بِشِقْذٍ، وهِيَ فِراخُ الحَجَلِ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ عَمْرٍو، فَإِنْ أَشْبَهَ مَا يَقُولُ: حُوّارى بِتَمْرٍ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ كُرْزٍ، فَإِنَّ أَشْبَهَ مَا يَقُولُ: وحُوّارى بِأُرْزٍ، وفيهِ لُغَاتٌ سِتٌّ: أَرُزٌّ على وَزْنِ أَشُدٍّ، وأُرُزٌّ عَلَى وَزْنِ صُمُلٍ، وأَرُزٌ على وَزْنِ شَغُلٍ، وأُرْزٌ في وَزْنِ قُفْلٍ، وَرِزٌّ مِثْلُ جِدٍّ، وَرُنْزٌ، بِنُونٍ، وهي رَدِيئَةٌ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ ضُبْسٍ، قَالَ: وحُوّارى بِدِبْسٍ، وَٱلعَرَبُ تُسَمِّي ٱلعَسَلَ دِبْساً. وكذٰلِك فَسَّروا قولَ أَبِي زُبَيْدٍ[1]:

فَنُهْزَةٌ[2] مَنْ لَقَوْا حَسِبْتُهُمْ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ بَارِدِ ٱلدِّبْسِ[3]

حُرِّكَ لِلضَّرُورَةِ.

فَإِنْ قَالَ: مِنْ أُمِّ قَرْشٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِوَرْشٍ، وَٱلوَرْشُ: ضَرْبٌ مِنَ ٱلجِبْنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُوَلَّداً، وبِهِ سُمِّيَ وَرْشٌ ٱلَّذي يَرْوِي عَنْ نَافِعٍ[4] وَٱسْمُهُ عُثْمانُ بْنُ سَعِيْدٍ[5].

وَٱلصَّادُ قَدْ مَضَتْ.

---

(١) هو: المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، شاعر نديم معمَّر، من نصارى طيء. عاش زمناً في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. ومات في الكوفة نحو سنة ٦٢هـ = نحو سنة ٦٨٢م. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ١٥٥ الشعر والشعراء: ١٠١.

(٢) «والنُّهْزَة: الفرصة تجدها من صاحبك». انظر: لسان العرب ٥/ ٤٢١ مادة «نهز».

(٣) «والدِّبْس والدِّبِس: عسل التمر وعُصارته، وقال أبو حنيفة: هو عُصارة الرُّطَب من غير طبخ. وقيل: هو ما يسيل من الرطب». انظر: لسان العرب ٦/ ٧٥ مادة «دبس».

(٤) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القرّاء السبعة المشهورين. كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق اشتهر في المدينة. توفي سنة ١٦٩هـ = سنة ٧٨٥م. انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٣٣٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١.

(٥) هو: عثمان بن سعيد بن عديّ المصري: من كبار القرّاء، غلب عليه لقب ورش، لشدّة بياضه. أصله من القيروان ولد في مصر ١١٠هـ = ٧٢٨م وفيها كانت وفاته سنة ١٩٧هـ = سنة ٨١٢م. انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٥٠٢، إرشاد الأريب ٥/ ٣٣.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ غَرْضٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِفَرْضٍ، وَٱلْفَرْضُ: ضَرْبٌ مِنَ ٱلتَّمْرِ، قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

إِذَا أَكَلْتُ لَبَناً وَفَرْضَا ذَهَبْتُ طُولاً وَذَهَبْتُ عَرْضَا[1]

وَفِي نَصْبِ (طُولٍ وَعَرْضٍ) ٱخْتِلَافٌ بينَ ٱلْمُبَرِّدِ[2] وسِيبَوَيْهِ.

فَإِنْ قَالَ: مِنْ أُمِّ لَقْطٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِأَقْطٍ[3] يُرِيدُ أَقْطَ عَلَى ٱللُّغَةِ ٱلرَّبْعِيَّةِ.

فَإِنْ قَالَ: مِنْ أُمِّ حَظٍّ، فَإِنَّ الأَطْعِمَةَ تَقِلُّ فِيهَا ٱلظَّاءُ، كَقِلَّتِهَا في غَيْرِها، لِأَنَّ ٱلظَّاءَ قليلةٌ جداً، ويَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِكَظٍّ، أَيْ يَكُظُّهَا ٱلشِّبْعُ، أو نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأَشْياءِ ٱلَّتِي تَدْخُلُ عَلَى مَعْنَى الاحْتِيالِ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ طَلْعٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِخَلْعٍ، وَٱلخَلْعُ: هُوَ ٱللَّحْمُ ٱلَّذِي كَانَ يُطْبَخُ وَيَحْمِلُونَهُ في ٱلقُرُوفِ وهي أَوْعِيَةٌ مِنْ أَدَمٍ، وَيُنْشَدُ:

[الوافر]

كُلِي ٱللَّحْمَ ٱلغَرِيضَ[4]، فَإِنَّ زَادِي لَمِنْ خَلْعٍ تَضَمَّنُهُ ٱلقُرُوفُ

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ فَرْعٍ، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بضَرْعٍ، لِأَنَّ ٱلضُّرُوعَ تُطْبَخُ، وَرُبَّما تُطْرَبُ إِلَى أَكْلِهَا ٱلْمُلُوكُ.

---

(١) ورد الرجز في لسان العرب ٧/ ٢٠٦ مادة «فرض».
«والفَرْض: ضرب من التمر، وقيل: ضرب من التمر صغار لأهل غسان؛ قال شاعرهم:
إذا أكلتُ سَمَكاً وفَرْضَا ذَهَبْتُ طُولاً وذَهَبْتُ عَرْضَا
قال أبو حنيفة: وهو من أجود تمر عُمان هو البَلْعق».
ورد البيت في: الكتاب، لسيبويه وشرح شواهده للأعلم ١/ ٨٢، مجالس ثعلب: ٢١٧، المخصص، لابن سيده ١١/ ١٣٤، المقاييس، لابن فارس مادة «فرض».

(٢) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد في البصرة سنة ٢١٠هـ = ٨٢٦م. وتوفي في بغداد سنة ٢٨٦هـ = سنة ٨٩٩م. من كتبه: «المقتضب»، «الكامل». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠، بغية الوعاة ١١٦.

(٣) «الأَقِط والإِقْط والأُقْط: شيء يُتَّخذُ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يَمْصُل، والقطعة منه أقطة؛ قال ابن الأعرابي: هو من ألبان الإبل خاصّة». انظر: لسان العرب ٧/ ٢٥٧ مادة «أقط».

(٤) «والغريض: الطريُّ من اللحم والماء واللبن والتمر..» انظر: لسان العرب ٧/ ١٩٥ مادة «غرض».

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ مَنْغٍ، قَالَ: حُوّارى بِصَنْغٍ، وَٱلصَّنْغُ ما تُغْمَسُ فِيهِ ٱللُّقْمَةُ مِنْ مَرَقٍ أَوْ زَيْتٍ أَوْ خَلٍّ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ نَخْفٍ، قَالَ: حُوّارى بِرَخْفٍ، وَٱلرَّخْفُ زَبَدٌ رَقِيقٌ، وَٱلْوَاحِدَةُ رَخْفَةٌ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الطويل]

لَنَا غَنَمٌ يُرْضِي ٱلنَّزِيلَ حَلِيبُهَا، وَرَخْفٌ يُغَادِيهِ لَهَا وَذَبِيحُ

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ فَرْقٍ، قَالَ: حُوّارى بعَرَق، والعَرَق[1]: عَظْمٌ عَلَيْهِ لَحْمٌ مِنْ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيدٍ[2].

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ سَبْك، جَازَ أَنْ يَقُولَ: حُوّارى بِرَبْكٍ، أَوْ بِلَبْك، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَبَكْتُ ٱلطَّعَامَ أَوْ لَبَكْتُهُ، إِذَا خَلَطْتُهُ، وَكَانَ ذٰلِكَ مِمَّا فِيهِ رُطُوبَةٌ، مِثْلَ أَنْ يُخَالِطَهُ لَبَنٌ أَوْ سَمْنٌ، أَوْ نَحْوُ ذٰلِكَ، وَلَا يُقَالُ: رَبَكْتُ ٱلشَّعِيرَ بِٱلحِنْطَةِ، إِلَّا أَنْ يُسْتَعَارَ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ نَخْلٍ، قَالَ: حُوّارى بِرَخْلٍ، يُرِيدُ ٱلأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ ٱلضَّأْنِ، وفِيهِ أربعُ لُغَاتٍ: رَخِلٌ ورَخْلٌ ورِخْلٌ ورِخِلٌ.

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ صِرْمٍ، قَالَ: حُوّارى بِطِرْمٍ، وَٱلطِّرْمُ: ٱلعَسَلُ، وَقَدْ يُسَمَّى ٱلسَّمْنُ طِرْماً.

وَقَدْ مَضَتِ ٱلنُّونُ في أُمِّ حِضْنٍ:

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ دَوٍّ، قَالَ: حُوّارى بِحَوٍّ، والحوّ: الجَدْي، فِيما حَكَى بَعْضُ أَهْلِ ٱللُّغَةِ في قَوْلِهِمْ: ما يَعْرِفُ حَوًّا مِنْ لَوٍّ، أَيْ جَدْياً مِنْ عَنَاقٍ[3].

فَإِنْ قَالَ: أُمُّ كره، قال: حُوّارى بوره، يُرِيدُ جَمْعَ أَوْرَه، مِنْ قَوْلِهِمْ: كَبْشٌ أَوْرَه، أَيْ سَمِينٌ.

فَإِنْ قَال: أُمُّ شَرْيٍ، قَالَ: حُوّارى بِأَرْيٍ. أَيْ عَسَل.

وهٰذا فَصْلٌ يَتَّسِعُ، وإِنَّما عُرِضَ فِي قَوْلٍ تامٍّ، كَخَيَالٍ طَرَقَ في ٱلمَنَامِ.

وَلَوِ خَالَطَ مَنًّا[4] مِنْ عَسَلِ ٱلجِنَانِ، ما خَلَقَهُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ، في هٰذِهِ ٱلدَّار

---

(١) «العَرَق: الزبيب». انظر: لسان العرب ١٠/٢٤٨ مادة «عرق».

(٢) القديد: المشوي بالنار.

(٣) العناق: الشاة التي لم تبلغ السنة من عمرها.

(٤) المن: من الموازين عند العرب مقدار رطلين.

ٱلْخادِعَةِ، كالصَّابِ[١]، وَٱلْمَقِرِ[٢]، وَٱلسِّلع[٣]، والجَعْدة[٤]، والشيح، والهبيد[٥]، لَعَادَ ذٰلِكَ كُلُّهُ، وغيرُهُ مِنَ ٱلْمُعقياتِ، يُعَدُّ مِنَ ٱللذائِذِ ٱلْمُرْتَقِياتِ، فَآضَ[٦] ما كُرِهَ مِنَ ٱلصَّابِ، كَأَنَّهُ ٱلْمُعْتَصَرُ مِنَ ٱلْمُصابِ، وَٱلْمُصَابُ: قَصَبُ ٱلسُّكَّرِ، وأَمْسَى ٱلْحَدَجُ وَكَأَنَّهُ ٱلْمُتَّخَذُ بِٱلأَهْوَازِ، إِلَّا يَكُنِ ٱلسُّكَّرُ، فَإِنَّهُ مُوَازٍ، وَلَصَارَتِ ٱلرَّاعِيَةُ في ٱلإِبِلِ، إِذَا وَجَدَتِ ٱلْحَنْظَلَةَ أَتْحَفَتْ بِهَا ٱلسَّيِّدَةَ ٱلْمُحَظَّلَةَ[٧]، وهِيَ ٱلَّتِي تَعْظُمُ عَلَيْهَا الغِيرَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَظَلَ نِسَاءَهُ، إِذَا أَفْرَطَ فِي ٱلْغَيرَةِ عَلَيْهِنَّ، قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

وَلَا تَـــرَى بَـــعْـــلًا وَلَا حَـــائِلًا، كَـــهُ، وَلَا كَـــهُـــنَّ إِلَّا حَـــاظِـــلَا[٨]

وَٱنْقَطَعَتْ مَعَايِشُ أَرْبَابِ ٱلْقَصَبِ في ساحِلِ ٱلْبَحْرِ، وَصَنَعَ مِنَ ٱلْمُرِّ ٱلفالُوذَ ٱلْمُحْكَمَ بِلَا سِحْرٍ، أَيْ بِلَا خَدْعٍ.

وَلَوْ أَنَّ ٱلحارِثَ بْنَ كَلَدَةَ[٩] طَعِمَ مِنْ ذٰلِكَ الطَّرِيمِ[١٠] لَعَلِمَ أَنَّ ٱلَّذِي وَصَفَهُ يَجْرِي مِنْ هٰذَا ٱلْمَنْعُوتِ مَجْرَى ٱلدِّفْلَى ٱلشَّاقَّةِ مِنَ ٱلرَّغِيدِ،

---

(١) «والصَّابُ عُصَارة شجر مرّ؛ وقيل: هو شجر إذا اعتُصِر خرج منه كهيئة اللبن . . .» انظر: لسان العرب ١/ ٥٣٧ مادة «صوب».

(٢) «والمَقِر: شبيه بالصَّبِر وليس به، وقيل: هو الصَّبِر نفسه. . . وقيل: المَقِرُ: السُّمُ، وقال أبو عمرو: المَقِر شجر مُرّ . .». انظر: لسان العرب ٥/ ١٨٣ مادة «مقر».

(٣) «والسلع: نبات، وقيل: شجر مُرّ». انظر: لسان العرب ٨/ ١٦١ مادة «سلع».

(٤) «والجعدة: حشيشة تنبت على شاطئ الأنهار وتجعَّد. وقيل: هي شجرة خضراء تنبت في شعاب الجبال بنجد. وقيل: في القيعان، قال أبو حنيفة: الجعدة خضراء وغبراء تنبت في الجبال، لها رعثة مثل رعثة الديك طيبة الريح تنبت في الربيع وتيبس في الشتاء، وهي من البقول يحشى بها المرافق». انظر: لسان العرب ٣/ ١٢٣ مادة «جعد».

(٥) «الهَبْد والهَبيد: الحنظل، وقيل: حبه، واحدته هَبيدة . .» انظر: لسان العرب ٣/ ٤٣١ مادة «هبد».

(٦) «آضَ يئيض أيضاً: سارَ وعادَ. وآض إلى أهله رجع إليهم». ٧/ ١١٦ مادة «أيض».

(٧) «الحَظْل: المنع من التصرّف والحركة. . . والحَظْل: غيرة الرجل على المرأة ومنعه إيّاها من التصرّف . .» انظر: لسان العرب ١١/ ١٥٥ مادة «حظل».

(٨) ورد الرجز في: الكتاب، لسيبويه ١/ ٣٩٢، المقرّب، لابن عصفور: ٤١، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/ ٢٥٦، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٣٠، الدرر اللوامع ٢/ ٢٧، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٠٩، ديوان رؤبة: ١٢٨.

(٩) هو: الحارث بن كلدة الثقفي: طبيب العرب في عصره، وأحد الحكماء المشهورين. من أهل الطائف. رحل إلى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها. اختلفوا في إسلامه. مات نحو سنة ٥٠هـ = نحو سنة ٦٧٠م. له كتاب «محاورة في الطب». انظر ترجمته في: طبقات الأطباء ١/ ١٠٩، المؤتلف والمختلف ١٧٢.

(١٠) الطريم: العسل.

وَمَدُوفٌ[١] ما يَكْرَهُ مِنَ ٱلقِنْدِيد[٢]؛ وَذَكَرْتُ ٱلحارِثَ بِقَوْلِهِ:

[الوافر]

فَـمَـا عَـسَـلٌ بِـبَـارِدِ مَـاءِ مُـزْنٍ عَـلَـى ظَـمَـإٍ، لِشَـارِبِـهِ يُـشَـابُ
بِـأَشْـهَـى مِـنْ لُقِـيِّـكُـمْ إِلَيْـنَـا، فَـكَـيْـفَ لَنَـا بِـهِ، وَمَـتَـى ٱلإِيَـابُ؟

وكذٰلِكَ ٱلسَّلوى ٱلَّتِي ذَكَرَهَا ٱلهُذَلِيُّ هِي عِنْدَ عَسَلِ ٱلجَنَّةِ كَأَنَّهَا قَارٌ رَمْلِيٌّ؛ وَٱلقارُ: شَجَرٌ مُرٌّ يَنْبُتُ بِٱلرَّمْلِ، قَالَ بِشْرٌ[٣]:

[الوافر]

يُـرَجُّـونَ ٱلـصَّـلَاحَ بِـذَاتِ كَـهْـفٍ، وَمَـا فِـيْـهَـا لَهُـمْ سَـلَعٌ وقَـارُ[٤]

وَعَنَيْتُ قَوْلَ ٱلقائِلِ:

[الطويل]

فَـقَـاسَـمَـهَـا بِـٱللّٰهِ جَـهْـداً لأَنْـتُـمُ أَلَذُّ مِـنَ ٱلـسَّـلْوَى إذا مَـا نَـشُـورُهَـا[٥]

وَإِذَا مَنَّ ٱللّٰهُ تَبَارَكَ ٱسْمُهُ بِوُرُودِ تِلْكَ ٱلأَنْهَارِ، صَادَ فِيهَا ٱلوَارِدُ سَمَكَ حَلَاوَةٍ، لَمْ يَرَ مَثَلَهُ فِي مَلَاوة[٦]؛ لو بَصُرَ بِهِ أَحمدُ بْنُ ٱلحُسينِ[٧] لَاحْتَقَرَ ٱلهدِيَّةَ ٱلَّتِي أُهْدِيَتْ إِليهِ فَقَالَ فِيهَا:

[المنسرح]

أَقَـلُّ مَـا فِـي أَقَـلِّهـا سَـمَـكٌ، يَـلْعَـبُ فـي بِـرْكَـةٍ مِـنَ ٱلـعَـسَـلِ

---

(١) مدوف: ممزوج.
(٢) القنديد: العسل، الخمر المطيّب.
(٣) هو: بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة. توفي قتيلًا في غزوة أغار بها بني صعصعة بن معاوية نحو سنة ٢٢ق.هـ = نحو سنة ٥٩٨م. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٢٦٢، الشعر والشعراء: ٨٦.
(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ١٢٥ مادة «قير».
«والقار: شجر مُرٌّ: قال بشر بن أبي خازم:
يَـسُـومـون الـصـلاحَ بـذاتِ كَـهْـفٍ، ومـا فـيـهـا لـهـم سَـلَعٌ وقـارُ»
وأورد لسان العرب ٨/ ١٦١ مادة «سلع» البيت أيضاً.
«والسَّلَع: نبات، وقيل: شجر مُرٌّ؛ قال بشر:
يَـسُـومـون ٱلـعِـلاجَ بـذاتِ كـهْـفٍ، ومـا فـيـهـا لَهُـمْ سَـلَعٌ وَقـارُ»
(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١٤/ ٣٩٦ مادة «سلا».
«والسَّلْوى العَسل؛ قال خالد بن زهير:
وَقَـاسَـمَـهـا بِـٱللّٰهِ جَـهْـداً لأَنْـتُـمُ أَلَذُّ مِـنَ ٱلـسَّـلْوى، إذا مـا نَـشُـورُها
أي نأخذها من خَلِيَّتها، يعني العسل..».
(٦) الملاوة: فترة عيش الإنسان.
(٧) هو المتنبيّ.

فَأَمَّا ٱلأَنْهَارُ ٱلخَمْرِيَّةُ، فتلعَبُ فِيهَا أَسماكٌ هِيَ عَلَى صُوَرِ ٱلسَّمَكِ بحريةٌ ونهريةٌ، وما يسكُنُ منه في ٱلعيونِ ٱلنبعيَّةِ، ويظفرُ بِضُروبِ ٱلنَّبْتِ ٱلمَرْعِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلفِضَّةِ وَصُنُوفِ ٱلجَوَاهِرِ، ٱلمُقابلَة بِٱلنُّورِ ٱلباهِرِ. فَإِذَا مَدَّ ٱلمُؤْمِنُ يَدَهُ إِلى واحِدَةٍ مِنْ ذٰلِكَ ٱلسَّمَكِ، شَرِبَ من فيها عَذْباً لَوْ وَقَعَتِ ٱلجُرْعَةُ مِنْهُ فِي ٱلبَحْرِ ٱلَّذِي لا يستطِيعُ ماءَهُ ٱلشَّارِبُ لَحلَتْ مِنْهُ أَسَافِلُ وَغَوَارِبُ[1]؛ وَلَصَارَ ٱلصَّمْرُ[2] كَأَنَّهُ رَائِحَةُ خُزَامَى سَهْلٍ، طَلَّتْهُ ٱلدَّاجِنَةُ بدَهْلٍ، وَٱلدَّهْلُ: ٱلطَّائِفَةُ مِنَ ٱللَّيلِ، أَوْ نَشْرُ مُدامٍ خَوَّارةٍ[3] سَيَّارَةٍ في ٱلقُلَلِ[4] سَوَّارةٍ[5].

اللُّغويون في الجنة

وَكَأَنِّي بِهِ، أَدَامَ ٱللَّهُ ٱلجمالَ ببقائِهِ، إِذَا ٱسْتَحَقَّ تِلْكَ ٱلرُّتبةَ، بيَقِينِ ٱلتَّوبَةِ، وقدِ ٱصْطَفَى لَهُ نَدَامى مِنْ أُدَبَاءِ ٱلفِرْدَوْسِ: كأَخِي ثُمَالَةَ[6]، وأَخِي دَوْسٍ[7]، ويونسَ بْنِ حبيبٍ ٱلضَّبِّيِّ[8]، وَٱبنِ مَسْعَدَةَ ٱلمُجَاشِعِيِّ[9]، فَهُمْ كَمَا جَاءَ في ٱلكِتَابِ ٱلعزيزِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٧، ٤٨]. فَصَدْرُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى[10] هنالِكَ قَدْ غُسِلَ مِنَ ٱلحِقْدِ عَلَى مُحَمدِ بْنِ يَزِيدَ، فَصَارَا يَتَصَافيانِ وَيَتَوَافَيانِ، كَأَنَّهُمَا نَدِيما جَذِيمةَ[11]، مالِكٌ وعَقِيلٌ[12] جَمَعَهُمَا مَبِيتٌ ومَقِيلٌ. وَأَبُو بِشْرٍ، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ سِيبَوَيْهِ قَدْ رُحِضَتْ[13] سُوَيْدَاءُ قَلْبِهِ مِنَ ٱلضِّغْنِ على عليِّ بْنِ حَمْزَةَ ٱلكِسَائِيِّ وَأَصْحَابِهِ، لمَا فَعَلُوا بِهِ في مَجْلِسِ ٱلبَرَامِكَةِ. وَأَبُو عُبَيدَةَ صَافِي ٱلطَّوِيَّةِ لِعبدِ ٱلمَلكِ بْنِ قُرَيبٍ[14]، قدِ ٱرْتَفَعَتْ خَلَّتُهُما عنِ ٱلرِّيَبِ؛ فهُمَا كَأَرْبَدَ[15] وَلبيدٍ[16] أَخوانِ، أَوِ ٱبْنَي نُوَيْرَةَ[17] فِيمَا سَبَقَ مِنَ

---

(١) «وغوارب الماء: أعاليه؛ وقيل: أعالي مَوْجه.. وقيل: غاربُ كلّ شيء أعلاه..» انظر: لسان العرب ١/ ٦٤٤ مادة «غرب».

(٢) الصمر: النتن.

(٣) الخوارة: الصيَّاحة.

(٤) القلل: الجرار العظيمة.

(٥) السوَّارة: الحادّة.

(٦) هو: المبرّد. مرَّت ترجمته.

(٧) هو: أخي دوس.

(٨) هو: يونس بن حبيب.

(٩) هو: الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ـ مرَّت ترجمته.

(١٠) هو: أحمد بن يحيى، ثعلب، مرَّت ترجمته.

(١١) هو: جذيمة.

(١٢) هما: مالك وعقيل.

(١٣) رحضت: غسلت.

(١٤) هو: عبد الملك، قريب.

(١٥) هو: أربد.

(١٦) هو: لبيد بن ربيعة.

(١٧) هما: مالك ومُتمم.

ٱلأوانِ، أَوْ صَخْرٍ ومُعاويةَ[١] ولَدَيْ عَمْرٍو، وَقَدْ أَخْمَدُوا مِنَ الإِحَنِ كُلَّ جَمْرٍ. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وهو، أَيَّدَ ٱللَّهُ ٱلعِلْمَ بِحَيَاتِهِ، مَعَهُمْ، كَمَا قَالَ ٱلبَكْرِيُّ[٢]:

[البسيط]

نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ ٱلرَّيْحَانِ مُرْتَفِقاً، وَقَهْوَةً مَزَّةً، رَاوُوقُهَا خَضِلُ[٣]
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهْيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ، وَإِنْ عَلُّوا[٤] وإِنْ نَهِلُوا[٥]
يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطَفٌ مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ ٱلسِّرْبَالِ[٦]، مُعْتَمِلُ
وَمُسْتَجِيبٌ لِصَوْتِ ٱلصَّنْجِ يَسْمَعُهُ إِذَا تُرَجِّعُ فِيهِ ٱلقَيْنَةُ ٱلفُضُلُ[٧]

وأبو عُبيدَة يُذاكِرُهُمْ بِوَقَائِعِ ٱلعَرَبِ وَمقاتِلِ ٱلفُرْسانِ، وَٱلأَصْمَعِيُّ يُنْشِدُهُمْ مِنَ ٱلشِّعْرِ ما أَحْسَنَ قَائِلُهُ كُلَّ ٱلإِحْسَانِ.

---

(١) هما: صخر ومعاوية.
(٢) هو: الأعشى.
(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٤١٠ مادة «مزز».
«وقال أبو سعيد: المزّة، بفتح الميم، الخمر؛ وأنشد للأعشى:
نازَعْتهم قُضُبَ ٱلرَّيحان مُتَّكِئاً، وقَهْوَةً مُزَّةً، راوُوقُها خَضِلُ
.. الجوهري، المُزَّة الخَمر التي فيها طعم حموضة ولا خير فيها..» والرَّاووق: الدّن. والخضل: الندي.
(٤) «العلّ والعَلَل: الشَّربة الثانية، وقيل: الشُّرب بعد الشرب تباعاً، يقال: عَلَلٌ بعد نَهَل». انظر: لسان العرب ١١/ ٤٦٧ مادة «علل».
(٥) «النهَل: أول الشُّرب..» انظر: لسان العرب ١١/ ٦٨٠ مادة «نهل».
(٦) «السِّربال: القميص والدِّرع، وقيل: كلّ ما لبس فهو سِرْبال..» انظر: لسان العرب ١١/ ٣٣٥ مادة «سربل».
(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٣١١ مادة «صنج».
«الصَّنج العربي: هو الذي يكون من الدّفوف ونحوه، عربي. فأما الصنج ذو الأوتار فدخيل معرّب، تختص به العجم وقد تكلمت به العرب؛ قال الأعشى:
ومُسْتجيباً تخالُ ٱلصَّنْجَ يَسْمَعُهُ، إذا تُرَجِّعُ فيه ٱلقَيْنَةُ ٱلفُضُلُ»
وأورد لسان العرب ١١/ ٥٢٦ مادة «فضل» البيت أيضاً.
«وكذلك الأنثى فُضُل؛ قال الأعشى:
وَمُسْتَجيبٍ تَخالُ ٱلصَّنْجَ يَسْمَعُهُ، إذا تُرَدِّدُ فيه ٱلقينةُ ٱلفُضُلُ
وإنها لحسنة الفِضْلَة من التفضّل في الثوب الواحد... وهو أن تخالف بين طرفَيه على عاتقها وتتوشّح به...».

وَتَهَشُّ نُفُوسُهُمْ لِلّعبِ فيَقْذِفُونَ تِلْكَ ٱلآنِيَةَ في أَنْهارِ ٱلرَّحِيْقِ، وَيُصَفِّقُهَا ٱلمَاذِيُّ[(١)] ٱلمُعْتَرِضُ أَيَّ تَصْفِيْقٍ؛ وَتَقْتَرِعُ تِلْكَ الآنِيَةُ، فيُسْمَعُ لَهَا أَصْواتٌ، تُبْعَثُ بِمِثْلِهَا الأَمواتُ. فيقولُ ٱلشَّيْخُ، حَسَّنَ ٱللَّهُ الأَيامَ بِطُولِ عُمرِهِ: آهِ لِمَصْرَعِ ٱلأَعْشَى ميمونٍ، وَكَمْ أَعْمَلَ مِنْ مَطيَّةٍ أَمُونٍ[(٢)]!! وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنَّهُ ما صَدَّتْهُ قُرَيشٌ لَمَّا تَوجَّهَ إلى ٱلنَّبِيِّ، ﷺ. وَإِنَّمَا ذكرْتُهُ ٱلسَّاعَةَ لِمَا تَقَارَعَتْ هٰذِهِ الآنِيَةُ بِقَوْلِهِ في ٱلحائيةِ:

[الرمل]

وَشَمُولٍ[(٣)] تَحْسَبُ ٱلعَيْنُ، إِذَا ... صُفِّقَتْ، جُنْدُعَها[(٤)] نورَ ٱلذُّبَحْ

مِثْلُ رِيحِ ٱلمِسْكِ ذَاكٍ رِيْحُها، ... صَبَّها ٱلسَّاقِي إِذا قِيلَ: تَوَحْ[(٥)]

مِنْ رِفَاقِ ٱلتَّجْرِ[(٦)] فِي بَاطِيَةٍ[(٧)] ... جَوْنَةٍ، حَارِيَةٍ، ذَاتِ رَوَحْ[(٨)]

ذَاتِ غَوْرٍ، ما تُبَالِي يَوْمَها، ... غَرَفَ الإِبْرِيقُ مِنْهَا وَٱلقَدَحْ

وَإِذَا مَا ٱلرَّاحُ فِيهَا أَزْبَدَتْ ... أَفَلَ ٱلإِزْبَادُ عَنْهَا، فَمَصَحْ[(٩)]

وَإِذَا مَكُّوكُهَا[(١٠)] صَادَمَهُ ... جَانِبَاهَا، كَرَّ فِيهَا فَسَبَحْ

فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَلٍ، ... يُخْلِفُ ٱلنَّازِحُ مِنْهَا مَا نَزَحْ

وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَا ... طُلُقَ ٱلأَوْدَاجِ فِيهَا فَٱنْسَفَحْ

وَلَوْ أَنَّهُ أَسْلَمَ، لَجازَ أَنْ يكونَ بيْنَنا في هٰذا ٱلمجلسِ، فَيُنْشِدَنا غريبَ ٱلأَوزانِ، مِمَّا نَظَمَ في دارِ ٱلأَحزانِ؛ وَيُحدِّثَنَا حَدِيْثَهُ مَعَ هَوْذَةَ بْنِ عَليٍّ[(١١)]، وعامِرِ بْنِ ٱلطُّفيلِ[(١٢)]

---

(١) الماذي: العسل.

(٢) الأمون: المأمونة العِثار.

(٣) الشمول: الخمر.

(٤) «قال أبو حنيفة: الجُندب الصغير يقال له جُندع، وجمعه جَنادِعُ». انظر: لسان العرب ٨/ ٤٣ مادة «جدع».

(٥) «تاح في مِشْيته إذا تمايل». انظر: لسان العرب ٢/ ٤١٨ مادة «تيح».

(٦) «الجوهري: والعرب تسمّي بائع الخمر تاجراً...» انظر: لسان العرب ٤/ ٨٩ مادة «تجر».

(٧) الباطية: القنينة، قارورة الخمر.

(٨) ذات روح: واسعة.

(٩) مصح: ولّى.

(١٠) «المكّوك: طاسٌ يشرب به، وفي المحكم: طاس يشرب فيه أعلاه ضيّق وسطه واسع.. والجمع مَكاكيك..» انظر: لسان العرب ١٠/ ٤٩١ مادة «مكك».

(١١) هو: هوذة بن علي.

(١٢) هو: عامر بن الطفيل.

وَيَزيدَ بْنِ مُسْهِرٍ[١]، وعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاثَةَ[٢]، وسَلامَةَ بْنِ ذي فائِشٍ[٣]، وغيرِهِمْ مِمَّنْ مَدَحَهُ أو هَجَاهُ، وخافَهُ فِي ٱلزَّمنِ أَوْ رَجاهُ.

في ٱلجَنَّة

ثُمَّ إِنَّهُ، أَدَامَ ٱللَّهُ تمكِينَهُ، يخطُرُ لَهُ حديثُ شيءٍ كَانَ يُسمَّى ٱلنُّزْهَةَ في ٱلدَّارِ ٱلفانيةِ، فيركَبُ نجيباً[٤] من نُجُبِ ٱلجَنَّةِ خُلِقَ مِنْ ياقوتٍ وَدُرٍّ، في سَجْسَجٍ[٥] بَعُدَ عَنِ ٱلحرِّ وَٱلقُرِّ، ومعَهُ إناءُ فَيْهَجٍ[٦]، فيسيرُ في ٱلجنَّةِ على غير مَنْهَجٍ، ومعَهُ شيءٌ من طَعامِ ٱلخُلودِ، ذُخِرَ لوالدِ سعدٍ أو مولودٍ، فإذَا رأى نجيبَهُ يُمْلِعُ[٧] بينَ كُثْبانِ العَنْبرِ، وضَيْمُران[٨] وُصِلَ بِصَعْبرٍ[٩]، رفعَ صوتَهُ مُتَمَثِّلاً بقولِ ٱلبَكْرِي[١٠]:

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخِبُّ بِنَا ٱلنا … قَةُ نَحْوَ ٱلعُذَيْبِ[١١] فَٱلصَّيْبونِ[١٢]
مُحْقِباً زُكْرَةً[١٣]، وَخُبْزَ رُقاقٍ، … وَحِباقاً، وَقِطْعَةً مِنْ نُونِ[١٤]

---

(١) هو: يزيد بن مسهر.
(٢) هو: علقمة بن علاثة.
(٣) هو: سلامة بن ذي فائش.
(٤) الجمل النجيب: السريع القوي.
(٥) السجسَج: الهواء المعتدل اللطيف.
(٦) الفيهج: من أسماء الخمر.
(٧) يملع: يغور في الأرض.
(٨) «الضَّيْمران والضَّوْمران: ضرب من الشجر؛ قال أبو حنيفة: الضوْمَر والضَّوْمَرانُ والضَّيْمران من ريحان البرّ...» انظر: لسان العرب ٤/ ٤٩٣ مادة «ضمر».
(٩) «الصَّعْبَر والصَّنَعْبر: شجر كالسّدر..» انظر: لسان العرب ٤/ ٤٥٧ مادة «صعبر».
(١٠) هو: الأعشى. وذكر لسان العرب أن البيتين لبعض البغداديين.
(١١) «العُذَيب: ماء لبني تميم.. قال الأزهري: العُذَيب ماء معروف بين القادسية ومغيثة. وفي الحديث: ذكر العُذَيب، وهي ماء لبني تميم على مَرْحلة من الكوفة، مَسمّى بتصغير العَذْب...» انظر: لسان العرب ١/ ٥٨٥هـ مادة «عذب». وانظر: معجم البلدان ٤/ ٩٢.
(١٢) الصيبون: موضع بعينه. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٣٧.
(١٣) الزُّكْرة: وعاء من أدَم، وفي المحكم: زِقٌ يجعل فيه شراب أو خل. وقال أبو حنيفة: الزُّكْرَة: الزِّق الصغير. انظر: لسان العرب ٤/ ٣٢٦ مادة «زكر».
(١٤) ورد البيتان في لسان العرب ١٠/ ٣٨ مادة «حبق».
«قال ابن سيده: والحَبَاقى الحَنْدَقُوقى لغة حِيريّة؛ أنشد الأصمعي لبعض البغداديين:
لَيْتَ شِعْرِي، متى تَخِبُّ بي ٱلنَّا … قَةُ، بينَ ٱلعُذَيْبِ فَٱلصَّنِّينِ
مُحْقِباً زُكْرَةً وخبزاً رقاقاً … وحَباقى وقِطعةً من نُونِ
=

يعني بِٱلحِباقِ جَرْزَةَ ٱلبَقْلِ.

معَ «ٱلأعشى» في ٱلجنَّةِ

فيَهتُفُ هاتِفٌ: أَتشعرُ أَيُّها ٱلعبدُ ٱلمَغفُورُ لَهُ لِمَنْ هٰذا ٱلشعرُ؟ فيقولُ ٱلشَّيخُ: نعم، حَدَّثَنا أَهلُ ثِقَتِنا عَنْ أَهلِ ثِقَتِهِم، يتوارَثُون ذٰلِك كابِراً عَنْ كابِرٍ، حتَّى يَصِلُوهُ بِأَبي عمرِو بْنِ ٱلعلاءِ، فيَرْوِيهِ عَنْ أَشياخِ ٱلعَرَبِ، حَرَشَةِ الضِّبابِ[1] في ٱلبِلادِ ٱلكَلَدَاتِ[2]، وجُناةِ ٱلكُمْأَةِ[3] في مَغَانِي ٱلبُداةِ، ٱلَّذينَ لم يَأكلوا شيرازَ ٱلأَلْبانِ[4]، ولم يجعلوا ٱلثَّمَرَ في ٱلثِّبَانِ[5]، أَنَّ هٰذا ٱلشِّعْرَ لِميمونِ بْنِ قيسِ بْنِ جَنْدَلٍ أَخِي بني رَبيعة بْنِ ضَبيعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثعلبةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عليِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. فيقولُ ٱلهاتِفُ: أنا ذٰلِك ٱلرَّجُلُ، مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيَّ بعدَما صِرْتُ مِنْ جَهَنَّمَ عَلَى شَفِيرٍ، وَيَئِسْتُ مِنَ ٱلمَغْفِرَةِ وَٱلتَّكْفِيرِ. فَيَلْتَفِتُ إليهِ ٱلشَّيخُ هَشًّا بَشًّا مُرْتَاحاً، فَإِذا هوَ بَشابٌّ غُرانِقٍ[6]، غَبَرَ في ٱلنَّعِيمِ ٱلمُفانِقِ[7]، وَقَدْ صارَ عَشَاهُ حُوراً مَعْرُوفاً، وَٱنْحِناءُ ظَهْرِهِ قَواماً مَوْصُوفاً، فيقولُ: أَخبِرْنِي كَيْفَ كَانَ خَلاصُكَ مِنَ ٱلنَّارِ، وَسَلامَتُكَ مِنْ قَبِيحِ ٱلشَّنارِ[8]؟ فَيَقُولُ: سَحَبَتْنِي ٱلزَّبانِيَةُ إلى سَقَرٍ[9] فَرَأَيْتُ رَجُلًا في عَرَصَاتِ[10] ٱلقِيامَةِ يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ ٱلقَمَرِ، وَٱلنَّاسُ يَهتفُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ[11]: يا محمدُ يا محمدُ، ٱلشَّفاعَةَ ٱلشَّفاعَةَ!!

= وَالصِّنِّين: بلد؛ قال:

لَيتَ شِعري، متى تَخُبُّ بيَ ٱلنَّا قَةُ بينَ ٱلعُذَيبِ فالصِّنينِ؟»

انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٥٠ مادة «صنن».

(١) «الضَّبُّ: دويبة من الحشرات معروف، وهو يشبه الوَرَلَ.. والجمع أضُبٌّ وضِبابٌ وضُبّان...» انظر: لسان العرب ١/ ٥٣٨ مادة «ضبب».

(٢) الكلدات، مفرده كلدة: الأرض الوعرة.

(٣) الكمأة: نبات حبّه شبيه بالبطاطا.

(٤) شيراز الألبان: رائبها.

(٥) «الثِّبان، بالكسر، وعاءٌ نحو أن تَعطِفَ ذَيْلَ قميصِك فتجعل فيه شيئاً تحمله...» انظر: لسان العرب ١٣/ ٧٦ مادة «ثبن».

(٦) الغُرانق، جمعه غرانيق: الشاب الأبيض الجميل.

(٧) المفانق: الناعم، الهادئ.

(٨) الشنار: العار والذلّ.

(٩) سقر: من أسماء جهنم.

(١٠) عرصات، مفرده عرصة: الساحات.

(١١) أوب: صوب ومكان.

نَمُتُّ بِكَذا ونَمُتُّ بِكَذا. فَصَرَخْتُ في أيدِي ٱلزَّبانِيَةِ[١]: يا محمدُ أَغِثْنِي فَإِنَّ لِي بك حُرْمَةً! فقال: يا عليُّ بادِرْهُ فَٱنْظُرْ ما حُرْمَتُهُ؟ فجاءَني عليُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ، صَلَواتُ ٱللّهِ عليهِ، وأنا أُعْتَلُ كَيْ أُلْقى في ٱلدَّرَكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ؛ فَزَجَرَهُمْ عَنِّي، وَقالَ: ما حُرْمَتُكَ؟ فقُلْتُ: أَنَا القائِلُ:

[الطويل]

أَلَا أَيُّهٰذَا ٱلسَّائِلي أَيْنَ يَمَّمَتْ[٢]، فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا[٣]

فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ[٤]، ولا مِنْ حَفًى، حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدَا[٥]

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ تُرَاحي، وَتَلْقي مِنْ فَوَاضِلِهِ[٦] نَدَى[٧]

أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وُصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ ٱلإِلٰهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ ٱلتُّقَىٰ، وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ، وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا[٨]

فَإِيَّاكَ وَٱلْمِيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا! وَلَا تَأْخُذَنْ سَهْماً حَدِيداً لِتَفْصِدَا[٩]

وَلَا تَقْرَبَنْ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ، فَٱنْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا[١٠]

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَوْنَ، وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي فِي ٱلْبِلَادِ وَأَنْجَدَا[١١]

---

(١) الزبانية: الملائكة الموكلون بعذاب الكفرة.

(٢) يممت: وجهت.

(٣) ورد البيت في: المقتضب للمبرد ٤/ ٢٥٩، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١٧٥، الدرر اللوامع ١/ ١٥٣، ديوانه ١٠٢.

(٤) كلالة: تعب.

(٥) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١/ ١١٢، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ١٠/ ١٠٠، ١٠٢، ديوانه: ١٠٢.

(٦) فواضله: كرمه.

(٧) ورد البيت في: مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي ٣١٢ (٢٤٧)، ديوانه: ١٠٣.

(٨) ترصد: تعدّ وتهيئ.

(٩) تفصد: تطعن وتقطع الوتين. وورد البيت في: المقتضب، للمبرد ٣/ ١٢، ديوانه: ١٠٣.

(١٠) تأبدا: ابق على عزوبيتك.

(١١) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٣٤ مادة غور بروايات مختلفة. «وغارَ القومُ غَوْراً وغُؤُوراً وأغاروا وغوَّروا وتغوَّروا: أتوا الغَوْرَ.. وقال الأعشى:

نَبِيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْن، وذِكْرُهُ أَغَارَ، لعمري، في البلادِ وأَنْجدا

.. قال محمد بن المكرم: وقد روي بيتُ الأعشى مخروم النصف:

غَارَ، لعمري، في البلادِ وأَنْجدا

=

وهو، أكملَ ٱللَّهُ زينَةَ ٱلمحَافِلِ بِحُضُورِهِ، يَعْرِفُ الأَقوالَ في هٰذا ٱلبيتِ، وإنَّما أَذكرُها لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَقرأَ هٰذا الهذيانَ ناشِئٌ لَمْ يبلُغْهُ: حكى ٱلفَرَّاءُ[1] وحدَهُ أَغارَ فِي معنى غَارَ، إِذَا أَتَى ٱلغَوْرَ، وَإِذا صَحَّ هٰذَا ٱلبيتُ لِلأَعْشى فلم يُرَدْ بِٱلإِغارةِ إِلَّا ضِدَّ ٱلإِنْجَادِ. وَرُوِيَ عنِ ٱلأَصْمَعِيِّ رِوايتانِ: إِحْدَاهُمَا أَنَّ أَغَارَ في مَعْنَى عَدا عَدْواً شَدِيداً، وَأَنْشَدَ في كِتابِ ٱلأَجناسِ:

[الوافر]

فَعَدِّ طِلَابَهَا وَتَسَلَّ عَنْهَا ... بِنَاجِيَةٍ إِذَا زُجِرَتْ تُغِيرُ

وَٱلأُخْرَى أَنَّهُ كَانَ يُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ فيقولُ:

لَعَمْرِيَ غَارَ فِي ٱلبِلَادِ وَأَنْجَدَا

فَيَجِيءُ بِهِ على ٱلزِّحافِ. وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مَسعَدَةَ[2] يقول:

«غَارَ لَعَمْرِي فِي ٱلبِلَادِ وَأَنْجَدَا»

فَيَخْرُمُه[3] في ٱلنِّصْفِ ٱلثَّانِي.

= .. وقد اختلف في معنى قوله: أغارَ، لعمري، في البلاد وأنجدا فقال: الأصمعي: أغارَ بمعنى أسرع وأنجد أي ارتفع ولم يرد أتى الغَوْرَ ولا نَجْداً، قال: وليس عنده في إتيان الغَوْر إلّا غار؛ وزعم الفرّاء أنها لغة واحتجّ بهذا البيت، قال: وناس يقولون أغار وأنجد، فإذا أفردوا قالوا: غارَ».

وأورد لسان العرب ٣/ ٤١٥ مادة «نجد» البيت أيضاً.

«وأنجد: خرج إلى بلاد نجد، .. الصحاح: وتقول أنجدنا أي أخذنا في بلاد نجد.. وأنجد الشيءُ: ارتفع؛ قال ابن سيده: وعليه وجّه الفارسي رواية من روى قول الأعشى:

نَبِيٌّ يَرى ما لا تَرَوْنَ، وذِكْرُهُ ... أغارَ، لعمري، في البلادِ وأنجدا

فقال: أغار: ذهب في الأرض، وأنجد: ارتفع؛ قال: ولا يكون أنجد في هذه الرواية أخذ في نجد لأن الأخذ في نجد إنّما يُعادِلُ بالأخذ في الغور، وذلك لتقابلهما، وليست أغارَ من الغَوْر لأن ذلك إنما يقال فيه غارَ أي أتى الغور..».

وورد البيت في: المحتسب لابن جني ١/ ١٣٩، ديوانه: ١٠٣.

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكرياء إمام الكوفيين، وأعلمهم في النحو واللغة وفنون الأدب. ولد في الكوفة سنة ١٤٤هـ = سنة ٧٦١م. انتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون تربية ولديه. توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ = سنة ٨٢٢م من كتبه: «معاني القرآن»، «المذكر والمؤنث» انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩ ـ ١٥٥، وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٨.

(٢) هو: الأخفش الأوسط. مرّت ترجمته.

(٣) الخرم: في علم العروض هو أن تحذف الفاء من أول التفعيلة.

ويقولُ ٱلأَعْشَى: قُلْتُ لِعَلِيٍّ: وَقَدْ كُنْتُ أُؤمِنُ بِٱللَّهِ وبِٱلحِسَابِ وأُصدِّقُ بِٱلبَعْثِ وَأَنا في ٱلجاهليةِ الجَهْلَاءِ، فمِنْ ذٰلِكَ قَوْلِي:

[المتقارب]

فَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ، بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا[١]
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ ٱلمَلِيكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا[٢]
بِأَعْظَمَ مِنْكَ تُقَى في ٱلحِسَابِ إِذَا ٱلنَّسَمَاتُ نَفَضْنَ ٱلغُبَارَا[٣]

فَذَهَبَ عَلِيٌّ إلى ٱلنَّبِيِّ، ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ ٱللَّهِ، هٰذا أَعْشَى قَيْسٍ قَدْ رُوِيَ مَدْحُهُ فِيكَ، وَشَهِدَ أَنَّكَ نبِيٌّ مُرْسَلٌ. فقال: هَلَّا جَاءَنِي في ٱلدَّارِ ٱلسَّابِقَةِ؟ فقالَ عَلِيٌّ: قَدْ جاءَ، ولٰكِنْ صَدَّتْهُ قُرِيشٌ وحُبُّهُ لِلْخَمْرِ. فَشَفَعَ لي فأُدخِلْتُ ٱلجنَّةَ عَلَى أَنْ لا أشربَ فيها خَمْراً؛ فقرَّتْ عينايَ بذٰلِكَ، وإنَّ لي مَنادِحَ[٤] في ٱلعَسَلِ ومَاءِ ٱلحيوانِ. وكذٰلِكَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ ٱلخَمْرِ في ٱلدَّارِ ٱلساخِرَةِ، لم يُسْقَهَا في الآخرةِ.

مَعَ زُهيرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى[٥]

وينظرُ ٱلشَّيخُ في رياضِ ٱلجنَّةِ فَيَرَى قصرينِ مُنِيفَينِ، فيقول في نفسِهِ: لَأَبْلُغَنَّ هٰذينِ ٱلقصرين فأسألَ لِمَنْ هُما؟ فإذَا قَرُبَ إليهما رَأَى عَلَى أَحَدِهِما مَكْتُوباً: هٰذا القصرُ لزهير بْنِ أَبِي سُلْمَى ٱلمُزَنِيِّ وعلى الآخر: «هٰذا ٱلقصرُ لِعبيدِ بْنِ ٱلأَبْرَصِ

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٧ مادة «أبل».
«والأَيْبُلِيُّ: الراهب، فإمّا أن يكون أعجميًّا، وإما أن يكون قد غيّرته ياء الإضافة، وإما أن يكون من باب: انْقَحْل، وقد قال سيبويه: ليس في الكلام فَيْعِل، وأنشد الفارسي «بيت الأعشى:
وما أَيْبُلِيٌّ على هَيْكَلٍ بناهُ، وصَلَّبَ فيه وصارا»»
ورد البيت في: الكتاب لسيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٦٣، ديوانه: ٤٠.
(٢) الجؤار: رفع الصوت بالدعاء إلى الله تعالى. انظر: ديوانه: ٤٠.
(٣) ورد البيت في: ديوانه: ٤٠. وفي الديوان «بأعظم منه» بدلًا من «أعظم منك».
(٤) منادح: مفرده مندوحة: الفسحات.
(٥) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية. كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وإبناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. توفي سنة ١٣ق.هـ = سنة ٦٠٩م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ١٠/ ٢٨٨ ـ ٢٢٤، شرح شواهد المغني: ٤٨.

الأسديّ»[١] فيَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ ويقولُ: هٰذانِ ماتا في ٱلجاهِلِيَّةِ، ولكنَّ رحمةَ رَبِّنا وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ؛ وسوفَ أَلْتَمِسُ لِقاءَ هٰذينِ ٱلرجلينِ فأسأَلُهُمَا بِمَ غُفِرَ لَهُمَا. فَيَبْتَدِئُ بزهيرٍ فيَجدُهُ شابًّا كَٱلزَّهرة ٱلجَنِيَّةِ، قَدْ وُهِبَ لَهُ قَصرٌ من وَنِيَّةٍ[٢]، كَأَنَّهُ مَا لَبِسَ جِلْبابَ هَرَمٍ، ولا تأفَّفَ مِنَ ٱلبَرَمِ. وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ في المِيمِيَّةِ:

[الطويل]

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ ٱلحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا، لَا أَبَا لَكَ، يَسْأَمِ[٣]!

وَلَمْ يَقُلْ فِي ٱلْأُخرى:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَنِي عُمِّرْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً، وَعَشْراً تِبَاعاً عِشْتُهَا، وَثَمَانِيَا؟

فيقول: جَيْرِ، جَيْرِ[٤]! أَنْتَ أَبُو كَعْب وبُجَيْر[٥]؟ فيقولُ: نَعَمْ. فيقولُ، أَدَامَ ٱللَّهُ عِزَّهُ: بِمَ غُفِرَ لَكَ وَقَدْ كُنْتَ في زمانِ ٱلفترةِ وَٱلنَّاسُ هَمَلٌ[٦] لا يَحْسُنُ مِنْهُمُ ٱلعَمَلُ؟ فَيَقُولُ: كانَتْ نَفْسِي مِنَ ٱلباطِلِ نَفُوراً، فَصادَفْتُ مَلِكاً غَفُوراً، وَكُنْتُ مُؤْمِناً بِٱللَّهِ، ٱلعَظِيمِ، وَرَأَيْتُ فِيما يَرَى ٱلنَّائِمُ حَبْلًا نَزَلَ مِنَ ٱلسَّماءِ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ مِنْ سُكَّانِ ٱلأَرْضِ سَلِمَ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ، فَأَوْصَيْتُ بَنِيَّ وَقُلْتُ لَهُمْ عِنْدَ ٱلمَوْتِ: إِنْ قَامَ قَائِمٌ يَدْعُوكُمْ إِلَى عِبادَةِ ٱللَّهِ فَأَطِيعُوهُ. وَلَوْ أَدْرَكْتُ مُحَمَّداً لَكُنْتُ أَوَّلَ ٱلمُؤْمِنِينَ.

---

(١) هو: عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي: من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب «المجمهرات». عاصر امرأ القيس. قتله النعمان بن المنذر نحو سنة ٢٥ق.هـ = نحو سنة ٦٠٠م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٩/ ٨٤، الشعر والشعراء: ٨٤.

(٢) الونيّة: اللؤلؤة.

(٣) ورد البيت في: ديوان زهير صفحة: ٨٦، وشرح المعلّقات السبع للزوزني: ٨٦.
«سئمت الشيء سآمة: مللته. التكاليف: المشاق والشدائد لا أبا لك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء، وإنما يراد بها التنبيه والإعلام. يقول: مللت مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين سنة ملّ الكبر لا محالة».

(٤) جَيْرِ، بكسر الجيم وتسكين الياء وكسر الراء: بمعنى نعم.

(٥) هما: كعب وبُجَيْر، وأشهرهما كعب: هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. أهدر النبيّ ﷺ دمه عندما هجا النبي ﷺ وشبّب بنساء المسلمين. فجاءه مستأمناً، وقد أسلم، فأنشده لاميته المشهورة «بانت سعاد». توفي سنة ١٦هـ = سنة ٦٤٥م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٦١، سيرة ابن هشام ٣/ ٣٢.

(٦) الناس همل: أي لم تصلهم الدعوة الإسلامية بعد.

وَقُلْتُ فِي ٱلميميَّةِ، وَٱلجَاهِلِيَّةُ عَلَى ٱلسَّكِينَةِ، وَٱلسَّفَهُ ضَارِبٌ بِٱلجِرانِ[١]:

[الطويل]

فَلَا تَكْتُمُنَّ ٱللَّه مَا فِي نُفوسِكُم لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ ٱللَّهُ يَعْلَمِ[٢]

يُؤخَّرْ، فَيُوضَعْ في كِتَابٍ، فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ ٱلحِسَابِ، أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ[٣]

فَيَقُولُ: أَلَسْتَ ٱلقائِلَ:

[الوافر]

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ[٤]

يَجُرُّونَ ٱلبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا ٱلكَأْسِ فِيهِمْ وَٱلغِنَاءُ[٥]

أَفَأُطْلِقَتْ لَكَ ٱلخَمْرُ كَغَيْرِكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلخُلُودِ؟ أَمْ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ مِثْلَمَا حُرِّمَتْ عَلَى أَعْشَى قَيْسٍ؟ فَيَقُولُ زُهيرٌ: إِنَّ أَخَا بَكْرٍ[٦] أَدْرَكَ مُحَمَّداً فوجَبَتْ عَلَيْهِ ٱلحُجَّةُ، لِأَنَّهُ بُعِثَ بِتَحْرِيمِ ٱلخَمْرِ، وَحَظَّرَ ما قَبُحَ مِنْ أَمْرٍ؛ وَهَلَكْتُ أَنَا وَٱلخَمْرُ كَغَيْرِها مِنَ ٱلأَشْيَاءِ، يَشْرَبُهَا أَتباعُ ٱلأَنْبِياءِ، فلا حُجَّةَ عَلَيَّ.

فَيَدْعُوهُ ٱلشَّيخُ إلى ٱلمُنَادَمَةِ؛ فَيَجِدُهُ مِنْ ظِرافِ ٱلنُّدَمَاءِ، فيسأَلُهُ عَنْ أَخبارِ ٱلقُدماءِ.

وَمَعَ ٱلمُنْصِفِ[٧] بَاطِيَةٌ[٨] مِنَ ٱلزُّمُرُّدِ، فِيهَا مِنَ ٱلرَّحِيقِ ٱلمَخْتُومِ شَيْءٌ يُمْزَجُ

---

(١) ضارب بالجران: ثابت مستقر.

(٢) ورد البيت في: ديوان زهير صفحة: ٨١، وشرح المعلّقات السبع للزوزني صفحة: ٨١. وورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢/ ٢١٩، ٢٤٧. «يقول: لا تخفوا من اللّه ما تضمرون من الغدر ونقض العهد ليخفى على اللّه، ومهما يكتم اللّه من شيء يعلمه اللّه، يريد أن اللّه عالم بالخفيات والسرائر، ولا يخفى عليه شيء من ضمائر العباد، فلا تضمروا العذر ونقض العهد فإنكم إن أضمرتموه علمه اللّه، وقوله: يكتم اللّه، أي يكتم من اللّه».

(٣) ورد البيت في: ديوان زهير صفحة ٨١، وشرح المعلقات السبع للزوزني صفحة: ٨١.
أي يؤخر عقابه ويرقم في كتابه فيدخَر ليوم الحساب، أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير إلى الآخرة فينقم من صاحبه، يريد لا مخلص من عقاب الذنب آجلًا أو عاجلًا.

(٤) ورد البيت في: ديوان زهير صفحة: ١١.
«الثبة: الجماعة من الناس. نشاوى: سكارى. واجدين لما نشاء، أي قادرين على ما نشاء من الطعام والشراب والطرب والغناء».

(٥) ورد البيت في: ديوان زهير صفحة: ١١.
«البرود، الواحد بُرْد؛ ثوب موشى. حميًا الكأس: سَوْرة الخمر وصدمتها في الرأس. وقوله: يجرّون البرود، أي يتبخترون».

(٦) يقصد الأعشى ميمون بن قيس.

(٧) المنصف بـ الخادم، النادل.

(٨) باطية: قنينة.

بِزَنْجَبِيلٍ[١]، وَالْمَاءُ أُخِذَ مِنْ سَلْسَبِيلٍ. فَيَقُولُ، زَادَ اللَّهُ فِي أَنْفَاسِهِ: أَيْنَ هٰذه الباطِيَةَ مِنَ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّرويُّ[٢] فِي قَوْلِهِ:

[الرمل]

وَلَنَا بَاطِيَةٌ مَمْلُوءَةٌ جَوْنَةٌ، يَتْبَعُهَا بَرْذِينُهَا[٣]

فَإِذَا مَا حَارَدَتْ أَوْ بَكَأَتْ فُتَّ عَنْ خَاتِمِ أُخْرَى طِينُهَا[٤]!

مَعَ عبيدِ بْنِ الأَبْرَصِ

ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى عبيدٍ فَإِذَا هُوَ قد أُعْطِيَ بَقَاءَ التَّأْبِيدِ، فَيَقُولُ: السلامُ عَلَيكَ يا أَخَا بَنِي أَسَدٍ. فَيَقُولُ: وَعَلَيْكَ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ أَذْكِياءُ، لا يُخالِطُهُمُ الأَغْبِياءُ، لَعَلَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَنِي بِمَ غُفِرَ لِي؟ فَيَقُولُ: أَجَلْ، وَإِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعَجَباً! أَأَلْفَيْتَ حُكْماً لِلْمَغْفِرَةِ مُوْجِباً، وَلَمْ يَكُنْ عَنِ الرَّحْمَةِ مُحَجَّباً؟ فَيَقُولُ عبيدٌ: أُخْبِرُكَ أَنِّي دَخَلْتُ الهاوِيَةَ[٥]، وَكُنْتُ قُلْتُ فِي أَيَامِ الحَياة:

[مخلّع البسيط]

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ، وَسَائِلُ اللَّهِ لا يَخِيبُ[٦]

وَسَارَ هٰذَا البَيْتُ فِي آفاقِ البِلادِ، فَلَمْ يَزَلْ يُنْشَدُ وَيَخُفُّ عَنِّي العذابُ حَتَّى أُطْلِقْتُ مِنَ القُيُودِ وَالأَصْفادِ[٧]؛ ثُمَّ كُرِّرَ إِلَى أَنْ شَمَلَتْنِي الرَّحْمَة بِبَرَكَةِ ذٰلِكَ البَيْتِ، وَإِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

---

(١) «الزنجبيل العود الحِرّيف الذي يَحْذي اللسان. وفي التنزيل العزيز في خمر الجنة، كان مِزاجُها زنجبيلًا. والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جداً». انظر: لسان العرب ١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣ مادة «زنجبيل».

(٢) هو: عدي بن زيد.

(٣) ورد البيتان في لسان العرب ١٣/ ٥١ مادة «برزن».

«البِرْزين، بالكسر: إناء من قِشر الطَّلْع يُشرَب فيه، فارسيّ معرّب، وهي التلتة. وقال أبو حنيفة: البِرْزين قِشرُ الطلعة يُتّخذ من نصفه تلتلةٌ؛ وأنشد لعدي بن زيد:

إنَّما لِقْحَتُنا باطِيةٌ جَوْنَةٌ يتبعُها بِرزِينُها

فَإذا ما حارَدتْ أو بَكَأَتْ فُكَّ عن حاجِبِ أُخرى طينُها

وفي التهذيب: إنّما لِقْحتُنا خابيةٌ.

شبّه خابيته بلِقْحةِ جَوْنَةٍ أي سوداء، فإذا قلّ ما فيها أو انقطع فُتحت أخرى . .».

(٤) حادرت: قلّ ما فيها من خمر، أي بكأت. (٥) الهاوية: من أسماء النار.

(٦) ورد البيت في: ديوان عبيد بن الأبرص صفحة ٢٦.

«مَنْ يَسَلِ النَاسَ يَحْرِمُوهُ وسائِلُ اللَّهِ لا يَخِيبُ»

ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/ ١٦٩.

(٧) الأصفاد: القيود.

فَإِذَا سَمِعَ ٱلشَّيْخُ، ثَبَّتَ ٱللَّهُ وَطْأَتَهُ، مَا قَالَ ذانِكَ ٱلرَّجلانِ، طَمِعَ فِي سَلَامَةِ كَثِيرٍ مِنْ أَصْنَافِ ٱلشُّعَرَاءِ.

مَعَ عَدِيِّ بْنِ زَيْد(1)

فَيَقُولُ لِعبيدٍ: أَلَكَ عِلْمٌ بِعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ٱلعِبادِي؟ فَيَقُولُ: هٰذَا مَنْزِلُهُ قَرِيبٌ مِنكَ. فَيَقِفُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: كَيْفَ كَانَتْ سَلَامَتُكَ عَلَى ٱلصِّراطِ(2) وَمُخَلِّصُكَ مِنْ بَعْدِ ٱلإفراطِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ عَلَى دِينِ ٱلمَسيحِ ومَنْ كَانَ مِنْ أَتباعِ ٱلأَنبياءِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ٱلتَّبِعةُ عَلَى مَنْ سَجَدَ لِلأَصْنَامِ، وعُدَّ فِي ٱلجَهَلَةِ مِنَ ٱلأَنَامِ. فَيَقُولُ الشَّيخُ: يا أَبَا سَوَادَةَ، أَلَا تُنْشِدُنِي الصَّادِيَّةَ، فَإِنَّها بَدِيعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ ٱلعَرَبِ؟ فَيَنْبَعِثُ مُنْشِداً(3):

[السريع]

أَبْلِغْ خَلِيلي عَبْدَ هِنْدٍ فَلَا ... زِلْتَ قَرِيباً مِنْ سَوَادِ ٱلخُصُوصْ

مُوَازِيَ ٱلقُرَّةِ، أَوْ دُونَهَا، ... غيرَ بَعِيدٍ مِنْ غُمَيرِ ٱللُّصُوصْ

تُجْنَى لَكَ ٱلكَمْأَةُ رِبْعِيَّةً، ... بِٱلخَبِّ تَنْدَى فِي أُصُولِ ٱلقَصِيصْ(4)

تَقْنِصُكَ ٱلخَيْلُ، وَتَصْطَادُكَ ٱلـ ... ـطَّيْرُ، ولا تُنْكَعُ لَهوَ ٱلقَنِيصْ(5)

---

(1) مرّت ترجمته.

(2) الصراط: الحدّ الفاصل بين الجنّة والنار وهو عبارة عن معبر ضيّق جداً.

(3) الأبيات لعدي بن زيد العبادي. وانظر: ديوانه: ٦٩ ـ ٧٠.

(4) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٧٥ مادة «قصص».
«والقصيصة: شجرة تنبت في أصلها الكمأة ويتخذ منها الغِسْل، والجمع قَصائِصُ وقَصِيص..
وأنشد لعدي بن زيد:
يَجْني لَهُ ٱلكَمْأَةَ رِبْعيَّةً، ... بِٱلخَبْءِ، تَنْدى في أُصُولِ القَصِيصْ
ويروى:
جنيتها مِن مَنْبِتٍ عَوِيصِ ... مِن مَنْبِتِ ٱلإجرد وٱلقَصِيص
.. الليث: القصيص نبت ينبت في أصول الكمأة وقد يجعل غِسْلًا للرأس كالخِطْمِيّ، وقال: القصيصة نبت يخرج إلى جانب الكمأة».

(5) ورد البيت في: لسان العرب ٨/ ٣٦٤ مادة «نكع».
«والنكْع: الإعجال عن الأمر، ونكَعه عن الأمر: أعجله عنه، قال عدي بن زيد:
تَقْنِصُكَ ٱلخَيْلُ وتَصطادكَ ٱلطـ ... ـطَيْرُ، ولا تُنْكَعُ لَهْوَ ٱلقَنِيصْ»
ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ٢٩٨، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ١٨، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ١٧٦، ديوانه: ٦٩.

تَـأْكُـلُ مـا شِـئْـتَ، وَتَـغْـتَـلُّهـا حَمْـرَاءَ مِلْحُصُ كَلَوْنِ الفُصُوصْ (١)
غُـيِّبْتَ عَنِّي عَبْدُ فِي ساعَةِ الـ ـشَّـرِّ وَجُـنِّـبْـتَ أَوانَ العَـوِيـصْ (٢)
لا تَـنْـسَـيَـنْ ذِكْـرِي عَـلَـى لَذَّةِ الـ ـكَأْسِ وَطَوْفٍ بِالخَذُوفِ النَّحُوصْ (٣)
إِنَّـكَ ذُو عَـهْـدٍ وَذُو مَـصْـدَقٍ مُـخـالِفاً هَـدْيَ الكَذُوبِ اللَّمُوصْ (٤)
يـا عَـبْـدُ هَـلْ تَـذْكُـرُنِـي سـاعَـةً فِـي مَـوْكِـبٍ، أو رائِداً لِلْقَـنِـيـصْ
يَـوْمـاً مَـعَ الـرَّكْـبِ، إذا أَوْفَـضُـوا، نَـرْفَـعُ فِـيـهِـمْ مِـنْ نَـجَـاءِ القَـلُوصْ (٥)
قَـدْ يُـدْرِكُ الـمُـبْـطِـئُ مِـنْ حَـظِّـهِ وَالـخَـيْـرُ قَـدْ يَـسْبِـقُ جُهْدَ الحَرِيصْ (٦)
فَـلَا يَـزِل صَـدْرُكَ فِـي رِيـبَـةٍ يَـذْكُـرُ مِـنِّـي تَـلَـفِـي أَوْ خُـلُوصْ
يـا نَـفْـسُ أَبْـقِـي، وَاتَّـقِـي شَـتْـمَ ذي الأعـراضِ، إِنَّ الحِـلْمَ مـا إنْ يَـنُـوصْ (٧)
يـا لَيْـتَ شِـعْـرِي وَإِنْ ذُو عَـجَّـةٍ مَـتَـى أَرَى شَـرْبـاً حَـوَالِي أَصِـيـصْ (٨)

---

(١) «الفصُّ: المفصل، والجمع من كل ذلك أَفُصٌّ وفصوص..» وانظر: لسان العرب ٧/ ٦٦ مادة «فصص».

(٢) أوان العويص: زمن اشتداد الأمر وصعوبته.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٦١ مادة «خذف».
«والخذوف من الدَّوابّ: السريعة والسمينة؛ قال عدي:
لَا تَـنْـسَـيَـا ذِكْـرِي عـلى لـذَّة الـ ـكَأس، وطَـوْفٍ بـالـخـذوفِ الـنَّـحـوصْ
يقول: لا تنسيا ذِكْري عند الشُّرب والصيد. الجوهري: والخَذوف الأتان تَخذِفُ من سرعتها الحصى أي ترميه».

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٨٨ مادة «لمص».
«واللمص: اللمْزُ. واللمص: اغتياب الناس. ورجل لَمصوصٌ: مغتاب، وقيل: خَدوع، وقيل: مُلْتوٍ من الكذب والنميمة، وقيل: كذّاب خدّاع. قال عدي بن زيد:
إِنَّـكَ ذُو عَـهْـدٍ وذو مَـصْـدَقٍ، مُـخـالِفٌ عَـهْـدَ الـكَـذوبِ الـلمُـوص»

(٥) القلوص: الفتية من النياق.

(٦) ورد البيت في: المصون، لأبي أحمد العسكري: ٦٩، العقد الفريد، لابن عبد ربه ٥/ ٤٨٨، وانظر: ديوانه: ٧٠.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ١٠٢ مادة «نوص».
ابن بري: النوص، بضم النون، الهرب؛ قال عديّ بن زيد:
يـا نـفـسُ أَبـقـي واتَّـقـي شَـتْـمَ ذَوي الـ ـأَغْـراض فـي غـيـر نُـوصْ»

(٨) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٤ مادة «أَصَص».
«وقال خالد بن يزيد: الأصيص أسفل الدّنّ كان يوضع لِيُبال فيه؛ وقال عديّ بن زيد:
يـا لـيْـتَ شِـعْـري، وأنـا ذو غِـنًـى، مـتـى أرى شَـرْبـاً حَـوالَيْ أَصِـيـص؟
يعني به أصل الدَّنّ، وقيل: أراد بالأصيص الباطية تشبيهاً بأصل الدّنّ».

بـيـتِ جَـلُوفٍ، بـارِدٍ ظِـلُّهُ، فِـيـهِ ظِـبـاءٌ، وَدَوَاخِـيـلُ خُـوْصْ [١]
وَٱلـرَّبْـرَبُ [٢]، ٱلـمَـكْـفُـوفُ أَرْدَانُـهُ، يَـمْـشِـي رُوَيْـداً، كَـتَـوَقِّـي ٱلـرَّهِـيـصْ [٣]
يَـنْـفُـخُ مِـنْ أَرْدانِـهِ ٱلـمِـسْـكُ، وَٱلْـ ـعَـنْـبَـرُ، وَٱلْـغَـلْوَى، وَلُبْنَى قَـفُـوصْ [٤]
وَٱلْـمُـشْـرِفُ ٱلـمَـشْـمُـولُ نُـسْـقَـى بِـهِ أَخْـضَـرَ، مَـطْـمُـوثـاً بِـمَـاءِ خَـرِيـصْ [٥]
ذٰلِكَ خَـيْـرٌ مِـنْ فُـيُـوجٍ [٦] عَـلَى ٱلْـ ـبَـابِ، وَقَـيْـدَيْـنِ، وَغِـلٌّ قَـرُوصْ
أَوْ مُـرْتَـقَـى نَـيْـقٍ [٧] عَـلَى نِـقْـنِـقٍ [٨]، أَدْبَـرَ، عَـودٍ، ذي إِكَـافٍ قَـمُـوصْ [٩]
لا يُـثْـمِـنُ ٱلـبَـيْـعَ، وَلَا يَـحْـمِـلُ ٱلْـ ـرِّدفَ، وَلَا يُـغْـطَـى بِـهِ قَـلْـبُ خُـوصْ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٣٢ مادة «جلف».
«ابن سيده: الجلفُ في كلام العرب الدن ولم يُحَدَّ على أي حال هو، وجمعه جُلُوف؛ قال عدي بن زيد:
بَـيْـتُ جُـلُوفٍ بـاردٌ ظِـلُّهُ، فـيـه ظِـبـاءٌ ودواخِـيـلُ خُـوص
وقيل: الجِلْفُ أسفل الدَّنّ إذا انكسر. والجلْفُ: كلّ ظرف ووعاء. والظَّباء: جمع الظبيَة، وهي الجُرَيِّب الصغير يكون وِعاء المسك والطيب...».
(٢) «الربرب: القطيع من بقر الوحش، وقيل من الظباء. ولا واحد له».
انظر لسان العرب ١/ ٤٠٩ مادة «ربب».
(٣) الرهص: العِثار. انظر: لسان العرب ٧/ ٤٤ مادة «رهص».
(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٧٩ مادة «قفص».
«وقفوصٌ: بلد يجلب منه العُود، قال عديّ بن زيد:
يَـنْـفـخُ مِـنْ أزدانِـهـا ٱلـمِـسْـكُ وٱلْـ ـهِـنْـدِيُّ وٱلـغَـلْوَى، ولُبْـنـى قَـفُـوصْ»
(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٢٣ مادة «خرص».
«والخريص: شبه حَوْضٍ واسع ينبثق فيه الماء من النهر ثم يعود إليه والخريص ممتلئ؛ قال عدي بن زيد:
وَٱلْـمُـشْـرِفُ ٱلـمَـصْـقُـولُ يُـسْـقَـى بِـهِ أَخْـضَـرَ مَـطْـمُـوثـاً بـمـاء الـخـريـص
أي ملموساً أو ممزوجاً»؛ وهو في شعر عدي:
والـمـشـرف الـمـشـمـول يـسـقـى بـه
قال: والمشرف إناء كانوا يشربون به وكان فيه كماء الخريص وهي السحاب.. قال ابن بري: صواب إنشاده: مدامةً صِرْفاً، لأن صدره:
والـمـشـرف الـمـشـمـول يـسـقـى بـه مُـدامـةً صِـرْفـاً بـمـاءِ خَـريـص
والمشرف: المكان العالي. والمشمول: الذي أصابته الشَّمال، وهي الريح الباردة..».
(٦) الفيوج: رسول السلطان.
(٧) النيق: أعلى قمة في الجبل.
(٨) النقنق: ذكر النعام.
(٩) القموص: الدابة تثب براكبها.

أَوْ مِنْ نُسُورٍ حَولَ مَوْتى مَعاً، يَأْكُلْنَ لَحْماً مِنْ طَرِيِّ ٱلفَرِيضْ[1]

فَيَقُولُ ٱلشَّيخُ: أَحْسَنْتَ وَٱللَّهِ أَحْسَنْتَ، لَوْ كُنْتَ ٱلماءَ ٱلرَّاكِدَ لَمَا أَسِنْتَ[2]. وَقَدْ عَمِلَ أَديبٌ من أُدباءِ ٱلإِسْلامِ قَصِيدةً عَلَى هٰذا ٱلوزنِ، وهو ٱلمعروفُ بِأَبِي بَكْرِ بْنِ دريد، قالَ:

[الرجز]

يَسْعَدُ ذُو ٱلجِدِّ وَيَشْقَى ٱلحَرِيصْ، لَيسَ لِخَلْقٍ عَنْ قَضاءٍ مَحِيصْ[3]

وَيَقُولُ فِيهَا:

أَيْنَ مُلُوكُ ٱلأَرْضِ مِنْ حِمْيَرٍ أَكْرَمُ مَنْ نُصَّتْ إِلَيْهِمْ قُلُوصْ؟[4]

جَيْفَرٌ ٱلوَهَّابُ، أَوْدَى بِهِ دَهْرٌ عَلَى هَدْمِ ٱلمَعَالِي حَرِيصْ[5]

إِلَّا أَنَّكَ يا أَبَا سَوادَةَ أَحْرَزْتَ فَضِيلَةَ ٱلسَّبْقِ.

وما كُنْتُ أَختارُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: «يا لَيْتَ شِعْرِي، وَإِنْ ذُو عَجَّة» لِأَنَّكَ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا أَنْ تَكُونَ وَصَلْتَ هَمْزَةَ ٱلقَطْعِ، وَذٰلِكَ رَدِيءٌ، عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَنْشَدُوا:

[الرجز]

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْ، فَٱلْبِسُونِي بُرْقُعَا، وَفَتَخَاتٍ[6] فِي ٱليَدَيْنِ أَرْبَعَا[7]

ويزيدُ ما فعلْتَ من إِسقاطِ ٱلهَمْزَةِ بُعداً أَنَّكَ حَذَفْتَ ٱلأَلِفَ ٱلَّتِي بعدَ ٱلنونِ، فإِذَا حُذِفَتِ ٱلهَمْزَةُ من أولِ الكلمةِ بقيَتْ عَلَى حَرْفٍ واحدٍ، وَذٰلِكَ بِهَا إِخلالٌ.

---

(١) الفريص: أوداج العنق.

(٢) أسنت: فسدت ونتنت.

(٣) محيص: ملجأ ومفرّ.

(٤) القلوص: الفتية من النياق.

(٥) جيفر: اسم رجل عرف بالجود وسرعة مدّ يد العون.

(٦) «الفَتْخَة والفَتَخَةُ: خاتم يكون في اليد والرجل بفص وغير فص: وقيل: هي الخاتم أيًّا كان؛ وقيل: هي حلقة تلبس في الإصبع كالخاتم وكانت نساء الجاهلية يتخذنها في عَشْرِهنّ، والجمع فَتَخٌ وفُتُوخ وفتخاتٌ ..»، انظر: لسان العرب ٣/ ٤٠ مادة «فتخ».

(٧) ورد الرجز في: مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٦١٤، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ٧٦، ٧٨.

وَإمَّا أَنْ تكُونَ حقَّقْتَ ٱلهَمْزَةَ فَجعَلْتَهَا بَيْنَ بَيْنَ، ثُمَّ ٱجْتَرَأْتَ عَلَى تَصْيِيرِها أَلِفاً خالِصَةً، وَحَسْبُكَ بِهٰذَا نَقْضاً لِلْعَادَةِ، وَمِثْلُ ذٰلِكَ قولُ ٱلقائِلِ:

[الطويل]

يَقُولُونَ: مَهْلًا لَيْسَ لِلشَّيْخِ عَيِّلٌ! فَهَا أَنَا قَدْ أَعْيَلْتُ[١] وَإِنْ رَقُوبُ[٢]

ولو قلْتَ: «يا لَيْتَ شِعْرِي أَنَا ذُو عَجَّةٍ».

فَحَذَفْتَ ٱلوَاو، لَكَانَ عِنْدِي أَحْسَنَ وَأَشْبَهَ. فَيَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: إِنَّمَا قُلْتُ كَمَا سَمِعْتُ أَهْلَ زَمَنِي يَقُولُونَ، وَحَدَثَتْ لَكُمْ فِي الإِسْلَامِ أَشياءُ لَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ. فَيَقُولُ الشَّيْخُ: لَا أَرَاكَ تَفْهَمُ ما أُرِيدُهُ مِنَ ٱلأَغْرَاضِ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ بَيْتِكَ ٱلَّذِي ٱسْتَشْهَدَ بِهِ سِيبَوَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُكَ:

[الخفيف]

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ، أَنْتَ، فَٱنْظُرْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ[٣]

فَإِنَّهُ يَزْعَمُ أَنَّ (أنت) يَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بفعلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ قَوْلُكَ: فَٱنْظُرْ، وَأَنَا أَسْتَبْعِدُ هٰذَا ٱلمَذْهَبَ ولا أظنُّكَ أَرَدْتَهُ. فَيَقُولُ عديُّ بْنُ زَيْدٍ: دَعْنِي مَنْ هٰذِهِ ٱلأَبَاطِيلِ، ولكنِّي كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلفانِيَةِ صاحِبَ قَنْصٍ، ولعلَّهُ قَدْ بلغَكَ قَوْلِي:

[الرمل]

وَلَقَدْ أَغْدُو بِطِرْفٍ[٤] زَانَهُ وَجْهُ مَنْزُوفٍ، وَخَدٌّ كَٱلمِسَنْ

ذِي تَلِيلٍ[٥]، مُشْنِقٍ قَائِدُهُ، يَسَرٍ فِي ٱلكَفِّ، نَهْدٍ، ذِي غُسَنْ[٦]

---

(١) «قال ابن سيده: وعالَ الرجلُ وأعالَ وأعْيَلَ وعَيَّلَ كله كَثُر عِيالُه، فهو مُعيلٌ، والمرأة مُعِيلة..» انظر: لسان العرب ١١/ ٤٨٨ مادة «عيل».

(٢) «الرقوبُ من الإبل والنساء: التي لا يبقى لها ولد.. وقيل: هي التي مات ولدها، وكذلك الرجل». انظر: لسان العرب ١/ ٤٢٧ مادة «رقب».
ورد البيت في: المحتسب لابن جني ١/ ١٤٧، تفسير أبي حيان ٢/ ٣٤٦.

(٣) ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ١/ ٧، الخصائص لابن جني ١/ ١٣٢، أمالي ابن الشجري ١/ ٨٩، الشعر والشعراء: ٨٨٦ مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ١٦٦ (١٦٠)، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١١؛ ٢/ ١١١، الدرر اللوامع ١/ ٧٩؛ ٢/ ١٤٥، وانظر ديوان عدي بن زيد: ٨٧.

(٤) «والطِّرْف: بالكسر من الخيل: الكريم العتيق، وقيل: هو الطويل القوائم والعُنُق المطرَّف الأذنين، وقيل: هو الذي ليس من نتاجك، والجمع أطراف وطُروف، والأنثى بالهاء». انظر: لسان العرب ٩/ ٢١٤ مادة «طرف».

(٥) «التليل: العُنُق.. والجمع أتِلَّة وتُلُل وتلائل». انظر: لسان العرب ١١/ ٧٩ مادة «تلل».

(٦) «الأصمعي: الغُسَن خُصَلُ الشعر من المرأة والفرس، وهي الغدائر. وقال غيره: الغُسَنُ شعر الناصية..» انظر: لسان العرب ١٣/ ٣١٢ مادة «غسن».

مُـذمَـجٍ[١] كَـٱلـقِـدْحِ، لا عَـيْـبَ بِـهِ، فَـيُـرَى فِـيـهِ، وَلَا صَـدْعَ أُبَـنْ[٢]
رَمَّـهُ ٱلْـبَـارِي، فَـسَـوَّى دَرْأَهُ[٣] غَـمْـزُ كَـفَّـيْـهِ، وَتَـخْـلِـيقُ ٱلـسَّـفَـنْ
أَيُّ ثَـغْـرٍ مـا يُـخِـفْ يَـنْـدُبْ لَهُ، وَمَـتـى يُـخْـلَ مِـنَ ٱلْـقَـوَدِ يُـصَـنْ
كَـرَبِـيْـبِ ٱلْـبَـيْـتِ يَـفْـرِي جُـلَّهُ[٤] طـاعَـةُ ٱلْـعُـضِّ، وَتَـسْـجِـيـرُ ٱلـلَّـبَـنْ
فَـبَـلَغْـنَـا صُـنْـعَـهُ حَـتَّـى شَـتَـا، نَـاعِـمَ ٱلْـبالِ لَجُوجاً فِي ٱلـسَّـنَـنْ[٥]
فَـإِذَا جَـالَ جِـمَـارٌ مُـوحَـشٌ وَنَـعَـامٌ نَـافِـرٌ، بَـعْـدَ عُـنَـنْ[٦]
شَـاءَنَـا ذُو مَـيْـعَـةٍ[٧] يُـبْـطِـرُنـا[٨] خَـمَـرُ ٱلأَرْضِ وَتَـقْـدِيـمُ ٱلْـجُـنَـنْ[٩]
يَـذأَبُ ٱلـشَّـدَّ بِـسَـحٍّ[١٠] مُـرْسَـلٍ كَـٱخْـتِـفَـالِ ٱلْـغَـيْـثِ بِـٱلْـمَـرِّ ٱلْـيَـفَـنْ[١١]
أُنْـسِـلَ ٱلـذّرعـانُ غَـرْبٌ[١٢]، خَـذِمٌ[١٣]، وَعَـلَا ٱلـرَّبْـرَبَ أَزْمٌ[١٤] لَـمْ يُـدَنْ

---

(١) المدمج: التام الخَلْق.
(٢) «والأُبنة: بالضم: العُقْدة في العُود أو في العصا، وجمعها أُبَنٌ . .» انظر: لسان العرب ١٣/ ٤ مادة «أبن».
(٣) «الدرأ: الميل». انظر: لسان العرب ١/ ٧٣ مادة «درأ».
(٤) الجُلُّ: البرذعة، وكل ما يوضع على ظهر المطية ليصونه.
(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٥٢١ مادة «فره» «قال الجوهري: كان الأصمعي يُخطئ عدي بن زيد في قوله:
فَـنَـقَـلْـنـا صُـنْـعَـه، حـتّـى شَـتَـا فـاره ٱلـبـالِ لـجُـوجـاً فـي ٱلـسَّـنَـنْ
قال: لم يكن له علم بالخيل . . .».
(٦) «العُنَّة: الحظيرة من الخشب أو الشجر تجعل للإبل والغنم تُحبس فيها . . وجمعها عُنَن . .» انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٩٣ مادة «عنن».
(٧) «وميعة الحُضْر والشباب والسُّكْر والنهار وجَرْي الفرس: أوله وأنشطه، وقيل: ميعةُ كلِّ شيء معظمه . .» انظر: لسان العرب ٨/ ٣٤٥ مادة «ميع».
(٨) «أبطره: أي أدهشه: وقيل: البطر الطغيان في النعمة، وقيل: هو كراهة الشيء من غير أن يستحقَّ الكراهة . .» ٤/ ٦٨ ـ ٦٩ مادة «بطر».
(٩) الجُنن، بضم الجيم: ما يغيب عن المرء.
(١٠) «وسَحَّ الدمع والمطر والماء يُسحُ سَحًا وسُحُوحاً أي سال من فوق واشتدَّ انصبابه». انظر: لسان العرب ٢/ ٤٧٦ مادة «سحح».
(١١) «أبو عبيد: اليَفَنُ، بفتح الياء والفاء ومخفف النون، الكبير . .» انظر: لسان العرب ١٣/ ٤٥٧ مادة «يفن».
(١٢) «الغَرْب شجر تُسَوَّى منه الأقداح البيض. والواحدة: غَرْبة، وهي شجرة ضخمة شاكة خضراء، وهي التي يتخذ منها الكُحِيلُ، وهو القطران . .» انظر: لسان العرب ١/ ٦٤٤ مادة: «غرب».
(١٣) خَذم: قاطع.
(١٤) ٱلأَزْم: شدّة العض بالفم كلّه. انظر: لسان العرب ١٢/ ١٦ مادة «أزم».

فَـالَّذِي يُـمْـسِـكُـهُ يَـخْـمِـدُهُ، تَـئِقٌ[١] كَـالسِّـيـدِ[٢]، مُـمْـتَـدُ الرَّسَـنْ
وَإِذا نَـــحْـــنُ لَدَيْـــنَـــا أَرْبَـــعٌ يَـهْـتَـدِي السَّـائِلُ عَـنَّـا بِـالـدَّخَـنْ

وقولي في القافية:

[الخفيف]

وَمَـجُـودٍ قَـدِ اسْـجَـهَـرَّ تَـنَـاوِيـ ـرَ كَـلَوْنِ الـعُـهُـونِ فِـي الأَعْـلَاقِ[٣]
عَـنْ خَـرِيـفٍ سَـقَـاهُ نَـوْءٌ[٤] مِـنَ الـدَّلْـ ـوِ تَـدَلَّى، وَلَمْ تُـوَارِ الـعَـرَاقِـي[٥]
لَمْ يَـعِـبْـهُ إِلَّا الأَدَاحِـيُّ[٦] فَـقَـدْ وَبَّـ ـرَ بَـعْـضَ الرِّئَـالِ[٧] فِـي الأَفْـلَاقِ[٨]
وَإِرانُ[٩] الـثِّـيـرانِ حَـوْلَ نِـعَـاجٍ مُـطْـفِـلاتٍ[١٠]، يَـخْـمِـيْـنَ بِـالأَرْوَاقِ
وَتَـرَاهُـنَّ كَـالأَعِـزَّةِ فِـي الـمَـحْـ ـفَـلِ، أَوْ حِـيْـنَ نِـعْـمَـةٍ وَارْتِـفَـاقِ
قَـدْ تَـبَـطَّـنْـتُـهُ، بِـكَـفِـيٍّ خَـرًّا جٍ مِـنَ الـخَـيْـلِ، فَـاضِـلٍ فِـي السِّـبَـاقِ
يَـسَـرٍ فِـي الـقِـيَـادِ نَـهْـدٍ، ذَفِـيـفُ[١١] الـ ـعَدْوِ، عِبْلُ[١٢] الشَّوَى[١٣] أَمِينُ العِرَاقِ

---

(١) «تَئِق السقاء يتأق تَأَقاً، فهو تَئِق: امتلأ.. ورجل تَئِق؛ مَلآن غيظاً أو حزناً أو سروراً..» انظر: لسان العرب ١٠/ ٣١ مادة «تأق».
(٢) السِّيد، بكسر السين: الذئب.
(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٣٤٨ مادة «سجهر».
«واسْجَهَرَّتِ النارُ: اتَّقدت والتهبت، قال عديّ:
وَمَـجُـودٍ قَـدِ اسْـجَـهَـرَّ تَـنَـاوِيـ ـرَ، كَـلَوْنِ الـعُـهُـون فـي الأَغْـلَاقِ
قال أبو حنيفة: اسْجَهَرَّ هنا تَوقَّدَ حُسْناً بألوان الزّهر..».
(٤) النوء: المطر.
(٥) العراقي: الدلاء.
(٦) «والأُدْحِيُّ والإِدْحِيُّ والأُدْحِيَّة والإِدْحِيَّة والأُدْحُوَّة: مَبيض النعام في الرمل، وزنه أُفْعول من ذلك، لأن النعامة تَدْحُوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عُشّ. ومَدْحَى النعام موضع بيضها، وأُدْحِيُّها: موضعها الذي تُفرِّخ فيه...» انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٥١ مادة «دحا».
(٧) «الرَّأْل: ولد النعام، وخصّ بعضهم به الحَوْليَّ منها..» انظر: لسان العرب ١١/ ٢٦١ مادة «رأل».
(٨) الأفلاق: الشقوق.
(٩) إران: نشاط.
(١٠) مطفلات: ذوات أطفال كثيرين.
(١١) «ذفيف: هو الخفيف السريع» انظر: لسان العرب ٩/ ١١٠ مادة «ذفف».
(١٢) «العَبْل: الضخم من كل شيء». انظر: لسان العرب ١١/ ٤٢٠ مادة «عبل».
(١٣) «الشَّوَى: اليدانِ والرِّجلان، وقيل: اليدانِ والرجلانِ والرأس من الآدميينَ وكل ما ليس معتلاً. وقال بعضهم: الشَّوى جماعة الأطراف..» انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٤٧ مادة «شوا».

لَمْ يُقيَّلْ حَرَّ ٱلْمَقِيظِ، وَلَمْ يُدْ ... جِمْ لِطَوْفٍ، وَلَا فَسَادِ نَزَاقِ[1]

غَيْرَ تَيْسِيرِهِ لِرُغْبَاءَ إِنْ كَا ... نَتْ، وَحَرْبٍ إِنْ قَلَّصَتْ عَنْ سَاقِ

وَلَهُ ٱلنُّغْجَةُ ٱلْمَرِيُّ تُجَاهَ ٱلـ ... ـرَّكْبِ، عَدْلًا بِٱلنَّابِئِ ٱلْمِخْرَاقِ[2]

وَٱلْخِدَبُّ[3] ٱلْعَارِي ٱلزَّوَائِدِ مُلْجِفًا ... نِ دانِي ٱلدِّمَاغِ لِلْآمَاقِ[4]

فَهَلْ لَكَ أَنْ نَرْكَبَ فَرَسينِ من خيلِ ٱلْجَنَّةِ فنبعثَهُما عَلَى صِيرانِها[5]، وخِيطانِ نَعَامِها، وأَرابِ ظِبائِها، وعَانَاتِ حُمُرِها[6]، فَإِنَّ لِلْقَنِيصِ لَذَّةً قَدْ تَنغَّصَتْ لَكَ بِهَا؟ فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ: إِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ قَلَمٍ وَسَلَمٍ، وَلَمْ أَكُنْ صاحِبَ خَيْلٍ، ولا مِمَّنْ يَسْحَبُ طَويلَ ٱلذَّيْلِ، وَزُرْتُكَ إلى منزِلِكَ مُهَنِّئاً بِسَلَامَتِكَ مِنَ ٱلْجَحِيمِ، وتنعُّمِكَ بِعَفْوِ ٱلرَّحِيمِ. وما يُؤَمِّنُنِي إِذَا رَكِبْتُ طِرْفاً زَعِلًا[7]، رَتَعَ فِي رِياضِ ٱلْجَنَّةِ فَآضَ مِنَ الأَشَرِ[8] مُسْتَسْعِلًا[9]، وَأَنَا كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ:

[البسيط]

لَمْ يَرْكَبُوا ٱلْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَمَا كَبِرُوا ... فَهُمْ ثِقَالٌ عَلَى أَكْتَافِهَا عُنُفُ[10]

أَنْ يَلْحَقَنِي ما لَحِقَ جَلَماً صاحِبَ ٱلْمُتَجَرِّدَةِ[11] لَمَّا حُمِلَ عَلَى ٱلْيَحْمُومِ[12] وَٱلتَّعرُّضِ لِمَا لَمْ تَسْبِقْ بِهِ ٱلْعَادَةُ مِنَ ٱلمومِ. وَقَدْ بَلَغَكَ ما لَقِيَ ولدُ زُهَيْر، لَمَّا وُقِصَ

---

(١) النزق: الحمق والطيش في التصرّف.

(٢) «وخرقت الأرضَ خَرْقاً أي جبتُها. وخرق الأرض يخرقها: قطعها حتى بلغ أقصاها، ولذلك سمي الثور مخراقاً». انظر: لسان العرب ١٠/ ٧٥ مادة «خرق».

(٣) «ورجل خِدَبٌّ.. أي ضخم:.. الخِدَبُّ، بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء: العظيم الجافي..» انظر: لسان العرب ١/ ٣٤٦ مادة «خدب».

(٤) الآماق: مجاري الدموع.

(٥) الصيران: القطيع من البقر.

(٦) عانات حمرها: الإناث من الحمر الوحشية.

(٧) زَعِلًا: نشيطاً.

(٨) الأشر: البطر.

(٩) مستسعلًا: المشابه للسعلاة، أنثى الغول.

(١٠) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٢٥٧ مادة «عنف».

«والعنيف: الذي لا يُحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل، وقيل: الذي لا عهد له بركوب الخيل، والجمع عُنُفٌ؛ قال:

لم يركبوا ٱلْخَيْلَ إِلَّا بعدما هَرِمُوا ... فهم ثِقَالٌ على أكنافِها عُنُفُ»

(١١) المتجرّدة: زوجة النعمان التي تغزل بها النابغة الذبياني.

(١٢) اليحموم: فرس النعمان.

عَنِ ٱلعَتِيدِ ذِي ٱلمِيرِ، فَسَلَكَ فِي طَرِيقٍ وَغبٍ، وَمَا ٱنْتَفَعَ بِبُكاءِ كَعْبٍ؛ وكَذٰلِكَ ولدُكَ عَلْقَمةُ، حَلَّتْ فِي العاجِلةِ بِهِ ٱلنِّقْمَةُ، لَمَّا رَكِبَ لِلصَّيدِ، فأَصْبحَ كَجَدِّهِ زَيْدٍ، وقلْتَ فِيهِ:

[الرجز]

أَنْعِمْ صَبَاحاً عَلْقَمَ بْنَ عَدِيِّ ... أَثْوَيْتَ ٱلْيَوْمَ لَمْ تَرْحَلْ!

وَإِنِّي لَأَحارُ يا معاشِرَ ٱلعرَبِ فِي هٰذِهِ ٱلأَوْزَانِ ٱلَّتِي نَقَلَها عَنكُمُ ٱلثِّقاتُ، وَتَداوَلَتْها الطبقاتُ؛ وَمِنْ كَلِمَتِكَ ٱلَّتِي عَلَى ٱلرَّاءِ، وَأولُها:

[الكامل]

قَدْ آنَ أَنْ تَصْحُوَ أَوْ تُقْصِرْ[1]، ... وَقَدْ أَتَى لِمَا عَهِدْتَ عُصُرْ

عَنْ مُبْرِقَاتٍ بِٱلْبُرِينَ، وَتَبْـ ... ـدُو بِٱلأَكُفِّ ٱللَّامِعَاتِ سُوُرْ[2]

بِيضٌ عَلَيْهِنَّ ٱلدِّمَقْسُ[3] وَبِٱلْـ ... أَعْنَاقِ مِنْ تَحْتِ ٱلأَكِفَّةِ دُرْ

ويجوزُ أَنْ يَقْذِفَنِي ٱلسَّابِحُ عَلَى صُخُورِ زُمُرُّدٍ فيكسِرُ لِي عَضُداً أَوْ سَاقاً، فَأَصِيرُ ضُحْكَةً فِي أَهْلِ ٱلجِنَانِ.

فيبتسِمُ عَدِيٌّ وَيَقُولُ: وَيْحَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلجَنَّةَ لا يُرْهَبُ لَدَيْهَا ٱلسَّقَمُ، ولا تَنْزِلُ بِسَكنِها ٱلنِّقَمُ؟ فَيَرْكَبانِ سابِحَينِ مِنْ خَيْلِ ٱلجَنَّةِ، مَرْكَبُ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا لَوْ عُدِلَ بِمَمَالِكِ ٱلعَاجِلَةِ ٱلكائِنَةِ مِنْ أَولِهَا إِلَى آخرِها لَرَجَحَ بِهَا، وَزَادَ فِي ٱلقِيمَةِ عَلَيْهَا. فَإِذَا نَظَرَ إِلَى صُوَارٍ[4] تَرْتَعُ فِي دَقَارِي ٱلفِرْدَوْسِ، وَٱلدَّقارِي: ٱلرِّيَاضُ، صَوَّبَ مَوْلايَ ٱلشَّيْخِ ٱلمِطْرَدَ، وَهُوَ ٱلرمحُ ٱلقَصِيرُ، لِأَخْنَسَ[5] ذَيَّالٍ، قَدْ رَتَعَ هُنَاكَ طَوِيلَ أَيام وَليالٍ؛ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ ٱلسِّنانِ وبينهُ إِلَّا قَيْدُ ظُفْرٍ، قال: أَمسِكْ، رَحِمَكَ ٱللَّهُ، فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ وَحْشِ ٱلجَنَّةِ ٱلَّتِي أَنْشَأَهَا اللَّهُ سبحانَهُ، وَلَمْ تَكُنْ فِي ٱلدَّارِ ٱلزَّائِلَةِ، ولكنِّي كُنْتُ فِي مَحلَّةِ ٱلغُرُورِ أَرُودُ فِي بعضِ ٱلقِفَارِ، فَمَرَّ بِي رَكْبٌ مُؤْمِنُونَ قَدْ كَرِيَ زادُهُمْ[6]،

---

(١) تقصر: ترتدع وتتوقّف.

(٢) البرين: جمع البرة: الحلية. ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ٢/٣٦٩، المقتضب، للمبرد ١/١١٣، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٥/٤٤؛ ١٠/٨٤، ٩١، المقرّب، لابن عصفور: ٥٧، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ١٢١، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/١٧٦، الدرر اللوامع ٢/٢٢٧، ديوان عدي بن زيد: ١٢٧.

(٣) الدمقس: الإِبْرَيْسَم، الديباج.

(٤) الصُّوار: قطيع البقر.

(٥) الأخنس: الأسد.

(٦) كري زادهم: قلّ ونقص.

فَصَرَعُوني وَٱسْتَعَانُوا بِي عَلَى ٱلسَّير فَعَوَّضَنِي ٱللَّهُ، جَلَّتْ كَلِمَتُهُ، بِأَنْ أَسْكَنَنِي فِي ٱلخُلُودِ. فَيَكفُّ عَنهُ مَوْلَاي ٱلشَّيْخُ ٱلجَليلُ.

وَيَعْمَدُ لِعِلْجٍ وَحْشِيٍّ، ما ٱلتَّلَفُ عِنْدَهُ بِمَخْشِيٍّ، فَإِذَا صَارَ ٱلخُرْصُ[1] مِنْهُ بِقَدْرِ أُنْمُلَةٍ قَالَ: أَمْسِكْ يا عَبْدَ ٱللَّهِ، فَإِنَّ ٱللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَرَفَعَ عَنِّي ٱلبُؤْسَ، وَذٰلِكَ أَنِّي صَادَنِي صَائِدٌ بِمَخْلَبِهِ. وَكَانَ إِهَابِي[2] لَهُ كَٱلسَّلَبِ، فَبَاعَهُ فِي بَعْضِ ٱلأَمْصَارِ، وَصَرَاهُ لِلسَّانِيَةِ[3] صَارٍ، فَٱتُّخِذَ مِنهُ غَرْبٌ، شُفِي بِمائِهِ ٱلكَرِبُ، وَتَطَهَّرَ بِنَزِيعِهِ ٱلصَّالِحُونَ، فَشَمَلَتْنِي بَرَكَةٌ مِنْ أُولٰئِكَ، فَدَخَلْتُ ٱلجَنَّةَ أُرْزَقُ فِيهَا بِغيرِ حِسَابٍ. فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ: فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَمَيَّزْنَ، فَمَا كَانَ مِنْكُنَّ دَخَلَ الفانِيَةَ فَمَا يَجِبُ أَنْ يَخْتَلِطَ بِوُحُوشِ ٱلجَنَّةِ. فَيَقُولَ ذٰلِكَ ٱلوحْشِيُّ: لَقَدْ نَصَحْتَنَا نُصْحَ ٱلشَّفِيقِ، وسوف تَتَمَثَّلُ ما أُمِرْتَ.

مَعَ أَبِي ذُؤَيْبٍ[4] ٱلهُذَلِيِّ

وَيَنْصَرِفُ مَوْلَاي ٱلشَّيْخُ ٱلجَليلُ وصَاحِبُهُ عَدِيٌّ، فَإِذَا هُمَا بِرَجُلٍ يَحْتَلِبُ نَاقَةً فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقُولانِ: مَنِ ٱلرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: أَبُو ذُؤَيْبٍ ٱلهُذَلِيُّ. فَيَقُولانِ: حُيِّيتَ وَسُعِدْتَ، لا شَقِيتَ فِي عَيْشِكَ ولا بَعُدْتَ، أَتَحْتَلِبُ مَعَ أَنهارِ لَبَنٍ؟ كَأَنَّ ذٰلِكَ مِنَ ٱلغَبَنِ. فَيَقُولُ: لَا بَأْسَ! إِنَّما خَطَرَ لِي ذٰلِكَ مِثْلَمَا خَطَرَ لَكُمَا ٱلقَنِيصُ، وَإِنِّي ذكرْتُ قَوْلِي فِي ٱلدَّهْرِ الأَولِ:

[الطويل]

وَإِنَّ حَدِيثاً مِنْكِ، لَوْ تَعْلَمِينَهُ، جَنَى ٱلنَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ[5]

---

(١) الخُرْص: الرمح القصير السنان.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) السانية: الذين يستقون الماء.

(٤) مرّت ترجمته.

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٤٠٢ مادة «طفل».

«والطُّفل: ذات الطفل من الإنسان والوحش معها طِفلُها، وهي قريبة عهد بالنتاج، وكذلك الناقة، والجمع مَطافيلُ ومَطافِلُ؛ قال أبو ذؤيب:

وإنّ حديثاً منكِ، لو تبذلينَهُ، جنى ٱلنحلِ في أَلبانِ عُوذٍ مَطافِلِ

مَطَافِيلَ أَبكارٍ حديثٍ نتاجُها، تُشَابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ ٱلمفاصِلِ..»

ورد البيت في: الخصائص لابن جني ١/ ٢١٩؛ ٣/ ٩٢٣ أمالي ابن الشجري ١٤٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٤٦، الدرر اللوامع ٢/ ٥٦؛ ديوان الهذليين ١/ ١٤٠.

مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ، حَدِيثٍ نِتَاجُهَا، تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

فَقَيَّضَ اللَّهُ بِقُدرَتِهِ لِي هٰذِهِ النَّاقَةَ عَائِذاً مُطْفِلاً، وَكَانَ بِالنِّعَمِ مُتَكَفِّلاً؛ فَقُمْتُ أَحْتَلِبُ عَلَى الْعَادَةِ، وأُرِيدُ أَنْ أَشُوبَ ذٰلِكَ بِضَرْبِ[1] نَحْلٍ، تَبغَنَ فِي الجَنَّةِ طَرِيقَةَ الفَحْلِ.

فَإِذَا امْتَلأَ إِنَاؤُهُ مِنَ الرِّسْلِ، كَوَّنَ البَارِي، جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، خَلِيَّةً مِنَ الجَوْهَرِ، رَتَعَ ثَوْلُها[2] فِي الزَّهْرِ، فَاجْتَنَى ذٰلِكَ أَبُو ذُؤَيبٍ، وَمَزَجَ حَلِيبَهُ بِلَا رَيْبٍ، فَيَقُولُ: أَلَا تَشْرَبَانِ؟ فَيَجْرَعَانِ مِنْ ذٰلِكَ المَحْلَبِ جُرَعاً، لَوْ فُرِّقَتْ عَلَى أَهْلِ سَقَرَ لَفَازوا بِالخُلْدِ شَرْعاً. فَيَقُولُ عَدِيٌّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَيَقُولُ، أَدَامَ تَمْكِينَهُ، لِعَدِيٍّ: جِئْتَ بِشيئينِ فِي شِعْرِكَ، وَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تَأْتِ بِهِمَا، أَحدُهُمَا قولُكَ:

[الطويل]

فَضَافٍ يُفَرِّي جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ يَبُذُّ الرِّهَانَ فَارِهاً مُتَتَابِعَا[3]

والآخرُ قولُك:

[الطويل]

فَلَيْتَ دَفَعْتَ الهَمَّ عَنِّيَ سَاعَةً، فَنُمْسِي عَلَى مَا خَيَّلَتْ نَاعِمَيْ بَالِ[4]

فَيَقُولُ عَدِيٌّ بِعِبَادِيَّتِهِ: يا مَكْبُورُ، لَقَدْ رُزِقْتَ ما يُكِبُّ أَنْ يَشْغَلَكَ عَنِ القَرِيضِ، إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَمَا قِيلَ لَكَ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩].

---

(١) يقصد مزجه بالعسل.

(٢) الثول: جماعة النحل.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٥٢١ مادة «فره».
«وفي حديث جريج: دابة فارهة أي نشيطة حادّة قوية؛ فأما قول عدي بن زيد في صفة فرس:
فصاف يُفَرِّي جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ، يَبُذُّ الجِيَادَ فَارِهاً مُتَتَابِعَا
فزعم أبو حاتم أن عديًا لم يكن له بصر بالخيل، وقد خُطِّئ عدي في ذلك..» وسراته: ظهره.

(٤) ورد البيت في: نوادر أبي زيد الأنصاري: ٢٥، أمالي ابن الشجري ١/ ١٨٣، ٢٩٥، الإنصاف لابن الأنباري: ١٨٣، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٨٩ (٢٣٨)، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١٣٦، ١٤٣، الدرر اللوامع ١/ ٧٤، ١٢٣، ديوان عدي بن زيد: ١٦٢.

قوله: يا مَكبُورُ يُريدُ: يا مَجْبُورُ، فجعَلَ ٱلجِيمَ كَافاً، وهِيَ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ يستعمِلُهَا أَهْلُ ٱليَمَن. وجاءَ فِي بَعْضِ ٱلأَحَادِيثِ: أَنَّ الحارِثَ بْنَ هَانِئِ بْنِ أَبِي شَمْرِ بْنِ جَبْلَةَ ٱلكِنْدِيَّ[1] ٱسْتُلْحِمَ يَوْمَ سَابَاط[2] فَنَادَى: يا حُكْرَ يا حُكْرَ، يُرِيدُ: يا حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ ٱلأَدبر[3]. فعَطَفَ[4] عَلَيْهِ فَٱستنقَذَهُ. ويَكِبُ: فِي مَعْنَى يَجِبُ. فَيَقُولُ، زَادَ ٱللَّهُ فِي أَنفاسِهِ: إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ سُلْطَانُهُ، أَلَّا يَحْرِمَنِي فِي ٱلجَنَّةِ تَلَذُّذاً بِأَدَبِي ٱلَّذِي كُنْتُ أَتَلَذَّذُ بِهِ فِي عَاجِلَتِي، فَأَجَابَنِي إِلَى ذٰلِكَ، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨].

مَعَ ٱلنَّابغةِ ٱلذّبيانيِّ[5] وَٱلنَّابغةِ ٱلجَعْدِيِّ[6]

وَيَمْضِي فِي نُزْهَتِهِ تِلْكَ بشابَّيْنِ يتحادثانِ، كلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى بَابِ قَصْرٍ مِنْ دُرٍّ، قد أُعفيَ منَ ٱلبُؤْسِ وَٱلضُّرِّ. فيُسلِّمُ عَلَيْهِمَا ويَقُولُ: مَنْ أَنْتُمَا، رَحِمَكُمَا ٱللَّهُ، وَقَدْ فَعَلَ؟ فَيَقُولانِ: نحنُ ٱلنَّابِغَتَانِ، نابغةُ بني جَعْدَةَ ونابِغَةُ بَنِي ذُبيان. فَيَقُولُ، ثَبَّتَ ٱللَّهُ وَطْأَتَهُ: أَمَّا نابغةُ بني جَعْدَة، فَقَدِ ٱسْتَوْجَبَ ما هُو فِيهِ بالحَنيفيَّةِ، وأَمَّا أَنْتَ يا أبا أُمامة فَمَا أَدْرِي ما هَيَّانُكَ؟ أَيْ ما جِهَتُكَ، فَيَقُولُ ٱلذُّبْيَانِيُّ: إِنِّي كُنْتُ مُقِرًّا بِٱللَّهِ، وَحَجَجتُ ٱلبَيْتَ فِي ٱلجاهِلِيَّةِ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلِي:

[البسيط]

فَلا لَعَمْرُ ٱلَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجاً، وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ[7]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) استحلم: نشب في الحرب فلم يستطع الفرار. ويوم ساباط موضع بالمدائن. انظر: معجم البلدان ٣/١٦٦.

(٣) هو: حُجر بن عدي بن جبلة الكندي: صحابي جليل شجاع، من المقدمين. مثل بين يدي رسول الله ﷺ وشهد القادسية. قتل سنة ٥١هـ = ٦٧١م. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/١٥١، نهاية الأرب: ١٩٠.

(٤) عطف عليه: مال إليه واستنقذه.

(٥) هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، أبو أُمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كان يحكم بين الشعراء توفي نحو سنة ١٨ق.هـ = نحو سنة ٦٠٤م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ١١/٣، الشعر والشعراء: ٣٨.

(٦) هو: قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة العامري، أبو ليلى شاعر، مفلّق، صحابي. من المعمرين. مثل بين يدي النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين. مات وقد جاوز المئة نحو سنة ٥٠هـ = نحو سنة ٦٧٠م. انظر ترجمته في: المرزباني: ٣٢١، الإصابة ٣/٥٣٧.

(٧) ورد في لسان العرب ١٠/٣٦٦ مادة «هرق» عجز البيت. «وأنشد للنابغة:

وما هُـريـق عـلـى الأنـصـابِ مـن جَـسَـد

=

وَٱلْمُؤْمِنِ ٱلعائِذاتِ ٱلطَّيْرُ تَمْسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ بينَ ٱلغِيْلِ وَٱلسَّنَدِ[١]

وقولي:

[الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفسِكَ رِيبَةً، وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهُوَ طائِعُ[٢]

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصافٍ وَثَبْرةٍ، يَزُرْنَ أَلالًا، سَيْرُهُنَّ تَدافُعُ[٣]

وَلَمْ أُدْرِكِ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، فَتَقُومَ ٱلحُجَّةُ عَلَيَّ بِخِلَافِهِ. وَإِنَّ ٱللَّهَ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ، عَزَّ مُلْكاً وَجَلَّ، يَغْفِرُ ما عَظُمَ بِمَا قَلَّ. فَيَقُولُ، لا زَالَ قَوْلُهُ عَالِياً: يا أَبا سَوَادَةَ، ويا أبا أُمامةَ، ويا أَبَا لَيْلَى ٱجْعَلُوهَا ساعَةَ مُنادَمَةٍ، فَإِنَّ مِنْ قَوْلِ شَيْخِنَا ٱلعِبَادِيِّ:

[الرمل]

أَيُّهَا ٱلقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ[٤]

= قال: وأصل هَراقَ أَراقَ يُريقُ إراقةً، وأصل أراقَ أُريق.. وأصل يُرَيق يُأَرَيقُ، وإنما قالوا أنا أُهَريقُهُ وهم لا يقولون أُأَريقُهُ لاستثقالهم الهمزتين، وقد زال ذلك بعد الإبدال..» الأنصاب، مفرده: نُصُب: الأحجار. وانظر: ديوان النابغة الذبياني ١٥.

(١) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش ٣/ ١١، خزانة الأدب، للبغدادي ٢/ ٣١٥، ٣٦٤؛ ٤/ ١٠٥، ديوان النابغة الذبياني: ١٥ برواية «والسعَد».
العائذات، اللائذات. وغِيل: موضع قرب اليمامة «والسند: بلد معروف في البادية». انظر: لسان العرب ٣/ ٢٢٣ مادة «سند».

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٢٤ مادة «أمم».
«وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة﴾: قال الأخفش، يريد أهلَ أُمَّةٍ أي خير أهل دينٍ؛ أنشد للنابغة:
حَلَفْتُ! فلم أتركْ لِنفسِكَ رِيبةً، وَهَلْ يأْثَمَنْ ذو أُمَّةٍ وهو طائع؟
والإِمَّة: لغة في الأمّة، وهي الطريقة والدين..».

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٢٧ مادة «ألل».
«وإلالٌ وأَلال: جبل بمكة؛ قال النابغة:
بِمُصْطَحَبَاتٍ من لَصافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ أَلالًا، سَيْرُهُنَّ التَّدافُعُ
والأَلالُ: بالفتح: جبل بعرفات. قال ابن جني: قال ابن حبيب: الإِلُّ جَبَل من رمل به يقف الناس من عرفات عن يمين الإمام» وأورد لسان العرب ٩/ ٣١٦ مادة «لصف» البيت أيضاً.
«ولصاف وثَبْرةُ: ماءان بناحية الشَّواجِن في ديار ضَبَّة بن أُدّ؛ وإيّاها أراد النابغة بقوله:
بِمُصْطَحِبَاتٍ من لَصافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إلالًا، سَيْرُهُنَّ ٱلتَّدافُعُ»

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ١٥١ مادة «ددن».
«.. الدَّدُ اللهو واللعب، وهي محذوفة اللام... وقال الأحمر: فيه ثلاث لغات، يقال للهو ددٌ مثل يد، ودداً مثل قفاً وعصاً، ودَدَنٌ مثل حَزَن؛ وأنشد لعديّ:
أَيُّها ٱلقَلْبُ تَعَلَّلْ بِددنْ إِنَّ هَمِّي في سَمَاعٍ وأَذَنْ» =

وَشَــــرَابِ خُــــسْــــرُوَانِــــيٍّ، إِذَا ذَاقَــهُ ٱلْـشَّـيْـخُ تَـغَـنَّـى وَٱرْجَـحَـنْ[1]

وقال:

[الرمل]

وَسَــمَــاعٍ يَــأْذَنُ ٱلــشَّــيْــخُ لَهُ وَحَـدِيـثٍ مِـثْـلِ مَـاذِيٍّ مُـشَـارِ[2]

فَكَيْفَ لَنَا بِأَبِي بَصيرٍ[3]؟! فلا تَتِمُّ ٱلكَلِمَةُ إِلَّا وأَبو بَصِيرٍ قَدْ خَمَسَهُمْ، فَيُسَبِّحُونَ ٱللَّهَ وَيُقَدِّسُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ عَلى أَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمْ، وَيَتْلُو، جَمَّلَ ٱللَّهُ ببقائِهِ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

فَإِذَا أَكَلُوا مِنْ طيباتِ ٱلجَنَّةِ، وَشَرِبُوا مِنْ شَرَابِهَا ٱلَّذِي خَزَنَهُ ٱللَّهُ لِعِبادِهِ ٱلمُتَّقِينَ، قَالَ، كَتَّ[4] ٱللَّهُ أَنفَ مُبْغِضِهِ: يا أَبَا أُمَامَةَ إِنَّكَ لَحَصِيفُ ٱلرَّأْيِ لَبِيبٌ، فَكَيْفَ حَسَّنَ لَكَ لُبُّكَ أَنْ تَقُولَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ ٱلمُنْذِرِ:

[الكامل]

زَعَـمَ ٱلــهُــمَــامُ بِــأَنَّ فـاهـاً بـارِدٌ عَـذْبٌ، إِذَا مَـا ذُقْـتُـهُ قُـلْـتُ ٱزْدَدِ

زَعَـمَ ٱلـهُـمَـامُ، وَلَمْ أَذُقْـهُ، بِـأَنَّـهُ يُشْفَى بِبَرْدِ لِثَاتِهَا[5] ٱلعَطِشُ ٱلصَدِي[6]

ثُمَّ ٱستمرَّ بِكَ ٱلقَوْلُ حَتَّى أَنكرَهُ عَلَيْكَ خاصَّةٌ وعامَّةٌ؟

فَيَقُولُ ٱلنَّابِغَةُ بِذَكاءٍ وَفَهْمٍ: لَقَدْ ظَلَمَنِي مَنْ عَابَ عَلَيَّ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَعَلِمَ أَنَّنِي ٱحْتَرَزْتُ أَشَدَّ ٱحْتِراز. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلنُّعمانَ كَانَ مُسْتَهْتِراً بِتِلْكَ ٱلمَرْأَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَذْكُرَها فِي شِعْرِي، فَأَدَرْتُ ذٰلِكَ فِي خَلَدِي[7] فَقُلْتُ: إِنْ وَصَفْتُهَا وَصْفاً مُطْلَقاً، جَازَ أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِهَا مُعَلَّقاً. وخَشِيتُ أَنْ أَذْكُرَ ٱسْمَهَا فِي ٱلنَّظْمِ، فلا يكونُ ذٰلِكَ مُوَافِقاً لِلْمَلِكِ، لِأَنَّ ٱلمُلُوكَ يأْنَفُونَ مِنْ تَسْمِيَةِ نِسائِهِمْ، فَرَأَيْتُ أَنْ أُسْنِدَ ٱلصِّفَةَ إِلَيْهِ فَأَقُولُ: زَعَمَ ٱلهُمَامُ، إِذْ

= ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٦، ديوان عدي بن زيد: ١٧٢.

(١) شراب خُسرواني: نوع من خمور الفرس، فإذا شربه الشيخ تمايل طرباً وسكراً.

(٢) «والماذي: العسل الأبيض. والماذِيَّةُ: الخمرة السهلة السلسة، شبِّهت بالعسل، ويقال: سميت ماذية للينها. يقال: عسل ماذيٌّ إذا كان لَيِّناً...»
انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٧٥ مادة «مذي».

(٣) أبو بصير: كنية الأعشى ميمون بن قيس.

(٤) كتّ: أرغم.

(٥) اللثات، مفرده لثة، بكسر اللام: وهي اللحم المحيط بالأسنان.

(٦) الصدي: الظمئ.

(٧) خلدي: عقلي.

كُنتُ لَوْ تَرَكْتُ ذِكْرَهُ لَظَنَّ ٱلسَّامِعُ أَنَّ صِفَتي عَلَى ٱلْمُشَاهَدَةِ، وَٱلأَبياتَ ٱلَّتِي جاءَتْ بعدُ، داخِلَةٌ فِي وَصْفِ ٱلهُمَام، فَمَنْ تأَمَّلَ ٱلمَعْنَى وَجَدَهُ غَيْرَ مُخْتَلّ. وَكَيْفَ يُنْشِدُونَ: «وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ أَقْمَرَ مُشْرِقاً».

وما بعْدَهُ؟ فَيَقُولُ، أَرْغَمَ ٱللَّهُ أَنْفَ شانِئِهِ[1]: تُنْشِدُ: وَإِذَا نَظَرْتَ، وَإِذَا لَمَسْتَ، وَإِذَا طَعَنْتَ، وَإِذَا نَزَعْتَ، عَلَى ٱلخِطَابِ، فَيَقُولُ ٱلنَّابِغَةُ: قَدْ يَسوغُ هٰذا، ولكِنَّ ٱلأَجْوَدَ أَنْ تَجْعَلُوهُ إِخْباراً عَنِ ٱلمُتَكَلِّم، لِأَنَّ قَوْلِي: زَعَمَ ٱلهُمَامُ، يُؤَدِّي مَعْنَى قَوْلِنَا: قَالَ ٱلهُمَامُ، فَهٰذَا أَسْلَمُ، إِذْ كَانَ ٱلمَلِكُ إِنَّما يَحْكِي عَنْ نَفْسِهِ. وَإِذَا جَعَلْتُمُوهُ عَلَى ٱلخِطَابِ قَبُحَ: إِنْ نَسَبْتُمُوهُ إِلَيَّ فَهوَ مُنْدِيَة[2]، وَإِنْ نَسَبْتُمُوهُ إِلى ٱلنُّعْمَانِ فَهُوَ إِزراءٌ وَتَنَقُّصٌ. فَيَقُولُ، أَيَّد ٱللَّهُ ٱلفضلَ بزيادةِ مُدَّتِهِ: لِلَّهِ دَرُّكَ يا كَوكبَ بني مُرَّةَ، وَلَقَدْ صَحَّفَ عَلَيْكَ أَهْلُ ٱلعِلْم مِنَ ٱلرُّوَاةِ، وَكَيْفَ لِي بِأَبَوي عَمْرٍو: المازنيّ[3] وَٱلشَّيْبَانِيّ[4]، وَأَبي عُبَيْدَةَ[5]، وَعَبْدِ ٱلمَلِكِ[6]، وغيرِهِمْ مِنَ ٱلنَّقَلةِ لِأَسْأَلَهُمْ: كَيْفَ يَرْوُونَ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ، لِتَعْلَمَ أَنِّي غيرُ ٱلمُتخَرِّصِ[7] وَلَا ٱلوَلَّاغ[8]؟ فلا يَقِرُّ هٰذا ٱلقولُ فِي حُذُنَّةِ[9] أَبي أُمامةَ إِلَّا وَٱلرُّواةُ أَجمَعُونَ قَدْ أَحْضَرَهُمُ ٱللَّهُ ٱلقادِرُ، مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ نَالَتْهُمْ، وَلَا كُلْفَةٍ فِي ذٰلِكَ أَصَابَتْهُمْ، فَيُسلِّمُونَ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ. فَيَقُولُ، أَعْلَى اللَّهُ قَوْلَهُ: مَنْ هٰذِهِ ٱلشُّخُوصُ

---

(١) شانئه: مبغضه.

(٢) مندية: مثيرة للخجل.

(٣) هو: بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان، من مازن شيبان: أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة، وبها كانت وفاته سنة ٢٤٩هـ = سنة ٨٦٣م. من كتبه: «التصريف»، «الديباج». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٩٢، معجم الأدباء ٢/ ٢٨٠.

(٤) هو: إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء؛ لغوي أديب. من رمادة الكوفة سكن بغداد ومات بها سنة ٢٠٦هـ = سنة ٨٢١م. أصله من الموالي من كتبه: «النوادر»، «كتاب اللغات». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٩، وفيات الأعيان ١/ ٦٥.

(٥) هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري: من أئمة العلم بالأدب واللغة ولد في البصرة سنة ١١٠هـ = سنة ٧٢٨م. وبها وفاته سنة ٢٠٩هـ = سنة ٨٢٤م. من كتبه: «الخيل»، «مجاز القرآن». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٠٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢.

(٦) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. ولد في البصرة سنة ١٢٢هـ = سنة ٧٤٠م وبها توفي سنة ٢١٦هـ = سنة ٨٣١م. من كتبه: «الأضداد»، «والأصمعيات». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٨.

(٧) المتخرّص: المتقول بغير الحق.

(٨) الولّاغ: الخائض بأعراض الناس.

(٩) حُذُنّة: أذن.

ٱلفِرْدَوْسِيَّةُ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ ٱلرُّواةَ ٱلَّذِينَ شِئْتَ إِحْضَارَهُمْ آنِفاً. فَيَقُولُ: لا إِلٰه إِلَّا ٱللَّهُ مُكَوِّناً مُدَوِّناً، وسُبْحَانَ ٱللَّهِ باعِثاً وَارِثاً، وَتَبَارَكَ ٱللَّهُ قَادِراً لا غَادِراً! كَيْفَ تَرْوُونَ أَيُّهَا ٱلمَرْحُومُونَ قولَ ٱلنَّابِغَةِ فِي ٱلدَّالِيَةِ: وَإِذَا نَظَرْتَ، وَإِذَا لَمَسْتَ، وَإِذَا طَعَنْتَ، وَإِذَا نَزَعْتَ، أَبِفَتْحِ ٱلتَّاءِ أَمْ بِضَمِّهَا؟ فَيَقُولُونَ: بِفَتْحِهَا. فَيَقُولُ: هٰذا شَيْخُنَا أَبُو أُمَامَةَ يَخْتَارُ ٱلضَّمَّ، ويُخْبِرُ أَنَّهُ حَكَاهُ عَنِ ٱلنُّعْمَانِ. فَيَقُولُونَ: هُوَ كَمَا جَاءَ فِي ٱلكِتَابِ ٱلكَرِيمِ: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣] فَيَقُولُ، ثَبَّتَ ٱللَّهُ كَلِمَتَهُ عَلَى ٱلتَّوفِيقِ: مَضَى ٱلكَلامُ فِي هٰذا يا أَبا أُمَامَةَ، فَأَنْشِدْنَا كَلِمَتَكَ ٱلَّتِي أَوَّلُها:

[الطويل]

أَلِمَّا عَلَى ٱلمَمْطُورَةِ ٱلمُتَأَبِّدَهْ، أَقَامَتْ بِهَا فِي ٱلمَرْبَعِ ٱلمُتَجَرِّدَهْ[١]

مُضَمَّخَةٌ بِٱلمِسْكِ مَخْضُوبَةُ ٱلشَّوَى بِدُرٍّ وَيَاقُوتٍ لَهَا مُتَقَلِّدَهْ[٢]

كَأَنَّ ثَنَايَاهَا، وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهَا، مَجَاجَةُ نَحْلٍ فِي كُمَيْتٍ مُبَرَّدَهْ

لِيُقْرِزْ بِهَا ٱلنُّعْمَانُ عَيْناً فَإِنَّهَا لَهُ نِعْمَةٌ، فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَدَّدَهْ

فَيَقُولُ أَبُو أُمَامَةَ: ما أَذْكُرُ أَنِّي سَلَكْتُ هٰذَا ٱلقري[٣] قَطُّ. فَيَقُولُ مَوْلايَ ٱلشَّيْخُ، زَيَّنَ ٱللَّهُ أَيَامَهُ بِبَقَائِهِ: إِنَّ ذٰلِكَ لَعَجَبٌ، فَمَنِ ٱلَّذِي تَطَوَّعَ فَنَسَبَهَا إِلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَمْ تُنسَبْ إِلَيَّ عَلَى سَبِيلِ ٱلتَّطَوُّعِ، ولٰكِنْ عَلَى مَعْنَى ٱلغَلَطِ وَٱلتَّوَهُّمِ، وَلَعَلَّهَا لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ: فَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ: صَحِبَنِي شَابٌّ فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ نُرِيدُ ٱلحِيرَةَ[٤]، فَأَنْشَدَنِي هٰذِهِ ٱلقَصِيدَةَ لِنَفْسِهِ، وَذَكَر أَنَّهُ مِنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ، وَصَادَفَ قُدُومُهُ شَكَاةً مِنَ ٱلنُّعمانِ فَلَمْ يَصِلْ بِهَا إِلَيهِ. فَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي ذُبْيَانَ: مَا أَجْدَرَ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ!

وَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ، كَتَبَ ٱللَّهُ لَهُ مَثُوبَةَ ٱلمُتَّقِينَ، لِنَابِغَةِ بَنِي جَعْدَةَ: يا أَبا لَيْلَى، أَنْشِدْنَا كَلِمَتَكَ ٱلَّتِي عَلَى ٱلشِّينِ ٱلَّتِي تَقُولُ فِيهَا:

[الرمل]

وَلَقَدْ أَغْدُو بِشَرْبٍ[٥] أُنُفٍ[٦]، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ فِي ٱلأَرْضِ رَبَشْ[٧]

---

(١) المتجرّدة: زوجة النعمان بن المنذر، تغزل بها النابغة الذبياني. والمتأبدة: المتوحشة.

(٢) مخضوبة الشوى: أي تلوّن يديها ورجليها بالحنّاء.

(٣) القري: الروي.

(٤) الحيرة، بكسر الحاء: عاصمة المناذرة في العراق قبل الإسلام.

(٥) الشَّرب، بفتح الشين: جماعة الشاربين.

(٦) أُنُف: ذوي كبرياء، يأنفون الضيم. (٧) الربش: العشب.

مَـعَـنَـا زِقٌّ إلـى سُـمَّـهَـةٍ[١] تَـسِـقُ[٢] ٱلآكَـالَ مِـنْ رَطْـبٍ وَهَـشّ[٣]
فَـنَـزَلْـنَـا بِـمَـلِـيـعٍ[٤] مُـقْـفِـرٍ مَـسَّـهُ طَـلٌّ مِـنَ الـدَّجْـنِ[٥] وَرَشّ
وَلَدَيْـنَـا قَـيْـنَـةٌ مُـسْـمِـعَـةٌ ضَـخْـمَـةُ ٱلأَرْدَافِ مِـنْ غَـيْـرِ نَـفَـشْ
وَإِذَا نَـحْـنُ بِـإِجْـلٍ[٦] نَـافِـرٍ، وَنَـعَـامٍ خَـيْـطُـهُ مِـثْـلُ ٱلْـحَـبَـشْ[٧]
فَـحَـمَـلْـنَـا مَـاهِـنـاً[٨] يَـنْـصِـفُـنَـا، فَـوْقَ يَـعْـبُـوبٍ[٩] مِـنَ ٱلْـخَـيْـلِ أَجَـشّ
ثُـمَّ قُـلْـنَـا: دُونَـكَ ٱلـصَّـيْـدُ بِـهِ تُـدْرِكِ ٱلْـمَـحْـبُـوبَ مِـنَّـا وَتَـعِـشْ
فَـأَتَـانَـا بِـشَـبُـوبٍ[١٠] نَـاشِـطٍ وَظَـلِـيـمٍ، مَـعَـهُ أُمُّ خُـشَـشْ[١١]
فَـٱشْـتَـوَيْـنَـا مِـنْ غَـرِيـضٍ[١٢] طَـيِّـبٍ غَـيْـرِ مَـمْـنُـونٍ، وَأُبْـنَـا بِـغَـبَـشْ[١٣]

فَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ: ما جَعَلْتُ ٱلشِّينَ قَطُّ رَوِيًّا، وفي هٰذا ٱلشِّعرِ أَلْفَاظٌ لَمْ أَسْمَعْ بِهَا قَطُّ: رَبش، وسَمّهة، وخَشَش.

فَيَقُولُ مَوْلايَ ٱلشَّيْخُ ٱلأَدِيبُ ٱلْمُغْرَمُ بِٱلعِلْمِ: يا أَبَا لَيْلَى، لَقَدْ طَالَ عَهْدُكَ بِأَلفاظِ ٱلْفُصَحاءِ، وشَغَلَكَ شَرَابٌ مَا جَاءَتْكَ بِمِثْلِهِ بَابِلُ وَلَا أَذْرِعَاتُ وَثَنَتْكَ لُحُومُ ٱلطَّيرِ ٱلرَّائِعَةُ

---

(١) «والسُمَّهة: خُوصٌ يُسَفُّ ثم يجمع، يجعل شبيهاً بالسُّفْرَة». انظر: لسان العرب ١٣/ ٥٠١ مادة «سمه»

(٢) تسق: تحمل.

(٣) الهش: اليابس.

(٤) «المليع: الفضاء الواسع.. الفلاة.. وأن يكون مليع موضعاً بعينه» انظر: لسان العرب ٨/ ٣٤٢ مادة «ملع»

(٥) الدجن: المطر.

(٦) «الإجل: لغة في الإبل وهو الذكر من الأوعال.. والجيم بدل من الياء..» انظر: لسان العرب ١١/ ١١ مادة «أجل».

(٧) الحبش: السودان الزنوج.

(٨) الماهن: الخادم.

(٩) «اليعبوب: فرس الربيع بن زياد، صفة غالبة. واليعبوب: الجدول الكثير الماء الشديد الجرية، وبه شُبِّهَ الفرس الطويل اليعبوب». انظر: لسان العرب ١/ ٥٧٤ مادة «عبب».

(١٠) «الشَبَبُ والشبُوبُ والمِشَبُّ: كله الشَّابُّ من الثيران والغنم..» انظر: لسان العرب ١/ ٤٨١ مادة «شبب».

(١١) الخشش: صغار الظباء.

(١٢) الغريض: اللحم الطري.

(١٣) «الغبش: شدة الظلمة، وقيل: هو بقية الليل، وقيل: ظلمة آخر الليل». انظر: لسان العرب ٦/ ٣٢٢ مادة «غبش».

فِي رِيَاضِ ٱلجَنَّةِ، فَنَسِيتَ ما كُنتَ عَرَفْتَ. ولا مَلاَمَةَ إِذَا نَسِيتَ ذٰلِكَ، ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٧].

أَمَا رَبَش، فَمِنْ قَوْلِهِم: أَرْضٌ رَبْشَاءُ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهَا قِطَعٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ، وَكَأَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ عَنْ بَرْشاءَ، وَأَمَّا وسُمَّهَةٌ فَشَبِيهَةٌ بِٱلسُّفرةِ تُتَّخَذُ مِنَ ٱلخُوصِ؛ وَأَمَّا خَشَشٌ فَإِنَّ أَبا عَمْرٍو ٱلشَّيبانِيَّ ذَكَرَ فِي كِتَابِ ٱلخاءِ أَنَّ ٱلخَشَشَ وَلَدُ ٱلظَّبْيَةِ.

فَكَيْفَ تُنْشِدُ قَوْلَكَ:

[الطويل]

وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا ... صِحَاحاً، وَلاَ مُسْتَنْكِراً أَنْ تُعَقَّرَا

أَتَقُولُ: وَلَا مُسْتَنكِراً، أَمْ مُسْتَنكِرٍ؟ فَيَقُولُ ٱلجَعْدِيُّ: بَلْ مُسْتَنكِراً. فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ: فَإِنْ أَنْشَدَ مُنْشِدٌ: مُسْتَنكِر، ما تَصْنَعُ بِهِ؟ فَيَقُولُ: أَزْجُرُهُ وَأَزْبِرُهُ[1]، نَطَقَ بِأَمْرٍ لا يَخْبِرُهُ. فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ، طَوَّلَ ٱللَّهُ لَهُ أَمَدَ ٱلبقاءِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، مَا أَرَى سِيبَوَيْهِ إِلَّا وَهِمَ فِي هٰذَا ٱلبَيْتِ، لِأَنَّ أَبَا لَيْلَى أَدْرَكَ جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَاماً، وَغُذِّيَ بِٱلفَصَاحَةِ غُلَاماً.

مَعَ ٱلأَعْشَى

وَيَنْثَنِي إِلى أَعْشَى قَيْسٍ فَيَقُولُ: يا أَبَا بَصِيرٍ أَنْشِدْنَا قَوْلَكَ:

[الهزج]

أَمِنْ قَتْلَةَ بِٱلأَنْقَا ... ءِ دَارٌ غَيْرُ مَحْلُولَهْ[2]

كَأَنْ لَمْ تَصْحَبِ ٱلحَيَّ ... بِهَا بَيْضَاءُ عُطْبُولَهْ[3]

أَنَاةٌ يُنْزِلُ ٱلقَوسِـ ... ـيَّ مِنْهَا مَنْظَرٌ هُولَهْ

وَمَا صَهْبَاءُ مِنْ عَانَـ ... ـةَ[4] فِي ٱلذِّرَاعِ مَحْمُولَهْ

---

(١) أزبره: أردعه.

(٢) «النقي من الرمل: القطعة تنقاد مُحْدَوْدِبة، حكى يعقوب في تثنيته نقيان ونَقَوان والجمع نُقيان وأنقاء. وهذه نقاة من الرمل للكثيب المجتمع الأبيض الذي لا ينبت شيئاً». انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٤١ مادة «نقا».

(٣) «جارية عُطْبُلٌ وعُطبولٌ وعُطبُولة وعَيْطَبولٌ: جميلة فتية ممتلئة طويلة العُنُق..» انظر: لسان العرب ١١/ ٤٥٦ مادة «عطبل».

(٤) «وعانَةُ: قرية من قرى الجزيرة، وفي الصحاح: قرية على الفرات، وتصغير كلّ ذلك عُوَيْنة..» انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٠٠ مادة «عون».

تَــولَّى كَــرْمَــهــا أَصْــهَــبُ يَــسْــقِــيْــهِ وَيَــغْــدُو لَهْ
ثَــوَتْ[١] فِــي ٱلــخَــرْسِ[٢] أَعْــوَامــاً وَجَــاءَتْ، وَهْــيَ مَــقْــتُــولَهْ
بِــمَــاءِ ٱلــمُــزْنَــةِ ٱلــغَــرَّاءِ رَاحَــتْ، وَهْــيَ مَــشْــمُــولَهْ[٣]
بِــأَشْــهَــى مِــنْــكِ لِلظَّــمْــآنِ لَوْ أَنَّــكِ مَــبْــذُولَهْ

فَيَقُولُ أَعْشَى قَيْسٍ: ما هٰذِهِ مِمَّا صَدَرَ عَنِّي، وَإِنَّكَ مُنْذُ ٱلْيَوْمِ لَمُوْلَعٌ بِٱلمَنْحُولاتِ.

وَيَمُرُّ رَفٌّ مِنْ أُوَزِّ ٱلجَنَّةِ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنزِلَ عَلَى تِلْكَ ٱلرَّوْضَةِ وَيَقِفَ وُقُوفَ مُنْتَظِرٍ لِأَمْرٍ، وَمِنْ شَأْنِ طَيْرِ ٱلجَنَّةِ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَيَقُولَ مَا شَأْنُكُنَّ؟ فَيَقُلْنَ: أُلْهِمْنَا أَنْ نَسْقُطَ فِي هٰذِهِ ٱلرَّوْضَةِ فَنُغَنِّي لِمَنْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ. فَيَقُولُ: عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ القَدِيرِ. فَيَنْتَفِضْنَ، فَيَصِرْنَ جَوَارِيَ كواعِبَ[٤] يَرْفُلْنَ فِي وَشْيِ ٱلجَنَّةِ، وبِأَيْدِيهِنَّ ٱلمَزَاهِرُ وَأَنْوَاعُ مَا يُلْتَمَسُ بِهِ ٱلمَلَاهِي. فَيَعْجَبُ، وَحُقَّ لَهُ ٱلعَجَبُ، ولَيْسَ ذٰلِكَ بِبَدِيعٍ مِنْ قُدْرةِ ٱللَّهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، وَعَزَّتْ كَلِمَتُهُ، وَسَبَغَتْ[٥] عَلَى ٱلعَالَمِ نِعْمَتُه، وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رحمتُهُ، وَوَقَعَتْ بِٱلكَافِرِ نقمَتُهُ. فَيَقُولُ لِإِحْدَاهُنَّ عَلَى سَبِيلِ ٱلامْتِحانِ: اعْمَلِي قَوْلَ أَبِي أُمَامَةَ، وَهُوَ هٰذَا ٱلقاعِدُ:

[الكامل]

أَمِــنَ آلِ مَــيَّــةَ رَائِحٌ أَوْ مُــغْــتَــدِ، عَــجْــلَانُ ذا زادٍ وَغَــيْــرُ مُــزَوَّدِ[٦]؟

ثقيلًا[٧] أول. فتصْنَعُهُ، فتجيءُ بِهِ مُطْرِباً، وفي أعضاءِ ٱلسَّامِعِ مُتَسَرِّباً. ولو نُحِتَ صَنَمٌ مِنْ أَحْجارٍ، أو دفُّ أُشِرَ[٨] عندَ ٱلنَّجارِ، ثُمَّ سَمِعَ ذلك ٱلصَّوْتَ لَرَقَصَ، وَإِنْ كَانَ مُتَعالِياً هَبَطَ وَلَمْ يُراعِ أَنْ يُوْقَصَ[٩] فَيَرِدُ عَلَيْهِ، أَوْرَدَ ٱللَّهُ قلبَهُ ٱلمُحابَّ، زَوَلَ، تَعْجَزُ

---

(١) ثوت: لبثت.
(٢) «قال: الخَرْس: الدنّ، قيّده بالخاء. والخرّاس أيضاً: الخمّار». انظر: لسان العرب ٦/ ٦٤ مادة «خرس»
(٣) مشمولة: بردت لهبوب ريح الشمال عليها.
(٤) كواعب، مفرده كاعب، وهي الفتاة التي نهد ثدياها.
(٥) سبغت: شملت وعمّت.
(٦) ورد البيت في: الخصائص لابن جني ١/ ٢٤٠، وانظر: ديوان النابغة الذبياني: ٢٧.
(٧) الثقيل: ضرب من الألحان ثقيل على السمع.
(٨) أشر: نشر.
(٩) يوقص: يعاب وينقص.

عَنْهُ ٱلْحِيَلُ وَٱلْحَوْلُ[١]، فَيَقُولُ: هَلُمَّ خفيفَ ٱلثَّقيلِ ٱلأَوَّلِ! فَتَنْبَعِثُ فيهِ بِنَغَمٍ لَوْ سَمِعَهُ ٱلْغَرِيضُ[٢]، لَأَقَرَّ أَنَّ ما تَرَنَّمَ بِهِ مَرِيضٌ. فَإِذا أَجادَتْهُ، وَأَعْطَتْهُ ٱلْمُهْرَةَ وَزادَتْهُ، قال: عليك بِٱلثَّقِيلِ ٱلثَّاني، ما بينَ مَثالِثِكِ وَٱلْمَثاني؛ فتأتي بِهِ على قَرِيٍّ لَوْ سَمِعَهُ عبدُ ٱللَّهِ بْنُ جعفرٍ[٣] لَقَرَنَ أَغانِيَ بُديحٍ[٤] إلى هَدِيرِ ذِي ٱلمِشْفَرِ. فَإِذَا رأى ذلك قال: سُبْحَانَ ٱللَّهِ! كُلَّما كُشِفَتِ ٱلْقُدْرَةُ بَدَتْ لَهَا عَجائِبُ، لا تثبُتُ لَهَا ٱلنَّجائِبُ[٥]؛ فَصِيري إلى خفيفِ ٱلثَّقِيلِ ٱلثَّاني، فإنَّكِ لَمُجيدَةٌ مُحْسِنَةٌ، تُطرِدُ بِغِنائِكِ ٱلسِّنَةَ[٦]. فَإِذا فَعَلْتِ ما أَمَرَ بِهِ، أَتَتْ بِٱلبُرَحَيْنِ، وقالَتْ لِلأَنْفُسِ: أَلا تَمْرَحِينَ؟ ثُمَّ يقترحُ عليها: الرملَ وخفيفَهُ، وَأَخاهُ ٱلْهَزَجَ وذَفِيفَهُ؛ وهٰذه ٱلأَلْحَانُ ٱلثَّمانِيَةُ، لِلأُذُنِ تُمَنِّيها ٱلمَانِيَةُ.

فَإِذا تَيقَّنَ لَهَا حَذاقةً[٧]، وَعَرَفَ منها بِٱلعُودِ لَباقَةً، هَلَّلَ وَكَبَّرَ، وَأَطَالَ حَمْدَ رَبِّهِ وَٱعْتَبَرَ. وَقالَ: وَيْحَكِ! أَلَمْ تَكُونِي ٱلسَّاعَةَ أَوَزَّةً طَائِرةً، وَٱللَّهُ خَلَقَكِ مَهْدِيَّةً لا حائِرَةً؟ فَمِنْ أَيْنَ لَكِ هٰذا ٱلعِلْمُ، كَأَنَّكِ لِجَذْلِ ٱلنَّفْسِ خُلْمٌ[٨]؟ لَوْ نَشَأْتِ بينَ مَعْبَدٍ[٩] وَٱبْنِ سُرَيْجٍ[١٠]، لَمَا هِجْتِ ٱلسَّامِعَ بِهٰذا ٱلهَيْجِ، فَكَيْفَ نَفَضْتِ بله أوز، وَهَزَزْتِ إِلى ٱلطَّرَبِ أَشَدَّ ٱلهَزِّ؟ فتقولُ: وَمَا ٱلَّذي رَأَيْتَ مِنْ قُدرةِ بارئِكَ؟ إِنَّكَ على سَيْفِ بَحْرٍ، لا يُدْرَكُ لَهُ عبر، سُبْحَانَ مَنْ يُحْيي ٱلعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ[١١].

---

(١) الحيل والحول: القوّة.

(٢) هو: عبد الملك بن يزيد، من مشاهير المغنين في الإسلام. توفي سنة ٩٥هـ = سنة ٧١٥م.

(٣) هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي. ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها. وهو أول من ولد بها من المسلمين. وأتى البصرة والكوفة والشام. وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين. مات بالمدينة سنة ٨٠هـ = سنة ٧٠٠م. انظر ترجمته في: الإصابة، ت٤٥٨٢ المحبر: ١٤٨.

(٤) بديح: أحد المغنين المشهورين، كان إذا غنى قطع غناء غيره بحسن صوته.

(٥) النجائب من النياق: السريعات في السير.

(٦) السِّنة، بكسر السين: النعاس.

(٧) الحذاقة: المهارة.

(٨) الخُلْم، بضم الخاء: الصديق.

(٩) هو: معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي رحل إلى دمشق عندما ارتفع شأنه فاتصل بأمرائها، وكان أديباً فصيحاً. مات سنة ١٢٦هـ = سنة ٧٤٣م. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة الدار ١/ ٣٦ ـ ٥٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ١٦٥.

(١٠) هو: عبيد الله بن سريج، مولى بني نوفل بن عبد مناف، أبو يحيى: من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام. من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود. مات سنة ٩٨هـ = سنة ٧١٦م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ١/ ٢٤٨.

(١١) رميم: تحوّلت تراباً.

مَعَ لَبِيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ(١)

فَبَيْنا هُمْ كذلِكَ، إذْ مَرَّ شابٌّ فِي يدِهِ مِحْجَنُ ياقوتٍ، مَلَكَهُ بِٱلحُكْمِ ٱلمَوْقُوتِ، فَيُسَلِّمُ عَليهِمْ فيقولون: مَنْ أَنْتَ! فَيَقولُ: أَنا لَبِيْدُ بْنُ رَبيعَةَ بْنِ كِلابٍ فيقولون: أُكْرِمْتَ أُكْرِمْتَ! لو قُلْتَ: لبيدٌ وَسَكَتَّ، لَشُهِرْتَ بِٱسْمِكَ وإِنْ صَمَتَّ. فَمَا بَالُكَ في مَغْفِرَةِ رَبِّكَ؟ فيقول: أنا بحمدِ اللَّهِ في عَيْشٍ قَصَّرَ أَنْ يَصِفَهُ الواصِفُونَ، وَلَدَيَّ نَوَاصِفُ وناصِفُونَ، لا هَرَمَ ولا بَرَمَ. فَيَقولُ ٱلشَّيْخُ: تَبارَكَ ٱلمَلِكُ ٱلقُدُّوسُ، وَمَنْ لا تُدْرِكُ يقِينَهُ ٱلحُدُوسُ، كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ في ٱلدَّارِ ٱلفَانِيَةِ:

[الكامل]

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ ٱلحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هٰذا ٱلنَّاسِ: كَيْفَ لَبِيْدُ(٢)

وَلَمْ تَفِهْ بِقَوْلِكَ:

[الرمل]

فَمَتَى أَهْلِكْ فَلَا أَحْفِلُهُ بَجَلِي ٱلآنَ مِنَ ٱلعَيْشِ بَجَلْ(٣)!

مِنْ حَيَاةٍ قَدْ مَلَلْنَا طُولَهَا وَجَدِيرٌ طُولُ عَيْشٍ أَنْ يُمَلّ؟

فَأَنْشِدْنَا مِيْمِيَّتَكَ ٱلمُعَلَّقَةَ. فَيَقُولُ: هَيْهَاتِ! إِنِّي تَرَكْتُ ٱلشِّعْرَ في ٱلدَّارِ ٱلخادِعَةِ، ولَنْ أَعودَ إِليهِ في الدَّارِ ٱلآخِرَةِ، وقد عُوِّضْتُ ما هو خيرٌ وأَبرُّ.

فيقول: أَخْبِرْني عَنْ قولِك:

[الكامل]

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ، إِذَا لَمْ أَرْضَهَا، أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ ٱلنُّفوسِ حِمَامُهَا(٤)

---

(١) مرَّت ترجمته.
ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٧٥٩ مادة «نصب».
«.. كما قال لبيد:
ولقد سئمت من الحياة وطولها، وسُؤال هذا الناس كيف لبيدُ!»

(٢) ورد البيت في: المحتسب، لابن جني ١/ ١٨٩، وانظر: ديوان لبيد: ٣٥.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٤٥ مادة «بجل».
«وبجلي أي حَسْبي؛ قال لبيد: بَجَلي ٱلآن مِنَ ٱلعيشِ بَجَلْ.
قال الليث: هو مجزوم لاعتماده على حركات الجيم وأنه لا يتمكن في التصريف. وبَجَلْ: بمعنى حَسْب: قال الأخفش: هي ساكنة أبداً»... قال لبيد:
«فمتى أَهْلِكْ فلا أَحْفِلُهُ بَجَلي ٱلآنَ مِنَ ٱلعَيْشِ بَجَلْ»
ورد البيت في: خزانة الأدب، للبغدادي ٣/ ٣٤، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ٢٩١، ٦٠٨.

(٤) ورد البيت في: شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٠٩.
«تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إذا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَعْتَلِقْ بعضَ ٱلنُّفوسِ حِمامُها =

هَلْ أَرَدْتَ بِبَعْضِ معنى كُلّ؟ فيقولُ لبيدٌ: كَلَّا، إِنَّما أَرَدْتُ نفسي، وهٰذا كَمَا تقولُ لِلرَّجُلِ: إِذَا ذَهَبَ مالُكَ، أَعْطَاكَ بعضُ ٱلنَّاسِ مَالًا، وأَنْتَ تَعْنِي نفسَكَ في ٱلحَقِيقَةِ، وَظَاهِرُ ٱلكَلَامِ وَاقِعٌ على كُلِّ إِنْسَانٍ، وعلى كُلِّ فِرْقَةٍ تكونُ بعضاً لِلنَّاسِ. فيقولُ، لا فَتِئَ خَصْمُهُ مُفْحَماً[1]: أَخْبِرْنِي عَنْ قولك: أَوْ يَرْتَبِطْ، هَلْ مَقْصِدُكَ: إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطْ، فيكونُ: لَمْ يَرْتَبِطْ؟ أَمْ غَرَضُكَ: أَتْرُكُ ٱلمَنَازِلَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا، فيكونُ يَرْتَبِطُ كَٱلمَحْمُولِ على قولِكَ: تَرَّاكُ أَمكِنَةٍ؟ فيقولُ لَبِيدٌ: ٱلوَجْهَ ٱلأَوَّلَ أَرَدْتُ.

فيقولُ، أَعظمَ ٱللَّهُ حَظَّهُ فِي ٱلثَّوابِ: فَمَا مَغْزاكَ فِي قَوْلِكَ:

[الكامل]

وَصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ ... بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا[2]؟

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يَرْوونَ هٰذا ٱلبيتَ على وجهين: منهُمْ مَنْ يُنْشِدُهُ تَأْتالُهُ، يجعلُهُ تَفْتَعِلُهُ، مِنْ آلَ ٱلشَّيءُ يَؤُولُهُ إِذَا سَاسَهُ، ومنهم مَنْ يُنْشِدُ: تَأتالهُ مِنَ ٱلإتْيالِ. فيقولُ لَبِيدٌ: كِلَا ٱلوَجْهَيْنِ يَحْتَمِلُهُ ٱلبَيْتُ، فيقولُ، أَرْغَمَ ٱللَّهُ حَاسِدَهُ: إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ ٱلفَارِسِيَّ كَانَ يَدَّعِي، فِي هٰذا البيت، أَنَّهُ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: ٱسْتَحى يَسْتَحِي، على مَذْهَبِ ٱلخليلِ

= يقول: إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلّا أن يرتبط نفسي حمامها ولا يمكنها ٱلبراح، وأراد ببعض النفوس هنا نفسه، هذا أوجه الأقوال وأحسنها، ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقط أخطأ لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب؛ وتحرير المعنى: إني لا أترك الأماكن التي أحتويها وأقليها إلّا أن أموت».

وورد البيت في: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٢٤٠.

«تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ، إذا لم أرضَها ... أو يرتبطْ، بعضَ النفوس، حِمامُها

يقول: أترك الأمكنة، إذا رأيت فيها ما يُكره، إلّا أن يُدركني الموت، فيحبسني. ويروى: «أو يعتفي بعضَ النفوس». وأراد بالنفوس: نفسه. و«يعتفي»: يحتبس. و«الحِمام»: الموت، ويقال: القدر».

(١) المفحم، بفتح الحاء، العاجز عن الإجابة.

(٢) ورد البيت في: شرح المعلقات السبع للزوزني: ١١٠.

«بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وجَذْبِ كَرِينَةٍ ... بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا

الكرينة: الجارية العوّادة، والجمع الكرائن الائتيال: المعالجة. أراد بالموتر العود. يقول: وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوّادة عوداً موتراً تعالجه إبهام العوّادة؛ وتحرير المعنى بكم من صبوح من خمر صافية استمتعت باصطباحها وضرب عوادة عودها استمتعت بالإصغاء إلى أغانيها». وورد البيت في: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٢٤٣.

«ويروى: «بسماع مُدجِنَةٍ». والمُدجنَةُ: التي تُسمَعُ في يوم الدجن، ويروى: «بسماع صادحة». و«الكرينة»: المغنية، وجمعها كرائن... ويروي ابن كيسان: وصبوحِ صافيةٍ».

وَسِيبَوَيْهِ لِأَنَّهُمَا يَرَيَانِ أَنَّ قَوْلَهُمْ: ٱسْتَحَيْتُ، إِنَّمَا جَاءَ على قَوْلِهِمْ اسْتَحَاي، كَمَا أَنَّ ٱسْتَقَمْتُ على ٱسْتَقَامَ، وهٰذا مَذْهَبٌ ظَرِيفٌ، لِأَنَّهُ يعْتَقِدُ أَنْ تَأْتِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ أَوَى، كَأَنَّهُ بُنِيَ منها ٱفْتَعَلَ، فَقِيلَ: ٱئْتَاي، فَأُعِلَّتِ ٱلواوُ كَمَا تُعَلُّ فِي قَوْلِنا: ٱعْتَانَ مِنَ ٱلعَوْنِ، وَٱقْتَالَ مِنَ ٱلقَوْلِ. ثُمَّ قِيلَ: ٱئْتَيْتُ، فَحُذِفَتِ ٱلأَلِفُ، كَمَا يُقالُ: ٱقْتَلْتُ. ثُمَّ قِيلَ في ٱلْمُسْتَقْبَلِ: يَأْتي، بِٱلحَذْفِ، كَمَا قِيْلَ: يَسْتَحِي. فَيَقُولُ لَبِيْدٌ: مُعْتَرِضٌ لِعَنَنٍ[1] لَمْ يَعْنِهِ؛ الأَمْرُ أيسرُ مِمَّا ظَنَّ هٰذا ٱلمُتَكَلِّفُ.

ويقولُ لَبِيْدٌ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ يَا أَبَا بَصِير! بَعْدَ إِقْرارِكَ بِمَا تَعْلَمُ، غُفِرَ لَكَ وحَصَلْتَ في جَنَّةِ عَدْنٍ؟ فيقولُ مَوْلَايَ ٱلشَّيْخُ مُتَكَلِّماً عَنِ ٱلأَعْشَى: كَأَنَّكَ يَا أَبا عَقِيْلٍ تَعْني قَوْلَهُ:

[المتقارب]

وَأَشْـرَبُ بِـٱلـرِّيـفِ حَـتَّـى يُـقـا لَ: قَـدْ طَـالَ بِـٱلـرِّيـفِ مَـا قَـدْ دَجَـنْ
صَـرِيـفِـيَّـةً طَـيِّـبـاً طَـعْـمُـهَـا، تُـصَـفَّـقُ مَـا بَـيْـنَ كُـوبٍ وَدَنّ[2]
وَأَقْـرَرْتُ عَـيْـنِـي مِـنَ ٱلْـغَـانِـيَـا تِ، إِمَّـا نِـكَـاحـاً وَإِمَّـا أُزَنّ[3]

وقولَهُ:

[المتقارب]

فَـبِـتُّ ٱلْـخَـلِـيـفَـةَ مِـنْ بَـعْـلِـهَـا، وَسَـيِّـدَتَـيَّـا وَمُـسْـتَـادَهَـا[4]

---

(١) العنن: الاسم من عنَّ الشيء إذا ظهر لك.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ١٩٢ مادة «صرف».
«قال: والصيريفيّة من الخمر منسوبة إليه. والصريف: الخمر الطيبة؛ وقال في قول الأعشى:
صَـرِيـفـيَّـةٌ طَـيِّـبٌ طَـعْـمُـهـا، لَهَـا زَبَـدٌ بَـيْـنَ كُـوبٍ ودَن
قال بعضهم: جعلها صريفيَّة لأنها أُخذت من الدنّ ساعَتئذٍ كاللبن الصريف، وقيل: نُسِبَ إلى صَريفين وهو نهر يتخلَّجُ من الفرات. والصريف: الخمر التي تمزج بالماء وكذلك كلّ شيء لا خِلْط فيه».

(٣) ورد عجز البيت في: لسان العرب ١٤/ ٣٥٩ مادة «زنا».
«والزنا يمدّ ويقصر، زَنَى الرجلُ يزني زِنًى، مقصور، وزِناءً ممدود، وكذلك المرأة. وزانى مُزاناةً وزنًى: كزنى. ومنه قول الأعشى:
إِمَّـا نِـكَـاحـاً وإِمَّـا أُزنّ
يريد: أُزنّي . . ».

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٢٣٠ مادة «سور».
«فإنه يجوز أن تكون مملوكة ثم يُعتقها ويتزوَّجها بعد كما نفعل نحن ذلك كثيراً بأمهات الأولاد؛ قال الأعشى:
فـكُـنْـتُ ٱلـخَـلِـيـفَـةَ مِـنْ بَـعْـلِـهـا وَسَـيِّـدَتَـيَّـا، ومُـسَـتَـادَهـا
أي من بعلها . . .».

وقولَهُ:

[الكامل]

فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا، وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ، إِذِ الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ، فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[١]

ونحوَ ذلك مِمَّا رُوِيَ عَنْهُ، فَلَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أمرينِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَالَهُ تَحْسِيناً لِلْكَلَامِ على مَذْهَبِ ٱلشُّعَرَاءِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلَهُ فَغُفِرَ لَه. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

مَعَ ٱلنَّابِغَةِ ٱلجَعْدِيِّ

ويقولُ، رَفَعَ ٱللَّهُ صَوْتَهُ، لِنابغةِ بني جَعْدَةَ: يا أَبا ليلى، إِنِّي لَأَسْتَحْسِنُ قَوْلَكَ:

[المنسرح]

طَيِّبَةُ ٱلنَّشْرِ[٢]، وَٱلْبُدَاهَةِ وَٱلْعِـ ـلَّاتِ، عِنْدَ ٱلرُّقَادِ وَٱلنَّسَمِ
كَأَنَّ فَاهَا، إِذَا تُنَبِّهُهُ، مِنْ طِيبِ مَشَمٍّ، وَحُسْنِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ بِٱلضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ، أَوْ هَيْلَانَ، أَوْ ضَامِرٍ مِنَ ٱلعُتُمِ[٣]
رُكِّزَ فِي ٱلسَّامِ وَٱلزَّبِيبِ، أَقَا حِيُّ كَثِيبٍ، تُعَلُّ بِٱلرِّهَمِ[٤]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٥١٠ مادة «شوه».
«وربما كُنِيَ بالشّاة عن المرأة أيضاً؛ قال الأعشى:
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِها وطِحالَها»

(٢) النشر: الريح الطيبة.

(٣) ورد في لسان العرب ١٢/ ٣٨٧ مادة «عتم».
«والعُتْمُ والعُتُم: شجر الزيتون البري الذي لا يحمل شيئاً.. العَتَم، بالتحريك: الزيتون، وقيل: شيء يُشبهه ينبت بالسَّراة.. وقال الجعدي:
تَسْتَنُّ بِٱلضَّرْوِ من بَراقِشَ أوْ هَيْلانَ، أو ناضِرٍ مِنَ ٱلعُتُمِ»

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٣١٣ مادة «سوم» معزوًا إلى النابغة الذبياني.
«وقال الأصمعي وابن الأعرابي وغيره: السام الذهب والفضة؛ قال النابغة الذبياني:
كَأَنَّ فاهاً، إذا تُوَسَّنُ، مِن طِيبِ رُضابٍ وحُسْنِ مُبْتَسَمِ
رُكِّبَ في ٱلسَّامِ وٱلزَّبِيبِ أقا حِيَّ كَثِيبٍ، يَنْدَى مِنَ ٱلرِّهَمِ
قال: فهذا لا يكون إلّا فضة لأنه إنما شبه أسنان الثغر بها في بياضها، والأعرف من كل ذلك أن السَّامَ الذهب دون الفضة».

=

بِـمَـاءِ مُـزْنٍ، مِـنْ مَـاءِ دَوْمَـةَ قَـدْ جُـرِّدَ فِـي لَيْـلِ شَـمْـأَلٍ شَـبِـمِ[١]
شُجَّتْ بِهِ قَرْقَفٌ[٢] مِنَ ٱلرَّاحِ، إِسْـ ـفَـنْـطُ[٣] عُـقَـارٍ، قَـلِيْـلَةُ ٱلـنَّـدَمِ
أُلْقِيَ فِيْهَا فِلْجَانِ[٤]: مِنْ مِسْكِ دا رِيـنَ[٥]، وَفِـلْجٌ مِـنْ فُـلْفُـلٍ ضَـرِمِ[٦]
رُدَّتْ إِلَـى أَكْـلَفِ ٱلْـمَـنَـاكِـبِ، مَـرْ سُومٍ، مُقِيمٍ فِي ٱلطِّيْنِ، مُحْتَدِمِ[٧]
جَـوْنٍ كَـجَـوْزِ ٱلْـحِـمَـارِ، جَـرَّدَهُ ٱلْـ ـبَـيْـطَـارُ، لَا نَـاقِـسٍ وَلَا هَـزِمِ[٨]
تَـهْـدِرُ فِـيْـهِ، وَسَـاوَرَتْـهُ كَـمَـا رُجِّـعَ هَـدْرٌ مِـنْ مُـصْـعَـبٍ قَـطِـمِ[٩]

أَيْنَ طِيْبُ هٰذه ٱلْمَوْصُوفَةِ، مِنْ طِيبِ مَنْ تُشاهِدُهُ مِنَ ٱلأَتْرابِ ٱلْعُرُوبِ[١٠]؟ كَلَّا

= «والرِّهمة، بالكسر: المطر الضعيف الدائم الصغير القطر، والجمع رِهَمٌ ورِهام». انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٥٧ مادة «رهم».

(١) «الشبم، بالتحريك: البرد». انظر: لسان العرب ١٣/ ٣١٦ مادة «شبم».

(٢) «القرقف: الماء البارد المُرعِدُ. والقَرقف: الخمر، وهو اسم لها، قيل: سميت قَرْقفاً لأنها تُقَرْقِف شاربها أي ترعده. وأنكر بعضهم أنها تقرقف الناس. قال الليث: القرقف اسم للخمر ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء». انظر: لسان العرب ٩/ ٢٨٢ مادة «قرقف».

(٣) الإسفنط: الخمر.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٣٤٨ مادة «فلج».
«والفالج والفَلِج: مِكيال ضخم معروف: وقيل: هو القفيز، وأصله بالسريانية معرّب؛ قال الجعدي يصف الخمر:
أُلْقِيَ فِـيـهـا فِـلْجـانِ مِـنْ مِـسْـكِ دا رِيـن، وفِـلْجٌ مِـن فُـلْفُـلٍ ضَـرِمِ»
ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٢٩٩ مادة «دور».

(٥) و (٦) «الداريُّ: العطار، يقال: إنه نُسِبَ إلى دارين فُرضة بالبحرين فيها سوق كان يُحمل إليها مسك من ناحية الهند؛ وقال الجعدي:
أُلْقِيَ فِـيـهـا فِـلْجـانِ مـن مِـسْـكِ دا رِيـنَ، وفِـلْجـانِ مِـنْ فُـلْفُـلٍ ضَـرِمِ»

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ١١٧ مادة «حدم».
«واحتدم الشراب إذا غلى؛ قال الجعدي يصف الخمر:
رُدَّتْ إِلـى أَكْـلَفِ الـمـنـاكِـبِ مَـرْ سومٍ مُـقِـيـمٍ فـي ٱلطِّـيـنِ مُـحْـتَـدِمِ»

(٨) ورد البيت في: لسان العرب ٦/ ٢٤٠ مادة «نقس».
«وشراب ناقس إذا حمُض. ونقس الشرابُ ينقسُ نُقُوساً: حمض؛ قال النابغة الجعدي:
جَـوْنٌ كَـجَـوْنِ ٱلْـخـمـار جَـرَّدَهُ ٱلْـ ـخَـرَّاسُ، لا نـاقِـسٌ وَلا هَـزِمُ
ورواه قوم: لا نَافس، بالفاء، حكى ذلك أبو حنيفة وقال: لا أعرفه إنما المعروف ناقِسٌ بالقاف».

(٩) قطم: هائج.

(١٠) الأتراب العُرُوب: الفتيات في مقتبل العمر المتقاربات في أعمارهن.

وَٱللَّهِ، أَيْنَ ٱلأَهْلُ مِنَ ٱلغربِ؟ وَأَيْنَ فُوها ٱلمُذَكَّرِ، مِنْ أَفْوَاهٍ ما وَلَبَ[١] إِلَيْهَا ٱلمُنْكَرُ؟ إِنَّها لَتَفضُلُ على تِلْكَ، فَضْلَ ٱلدُّرَةِ ٱلمُخْتَزِنَةِ على ٱلحَصَاةِ ٱلمُلْقَاةِ، وَٱلخَيْرَاتِ ٱلمَلْتَمِسَةِ على ٱلأَعراضِ ٱلمُتَّقَاةِ.

ما سَامُكَ أَيُّها ٱلرَّجُلُ وَزَبِيبُك؟ ما حَسُنَ في ٱلعاجِلَةِ حَبِيبُكَ. وإِنْ ثَغْراً يَفْتَقِرُ إِلى قَضِيبِ ٱلبشام[٢] لِيُجَشِّمَ حَليفَهُ بعضَ ٱلإِجْشَامِ! لَوْلَا أَنَّهُ ضَرِيَ بِٱلحَبَرِ ما ٱفْتَقَرَ إِلى ضِرْوٍ مَطْلُوبٍ، أَوْ غُصْنٍ مِنَ ٱلعُتْمِ مَجْلُوبٍ. ومَا ٱلمَاءُ ٱلَّذي وَصَفْتَهُ مِن دَوْمَةٍ، وغيرُهُ يُنافِي ٱللَّومةَ؟ أَلَيْسَ هو إِنْ أَقامَ أَجِنَ، ولا يَدُومُ لِلْمَاكِثِ إِذَا دَجَنَ؟ وَإِنْ فَقَدَ بَرْدَ ٱلشَّمْأَلِ؛ رَجِعَ كَغيرِهِ مِنَ ٱلسَّمَلِ[٣] تُلْقِي ٱلغَسَرُ[٤] فِيهِ ٱلهَابَةُ، وَتُشْبِهُ ٱلغرَّاءُ ٱلشَّابَّةَ[٥] وَٱلغَرَّاءُ: ٱلهَاجِرَةُ ذَاتُ ٱلسَّرَابِ.

وَمَا قَرْقَفُكَ هٰذه ٱلمَشْجُوجَةُ، وَلَوْ أَنَّها لِلشَّرْبَةِ مَحْجُوجَةٌ؟ قَرُبَتْ مِنْ حَاجَتِكَ فَلا تَنطُ، لَا كَانَتِ ٱلفَيْهَجُ وَلَا ٱلإِسْفَنطُ[٦]؛ طَالَمَا ثَمِلْتَ فِي رِفْقَتِكَ فَنَدِمْتَ، وَأَنْفَقْتَ ما تَمْلِكُ فَعَدِمْتَ.

مَا عُقَارُكَ وما فِلْجَاكَ؟ زَالَتْ عَنْ مُقْلَتِكَ دُجَاكَ! وَلَوْ دَخَلَ مِسْكُ دَارِينَ، جَنَّةَ رَبِّنَا ٱلمَوْهُوبَةَ لِغَيرِ ٱلمُمَارِينَ، لَعُدَّ في تُرَابِهَا ٱلذَّفِرُ[٧] كَصِيقِ ٱلمَقْتُولِ[٨]، أَوْ دَنَسِ قَدَمٍ مَبْتُولٍ.

زَعَمْتَ أَنَّها تُطَيَّبُ بِٱلفُلْفُلِ، وَشَبَّهَهَا غَيرُكَ بِنَسِيمِ ٱلقُرُنْفُل! إِنَّ في هٰذه ٱلمَنْزِلَةِ لَنَشْراً، لَا يَزِيدُ عَلَى نَشْرِ ٱلفَانِيةِ عَشْراً، وَلٰكِنْ يَشِفُّ بِعَدَدٍ لَا يُدْرَكُ، لَيْسَ وَرَاءَهُ مُتْرَكٌ.

نَزَاهَةٌ لِهٰذهِ ٱلقَهْوَةِ أَنْ تُدَّخَرَ فِي أَكْلَفِ مَنَاكِبَ مَنْ حِفْظُهُ عَدَّ ٱلنَّاكِبِ! أَصْبَحَ بِطِينِها مَرْسُوماً، وَضَعَ فِيهِ ٱلمُتَربِّصُ وَسُوماً، فهو جَوْنٌ كَجَوْزِ ٱلحِمارِ، لا سَلِمَ ذُخْراً لِلْخَمَّارِ!

---

(١) ولب: وصل.

(٢) «البشام: شجر طيب الريح والمطعم يستاك به. أبو حنيفة: البشام يدق ورقه ويخلط بالحناء للتسويد». انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٠ مادة «بشم».

(٣) السمل: ما بقي من الماء.

(٤) الغسر، ما طرحته الريح في الغدير.

(٥) الشابة: المشتعلة.

(٦) الإسفنط: من أسماء الخمرة.

(٧) الذفر: ذو الرائحة الكريهة أو الطيبة.

(٨) الصيق المقتول: الرائحة النتنة.

ليسَ بِناقِسٍ ولٰكِنْ مَنقُوسٌ، ذَمَّهُ ٱلمُتَحَنِّفُ وَمَنْ فِنَاؤُهُ ٱلقُوسُ. تُهْدَرُ فِيهِ ٱلصَّهْبَاءُ ٱلمُعْتَصَرَةُ وهِي في قُرْبِ نِتَاجٍ، كَٱلسِّقَابِ[(١)] ٱلمَوْضُوعَةِ بِغيرِ خِداجٍ، فَإِذَا وَصَلَتْ سِنُّ ٱلبَازِلِ بَطَلَ ٱلهَدِيرُ، وَأَدَارَهَا في ٱلكَأْسِ مُدِيرٌ.

وَيَخْطُرُ لَهُ، جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلإِحْسَانَ إليهِ مَرْبُوباً[(٢)] وَوُدَّهُ في ٱلأَفْئِدَةِ مَشْبُوباً، غِنَاءُ ٱلقِيانِ بِٱلفُسْطَاطِ ومدينةِ ٱلسَّلام ويَذْكُرُ تَرْجيعَهُنّ بِمِيمِيَّةِ ٱلمُخَبَّلِ ٱلسَّعْدِيّ[(٣)]، فَتَنْدَفِعُ تِلْكَ ٱلجَوَارِي ٱلَّتي نَقَلَتْهُنَّ ٱلقُدْرَةُ مِنْ خَلْقِ ٱلطَّيرِ ٱللَّاقِطَةِ، إلى خَلْقِ حُورٍ عِيْنٍ مُتَسَاقِطَةٍ، تُلحِّنُ قَوْلَ ٱلمُخَبَّلِ ٱلسَّعْدِيّ:

[الكامل]

ذَكَـرَ ٱلـرَّبَـابَ وَذِكْـرُهَـا سُـقْـمُ، ... وَصَـبَـا، وَلَيْـسَ لِمَـنْ صَـبَـا عَـزْمُ
وَإِذا أَلَمَّ خَـيَـالُهَـا طَـرِفَـتْ ... عَـيْـنِـي، فَـمَـاءُ شُؤُونِـهَـا سَجْـمُ[(٤)]
كَـالـلُّؤْلُؤِ ٱلـمَـسْـجُـورِ تُـوبِـعَ فِـي ... سِـلْـكِ ٱلـنِّـظَـامِ، فَـخَـانَـهُ ٱلـنَّـظْـمُ[(٥)]

فَلَا يَمُرُّ حَرْفٌ وَلَا حَرَكَةٌ، إِلَّا وَيُوقِعُ مَسَرَّةً لَوْ عُدِلَتْ بِمَسَرَّاتِ أَهْلِ ٱلعَاجِلَةِ، مِنْذُ خَلَقَ ٱللَّهُ آدَمَ إلى أَنْ طَوَى ذُرِّيَّتَهُ مِنَ ٱلأَرْضِ، لَكَانَتِ ٱلزَّائِدَةُ على ذلك، زِيَادَةَ ٱللُّجِّ ٱلمُتَمَوِّجِ على دَمْعَةِ ٱلطِّفْلِ، وَٱلهَضْبِ ٱلشَّامِخِ عَلَى ٱلهَبَاءَةِ ٱلمُنْتَفِضَةِ مِنَ ٱلكِفْلِ.

---

(١) السقاب، مفرده سقب، وهو ولد الناقة.

(٢) مربوباً: مجموعاً.

(٣) هو: ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، أبو يزيد، من بني أنف الناقة، من تميم: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، هاجر إلى البصرة وعمّر طويلاً، مات في خلافة عمر. انظر ترجمته في: الأغاني ١٢/٣٨ ـ ٤٢، الشعر والشعراء ١/١٥٩.

(٤) «سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه.. وهو قَطران الدمع وسَيَلانه، قليلاً كان أو كثيراً..» انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٨٠ مادة «سجم».
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٣/ ٢٠، المصون في الأدب، لأبي أحمد العسكري: ١٩٢، المفضليات، للمفضل الضبي: ١١٣.

(٥) ورد البيتان في لسان العرب ٤/ ٣٤٦ مادة «سجر».
وكذلك اللؤلؤ مسجور إذا انتثر من نظامه. الجوهري: اللؤلؤ المسجور المنظوم المسترسل؛ قال المخبَّل السعدي واسمه، ربيعة بن مالك:
وَإِذا أَلَمَّ خَـيَـالُهَـا طَـرَفَـتْ ... عـيـنـي، فـمـاء شـؤونـهـا سَـجْـمُ
كـالـلُّؤلـؤِ ٱلـمَـسْـجُـورِ أُغْـفِـلَ فـي ... سِـلْـكِ ٱلـنِّـظـامِ، فـخَـانَـهُ ٱلـنَّـظْـمُ
أي كأنّ عيني أصابتها طَرْفَةٌ فسالت دموعها منحدرة، كدُرّ في سلك انقطع فتحدّر دَرّه؛ والشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

ويقولُ لِنُدَمائِهِ: أَلَا تَسْمَعُونَ إِلى قولِ ٱلسَّعْدِيِّ؟:

[الكامل]

وَتَقُولُ عَاذِلَتِي[١]، وَلَيْسَ لَهَا ... بِغَدٍ، وَلَا مَا بَعْدَهُ عِلْمُ

إِنَّ ٱلثَّوَاءَ[٢] هُوَ ٱلخُلُودُ، وَإِنَّ ٱلمَرْءَ يُكْرِبُ[٣] يَوْمَهُ ٱلعُدْمُ

وَلَئِنْ بَنَيْتِ لِيَ «ٱلمُشَقَّرَ» فِي ... عَنْقَاءَ، تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلعُصْمُ[٤]

لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي ٱلمَنِيَّةُ إِنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ

فَيَقُولُ: إِنَّهُ ٱلمِسْكِينُ، قالَ هٰذه ٱلأبيات، وَبَنُو آدمَ فِي دَارِ ٱلمِحَنِ وَٱلبَلَاءِ، يَقْبِضُونَ مِنَ ٱلشَّدَائِدِ عَلَى ٱلسُّلَاءِ[٥]؛ وَٱلوالِدَةُ تَخَافُ ٱلمَنِيَّةَ على ٱلوَلَدِ، وَلَا يَزَالُ رُعْبُها فِي ٱلخُلْدِ؛ وَٱلفَقْرُ يُرْهَبُ وَيُتَّقَى، وَٱلمَالُ يُطْلَبُ وَيُسْتَبْقَى؛ وَٱلسَّغَبُ مَوْجُودٌ وَٱلظَّمَاءُ، وَٱلكَمَهُ[٦] مَعْرُوفٌ وَٱلكَمَاءُ؛ وَلَمْ يَكْفُفْ لِلْعَيْرِ عِنَانٌ، وَلَا سُكِنَتْ بِٱلعَفْوِ ٱلجِنَانُ. فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ ٱلقُدُّوسُ! نَقَلَ هٰؤُلَاءِ ٱلمُسْمِعَاتِ مِنْ زِيِّ رَبَّاتِ ٱلأَجْنِحَةِ، إِلى زِيِّ رَبَّاتِ ٱلأَكْفَالِ ٱلمُتَرَجِّحَةِ؛ ثُمَّ أَلْهَمَهُنَّ بِٱلحِكْمَةِ حِفْظَ أَشعارٍ لَمْ تَمْرُرْ، قَبْلُ، بِمَسَامِعِهِنَّ، فَجِئْنَ بِهَا مُتْقَنَةً، مَحْمُولَةً عَلَى ٱلطَّرائِقِ مُلَحَّنَةً، مُصِيبَةً فِي لَحْنِ ٱلغِنَاءِ، مُنَزَّهَةً عَنْ لَحْنِ ٱلهُجَنَاءِ[٧]. وَلَقَدْ كَانَتِ ٱلجَارِيَةُ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ، إِذَا تُفُرِّسَتْ[٨] فيها ٱلنَّجَابَةُ[٩]، وَأُحْضِرَتْ لَهَا ٱلمُلَحِّنَةُ لِتُلْقِيَ

---

(١) عاذلتي: لائمتي.

(٢) الثواء: طول المُقام.

(٣) يكرب: يحزن.

(٤) ورد البيتان التاليان في لسان العرب ٤/ ٤٢٣ مادة «شقر».
«والمُشَقَّر، بفتح القاف مشدودة: حصن بالبحرين قديم.. قال المخبل:
فَلَئِنْ بَنَيْتَ لِيَ ٱلمُشَقَّرَ فِي ... صَعْبٍ تُقَصِّرُ دونَهُ ٱلعُصْمُ
لَتُنَقِّبَنْ عَنِّي ٱلمَنِيَّةُ، إِنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ كَعِلْمِهِ عِلْمُ
أراد: فلئن بنيت لي حصناً مثل المشقّر».
والعنقاء: يقصد بها الأكمة. والعصم: الوعول.

(٥) السُّلاء: شوك النخل.

(٦) الكمه: العمى منذ الولادة.

(٧) الهجناء: الأولاد من أب عربي وأم أعجمية.

(٨) تفرّست: دققت النظر بإمعان.

(٩) النجابة: حدّة الذكاء.

إِلَيْها مَا تَعْرِفُ مِنْ ثَقِيلٍ وَخَفِيفٍ، وَتَأْخُذَهَا بِمَأْخَذٍ غَيْرِ ذَفِيفٍ[١]، تُقِيمُ مَعَها ٱلشَّهْرَ كَرِيتاً[٢]، قَبْلَ أَنْ تُلقَّنَ كَذِباً حَنْبَرِيتاً[٣]: بَيْتاً مِنَ ٱلغزَلِ أَوْ بيتينِ، ثُمَّ تُعْطى ٱلمائَةَ أَوِ ٱلمائتينِ. فسبحانَ ٱلقادرِ على كُلِّ عزيزٍ، وَٱلمُمَيِّزِ لِفضلِهِ كُلَّ مُزيزٍ[٤].

بَيْنَ ٱلنَّابِغَةِ ٱلذُّبْيَانِيِّ وَٱلأَعْشَى

وَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ، وهو جالسٌ يستمِعُ: يا أَبا بَصِيرٍ أَهٰذِهِ ٱلرَّبَابُ ٱلَّتي ذكرَها السَّعْدِيُّ، هي رَبَابُكَ ٱلتي ذكَرْتَها في قَوْلِكَ؟:

[المتقارب]

بِعَاصِي ٱلعَوَاذِلِ[٥]، طَلْقِ ٱليَدَيْـ ... ـنِ يُعْطِي ٱلجَزِيلَ، وَيُرْخِي ٱلإِزَارَا

فَمَا نَطَقَ ٱلدِّيكُ حَتَّى مَلأْ ... تُ كُوبَ ٱلرَّبَابِ لَهُ فَٱسْتَدَارَا

إِذَا ٱنْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ ٱلسُّقَا ... ةِ تَرَامَوْا بِهِ غَرَباً أَوْ نُضَارَا[٦]؟

فَيَقُولُ أَبُو بَصِيرٍ: قَدْ طَالَ عُمْرُكَ يَا أَبَا لَيْلَى، وَأَحسبُكَ أَصابَكَ ٱلفَنَدُ[٧]، فَبَقِيتَ على فَنَدِكَ إلى ٱليَوْمِ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱللَّوَاتِي يُسَمَّيْنَ بِٱلرَّبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَيْنَ؟ أَفَتَظُنُّ أَنَّ ٱلرَّبَابَ هٰذه، هيَ ٱلتي ذَكَرَهَا ٱلقَائِلُ:

[مجزوء الكامل]

مَا بَالُ قَوْمِكِ يَا رَبَا ... بُ خُزْراً[٨] كَأَنَّهُمُ غِضَابُ

غَارُوا عَلَيْكِ، وَكَيْفَ ذا ... كَ وَدُونَكِ ٱلخَرْقُ[٩] ٱليَبَابُ[١٠]؟

---

(١) ذفيف: سريع.

(٢) كريتاً: كامل العدد.

(٣) حنبريتاً: شديداً.

(٤) مُزيز: فاضل.

(٥) العواذل: اللائمين.

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٦٤٣ مادة «غرب».
«الغَرَب: الخمر.. والغَرَب: الذهب، وقيل: الفضة؛ قال الأعشى:
إذا ٱنكَبَّ أَزْهَرُ بينَ ٱلسُّقَاةِ، ... تَرَامَوْا به غَرَباً أو نُضارا»

(٧) الفند: ضعف العقل الناتج عن الكبر.

(٨) خُزر العيون: ضيِّقو فتحات العيون، كناية عن شدّة الغضب.

(٩) «الخَرْق، بفتح الخاء وسكون الراء: الأرض البعيدة، مستوية كانت أو غير مستوية..» والجمع خروق. انظر: لسان العرب ١٠/ ٧٤ مادة «خرق».

(١٠) اليباب: التي لا نبات فيها.

أَو ٱلَّتي ذَكَرَها ٱمرؤُ ٱلقَيْسِ فِي قَوْلِهِ:

[الكامل]

دَارٌ لِهِـنْـدٍ، وَٱلـرَّبَـابِ، وَفَـرْتَـنَـى، وَلَمِـيْـسَ، قَـبْـلَ حَـوَادِثِ ٱلأَيَّـامِ[1]

وَلَعَلَّ أُمَّها أُمُّ الرَّبَابِ ٱلمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ:

[الطويل]

«وَجَـارَتِـهـا أُمِّ الـرَّبَـابِ بِـمَـأْسَـلِ»[2]

فَيَقُوْلُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ: أَتُكَلِّمُني بِمِثْلِ هٰذَا ٱلكَلَامِ يا خَلِيْعَ بَنِي ضَبِيْعَةَ، وَقَدْ مُتَّ كَافِراً، وَأَقْرَرْتَ على نَفْسِكَ بِٱلفَاحِشَةِ، وَأَنَا لَقِيتُ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، فَأَنْشَدْتُهُ كَلِمَتِي ٱلَّتي أَقُولُ فِيْهَا:

[الطويل]

بَـلَـغْـنَـا ٱلـسَّـمَـاءَ مَـجْـدَنـا وَسَـنـاءَنـا، وَإِنَّـا لَـنَـبْـغِـي فَـوْقَ ذٰلِكَ مَـظْـهَـرَا[3]؟

فَقَالَ: إِلى أَيْنَ يا أَبا ليلى؟ فَقُلْتُ: إِلى ٱلجَنَّةِ بِكَ يا رَسُوْلَ ٱللّٰهِ! فَقَالَ: لا يَفْضُضِ[4] ٱللّٰهُ فَاكَ.

أَغَرَّكَ أَنْ عَدَّكَ بَعْضُ ٱلجُهَّالِ رَابِعَ ٱلشُّعَراءِ ٱلأَرْبَعَةِ؟ وَكَذَبَ مُفَضِّلُكَ، وَإِنِّي لَأَطْوَلُ مِنْكَ نَفَساً، وَأَكْثَرُ تَصَرُّفاً. وَلَقَدْ بَلَغْتُ بِعَدَدِ ٱلبيوتِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلعَرَبِ قَبْلِي، وأنت لَاهٍ بِعِفَارَتِك[5]، تَفْتَرِي على كَرَائِمِ قَوْمِكَ. وَإِنْ صَدَقْتَ فَخِزْياً لَكَ

---

(١) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٦٢.

(٢) «ومَأْسَل، بالفتح: اسم رملة. ومَأْسل: اسم جبل. ودارة مَأسل: موضع: عن كراع، وقيل: مأسل اسم جبل في بلاد العرب معروف» انظر: لسان العرب ١١/ ١٦ مادة «أسل».

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: البيت السابع في معلقته. ورد البيت في: المنصف، لابن جني ١/ ١٥١، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ٥٣٨.
ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٥٢٩ مادة «ظهر».
«وفي حديث النابغة الجعدي أنه أنشده، ﷺ:
بَـلَـغْـنَـا ٱلـسَّـمَـاءَ مَـجْـدُنـا وسَـنـاؤُنـا، وإنَّـا لَـنَـرْجـو فـوقَ ذلـك مَـظْـهَـرا
فغضبَ وقال: إلى أين المظهرُ يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة يا رسول اللّه، قال: أجلْ إن شاء اللّه. المظهر: المصعد. والظواهر: موضع».
ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١٦، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ١٩٣، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ١٦٠، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ١٣٠، جمهرة القرشي: ١٤٨، ديوان النابغة الجعدي: ٦٨، ٧٣.

(٤) لا يفضض اللّه فاك: أبقى اللّه لك أسنانك في فمك.

(٥) عفارتك: الخبث والمكر.

وَلِمُقارِكَ! وَلَقَدْ وُفِّقْتَ ٱلهِزَّانِيّة فِي تَخْلِيَتِكَ: عَاشَرْتَ مِنْكَ ٱلنَّابِحَ، عَشِيَ فَطَافَ ٱلأَخْوِيَةَ[١] على ٱلعِظَامِ ٱلمُنْتَبَذَةِ، وَحَرِصَ على ٱنْتِبَاثِ ٱلأَجْدَاثِ[٢] ٱلمُنْفَرِدَةِ.

فَيَغْضَبُ أَبُو بَصِيرٍ فَيَقُولُ: أَتَقُولُ هٰذا وَإِنَّ بيتاً مِمَّا بَنَيْتُ لَيَعْدُلُ بِمَائَةٍ مِنَ بِنَائِكَ؟ وَإِنْ أَسْهَبْتَ فِي مَنْطِقِكَ، فَإِنَّ ٱلمُسْهِبَ كَحَاطِبِ ٱللَّيْلِ[٣]. وَإِنِّي لَفِي ٱلجُرْثُومَةِ مِنْ رَبِيعَةِ ٱلفَرَسِ، وإِنَّكَ لَمِنْ بَنِي جَعْدَةَ، وَهَلْ جَعْدَةُ إِلَّا رَائِدَةُ ظَلِيمٍ نَفُورٍ؟ أَتُعَيِّرُنِي مَدْحَ ٱلمُلُوكِ؟ وَلَوْ قَدِرْتَ يا جَاهِلُ على ذٰلِكَ، لَهَجَرْتَ إِلَيْهِ أَهْلَكَ وَوَلَدَك، ولٰكِنَّكَ خُلِقْتَ جَبَاناً هِدَاناً[٤]، لَا تُدْلِجُ فِي ٱلظَّلْماءِ ٱلدَّاجِيَةِ، وَلَا تُهَجِّرُ في ٱلوَدِيقَةِ[٥] الصَّاخِدَةِ[٦]. وَذَكَرْتَ لي طَلَاقَ ٱلهِزَّانِيَةِ وَلَعَلَّها بَانَتْ عَنِّي مُسِرَّةَ ٱلكَمَدِ، وَٱلطَّلاقُ ليس بِمُنْكَرٍ لِلسُّوَقِ وَلَا لِلْمُلُوكِ.

فَيَقُولُ ٱلجَعْدِيُّ: اُسْكُتْ يَا ضُلَّ بْنَ ضُل[٧]، فَأُقْسِمُ أَنَّ دُخُولَكَ ٱلجَنَّةَ مِنَ ٱلمُنْكَرَاتِ، ولٰكِنَّ ٱلأَقْضِيَةَ جَرَتْ كَمَا شَاءَ ٱللَّهُ! لَحَقُّكَ أَنْ تَكُونَ في ٱلدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ، وَلَقَدْ صُلِيَ بِهَا مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْكَ، وَلَوْ جَازَ ٱلغَلَطُ على رَبِّ ٱلعِزَّةِ، لَقُلْتُ: إِنَّكَ غُلِطَ بِكَ! أَلَسْتَ ٱلقَائِلَ؟:

[مجزوء الكامل]

فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ ٱلرَّقِيـ ... ـبُ، فَبِتُّ دُوْنَ ثِيَابِهَا
حَتَّى إِذَا مَا ٱسْتَرْسَلَتْ ... لِلنَّوْمِ، بَعْدَ لِعَابِهَا
قَسَّمْتُهَا نِصْفَيْنِ كُـ ... ـلُّ مُسَوَّدٍ يُرْمَى بِهَا
فَثَنَيْتُ جِيدَ غَرِيرَةٍ[٨]، ... وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقَابِهَا[٩]
كَالحُقَّةِ[١٠] ٱلصَّفْرَاءِ صَاكَ[١١] ... عَبِيرُهَا بِمَلَابِهَا[١٢]

---

(١) الأحوية: الأحياء.
(٢) انتباث الأجداث: البعث والحشر.
(٣) حاطب الليل: كناية عن عدم المعرفة والتميز.
(٤) هِداناً: أحمق ثقيلاً.
(٥) الوديقة: شدّة الحرّ.
(٦) الصاخدة: الهاجرة.
(٧) يا ضُلّ بن ضُل: كناية عن ميراث الغباء من الأجداد والآباء.
(٨) غريرة: مخدوعة.
(٩) الحقاب: هو ما تشدّه المرأة على وسطها تعلّق به الحلي.
(١٠) الحقة: الوعاء الصغير.
(١١) صاك: علق.
(١٢) اللاب: نوع من الطيب، فارسي معرّب.

وَإذا لَهَـــا تَـــامُـــورَةٌ مَـــرْفُـــوعَـــةٌ لِشَـــرابِـــهَـــا[(١)]

وَٱسْتَقْلَلْتَ بِبَني جَعْدَةَ، وَلَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِم يَرجَحُ بِمساعي قومِك. وَزَعَمْتَني جَبَاناً وَكَذَبْتَ! لَأَنَا أَشْجَعُ مِنْكَ وَمِنْ أَبيكَ، وَأَصْبرُ عَلَى إِدْلَاجِ ٱلْمُظْلِمَةِ ذاتِ ٱلأَرِيزِ، وَأَشَدُّ إِيْغالاً في ٱلهَاجِرَةِ أُمِّ الصَّخَدانِ[(٢)].

وَيَثِبُ نابغةُ بَني جَعْدَةَ عَلَى أَبي بَصِيرٍ فَيَضْرِبُهُ بِكُوزٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَيَقُوْلُ، أَصْلَحَ ٱللَّهُ بِهِ وعلى يديهِ: لا عَرْبَدَةَ في ٱلجِنَانِ، إِنَّما يُعْرَفُ ذٰلِكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلفَانِيَةِ بَيْنَ ٱلسَّفَلَةِ وَٱلْهَجَاجِ، وَإِنَّكَ يا أَبَا لَيلى لَمُتَنَزِّعٌ[(٣)]. وقد رُوِيَ في ٱلحَدِيثِ، أَنَّ رَجُلاً صَاحَ بِٱلبَصْرَةِ: يا آلَ قَيس! فَجاءَ ٱلنَابِغَةُ ٱلجَعْدِيُّ بِعُصَيَّةٍ لَهُ، فَأَخَذَهُ شُرَطُ أَبي موسى ٱلأَشْعَرِيِّ فَجَلَدَهُ لِأَنَّ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، قال: مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ ٱلجَاهِلِيَّةِ فَلَيْسَ مِنَّا. وَلَوْلَا أَنَّ فِي ٱلكِتَابِ ٱلكَرِيمِ: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] لَظَنَنَّاكَ أَصَابَكَ نَزْفٌ فِي عَقْلِكَ. فَأَمَّا أَبُو بَصِيرٍ فَمَا شَرِبَ إِلَّا ٱللَّبَنَ وَٱلعَسَلَ، وَإِنَّهُ لَوَقُورٌ في ٱلمَجْلِسِ، لا يُخِفُّ عِنْدَ حَلِّ ٱلحَبْوَةِ. وَإِنَّما مَثَلُهُ مَعَنا مَثَلُ أَبي نُوَاسٍ فِي قَوْلِهِ:

[الخفيف]

أَيُّـهَـا ٱلـعَـاذِلَانِ فِـي ٱلـرَّاحِ لومـاً، لَا أَذُوقُ ٱلـمُـدَامَ إِلَّا شَـمِـيْـمَـا[(٤)]

نَـالَنِـي بِـٱلـعِـتَـابِ فِـيْـهَـا إِمَـامٌ لَا أَرَى لِي خِـلَافَـهُ مُـسْـتَـقِـيْـمَـا[(٥)]

إِنَّ حَـظِّـي مِـنْـهـا، إِذَا هِـيَ دَارَتْ، أَنْ أَرَاهَـا، وَأَنْ أَشُـمَّ ٱلـنَّـسِـيْـمَـا[(٦)]

فَـاصْـرِفَـاهَـا إِلـى سِـوَايَ، فَـإِنِّـي لَسْـتُ إِلَّا عَـلَى ٱلـحَـدِيْـثِ نَـدِيْـمَـا

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٩٣ مادة «تمر».
«والتامور والتامُورة جميعاً: الإبريق؛ قال الأعشى يصف خمَّارة:
وإذا لـــهـــا تـــامـــورَةٌ مـــرفـــوعـــةٌ لِشَـرَابِـــهـــا
ولم يهمزه، وقيل: حُقَّةٌ يجعل فيها الخمر، وقيل: التامور والتامورة الخمر نفسها . .».

(٢) الهاجرة أم الصَّخدان: الظهيرة شديدة الحرارة.

(٣) المتنزع: الذي يميل إلى الشرّ بطبعه.

(٤) ورد البيت في: ديوان أبي نواس: ٤٥٦، وصدره على النحو التالي:
أَيُّـهـا الـرَّائـحـانِ بِـالـلوم لُومـا
الشميم: الرائحة الطيبة.

(٥) يعني أنه سيطيع الإمام ولن يعصي للأمين الخليفة أمراً.

(٦) وفي ديوان أبي نواس تحقيق الأستاذ علي فاعور صفحة ٤٥٦ ورد صدر البيت على النحو التالي: «كَبُرَ حظي منها، إذا هي دارت». .

فَـكَـأَنِّـي وَمَـا أُحَـسِّـنُ مِـنْـهَـا، قَـعَـدِيٌّ يُـحَـسِّـنُ ٱلتَّـحْـكِـيْـمَـا[١]
لَمْ يُـطِـقْ حَـمْـلَهُ ٱلـسِّـلَاحَ إِلـى الـحَـرْ بِ، فَأَوْصَـى ٱلْـمُـطِـيْـقَ[٢] أَلَّا يُـقِـيْـمَـا[٣]

فَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ: قَدْ كَانَ ٱلنَّاسُ في أَيَّامِ ٱلْخَادِعَةِ يَظْهَرُ عَنْهُمُ ٱلسَّفَهُ بِشُرْبِ ٱللَّبَنِ، لَا سِيَّما إِذَا كَانُوا أَرِقَّاءَ لِئاماً، كَمَا قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

يـا ٱبْـنَ هِـشَـامٍ أَهْـلَكَ ٱلـنَّـاسَ ٱلـلَّـبَـنْ فَـكُـلُّـهُـمْ يَـغْـدُو بِـسَـيْـفٍ وَقَـرَنْ[٤]

وَقَالَ آخرُ:

[البسيط]

مَا دَهْرُ ضَبَّةَ، فَٱعْلَمْ، نَحْتُ أَثْلَتِنَا[٥] وَإِنَّـمـا هَـاجَ مِـنْ جُـهَّـالِهَـا ٱلـلَّـبَـنُ

وَقِيلَ لِبَعْضِهِم: مَتَى يُخَافُ شَرُّ بَنِي فُلَانٍ؟ قالَ: إِذَا أَلْبَنُوا.

فَيُرِيْدُ، بَلَّغَهُ ٱللَّهُ إِرَادَتَهُ، أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ ٱلنُّدَمَاءِ، فيقولُ: يَجِبُ أَنْ يُحْذَرَ مِنْ مَلَكٍ يَعْبُرُ فَيَرَى هٰذا ٱلْمَجْلِسَ، فيرفَعُ حَديثَهُ إلى ٱلْجَبَّارِ ٱلأَعْظَمِ، فَلَا يَجُرُّ ذٰلِكَ إِلَّا إِلَى ما تَكْرَهَانِ، وَٱسْتَغْنَى رَبُّنا أَنْ تُرْفَعَ ٱلأَخْبَارُ إِلَيْهِ، وَلٰكِنْ جَرَى ذٰلِكَ مَجْرَى ٱلْحَفَظَةِ فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ، أَمَا عَلِمْتُمَا أَنَّ آدَمَ خَرَجَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ بِذَنْبٍ حَقِيرٍ، فَغَيْرُ آمِنٍ مَنْ وَلَدَ أَنْ يُقْدَرَ لَهُ مِثْلُ ذٰلِكَ.

فَسَأَلْتُكَ يَا أَبَا بَصِيرٍ بِٱللَّهِ هَلْ يَهْجُسُ[٦] لَكَ تَمَنِّي ٱلْمُدَامِ؟ فَيَقُولُ: كَلَّا وَٱللَّهِ! إِنَّهَا عِنْدِي لَمِثْلِ ٱلْمَقِرِ لَا يَخْطُرُ ذِكْرُهَا بِٱلْخَلَدِ. فَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذي سَقَانِي عَنْها ٱلسُّلْوانَةَ، فَمَا أَحْفِلُ بِأُمِّ زُنْبقٍ أُخْرَى ٱلدَّهْرِ.

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٣٥٨ مادة «قعد»، ولم يعزه صراحة لأبي نواس:
«والقَعَدِيُّ من الخوارج: الذي يرى رأيَ القَعَد الذين يرون التحكيم حقاً غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس؛ وقال بعض مُجّان المُحْدَثين فيمن يأبى أن يشرب الخمر وهو يستحسن شربها لغيره فشبهه بالّذي يرى التحكيم وقد قعد عنه فقال:
فـكـأنّـي، ومـا أحَـسِّـنُ مـنـهـا، قَـعَـدِيٌّ يُـزَيِّـنُ ٱلـتَّـحْـكـيـمـا»

(٢) المطيق: القادر على حمل السلاح.

(٣) ورد صدر البيت في: ديوانه صفحة ٤٥٦ «كلٌّ عن حمله السلاح».

(٤) ورد الرجز في لسان العرب ١٣/ ٣٣٩ مادة «قرن».
«والقَرَن، بالتحريك: الجعبة من جُلود تكون مشقوقة ثم تخرز، وإنما تشقُّ لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد؛ وقال:
يـا ابـنَ هِـشـامٍ، أهـلكَ الـنـاسَ الـلبـنْ فـكـلُّـهـم يـغـدو بِـقَـوْسٍ وقَـرَنْ
وقيل: هي الجَعْبَة ما كانت».

(٥) أثلة كل شيء: أصله.

(٦) يهجس: يخطر.

وَيَنْهَضُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ مُغْضَباً، فَيَكْرَهُ، جَنَّبَهُ ٱللَّهُ ٱلْمَكَارِهَ، ٱنْصِرَافَهُ على تلكَ ٱلحالِ، فيقولُ: يَا أَبَا لَيْلَى، إِنَّ ٱللَّهَ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، مَنَّ عَلَيْنَا بِهٰؤُلَاءِ ٱلْحُورِ ٱلعِيْنِ ٱللَّواتي حَوَّلَهُنَّ عَنْ خَلْقِ ٱلإِوَزِّ، فَٱخْتَرْ لَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَلْتَذْهَبْ مَعَكَ إِلَى مَنزِلِكَ، تُلاحِنْكَ أَرَقَّ ٱلأَلْحَانِ، وَتُسْمِعُكَ ضُرُوبَ ٱلأَلْحَانِ. فيقولُ لَبِيْدُ بْنُ رَبيعةَ: إِنْ أَخَذَ أَبُو لَيْلَى قَيِنةً، وَأَخَذَ غَيْرُهُ مِثْلَها، أَلَيْسَ يَنْتَشِرُ خَبَرُها فِي ٱلجَنَّةِ، فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُسَمَّى فاعِلو ذٰلِكَ أَزْوَاجَ ٱلإِوَزِّ؟

فَتُضْرِبُ ٱلجَماعَةُ عَنِ ٱقْتِسَامِ أُولٰئِكَ ٱلقِيَانِ.

مَعَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ[١]

وَيَمُرُّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَيَقُوْلُونَ: أَهْلًا أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ، أَلَا تَحَدَّثُ مَعَنا ساعةً؟ فَإِذَا جَلَسَ إِلَيهِم قالوا: أَينَ هٰذِهِ ٱلمَشْرُوبَةُ مِنْ سَبِيْئَتِكَ ٱلَّتي ذَكَرْتَها في قَوْلِكَ؟:

[الوافر]

كَأَنَّ سَبِيْئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ[٢]

---

(١) هو: حسّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، أبو الوليد صحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. مات سنة ٥٤هـ = سنة ٦٧٤م.
انظر ترجمته في: الإصابة ١/ ٥٣٢٦ الأغاني طبعة الدار ٤/ ١٣٤.

(٢) ورد البيتان في لسان العرب ١/ ٩٣ مادة «سبأ».
«سَبَأَ الخَمْرَ يَسْبَؤُها سَبْأً وسِباءً ومَسْبَأً واستبأها: شَرَاها. وفي الصحاح: اشتراها ليَشربها... والاسم السِّباء، على فِعالٍ بكسر الفاء. ومنه سميت الخمر سبيئة.
قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:
كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بيت رأسٍ يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وَماءُ
وخبر كأنَّ في البيت الثاني، وهو:
على أنيابها، أو طَعْمُ غَضٌّ مِنَ ٱلتُّفَّاحِ، هَصَرُهُ ٱجتناءُ
وهذا البيت في: الصحاح: كَأَنَّ سبيئَةً في بيت رأسٍ قال ابن بري: وصوابه من بيت رأس، وهو موضع بالشام».
ورد البيت الأول في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٢٣، المقتضب، للمبرد ٤/ ٩٢، الجمل، للزجاجي: ٥٨، المحتسب، لابن جني ١/ ٢٧٩، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٧/ ٩١، ٩٣، خزانة الأدب، للبغدادي ٤/ ٤٠، ٩٣، مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده للسيوطي: ٤٥٣، ٦٩٥ (٢٨٧)، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١١٩، الدرر اللوامع ١/ ٨٨، وانظر: ديوان حسان بن ثابت: ٣.

عَـلَى أَنْيَـابِـهَـا، أَوْ طَـعْـمَ غَـضٍّ مِـنَ ٱلتُّـفَّـاحِ هَـصَّـرَهُ ٱجْـتِـنَـاءُ[١]
عَـلَى فِـيْـهَـا، إذا مَـا ٱلـلَّـيْـلُ قَـلَّـتْ كَـوَاكِـبُـهُ، وَمَـالَ بِـهَـا ٱلـغِـطَـاءُ
إذَا مَـا ٱلأَشْـرِبَـاتُ ذُكِـرْنَ يَـوْمـاً فَـهُـنَّ لِطَـيِّـبِ ٱلـرَّاحِ ٱلـفِـدَاءُ[٢]

وَيْحكَ! ما ٱسْتَحْيَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ مِثْلَ هٰذا في مِدْحَتِكَ رسولَ ٱللَّهِ، ﷺ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ أَسْجَحَ[٣] خُلُقاً مِمَّا تَظُنُّونَ، وَلَمْ أَقُلْ إِلَّا خَيْراً؛ لَمْ أَذْكُرْ أَنِّي شَرِبْتُ خَمْراً، وَلَا رَكِبْتُ مِمَّا حُظِرَ أَمْراً وَإِنَّما وَصَفْتُ رِيقَ ٱمرأةٍ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَلَّا لي، ويُمْكِنُ أَنْ أَقُولَهُ عَلَى ٱلظَّنِّ. وَقَدْ شَفَعَ، ﷺ، فِي أَبِي بَصِيرٍ بَعْدَمَا تَهَكَّمَ في مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْتِرٌ[٤]، مُفْتَرِياً أَوْ لَيْسَ بِمُفْتَرٍ. وَمَا سُمِعَ بِأَكْرَمَ مِنْهُ، ﷺ: لَقَدْ أَفَكْتُ[٥] فَجَلَدَنِي مَعَ مِسْطَحٍ[٦]، ثُمَّ وَهَبَ لِي أُخْتَ مَارِيَةَ[٧] فَوَلَدَتْ لِي عَبْدَ ٱلرَّحمٰنِ، وَهِيَ خَالَةُ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ.

وَهْوَ، زَيَّنَ ٱللَّهُ ٱلآدَابَ بِبَقائِهِ، يَخْطُرُ فِي ضَمِيرِهِ أَشْيَاءُ، يُرِيدُ أَنْ يذكُرَها لِحسَّانٍ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ يَخَافُ أَنْ يَكُونُوا لِمَا طَلَبَ غَيْرَ مُحْسِنِينَ، فَيُضْرِبُ عَنْهَا إِكْرَاماً لِلْجَلِيسِ، مِثْلَ قَوْلِ حَسَّانٍ: «يَكُونُ مِزَاجَها عَسَلٌ وَمَاءُ».

يَعْرِضُ لَهُ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ قُلْتَ يَا أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ: أَيَكُونُ مِزَاجُها عَسَلٌ وَمَاءُ، أَمْ مِزَاجُها عَسَلًا وماءاً، عَلَى ٱلابْتِدَاءِ وَٱلْخَبَرِ؟ وَقَوْلُهُ:

[الوافر]

فَـمَـنْ يَـهْـجُـو رَسُـولَ ٱللَّـهِ مِـنْـكُـمْ وَيَـمْـدَحُـهُ وَيَـنْـصُـرُهُ، سَـوَاءُ[٨]

---

(١) ورد في الديوان «الجناءُ» بدلًا من «اجتناءُ» وما ورد هنا يوافق ما جاء في لسان العرب. انظر: الديوان: ٣. وهصر: أمال.

(٢) ورد البيت في: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٦٧، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ٥١، ديوان حسان بن ثابت: ٣.

(٣) أسجح خلقاً: سهل الخليقة.

(٤) المستر: الذي يستتر في الليل فيمشي حيث يريد.

(٥) أفك: كذب.

(٦) هو: مِسْطَح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد: صحابي شجاع. جلده النبي ﷺ في أمر عائشة رضي الله عنها. توفي سنة ٣٤هـ = سنة ٦٥٤م. انظر ترجمته في الإصابة: ت ٧٩٣٧، أسد الغابة ٤/ ٣٥٤.

(٧) هي: مارية القبطية ولدت للنبي ﷺ ابنه إبراهيم.

(٨) ورد البيت في: المقتضب، للمبرد ٢/ ١٣٧، المحتسب لابن جني ١/ ٤٣، مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده للسيوطي: ٦٢٥، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٧٤، وانظر: ديوان حسان بن ثابت: ٨.

يَذْهَبُ بَعْضُهُمْ إلى أَنَّ مِنْ مَحْذُوفةٌ مِنْ قَوْلِكَ: وَيَمْدَحُهُ وينْصُرُهُ، على أَنَّ مَا بَعْدَها صِلَةٌ لَهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: حُذِفَتْ على أَنَّها نَكِرَةٌ، وَجُعِلَ ما بَعْدَهَا وَصْفاً لَهَا، فَأُقِيمَتِ ٱلصِّفَةُ مَقَامَ ٱلمَوْصُوفِ.

وَيقُولُ قَائِلٌ مِنَ ٱلقَوْمِ: كَيْفَ جُبْنُكَ يا أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ؟ فيقولُ: أَلِيَ يُقَالُ هٰذا وَقَوْمِي أَشْجَعُ ٱلعَرَبِ؟ أَرَادَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَى ٱلمَوْسِمِ بِأَسْيَافِهِمْ، وَأَجَارُوا ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، عَلَى أَنْ يُحَارِبُوا مَعَهُ كُلَّ عَنُود؛ فَرَمَتْهُمْ رَبِيعَةُ وَمُضَرُ وَجَمِيعُ ٱلعَرَبِ عَنْ قَوْسِ ٱلعَدَاوَةِ، وَأَضْمَرُوا لَهُمْ ضِغْنَ ٱلشَّنَآنِ. وَإِنْ ظَهَرَ مِنِّي تَحرُّزٌ فِي بَعْضِ ٱلمَوَاطِنِ، فَإِنَّمَا ذٰلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ ٱلحَزْمِ، كَمَا جَاءَ فِي ٱلكِتَابِ ٱلكَرِيمِ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

مَجلسُ ٱلعُوْرَانِ

وَيفْتَرِقُ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلمَجْلِسِ، بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِيهِ كَعُمُرِ ٱلدُّنْيا أَضْعَافاً كَثِيرةً، فَبَيْنا هُوَ يَطُوفُ فِي رِيَاضِ ٱلجَنَّةِ، لَقِيَهُ خَمْسَةُ نَفَرٍ عَلَى خَمْسِ أَيْنُقٍ[١]، فَيَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ عُيُونِكُمْ فِي أَهْلِ ٱلجِنَانِ! فَمَنْ أَنْتُمْ خَلَّدَ عَلَيْكُمُ ٱلنَّعِيمُ؟ فَيَقُولُون: نحنُ عُورَانُ قَيْسٍ: تَمِيمُ بْنُ مُقْبِلٍ ٱلعَجْلَانِيُّ[٢] وَعَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ ٱلبَاهِلِيُّ[٣] وَٱلشَّمَّاخُ[٤]، مَعْقِلُ بْنُ ضِرَارٍ[٥] أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ،

---

(١) أينق: خمس من الإبل، مفرده ناقة.

(٢) هو: تميم بن أبيّ بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب: شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم: توفي بعد سنة ٣٧هـ = بعد سنة ٦٥٧م. الإصابة ١/ ١٩٥، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١١٣.

(٣) هو: عمرو بن أحمر بن العمرّد بن عامر الباهلي، أبو الخطّاب: شاعر مخضرم. وعاش نحو ٩٠ عاماً. كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم. توفي نحو سنة ٦٥هـ = نحو سنة ٦٨٥م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٨/ ٤٣٤، الإصابة: ت٦٤٦٨.

(٤) هو: الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. شهد القادسية. مات سنة ٢٢هـ = سنة ٦٤٣م الأغاني ٨/ ٨٧، الإصابة، ت ٣٩١٣.

(٥) هو: معقل بن يسار بن عبد الله المزني. صحابي. أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان. وسكن البصرة، وتوفي بها نحو سنة ٦٥هـ = نحو سنة ٦٨٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٨١٢٤، أسد الغابة ٤/ ٣٩٨.

وَرَاعي ٱلإِبِلِ، عَبِيْدُ بْنُ ٱلحُصَيْنِ ٱلنُّمَيْرِيُّ[١]، وَحُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ ٱلهِلَالِيُّ[٢].

الشَّمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ

فَيَقُولُ لِلشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَارٍ: لَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي أَشْيَاءُ مِنْ قَصِيْدَتِكَ ٱلَّتي على ٱلزَّاي، وَكَلِمَتِكَ ٱلَّتي على ٱلجِيْمِ، فَأَنْشِدْنِيهِمَا لَا زِلْتَ مُخَلَّداً كَرِيْماً.

فَيَقُولُ: لَقَدْ شَغَلَني عَنْهُمُ ٱلنَّعِيمُ ٱلدَّائِمُ فَمَا أَذْكُرُ مِنْهُمَا بَيْتاً وَاحِداً. فَيَقُوْلُ لِفَرْطِ حُبِّهِ ٱلأَدَبَ وَإِيْثَارِهِ تَشْيِيدَ ٱلفَضْلِ: لَقَدْ غَفَلْتَ أَيُّها ٱلمُؤْمِنُ وَأَضَعْتَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ كَلِمَتَيْكَ، أَنْفَعُ لَكَ مِنِ ٱبْنَتَيْكَ؟ ذَكَرْتَ بِهِمَا فِي ٱلمَوَاطِنِ، وَشَهَرْتَ عِنْدَ رَاكِبِ ٱلسَّفَرِ وَٱلقَاطِنِ، وَإِنَّ ٱلقَصِيْدَةَ مِنْ قَصَائِدِ ٱلنَّابِغَةِ، لأَنْفَعُ لَهُ مِنِ ٱبْنَتِهِ عَقْرَبَ، وَلَعَلَّ تِلْكَ شَانَتْهُ[٣]، وَمَا زَانَتْهُ، وَأَصَابَها فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ سَبَاءٌ[٤]، وَمَا وَفَرَ لِأَجْلِهَا ٱلحِبَاءُ[٥]. وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُنْشِدَكَ قَصِيْدَتَيْكَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ بِمُتَعذِّرٍ عَلَيَّ. فَيَقُولُ: أَنْشِدْني، ضَفَتْ عَلَيْكَ نِعْمَةُ ٱللَّهِ فَيُنْشِدُهُ:

[الطويل]

عَفَا مِنْ سُلَيْمى بَطْنُ قَوٍّ[٦]، فَعَالِزُ[٧]، فَذَاتُ ٱلغَضا[٨]، فَٱلمُشْرِفَاتُ ٱلنَّوَاشِزُ[٩]

فَيَجِدُهُ بِها غَيْرَ عَلِيم. وَيَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْها، فَيُصَادِفُهُ بِهَا غَيْرَ بَصِيرٍ، فَيَقُولُ: شَغَلَتْنِي لَذائِذُ ٱلخُلُودِ عَنْ تَعَهُّدِ هٰذه ٱلمُنْكَرَاتِ. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ

(١) هو: عَبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين. لقّب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. مات سنة ٩٠هـ = سنة ٧٠٩م. انظر ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ١٦٨، الشعر والشعراء: ١٥٦.

(٢) هو: حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى: شاعر مخضرم. عاش زمناً في الجاهلية، مثل بين يدي النبي ﷺ ومات في خلافة عثمان نحو سنة ٣٠هـ = نحو سنة ٦٥٠م. الإصابة: ت١٨٣٠، الأغاني طبعة الدار ٤/ ٣٥٦.

(٣) شانته، من شان بمعنى عاب.

(٤) السباء: من السبي.

(٥) «والحِباء: ما يحبو به الرجلُ صاحبته ويكرمه به.. ويقال فيه الحُباء، بضم الحاء..» انظر: لسان العرب ١٤/ ١٦٢ مادة «حبا».

(٦) «قَوّ: موضع، قيل: موضع بين فَيْدِ والنِّباج» انظر: لسان العرب ١٥/ ٢١٢. وذكر معجم البلدان ٤/ ٤١٥ أنه «هو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة».

(٧) «عالز: موضع». انظر: لسان العرب ٥/ ٣٨١ مادة «علز».

(٨) «وأَهل الغَضَى: أهل نجد». انظر: لسان العرب ١٥/ ١٢٩ مادة «غضا».

(٩) النواشز: المرتفعة.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣] إنَّما كُنْتُ أَسْبق هٰذه ٱلأُمُورَ، وَأَنَا آمَلُ أَنْ أُفقرَ[١] بها ناقةً، أَوْ أُعْطى كَيْلَ عِيَالي سَنَةً، كَمَا قالَ ٱلرَّاجِزُ:

لَوْ شَاكَ مِنْ رَأْسِكَ عَظْمٌ يَابِسُ، لَلآلَ[٢] مِنْكَ جَمَلٌ حُمَارِسُ[٣]
سَوَّى عَلَيْكَ ٱلْكَيْلَ شَيْخٌ بَائِسُ، مِثْلَ ٱلْحَصَى يَعْجَبُ مِنْهُ ٱللَّامِسُ

وَأَنَا ٱلآنَ فِي تَفَضُّلِ ٱللَّهِ، أَغْتَرِفُ فِي مَرَافِدِ[٤] ٱلْعَجْسَدِ[٥] مِنْ أَنْهارِ ٱللَّبنِ: فَتَارَةً أَلْبَانُ ٱلإبلِ، وَتَارَةً أَلْبَان ٱلبقَرِ، وَإنْ شِئْتَ لَبَنَ ٱلضَّأْنِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ جَمٌّ، وَكَذٰلِكَ لَبَنُ ٱلمَعِزِ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ وِرْداً مِنْ رِسلِ ٱلأَرَاوِي[٦]، فَرُبَّ نَهْرٍ مِنْهُ كَأَنَّهُ دِجْلَةُ أَوِ ٱلفُرَاتُ. وَلَقَدْ أَرَانِي فِي دَارِ ٱلشِّقْوَةِ أَجْهَدُ أَخْلَافَ شِيَاهٍ لجباتٍ[٧]، لا يَمْتَلِئُ مِنْهُنَّ ٱلْقَعْبُ[٨].

عمرُو بْنُ أَحْمَرَ[٩]

فَيَقُولُ، لَا زَالَ مِقْوَلًا لِلْخَيْرِ: فَأَيْنَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ؟ فَيَقُولُ عَمْرٌو: هٰا أَنا ذا. فَيَقُولُ: أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ:

[الكامل]

بَانَ ٱلشَّبَابُ، وَأَخْلَفَ ٱلْعَمْرُ، وَتَغَيَّرَ ٱلإِخْوَانُ وَٱلدَّهْرُ[١٠]

وَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِي تَفْسِيرِ ٱلعمرِ، فَقِيلَ إِنَّكَ أَرَدْتَ ٱلْبَقَاءَ، وَقِيلَ: إِنَّكَ أَرَدْتَ

---

(١) أفقر: أعطى.
(٢) آل: تحوّل.
(٣) «الحُمارِسُ: الشديد. والحُمارِسُ: اسم للأسد أو صفة غالبة» انظر: لسان العرب ٦/ ٥٨ مادة «حمرس».
(٤) المرافد، مفرده مِرْفد: الأقداح.
(٥) العسجد: الذهب.
(٦) الأراوي، مفرده أروية: ضأن الجبل تستعمل للذكر والأنثى.
(٧) لجبات: حلوبات.
(٨) القعب: الوعاء الكبير.
(٩) مرّت ترجمته.
(١٠) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٦٠٦ مادة «عمر».
«والعَمْر: لحم من اللثة سائل بين كل سنين.. العمورُ: منابت الأسنان واللحم الذي بين مغارسها، الواحد عَمْر، بالفتح، قال ابن الأثير: وقد يضم؛ وقال ابن أحمر:
بَانَ ٱلشَّبَابُ وأَخْلَفَ ٱلعَمْرُ، وتَبَدَّلَ ٱلإخوانُ وٱلدَّهرُ»

ٱلوَاحِدَ مِنْ عُمُورِ ٱلأَسْنَانِ، وَهُوَ ٱللَّحْمُ ٱلَّذِي بَيْنَها. فَيَقُوْلُ عَمْرٌو مُتَمَثِّلًا:

[الطويل]

خُذَا وَجْهَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا، فَإِنَّهُ ... كِلَا جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ[١]

وَلَمْ تَتْرُكْ فِيَّ أَهْوَالُ ٱلقِيَامَةِ غُبَّراً لِلإِنْشَادِ، أَمَا سَمِعْتَ ٱلآيَةَ؟: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] وَقَدْ شَهِدْتَ ٱلمَوْقِفَ، فَٱلعَجَبُ لَكَ إِذْ بَقِيَ مَعَكَ شَيءٌ مِنْ رِوَايَتِكَ! فَيَقُوْلُ ٱلشَّيْخُ: إِنِّي كُنْتُ أُخْلِصُ ٱلدُّعَاءَ فِي أَعْقَابِ ٱلصَّلَوَاتِ، قَبْلَ أَنْ أَنْتَقِلَ مِنْ تِلْكَ ٱلدَّارِ، أَنْ يُمْتِعَنِي ٱللَّهُ بِأَدَبِي فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ، فَأَجَابَنِي إِلى ما سَأَلْتُ وهوَ ٱلحَمِيْدُ ٱلمَجِيْدُ.

وَلَقَدْ يُعْجِبُنِي قَوْلُكَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ غَدَوْتُ، وَمَا يُفَزِّعُنِي ... خَوْفٌ أُحَاذِرُهُ وَلَا ذُعْرُ

رُؤْدَ[٢] ٱلشَّبَابِ، كَأَنَّنِي غُصُنٌ ... بِحَرَامِ مَكَّةَ، نَاعِمٌ نَضْرُ

كَشَرَابِ قَيْلٍ عَنْ مَطِيَّتِهِ، ... وَلِكُلِّ أَمْرٍ وَاقِعٍ قَدْرُ

مُدَّ ٱلنَّهَارُ لَهُ، وَطَالَ عَلَيْـ ... ـهِ ٱللَّيْلُ وَٱسْتَنْعَتْ بِهِ ٱلخَمْرُ

وَمُسِفَّةٌ[٣] دَهْمَاءُ[٤] دَاجِنَةٌ ... رَكَدَتْ، وَأُسْبِلَ دُونَهَا ٱلسِّتْرُ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٦/ ٣٦٣ مادة «هرش».
«وقد سمَّت هَرَّاشاً ومَهارِشاً وهَرْش: موضع؛ قال:
خُذا جَنْبَ هَرْشَى أو قفاها، فإنَّهُ ... كِلَا جانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ
وفي الصحاح: خُذي أَنْفَ هرشى أو قفاها.
الجوهري: هَرْشى ثَنِيَّةٌ في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر، ولها طريقان فكُلُّ مَنْ سلكها كان مصيباً»... قال ابن الأثير: «هي ثنية بين مكة والمدينة، وقيل: هَرشى جبل قريب من الجحفة...».
والبيت لعقيل بن علّفة، ورد في الأغاني، لأبي الفرج ١١/ ٨٥، خزانة الأدب، للبغدادي ٢/ ٢٧٨، وانظر: معجم ما استعجم للبكري (هرش) ومعجم البلدان لياقوت (هرش) وتفسير الزمخشري في (إذا زلزلت الأرض).

(٢) «غصن رَؤودٌ: وهو أرطب ما يكون وأرخصه..» انظر: لسان العرب ٣/ ١٦٩ مادة «رأد».

(٣) المسفَّة: الريح المثيرة للغبار.

(٤) دهماء: قاتمة سوداء شديدة السواد.

وَجَـرَادَتَـانِ[١] تُـغَـنِّـيَـانِـهِـم وَتَـلأْلأَ ٱلْـمُـرْجَـانُ وَٱلـشَّـذْرُ[٢]

وَمُـجَـلْجَـلٌ[٣] دَانٍ زَبَـرْجَـدُهُ[٤] حَـدِبٌ كَـمَـا يَـتَـحَـدَّبُ[٥] ٱلـدَّبْـرُ

وَنَـانِ[٦] حَـنَـانَـانِ، بَـيْـنَـهُـمَـا وَتَـرٌ أَجَـشُّ[٧]، غِـنَـاؤُهُ زَمْـرُ[٨]

وَبَـعِـيْـرُهُـمْ سَـاجٍ[٩] بِـجِـرَّتِـهِ[١٠]، لَمْ يُـؤْذِهِ غَـرَثٌ[١١] وَلَا نَـفْـرُ[١٢]

فَـإِذَا تَـجَـرَّرَ، شَـقَّ بَـازِلَهُ[١٣]، وَإِذَا أَصَـاخَ فَـإِنَّـهُ بَـكْـرُ

---

(١) «والجرادتان: مغنيتان للنعمان؛ وفي قصة أبي رغال: فغنَّته الجرادتان. التهذيب: وكان بمكة في الجاهلية قينتان يقال لهما الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت والغناء . .» انظر: لسان العرب ٣/ ١١٨ مادة «جرد».

(٢) «الشذر: قطع من الذهب يُلْقط من المعدن من غير إذابة الحجارة، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر. والشَّذْر أيضاً: صغار اللؤلؤ، شبهها بالشَّذْر لبياضها. وقال شمر: الشَّذْرهَنَاتٌ صغار كأنها رؤوس النمل من الذهب تجعل في الخَوْف، وقيل: هو خرز يفصل به النظم، وقيل: هو اللؤلؤ الصغير، واحدته شَذْرة . .» انظر: لسان العرب: ٤/ ٣٣٩ مادة «شذر».

(٣) «المُجَلْجَلِ: المنحول المغربل . .» انظر: لسان العرب ١١/ ١٢٢ مادة «جلجل».

(٤) «الزبرجد والزبرْدج: الزمُرُّد». انظر: لسان العرب ٣/ ١٩٤ مادة «زبرجد».

(٥) «تحدَّب: تعطَّف، وحنا عليه . .» انظر: لسان العرب ١١/ ٣٠١ مادة «حدب».

(٦) «الونُّ: الصنج الذي يُضرب بالأصابع، وهو الونج، كلاهما دخيل مشتق من كلام العجم . . .» انظر: لسان العرب ١٣/ ٤٥٣ مادة «ونن».

(٧) الأجش: الصوت الغليظ.

(٨) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٣٢٨ مادة «زمر».
«يقال: غناء زمِير أي حسن، وزَمَرَ إذا غنى. والقصبة التي يُزْمَرُ بها: زَمَّارة.
والزَّمِر: الحسن؛ عن ثعلب، وأنشد:
دَنّـانِ حَـنَّـانَـانِ، بَـيْـنَـهـمَـا رَجُـلٌ أَجَـشُّ، غِـنَـاؤهُ زمْـرُ
أي غناؤه حسن».

(٩) «ساج: أي ساكن وراكد». انظر: لسان العرب ١٤/ ٣٧١ مادة «سجا».

(١٠) «الجرَّة: جرَّة البعير حين يجترُّها فيقرضها ثم يكظمها. الجوهري: الجرَّة، بالكسر، ما يخرجه البعير للاجترار . .» انظر: لسان العرب مادة «جَرر».

(١١) «الغَرَث: أيسر الجوع، وقيل: شِدَّته؛ وقيل: هو الجوع عامة». انظر: لسان العرب ٢/ ١٧٢ مادة «غرث».

(١٢) النَّفْر: التفرّق.

(١٣) «الجوهري: بَزَل البعيرُ يبزل بُزُولًا فَطَر نابُه أي انشقَّ، فهو بازلٌ: ذكراً كان أو أُنثى، وذلك في السنة التاسعة . .» انظر: لسان العرب ٩/ ٥٢ مادة «بزل».

خَـلُّوا طَـرِيـقَ ٱلـدَّيْـدَبُـونِ، فَـقَـدْ وَلَّى ٱلـصِّـبَـا وَتَـفَـاوَتَ ٱلـنَّـجْـرُ[١]

فَمَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: كَشَرَابِ قَيْلٍ؟ ٱلوَاحِدُ مِنَ ٱلأَقْيَالِ؟ أَمْ قَيْلِ بْنِ عِتْرٍ مِنْ عَادٍ؟ فَيَقُولُ عُمرٌو: إِنَّ ٱلوَجْهَينِ لَيُتَصَوَّرانِ. فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ، بَلَّغَهُ ٱللَّهُ ٱلأَمَانِي: مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّ ٱلمُرادَ قَيْلَ بْنَ عِتْرٍ، قَوْلُكَ: وجَرادَتَانِ تُغَنِّيانِهِمْ، لِأَنَّ ٱلجَرَادَتَيْنِ[٢]، فِيمَا قِيلَ، مُغَنِّيَتَانِ غَنَّتَا لِوَفْدِ عَادٍ عِنْدَ ٱلجُرْهُمِيِّ بِمَكَّةَ. فَشُغِلُوا عَنِ ٱلطَّوَافِ بِٱلبَيْتِ وَسُؤَالِ ٱللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِيمَا قَصَدُوا لَهُ، فَهَلَكَتْ عَادٌ وَهُمْ سَامِدُونَ[٣].

وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ ٱلأَغَانِي صَوْتاً يُقَالُ غَنَّتْهُ ٱلجَرَادَتَانِ، فَتَفَكَّنْتُ[٤] لِذَلِكَ، وَٱلصَّوْتُ:

[مخلع البسيط]

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِهِ ٱلـمَـصِـيْـفُ، فَـبَـطْـنُ عَـزْدَةَ[٥]، فَـٱلْـغَـرِيْـفُ[٦]

هَـلْ تُـبَـلِّغُـنِـي دِيَـارَ قَـوْمِـي مَـهْـرِيَّـةٌ[٧]، سَـيْـرُهَـا تَـلْقِـيْـفُ[٨]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ١٤٦ مادة «دبن».
«قال ابن بري: وقول ابن أحمر:
خَـلُّوا طَـرِيـقَ ٱلـدِّيْـدَبُـونِ، فـقـد فَـاتَ ٱلـصِّـبـا، وتَـفَـاوَتَ ٱلـبُـجْـرُ
دَيْدَبُون فَيْعَلُول، اليَاء زائدة، قال: وهذا في الرباعي.. والدَّيدبون: اللهو. ويقال: الدَّيدبون هنا الباطل..» انظر: لسان العرب ١٣/ ١٤٦ مادة «دبن».
وأورد لسان العرب ١٣/ ١٥٢ مادة «ددن» البيت أيضاً بنفس الرواية.
«والديدبون: اللهو؛ قال ابن أحمر:
خَـلُّوا طـريـقَ الـدِّيْـدَبُـون، فـقـد فَـاتَ ٱلـصِّـبـا، وتَـفَـاوَتَ ٱلـبُـجْـرُ»
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/ ٢٢.

(٢) «والجرادتان: مغنيتان للنعمان، وفي قصة أبي رغال: فغنَّتْهُ الجرادتان. التهذيب: وكان بمكة في الجاهلية قينتان يقال لهما الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت والغناء..» انظر: لسان العرب ٣/ ١١٨ مادة «جرد».

(٣) سامدون، مفرده سامد: المحتار فيما يرى.

(٤) تفكَّنت: ذُهِلت.

(٥) عَزْدة: هضبة بالمطلاء في أصلها ماء لكعب بن عبد بن أبي بكر.

(٦) الغريف: جبل لبني نمير.

(٧) «ومَهْرَة بن حَيْدان: أبو قبيلة، وهم حيّ عظيم، وإبل مَهْرِيَّة منسوبة إليهم، والجمع مَهارِيّ ومَهارٍ ومَهَارَى مخفَّفُ الياء..» انظر: لسان العرب ٥/ ١٨٦ مادة «مهر».

(٨) «والتلقيف شدَّة رفعِها يدها كأنما تمدّ مدًّا؛ ويقال: تلقيفها ضربها بأيديها لَبَاتِها يعني الجمال في سيرها..» انظر: لسان العرب ٩/ ٣٢١ مادة «لقف».

يَا أُمَّ عُثْمَانَ نَوِّلِيْنِي ... هَلْ يَنْفَعُ ٱلنَّائِلَ ٱلطَّفِيْفُ

وَهٰذَا شِعْرٌ عَلَى قَرْيٍ[1]: «أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ»[2].

وَمَنِ ٱلَّذِي نَقَلَ إِلى ٱلْمُغَنِّيْنَ فِي عَصْرِ هَارُوْنَ وَبَعْدَهُ أَنَّ هٰذَا ٱلشِّعْرَ غَنَّتْهُ ٱلْجَرَادَتَانِ؟ إِنَّ ذٰلِكَ لَبَعِيْدٌ فِي ٱلْمَعْقُولِ، وَمَا أَجْدَرَهُ أَنْ يَكُونَ مَكْذُوباً!

وَقَوْلُكَ: وَمُسِفَّةٌ دَهْمَاءُ دَاجِنَةٌ، ما أَرَدْتَ بِهِ؟

وقولُكَ: ومُجَلْجَلٌ دَانٍ زَبَرْجَدُهُ؟

فَيَقُوْلُ ٱبْنُ أَحْمَرَ: أَمَّا ذِكْرُ ٱلْجَرَادَتَيْنِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنِّي خَصَّصْتُ قَيْلَ بْنَ عِتْرٍ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْوَفْدِ ٱلَّذِي غَنَّتْهُ ٱلْجَرَادَتَانِ، لِأَنَّ ٱلْعَرَبَ صَارَتْ تُسَمِّي كُلَّ قَيْنَةٍ جَرَادَةً، حَمْلاً عَلَى أَنَّ قَيْنَةً فِي ٱلدَّهْرِ ٱلْأَوَّلِ كَانَتْ تُدْعَى ٱلْجَرَادَةَ. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

تُغَنِّيْنَا ٱلْجَرَادُ، وَنَحْنُ شَرْبٌ ... نُعِلُّ[3] ٱلرَّاحَ خَالَطَهَا ٱلْمَشُورُ[4]

وَأَمَّا ٱلْمُسِفَّةُ ٱلدَّهْمَاءُ، فَإِنَّها ٱلْقِدْرُ. وَأَمَّا ٱلْمُجَلْجَل ٱلدَّانِي زَبَرْجَدُهُ، فَهُوَ ٱلْعُودُ، وَزَبَرْجَدُهُ ما حَسُنَ مِنْهُ، أَمَا تَسْمَعُ ٱلْقَائِلَ يُسَمِّي مَا تَلَوَّنَ مِنَ ٱلسَّحَابِ زِبْرِجاً؟ وَمَنْ رَوَى: مُجَلْجِلٌ، بِكَسْرِ ٱلْجِيمِ، أَرَادَ ٱلسَّحَابَ.

فَيَعْجَبُ ٱلشَّيْخُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ، وَيَقُوْلُ: كَأَنَّكَ ٱلرَّجُلُ وَأَنْتَ عَرَبِيٌّ صَمِيْمٌ يُسْتَشْهَدُ بِأَلْفَاظِكَ وَقَرِيضِكَ، تَزْعُمُ أَنَّ ٱلزَّبَرْجَدَ مِنَ ٱلزِّبْرِجِ، فَهٰذَا يُقَوِّي مَا ٱدَّعَاهُ صَاحِبُ ٱلْعَيْنِ[5] مِنْ أَنَّ ٱلدَّالَ زَائِدَةٌ فِي أَنَّ قَولَهُمْ: صَلْخَدُمٌ، وَأَهْلُ ٱلْبَصْرَةِ يَنْفِرُونَ مِنْ ذٰلِكَ.

فَيُلْهِمُ ٱللَّهُ ٱلْقَادِرُ ٱبْنَ أَحْمَرَ عِلْمَ ٱلتَّصْرِيفِ، لِيَرَى ٱلشَّيْخُ بُرْهَانَ ٱلْقُدْرَةِ، فَيَقُولُ

---

(١) قري: بحر ووزن.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٧٣٧ مادة «لحب» ١١/ ٦٩٧ مادة «هزل».
«ومَلْحُوبُ: موضع؛ قال عَبيدٌ:
أقفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ، ... فَٱلْقُطَيْبَاتُ فَٱلذَّنُوبُ
ملحوب: اسم ماء لبني أسد. القطيّبات: جبل. الذنوب: موضع في ديار بني أسد».
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/ ٤١٩، وانظر: ديوان عبيد بن الأبرص: ٥.

(٣) نعلُّ: نشرب مرّة بعد مرّة.

(٤) المشور: العسل.

(٥) صاحب العين هو الخليل بن أحمد الفراهيدي. مرَّت ترجمته.

ٱبْنُ أَحمرَ: وَمَاذا ٱلَّذي أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ ٱلزَّبَرْجُ مِنْ لَفْظِ ٱلزَّبَرْجَد؟ كَأَنَّ فِعْلًا صَرَفَ مِنَ ٱلزَّبَرْجَد، فَلَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُجاءَ بِحُرُوفِهِ كُلِّهَا، إِذَا كَانَتِ ٱلأَفْعَالُ لَا يَكُونُ فِيها خَمْسَةُ أَحْرُفٍ مِنَ ٱلأُصُولِ، فَقِيلَ: زبرج يُزَبْرِجُ، ثُمَّ بُنِيَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْفِعْلِ ٱسْمٌ فَقِيلَ: زِبْرِجٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ إِذَا صَغَّرُوا فرزدقاً قَالُوا: فُرَيْزِدٌ، وَإِذا جَمَعُوهُ قَالُوا: فَرَازِدُ؟ وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِدَلِيْلٍ عَلَى أَنَّ ٱلقَافَ زَائِدَةٌ. فَيَقُولُ، خَلَّدَ ٱللَّهُ أَلْفَاظَهُ فِي دِيْوَانِ ٱلأَدَبِ: كَأَنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ فِعْلًا أُخِذَ مِنَ ٱلزَّبَرْجَدِ، ثُمَّ بُنِيَ مِنْهُ ٱلزَّبَرْجُ، فَقَدْ لَزِمَكَ عَلَى هٰذَا أَنْ تَكُوْنَ ٱلأَفْعَالُ قَبْلَ ٱلأَسْمَاءِ. فَيَقُولُ ٱبْنُ أَحْمَرَ: لَا يَلْزَمُنِي ذٰلِكَ، لِأَنِّي جَعَلْتُ زَبَرْجَداً أَصْلًا، فَيَجُوزُ أَنْ يَحْدُثَ مِنْهُ فُرُوعٌ لَيْسَ حُكْمُها كَحُكْمِ ٱلأُصُولِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: إِنَّ ٱلفِعْلَ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلمَصْدَرِ؟ فَهٰذَا أَصْلٌ، ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ: ٱلصِّفَةُ ٱلجَارِيَةُ عَلَى ٱلفِعْلِ، يَعْنُونَ: ٱلضَّارِبَ وَٱلكَرِيمَ وَمَا نَحْوَهُمَا، فَلَيْسَ قَوْلُهُمْ هٰذِهِ ٱلمَقَالَةَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ ٱلصِّفَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ ٱلفِعْلِ، إِذْ كَانَتِ ٱسْماً، وَحَقُّ ٱلأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ قَبْلَ ٱلأَفْعَالِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ أَنَّهُ يَنْطِقُ بِٱلفِعْلِ مِنْها كثيرٌ. وَلِمُدَّعٍ أَنْ يَقُولَ: ٱلفِعْلُ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلمَصْدَرِ فهو فرعٌ عَلَيْهِ، وَٱلصِّفَةُ فَرْعٌ آخَرُ، فَيَجُوْزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدُ ٱلفَرْعَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ.

ثُمَّ يَذْكُرُ لَهُ أَشْيَاءَ مِنْ شِعْرِهِ، فَيَجِدُهُ عَنِ ٱلجَوَابِ مُسْتَعْجِماً[١]، إِنْ نَطَقَ نَطَقَ مُحْجِماً[٢].

تَمِيْمُ بْنُ أُبَيٍّ[٣]

فَيَقُوْلُ: أَيُّكُمْ تَمِيمُ بْنُ أُبَيٍّ؟ فَيَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: هَا أَنَا ذَا. فَيَقُولُ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ:

[البسيط]

يَا دَارَ سَلْمَى خَلَاءً لَا أُكَلِّفُهَا إِلَّا ٱلمَرَانَةَ[٤] حَتَّى تَسْأَمَ ٱلدِّيْنَا[٥]

مَا أَرَدْتَ بِٱلمَرَانَةِ؟ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّكَ أَرَدْتَ ٱسْمَ ٱمْرَأَةٍ، وَقِيلَ: هِيَ ٱسْمُ نَاقَةٍ، وَقِيلَ: ٱلعَادَةُ. فَيَقُولُ تَمِيمٌ: وَٱللَّهِ مَا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ ٱلفِرْدَوْسِ وَمَعِي كَلِمَةٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ وَلَا ٱلرَّجَزِ، وَذٰلِكَ أَنِّي حُوْسِبْتُ حِسَاباً شَدِيْداً، وَقِيلَ لِي: كُنْتَ فِيْمَنْ قَاتَلَ عَلِيَّ بْنَ

---

(١) المستعجم: العاجز عن النطق.

(٢) المحجم: المتوقّف.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) المرانة: التعوّد والمداومة.

(٥) الدين: الشأن والعادة.

أَبي طَالِبٍ. وَٱنْبَرَى لِي ٱلنَّجَاشِيُّ ٱلحَارِثِيُّ[١]، فَمَا أَفْلَتَ مِنَ ٱللَّهَبِ حَتَّى سَفَعَنِي[٢] سَفَعَاتٍ. وَإِنَّ حِفْظَكَ لَمُبْقٍ عَلَيْكَ، كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ أَهْوَالَ ٱلحِسَابِ، وَمُنَادِي ٱلحَشْرِ يَقُولُ: أَيْنَ فُلَانُ ٱبْنُ فُلَانٍ؟ وَٱلشُّوسُ[٣] ٱلجَبَابِرَةُ مِنَ ٱلمُلُوكِ تَجْذُبُهُمُ ٱلزَّبَانِيَةُ[٤] إِلَى ٱلجَحِيمِ، وَٱلنِّسْوَةُ ذَوَاتُ ٱلتِّيجَانِ يَصِرْنَ بِأَلْسِنَةٍ مِنَ ٱلوُقُودِ، فَتَأْخُذُ فِي فُرُوعِهِنَّ وَأَجْسَادِهِنَّ، فَيَصِحْنَ: هَلْ مِنْ فِدَاءٍ؟ هَلْ مِنْ عُذْرٍ يُقَامُ؟ وَٱلشَّبَابُ مِنْ أَوْلَادِ ٱلأَكَاسِرِ يَتَضَاغَوْنَ فِي سَلَاسِلِ ٱلنَّارِ وَيَقُولُوْنَ: نَحْنُ أَصْحَابُ ٱلكُنُوزِ، نَحْنُ أَرْبَابُ ٱلفَانِيَةِ، وَلَقَدْ كَانَتْ لَنَا إِلَى ٱلنَّاسِ صَنَائِعُ وأَيَادٍ فَلَا فَادِيَ وَلَا مُعِيْنَ!

فَهَتَفَ دَاعٍ مِنْ قِبَلِ ٱلعَرْشِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] لَقَدْ جَاءَتْكُمُ ٱلرُّسُلُ فِي زَمَانٍ بَعْدَ زَمَانٍ، وَبُذِلَتْ ما وَكَدَ مِنَ ٱلإِيْمَانِ، وَقِيْلَ لَكُمْ فِي ٱلكِتَابِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] فَكُنْتُمْ فِي لِذَاتِ ٱلسَّاخِرَةِ وَاغِلِينَ، وَعَنْ أَعْمَالِ ٱلآخِرَةِ مُتَشَاغِلِينَ، فَٱلآنَ ظَهَرَ ٱلنَّبَأُ، لَا ظُلْمَ ٱليَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلعِبَادِ.

حَدِيثُ ٱلدَّيْنُونَةِ

فَيَقُوْلُ، أَنْطَقَهُ ٱللَّهُ بِكُلِّ فَضْلٍ، إِنْ شَاءَ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا أَقُصُّ عَلَيْكَ قِصَّتِي:

لَما نَهَضْتُ أَنْتَفِضُ مِنَ ٱلرِّيمِ[٥]، وَحَضَرْتُ حَرَصَاتِ ٱلقِيَامَةِ، وَٱلحَرَصَاتُ مِثْلُ ٱلعَرَصَاتِ، أُبْدِلَتِ ٱلحَاءُ مِنَ ٱلعَيْنِ، ذَكَرْتُ ٱلآيَةَ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٤، ٥] فَطَالَ عَلَيَّ ٱلأَمَدُ، وَٱشْتَدَّ ٱلظَّمَأُ وَٱلْوَمَدُ، وَٱلوَمَدُ: شِدَّةُ ٱلحَرِّ وَسُكُونُ ٱلرِّيحِ، كَمَا قَالَ أَخُوكُمْ ٱلنُّمَيْرِيُّ:

[البسيط]

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَاحِفِهَا ... جَلَّاهُ طَلٌّ وَقَيْظٌ لَيْلُهُ وَمَدُ[٦]

---

(١) هو: قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان: شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي نحو ٤٠هـ = نحو سنة ٦٦٠م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ١١٥، خزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) سعفني: أنجدني وساعدني. (٣) الشوس: الأقوياء.

(٤) الزباء: الملائكة خزنة النار. (٥) الريم: القبر.

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٤٧ مادة «ومد».

«وقد وَمِدَ اليومُ وَمَداً فهو وَمِدٌ، وليلة وَمِدَةٌ، وأكثر ما يقال في الليل، وقد وَمِدَتِ الليلة=

وَأَنَا رَجُلٌ مِهْيَافٌ، أَيْ سَرِيعُ ٱلعَطَشِ، فَٱفْتَكَرْتُ، فَرَأَيْتُ أَمْراً لَا قِوَامَ لِمِثْلِي بِهِ. وَلَقِيَنِي ٱلمَلَكُ ٱلحَفِيظُ بِمَا زَبَرَ[١] لِي مِنْ فِعْلِ ٱلخَيْرِ، فَوَجَدْتُ حَسَناتِي قَلِيْلَةً كَٱلنَّفَإِ فِي ٱلعَامِ ٱلأَزْمَلِ، وَٱلنَّفَأُ ٱلرِّيَاضُ، وَٱلأَزْمَلُ قَلِيْلُ ٱلمَطَرِ، إِلَّا أَنَّ ٱلتَّوْبَةَ فِي آخِرِهَا كَأَنَّها مِصْبَاحُ أَبِيْلٍ[٢]، رُفِعَ لِسَالِكِ ٱلسَّبِيلِ.

رِضْوَانُ، خَازِنُ ٱلجِنَانِ

فَلَمَّا أَقَمْتُ فِي ٱلمَوْقِفِ زُهَاءَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ، وَخِفْتُ فِي ٱلعَرَقِ مِنَ ٱلغَرَقِ، زَيَّنَتْ لِيَ ٱلنَّفْسُ ٱلكَاذِبَةُ أَنْ أَنْظِمَ أَبْيَاتاً فِي رِضْوَانَ، خَازِنِ ٱلجِنَانِ، عَمِلْتُهَا فِي وَزْنِ:

[الطويل]

«قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَعِرْفَانِ[٣]»

وَوَسَمْتُهَا بِرِضْوَانَ. ثُمَّ ضَانَكْتُ[٤] ٱلنَّاسَ حَتَّى وَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ وَيَرى، فَمَا حَفِلَ بِي، وَلَا أَظُنُّهُ أَبَهَ لِمَا أَقُوْلُ.

فَغَبَرْتُ[٥] بُرْهَةً، نَحْوَ عَشَرَةِ أَيَامٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلفَانِيَةِ، ثُمَّ عَمِلْتُ أَبْيَاتاً فِي وَزْنِ:

[البسيط]

بَـانَ ٱلـخَـلِيْـطُ وَلَوْ طُـوِّعْـتُ مَـا بَـانَـا ... وَقَـطَّـعُـوا مِـنْ حِبَـالِ ٱلـوَصْـلِ أَقْـرَانَـا[٦]

= بالكسر، تَوْمَدُ وَمَداً، ويقال: ليلة ومدٌ بغير هاء؛ ومنه قول الراعي يصف امرأة:

كَـأَنَّ بَـيْـضَ نَـعـامٍ فـي مَـلاحِـفِـهَـا، ... إذا اجـتـلاهُـنَّ قَـيْـظـاً لـيـلـةٌ وَمِـدُ

الوَمَدُ والوَمِدَةُ، بالتحريك: شِدَّة حرّ الليل...».

وقائل البيت الراعي النميري. مرّت ترجمته.

(١) زبر: كتب. (٢) الأبيل: الراهب.

(٣) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس؛ صفحة: ٨٩، وهو مطلع قصيدته النونية.

قِـفَـا نَـبْـكِ مِـنْ ذِكـرى حـبـيـبٍ وَعِـرْفـان ... وَرَسْـمٍ عَـفَـتْ آيـاتُـهُ مُـنْـذُ أَزْمَـانِ

عرفان: موضع. عفّت: انمحت.

ورد البيت في: مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده للسيوطي: ٣٣٥ (٢٥٤)، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/ ٣١٩، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ٢/ ١٧، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ٢١٧، الدرر اللوامع ١/ ١٨٦، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٢٩، حاشية الدمنهوري على متن الكافي: ٣١، ٧٤.

(٤) ضانكت: ضايقت وأتعبت.

(٥) غبرت: بقيت.

(٦) ورد في لسان العرب ٧/ ٢٩٥ مادة «خلط» صدر البيت.

«.. والخليط الصاحب، والخليط الجار يكون واحداً وجمعاً؛ ومنه قول جرير:

بـانَ ٱلـخَـلِـيْـطُ ولـو طُـوِّعْـتُ مـا بـانـا» =

وَوَسَمْتُها بِرِضْوَانَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَفَعَلْتُ كَفِعْلِيَ ٱلأَولِ، فَكَأَنِّي أُحَرِّكُ ثَبِيْراً[١]، وَأَلتَمِسُ مِنَ ٱلغَضْرَمِ عَبِيْراً، وَٱلغَضْرَمُ: تُرَابٌ يُشْبِهُ ٱلجِصَّ[٢]، فَلَمْ أَزَلْ أَتَتَبَّعُ ٱلأَوْزَانَ ٱلَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُوْسَمَ بِهَا رِضْوَانُ حَتَّى أَفْنَيْتُهَا، وَأَنَا لَا أَجِدُ عِنْدَهُ مَغُوْثَةً، وَلَا ظَنَنْتُهُ فَهِمَ مَا أَقُوْلُ، فَلَمَّا ٱسْتَقْصَيْتُ ٱلغَرَضَ فَمَا ٱنْجَحْتُ، دَعَوْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يا رِضوانُ، يا أَمِيْنَ ٱلجَبَّارِ ٱلأَعْظَمِ عَلَى ٱلفَرَادِيسِ، أَلَمْ تَسْمَعْ نِدائِي بِكَ وَٱسْتِغَاثَتِي إِلَيْكَ؟ فَقالَ: لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ رِضْوَانَ وَمَا عَلِمْتُ مَا مَقْصِدُكَ، فَمَا ٱلَّذِي تَطْلُبُ أَيُّها ٱلمِسْكِينُ؟ فَأَقُولُ: أَنا رَجُلٌ لَا صَبْرَ لِي عَلَى ٱللَّوابِ، أَي ٱلعَطَشِ، وَقَدِ ٱسْتَطَلْتُ مُدَّةَ ٱلحِسَابِ، وَمَعِي صَكٌّ بِٱلتَّوْبَةِ، وهِيَ لِلذُّنُوبِ كُلِّها ماحِيَةٌ، وَقَدْ مَدَحْتُكَ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَوَسَمْتُهَا بِٱسْمِكَ. فَقالَ: وَما ٱلأَشْعارُ؟ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهٰذِهِ ٱلكَلِمَةِ قَطُّ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ.

[تعريف الشعر]

فَقُلْتُ: ٱلأَشْعَارُ جَمْعُ شِعْرٍ، وَٱلشِّعْرُ كَلامٌ مَوْزُونٌ تَقْبَلُهُ ٱلغَرِيْزَةُ عَلَى شَرَائِطَ، إِنْ زَادَ أَوْ نَقَصَ أَبَانَهُ ٱلحِسّ، وَكَانَ أَهلُ ٱلعَاجِلَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى ٱلمُلُوكِ وَٱلسَّادَاتِ، فَجِئْتُ بِشَيْءٍ منه إِلَيْكَ لَعَلَّكَ تَأْذَنُ لِي بِٱلدُّخُولِ إِلى ٱلجَنَّةِ فِي هٰذا ٱلبَابِ، فَقَدِ ٱسْتَطَلْتُ ما ٱلنَّاسُ فِيْهِ، وَأَنَا ضَعِيفٌ مَنِينٌ؛ وَلَا رَيْبَ أَنِّي مِمَّنْ يَرْجُو ٱلمَغْفِرَةَ، وتَصِحُّ لَهُ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ تعالى. فقالَ: إِنَّكَ لَغَبِينُ[٣] ٱلرَّأْيِ! أَتَأْمَلُ أَنْ آذَنَ لَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْ رَبِّ ٱلعِزَّةِ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٤] [سبأ: ٥٢].

زُفَرُ، خَازِنُ ٱلجَنَّةِ ٱلآخَرُ

فَتَرَكْتُهُ وَٱنْصَرَفْتُ بِأَملي إِلى خَازِنٍ آخَرَ يُقالُ لَهُ زُفَرُ، فَعَمِلْتُ كَلِمَةً وَوَسَمْتُهَا بِٱسْمِهِ فِي وَزْنِ قَوْلِ لُبَيْدٍ[٥]:

[الطويل]

تَمَنَّى ٱبْنَتَايَ أَنْ يَعِيْشَ أَبُوهُمَا، وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ[٦]

= ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ١/ ٩٥. المنصف، لابن جني ١/ ٢٦٣، وانظر: ديوان جرير: ٦٢.

(١) ثبير: جبل يطلّ على مكة المكرّمة. (٢) الجص: الطين.

(٣) الغبين: صاحب رأي ضعيف.

(٤) سورة سبأ: الآية ٥٤، وهيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُد.

(٥) مرّت ترجمته.

(٦) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٨/ ٩٩، خزانة الأدب، للبغدادي ٤/ ٤٢٤، =

وَقَرُبْتُ مِنهُ فَأَنْشَدْتُها، فَكَأَنّي إِنَّما أُخَاطِبُ رَكُوداً[١] صَمَّاءَ، لِأَسْتَنزِلَ أَبُوداً[٢] عَصْمَاءَ[٣]. وَلَمْ أَتْرُكْ وَزناً مُقَيَّداً وَلَا مُطْلَقاً يَجُوزُ أَنْ يُوْسَمَ بِزُفَرَ إِلَّا وَسَمْتُهُ بِهِ، فَمَا نَجَعَ وَلَا غَيَّرَ. فَقُلْتُ: رَحِمَكَ ٱللَّهُ! كُنَّا في ٱلدَّارِ ٱلذَّاهِبَةِ نَتَقَرَّبُ إِلَى ٱلرَّئِيسِ وَٱلْمَلِكِ بِٱلبيتينِ أَوِ ٱلثَّلَاثَةِ، فَنَجِدُ عِنْدَهُ مَا نُحِبُّ، وَقَدْ نَظَمْتُ فِيكَ ما لَوْ جُمِعَ لَكَانَ دِيْوَاناً، وَكَأَنَّكَ ما سَمِعْتَ زَجْمَةً، أَيْ كَلِمَةً، فَقَالَ: لَا أَشْعُرُ بِٱلَّذِي حَمَمْتَ، أَيْ قَصَدْتَ، وَأَحْسَبُ هٰذا ٱلَّذِي تَجِيْئُنِي بِهِ قُرآنَ إِبليسَ ٱلمَارِدِ، وَلَا يَنْفُقُ على ٱلْمَلَائِكَةِ؛ إِنَّما هو لِلْجَانِّ وعَلَّمُوهُ وَلَدَ آدَمَ، فَمَا بُغْيَتُكَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ، فَقَالَ: وَٱللَّهِ مَا أَقْدِرُ لَكَ عَلَى نَفْعٍ، وَلَا أَمْلِكُ لِخَلْقٍ مِنْ شَفْعٍ، فَمِنْ أَيِّ ٱلأُمَمِ أَنتَ؟ فَقُلْتُ: مَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَبْدِ ٱلمُطَّلِبِ. فَقَالَ: صَدَقْتَ، ذٰلِكَ نَبِيُّ ٱلعَرَبِ، ومِنْ تِلْكَ ٱلْجِهَةِ أَتَيْتَنِي بِٱلقَرِيْضِ، لِأَنَّ إِبليسَ ٱللَّعِينَ نَفَشَهُ[٤] فِي إِقْلِيمِ ٱلعَرَبِ فَتَعَلَّمَهُ نِسَاءٌ وَرِجَالٌ. وَقَدْ وَجَبَ عَلَيَّ نُصْحُكَ، فَعَلَيْكَ بِصَاحِبِكَ لَعَلَّهُ يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا ٱبْتَغَيْتَ.

فَيَئِسْتُ مِمَّا عِنْدَهُ.

مَعَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلمُطَّلِبِ[٥]

فَجَعَلْتُ أَتَخَلَّلُ ٱلعَالَمَ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَحَوَالَيْهِ رِجَالٌ تَأْتَلِقُ[٦] مِنهُمْ أَنْوارٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هٰذا ٱلرَّجُلُ؟ فَقِيْلَ: هٰذَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ ٱلمُطَّلِبِ صَرِيْعُ وَحْشِيٍّ[٧]،

= مغني اللبيب لابن هشام. وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٦٩د ٦٧٠ (٣٠٤)، شذور الذهب، لابن هشام: ١٧٠، وانظر: ديوان لبيد: ٢١٣. ويروى: «تخاف... أن يموت».

(١) الرَّكود: الصخرة.

(٢) الأبود: الواحدة من بقر الوحش وغيرها.

(٣) العصماء: الظبية التي في ذراعيها بياض إلى احمرار وسواد.

(٤) نفشه: نشره.

(٥) هو: حمزة بن عبد المطلب بن هشام، أبو عمارة، من قريش: عمّ النبي ﷺ. ولد ونشأ بمكة. بإسلامه عزّ الإسلام وهاجر حمزة مع النبي ﷺ. أول لواء عقده الرسول ﷺ كان لحمزة. قتل يوم أحد سنة ٣هـ = سنة ٦٢٥م. انظر ترجمته في: صفة الصفوة ١/ ١٤٤، الروض الأنف ١/ ١٨٥.

(٦) تأتلق: تشعّ نوراً وضياءًا.

(٧) هو: وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة، مولى بني نوفل: صحابي من سودان مكة. كان من أبطال الموالي. وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ. شهد اليرموك. سكن دمشق حيث مات نحو سنة ٢٥هـ = نحو سنة ٦٤٥م. انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٩١١١، الاستيعاب، وبهامشها ٣/ ٦٠٧ ـ ٦١٠.

وَهٰؤُلاءِ ٱلَّذِينَ حَوْلَهُ مَنِ ٱسْتَشْهَدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي أُحُدٍ[١]. فَقُلْتُ لِنَفْسِيَ ٱلكَذُوبِ: ٱلشِّعْرُ عِنْدَ هٰذَا أَنْفَقُ[٢] مِنْهُ عِنْدَ خَازِنِ ٱلجِنَانِ، لِأَنَّهُ شَاعِرٌ، وَإِخْوَتُهُ شُعَرَاءُ، وَكَذٰلِكَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، ولَعَلَّهُ لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ إِلَّا مَنْ قَدْ نَظَمَ شيئاً مِنْ مَوْزُونٍ، فَعَمِلْتُ أَبْيَاتاً عَلَى مَنْهجِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ[٣] ٱلَّتي رَثَى بِهَا حَمْزَةَ، وَأَوَّلُها:

[المتقارب]

صَـفِـيَّـةُ قُـومِـي وَلَا تَـعْـجَـزِي، وَبَـكِّـي ٱلـنِّـسَـاءَ عَـلَـى حَـمْـزَةَ[٤]

وَجِئْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ مِنْهُ فَنَادَيْتُ: يا سَيِّدَ ٱلشُّهَدَاءِ، يا عَمَّ رَسُولِ ٱللّهِ، ﷺ، يا ٱبْنَ عَبْدِ ٱلمُطَّلِبِ! فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ أَنْشَدْتُهُ ٱلأَبْيَاتَ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! أَفِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلمَوَاطِنِ تَجِيئُنِي بِٱلمَدِيحِ؟ أَمَا سَمِعْتَ ٱلآيَة: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] فَقُلْتُ: بَلَى قَدْ سَمِعْتُهَا، وَسَمِعْتُ مَا بَعْدَهَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا تَطْلُبُ، ولَكِنِّي أُنفِذُ مَعَكَ تُوراً، أَيْ رَسُولًا، إِلى ٱبْنِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لِيُخَاطِبَ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، في أَمْرِكَ. فَبَعَثَ مَعِي رَجُلًا، فَلَمَّا قَصَّ قِصَّتِي على أَمِيرِ ٱلمُؤْمِنِينَ، قال: أَيْنَ بَيِّنَتُكَ؟ يَعْنِي صَحِيفَةَ حَسَنَاتي.

مَعَ أَبي عليّ ٱلفَارِسيّ[٥]

وكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ فِي ٱلمَحْشَرِ شَيْخاً لَنَا كَانَ يُدَرِّسُ ٱلنَّحْوَ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ،

---

(١) أُحد: اسم جبل، دارت عند أسفله معركة أُحد التي استشهد فيها أسد اللّه حمزة رضي اللّه تعالى عنه.

(٢) أنفق: أكثر رواجاً وقبولاً.

(٣) هو: كعب بن مالك بن عمرو بن القَين، الأنصاري السَّلَمي الخزرجي، صحابي، من أكابر الشعراء من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية. وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ. عمي في آخر عمره. مات سنة ٥٠هـ = سنة ٦٧٠م. له ٨٠ حديثاً، انظر ترجمته في: الأغاني ١٥/ ٢٩، الإصابة: ت ٧٤٣٣.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٤/ ٨٣ مادة «بكا».

«وأبكى الرجلَ: صنع به ما يُبكيه. وبكَّاهُ على الفقيد: هَيَّجه للبكاء عليه ودعاه إليه؛ قال الشاعر:

صَـفِـيَّـةُ قُـومِـي ولا تَـقْـعُـدِي وَبَـكِّـي ٱلـنِّـسَـاءَ عَـلـى حـمـزه

ويروى: ولا تعجزي، هكذا روي بالإسكان، فالزاي على هذا هو الروي لا الهاء لأنها هاء تأنيث، وهاء التأنيث لا تكون رويًا، ومن رواه مطلقاً قال: على حمزة، جعل التاء هي الروي واعتقدها تاء لا هاء لأن التاء تكون رويًا . . ».

(٥) مرَّت ترجمته.

يُعْرَفُ بِأَبِي عَلِيٍّ ٱلْفَارِسِيِّ، وقَدِ ٱمْتَرَسَ[1] بِهِ قَوْمٌ يُطَالِبُونَهُ، وَيَقُولُون: تَأَوَّلْتَ عَلَيْنَا وَظَلَمْتَنَا. فَلَمَّا رَآني أَشَارَ إِليَّ بِيَدِهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا عِندَهُ طَبقةٌ. مِنْهُمْ يَزِيدُ بْنُ ٱلحَكَمِ ٱلكِلَابِيُّ[2]، وَهُوَ يَقُولُ: وَيْحَكَ، أَنْشَدْتَ عَنِّي هٰذَا ٱلْبَيْتَ بِرَفْعِ ٱلْمَاءِ، يَعْنِي قَوْلَهُ:

[الطويل]

فَلَيْتَ كَفَافاً كَانَ شَرُّكَ كُلُّهُ، وَخَيْرُكَ عَنِّي مَا ٱرْتَوَى ٱلْمَاءَ مُرْتَوِي[3]

وَلَمْ أَقلْ إِلَّا ٱلمَاءَ. وَكَذٰلِكَ زَعَمْتَ أَنِّي فَتَحْتُ ٱلمِيمَ فِي قَوْلِي:

تَبَدَّلْ خَلِيلًا بِي، كَشَكْلِكَ شَكْلُهُ، فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحاً بِكَ مُقْتَوِي[4]

وَإِنَّما قُلْتُ: مُقْتوي بِضَمِّ ٱلمِيمِ.

وإِذَا هُنَاكَ رَاجِزٌ يَقُولُ: تَأَوَّلْتَ عَليَّ أَنِّي قُلْتُ:

يَا إِبِلِي مَا ذَنْبُهُ فَتَأْبِيَهْ؟ مَاءٌ رَوَاءٌ وَنَصِيّ حَوْلِيَهْ[5]

---

(١) امترس به قوم: احتكّوا به وأحاطوه.

(٢) هو: يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي: شاعر عالي الطبقة، من أعيان العصر الأموي. من أهل الطائف. سكن البصرة. وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها. مات نحو سنة ١٠٥هـ = نحو سنة ٧٢٣م. انظر ترجمته في: الأغاني، الساسي ١١/٩٦، خزانة الأدب ١/٥٤ ـ ٥٦.

(٣) ورد البيت في: حماسة البحتري: ٢٢٨، أمالي ابن الشجري ١/١٨٢، ٢٨٥، ٢٩٤، الإنصاف لابن الأنباري: ١٨٤، خزانة الأدب، للبغدادي ٤/٣٩، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي ٢٨٩ (٢٣٧).

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٥/١٧٠ مادة «قتا» ولم يعزه لقائله:
«.. فأما ما أنشده أبو الحسن عن الأحول عن أبي عبيدة:
تَبَدَّلْ خَلِيلًا بِي كَشَكْلِكَ شَكْلُهُ فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحاً بِك مُقْتَوي
فإنّ مُقْتَوٍ مُفْعَلِلٌ..» والمقتوي: المستمدّ القوة منه.
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/١٠٤، المحتسب لابن جني ٢/٢٥.

(٥) ورد الرجز في لسان العرب ١٤/٣٤٦ مادة «روي».
«وماء رِويّ، مقصور بالكسر، إذا كان يَصْدُر من يَرِدُه عن غير رِيٍّ، قال: ولا يكون هذا إلّا صفة لأعداد المياه التي لا تنزاح ولا ينقطع ماؤها: وقال الزفيان السعدي:
يَا إِبِلِي مَا ذامُهُ فَتَأْبِيَهْ مَاءٌ رَوَاءٌ ونَصِيٌّ حَوْلَيْهْ
هٰذَا مَقامٌ لَكِ حَتَّى تِيبَيْهْ
إذا كسرت الراء قصرته وكتبته بالياء فقلت ماء يروّى..».
ورد الرجز في: نوادر أبي زيد الأنصاري: ٩٧، الخصائص، لابن جني ١/٣٣٢، الدرر اللوامع ١/١٧٠، همع الهوامع، وشرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/١٠٢.

فَحَرَّكْتَ ٱلياءَ في تَأْبِيَهْ، وَوَٱللَّهِ ما فَعَلْتُ وَلا غَيْرِي مِنَ ٱلعَرَبِ.

وإِذَا رَجلٌ آخرُ يَقُولُ: ٱدَّعَيْتَ عَلَيَّ أَنَّ ٱلهاءَ رَاجِعةٌ على الدرسِ فِي قَوْلِي:

[البسيط]

هٰـذَا سُـرَاقَـةُ لِلْقُـرْآنِ يَـدْرُسُـهُ، وَٱلْـمَـرْءُ عِـنْـدَ ٱلرَّشَـا إِنْ يَـلْقَـهَـا ذِيْـبُ

أَفَمَجْنُونٌ أَنَا حَتَّى أَعْتَقِدَ ذٰلِكَ؟

وَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنْ هٰذَا ٱلجِنْسِ كُلُّهُمْ يَلُومُونَهُ عَلى تَأْوِيلِهِ. فَقُلْتُ: يَا قَوْمُ، إِنَّ هٰذِهِ أُمُورٌ هَيِّنَةٌ، فَلَا تُعْنِتُوا هٰذا ٱلشَّيْخَ، فَإِنَّهُ يَمُتُّ بِكِتابِهِ فِي ٱلقُرْآنِ ٱلْمَعْرُوفِ بِكِتَابِ ٱلحُجَّةِ، وَإِنَّهُ ما سَفَكَ لَكُمْ دَماً، وَلَا ٱحْتَجَنَ[١] عَنْكُمْ مالًا، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَشُغِلْتُ بِخِطابِهِمْ وَٱلنَّظَرِ فِي حُوَيْرِهِمْ[٢]، فَسَقَطَ مِنِّي ٱلكِتَابُ ٱلَّذِي فِيْهِ ذِكْرُ ٱلتَّوْبَةِ؛ فَرَجَعْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ.

مَعَ ٱلإِمَامِ عَلِيّ

فَأَظْهَرْتُ ٱلوَلَهَ وَٱلجزَعَ، فَقَالَ أَمِيرُ ٱلمُؤْمِنِيْنَ: لَا عَلَيْكَ، أَلَكَ شَاهِدٌ بِٱلتَّوْبَةِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَاضِي حَلَبَ وعُدُولُها. فَقالَ: بِمَنْ يُعرَفُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ؟ فَأَقُولُ: بِعَبْدِ ٱلمُنْعِمِ بْنِ عَبْدِ ٱلكَرِيْمِ قَاضِي حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، في أَيَامِ شِبْلِ ٱلدَّوْلَةِ، هَلْ مَعَكَ عِلْمٌ مِنْ تَوْبَةِ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ طَالِبٍ[٣] ٱلحَلَبِيِّ ٱلأَدِيبِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. فَأَخَذَنِي ٱلهَلَعُ[٤] وَٱلقَلُّ، أَيِ ٱلرِّعْدَةُ، ثُمَّ هَتَفَ ٱلثَّانِيَة، فَلَمْ يُجِبْهُ مُجِيبٌ. فَلِيحَ بي عِنْدَ ذٰلِكَ، أَيْ صُرِعْتُ إِلَى ٱلأَرْضِ. ثُمَّ نَادَى ٱلثَّالِثَةَ، فَأَجَابَهُ قَائِلٌ يَقُولُ: نَعَمْ، قَدْ شَهِدْتُ تَوْبَةَ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ، وذٰلِكَ بِأَخَرَةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ، وَحضرَتْ مَتَابَهُ عِنْدِي جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلعُدُولِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَاضِي حَلَبَ وَأَعْمالِهَا، وَٱللَّهُ ٱلمُسْتَعَانُ. فَعِنْدَها نَهَضْتُ وَقَدْ أَخَذْتُ ٱلرَّمَقَ[٥]، فَذَكَرْتُ لِأَمِيرِ ٱلمُؤْمِنِيْنَ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مَا أَلْتَمِسُ، فَأَعْرَضَ[٦] عَنِّي وَقَالَ: إِنَّكَ لَتَرُومُ حَدَداً مُمْتَنِعاً، وَلَكَ أُسْوَةٌ بِوَلَدِ أَبِيكَ آدَمَ.

---

(١) احتجن المال: جعله في حوزته واحتواه.

(٢) حويرهم: عداوتهم وبغضهم.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) الهلع: الخوف الشديد.

(٥) الرمق: بقية الحياة.

(٦) أعرض عني: أشاح بوجهه عني.

وَهَمَمْتُ بِٱلحَوْضِ فَكِدْتُ لا أَصِلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَغَبْتُ[1] مِنْهُ نَغَبَاتٍ لَا ظَمَأَ بَعْدَها؛ وَإِذَا ٱلكفرةُ يَحْمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى ٱلوِرْدِ، فَتَذُودُهُمُ ٱلزَّبَانِيَةُ بِعِصِيٍّ تَضْطَرِمُ ناراً، فَيَرْجِعُ وقَدِ ٱحْتَرَقَ وَجْهُهُ أَوْ يَدُهُ، وَهُوَ يَدْعُو بِوَيْلٍ وَثُبُورٍ.

مَعَ فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاء

فَطُفْتُ على ٱلعِتْرَةِ ٱلمُنْتَجَبِينَ[2] فَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلذَّاهِبَةِ إِذْ كَتَبْتُ كِتَاباً وَفَرَغْتُ مِنْهُ، قُلْتُ فِي آخِرِهِ: وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ، وَعَلى عِتْرَتِهِ ٱلأَخْيَارِ ٱلطَّيِّبِينَ. وهٰذِهِ حُرمةٌ لي وَوَسِيلَةٌ، فَقَالُوا: مَا نَصْنَعُ بِكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ مَوْلَاتَنا فاطِمَةَ، عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، قَدْ دَخَلَتِ ٱلجَنَّةَ مُذْ دَهْرٍ، وَإِنَّها تخرُجُ في كُلِّ حِينٍ مِقْدَارُهُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُون ساعةً مِنَ ٱلدُّنْيا فَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِيهَا، وَهُوَ قَائِمٌ لِشَهَادَةِ ٱلقَضَاءِ، ثُمَّ تَعودُ إِلى مُسْتَقَرِّها مِنَ ٱلجِنَانِ، فَإِذَا هِيَ خَرَجَتْ كَٱلعَادَةِ، فَٱسأَلُوا في أمري بأجمعِكم، فَلَعلَّها تسألُ أَبَاهَا فِيَّ.

فَلَمَّا حَانَ خُرُوجُها وَنَادَى ٱلهَاتِفُ: أَنْ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ يَا أَهلَ ٱلمَوْقِفِ حَتَّى تَعْبُرَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، ﷺ، ٱجْتَمَعَ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْ ذُكُورٍ وَإِنَاثٍ، مِمَّنْ لَمْ يَشْرَبْ خَمْراً، وَلَا عَرَفَ قَطُّ مُنْكراً. فَلَقُوْها فِي بَعْضِ السَّبِيلِ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قَالَتْ: ما بَالُ هٰذِهِ ٱلزَّرَافَةِ؟ أَلَكُمْ حَالٌ تُذْكَرُ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ بِخَيْرٍ، إِنَّا نلتَذُّ بِتُحَفِ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ، غَيْرَ أَنَّا مَحْبُوسُوْنَ لِلْكَلِمَةِ ٱلسَّابِقَةِ، ولا نُرِيدُ أَنْ نتسرَّعَ إِلَى ٱلجَنَّةِ مِنْ قَبْلِ ٱلمِيقَاتِ، إِذْ كُنَّا آمِنِيْنَ نَاعِمِيْنَ بِدَلِيْلِ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

وَكَانَ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ ٱلحُسَيْنِ وَٱبْنَاهُ مُحَمَّدٌ وَزَيْدٌ، وغَيْرُهُمْ مِنَ ٱلأَبْرَارِ ٱلصَّالِحِينَ. وَمَعَ فَاطِمَةَ، عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، ٱمْرَأَةٌ أُخْرَى تَجْرِي مَجْراها[3] فِي ٱلشَّرَفِ وَٱلجَلَالَةِ، فَقِيْلَ: مَنْ هٰذِهِ؟ فَقِيلَ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ ٱلعُزَّى[4]، وَمَعَهَا شَبَابٌ

---

(١) نغبت: تجرّعت.

(٢) العترة المنتجبين: أحفاد رسول الله ﷺ.

(٣) تجري مجراها: تشبهها في أخلاقها وهيئتها.

(٤) هي: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة النبي ﷺ الأولى، ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفِجار، كانت ذات مال وتجارة تبعث بها إلى الشام. ومنها كان أولاد رسول الله ﷺ. ماتت قبل الهجرة بثلاث سنوات. انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٧ ـ ١١، الإصابة قسم النساء: ت ٣٣٣.

عَلَى أَفْرَاسٍ مِنْ نُورٍ. فَقِيْلَ مَنْ هَؤلَاءِ؟ فَقِيْلَ: عَبْدُ ٱللَّهِ، وَٱلْقَاسِمُ، وَٱلطَّيِّبُ، وَٱلطَّاهِرُ، وَإِبْرَاهِيمُ بَنُوْ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ تِلْكَ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلَّتِي سَأَلْتُ: هٰذَا وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَائِنَا، قَدْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ، وَقَدْ تَوَسَّلَ بِنَا إِلَيْكَ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْكَ، فِي أَنْ يُرَاحَ مِنْ أَهْوَالِ ٱلمَوْقِفِ، وَيَصِيْرَ إِلى ٱلجَنَّةِ فَيَتَعَجَّلَ ٱلفَوْزَ. فَقَالَتْ لِأَخِيْهَا إِبْرَاهِيْمَ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ، دُوْنَكَ ٱلرَّجُلَ. فَقَالَ لِي: تَعَلَّقْ بِرِكَابِي. وَجَعَلَتْ تِلْكَ ٱلخَيْلُ تَخَلَّلُ[1] ٱلنَّاسَ وَتَنْكَشِفُ لَهَا ٱلأُمَمُ وَٱلأَجْيَالُ، فَلَمَّا عَظُمَ ٱلزِّحَامُ طَارَتْ فِي ٱلهَوَاءِ، وَأَنَا مُتَعَلِّقٌ بِٱلرِّكَابِ.

ٱلرَّسُوْلُ ٱلشَّفِيْعُ

فَوَقَفْتُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هٰذَا ٱلأَتَاوِيُّ؟ أَي ٱلغَرِيْبُ، فَقَالَتْ لَهُ: هٰذَا رَجُلٌ سَأَلَ فِيْهِ فُلانٌ وَفُلَانٌ، وَسَمَّتْ جَمَاعَةً مِنَ ٱلأَئِمَّةِ ٱلطَّاهِرِينَ، فَقَالَ: حَتَّى يُنْظَر فِي عَمَلِهِ. فَسأَلَ عَنْ عَمَلِي فَوَجَدَ فِي ٱلدِّيْوَانِ ٱلأَعْظَمِ، وَقَدْ خُتِمَ بِٱلتَّوْبَةِ، فَشَفَعَ لِي، فَأُذِنَ لِي فِي ٱلدُّخُولِ.

وَلَمَّا ٱنْصَرفَتِ ٱلزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، تَعَلَّقْتُ بِرِكَابِ إِبْرَاهِيمَ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ.

ٱلصِّرَاطُ

فَلَمَّا خَلَصْتُ مِنْ تِلْكَ ٱلطُّمُوشِ[2]، قِيْلَ لي: هٰذَا ٱلصِّرَاطُ[3] فَٱعْبُرْ عَلَيْهِ. فَوَجَدْتُهُ خَالِياً لا عَرِيْبَ[4] عِنْدَهُ، فَبَلَوْتُ نَفْسِي فِي ٱلعُبُورِ، فَوَجَدْتُنِي لَا أَسْتَمْسِكُ. فَقَالَتِ ٱلزَّهْرَاءُ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهَا، لِجَارِيةٍ مِنْ جَوَارِيهَا: يَا فُلَانَةُ أَجِيْزِيْهِ. فَجَعَلَتْ تُمَارِسُنِي[5] وَأَنَا أَتَسَاقَطُ عَنْ يَمِيْنٍ وشِمَالٍ، فَقُلْتُ: يَا هٰذِه، إِنْ أَرَدْتِ سَلَامَتِي فَٱسْتَعْمِلِي مَعِي قَوْلَ ٱلْقَائِلِ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ:

[مجزوء الرمل]

سِـتِّ إِنْ أَعْـيَـاكِ أَمْـرِي، فَـاْحْـمِـلِـيـنـي زَقْـفُـونَـهْ

---

(١) تخلل الناس: تدخل بينهم.

(٢) الطموش، مفرده طمش: البشر.

(٣) الصراط: الطريق.

(٤) «وما بالدار عَريبٌ أو مُعْرِبٌ أي أحد: الذكر والأنثى فيه سواء». انظر: لسان العرب ١/ ٥٩٢ مادة «عرب».

(٥) تمارسني: تعالجني.

فَقَالَتْ: وَمَا زَقْفُونَهْ؟ قُلْتُ: أَنْ يَطْرَحَ ٱلإِنْسَانُ يَدَيْهِ عَلى كَتِفَيِ ٱلآخَرِ، ويُمْسِكَ ٱلحَامِلَ بِيَدَيْهِ، وَيَحْمِلَهُ وَبَطْنُهُ إِلى ظَهْرِهِ؛ أَمَا سَمِعْتِ قَوْلَ ٱلجَحْجَلُولِ مِنْ أَهْلِ كَفَرْطَابِ؟[1]:

صَلَحَتْ حَالَتِي إِلى ٱلخَلْفِ حَتَّى   صِرْتُ أَمْشِي إِلى ٱلوَرَى زَقْفُونَهْ

فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتُ بِزَقْفُونَه، وَلَا ٱلجَحْجَلُولِ، وَلَا كَفَرْطَاب، إِلَّا ٱلسَّاعَة. فَتَحْمِلُنِي وَتَجُوزُ كَٱلْبَرْقِ ٱلخَاطِفِ. فَلَمَّا جُزْتُ، قَالَتِ ٱلزَّهْرَاءُ، عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: قَدْ وَهَبْنَا لَكَ هٰذِهِ ٱلجَارِيَةَ، فَخُذْهَا كَيْ تَخْدُمَكَ فِي ٱلجِنَانِ.

هَلْ مَعَكَ جَوَازٌ؟

فَلَمَّا صِرْتُ إِلى بَابِ ٱلجَنَّةِ، قَالَ لِي رَضْوَانُ: هَلْ مَعَكَ مِنْ جَوَازٍ؟ فَقُلْتُ: لا. فَقَالَ: لا سبيلَ لَكَ إِلى ٱلدُّخُولِ إِلَّا بِهِ. فَبَعَلْتُ بِٱلأَمْرِ[2]، وَعَلى بَابِ ٱلجَنَّةِ مِنْ دَاخِلٍ شَجَرَةُ صَفْصَافٍ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِي وَرَقَةً مِنْ هٰذِهِ ٱلصِفْصَافَةِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلى ٱلمَوْقِفِ فَآخُذَ عَلَيْهَا جَوَازاً، فَقَالَ: لَا أُخْرِجُ شَيْئاً مِنَ ٱلجَنَّةِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ ٱلعَلِيِّ ٱلأَعْلَى، تَقَدَّسَ وتَبَارَكَ. فَلَمَّا دَجِرْتُ[3] بِٱلنَّازِلَةِ، قُلْتُ: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! لَوْ أَنَّ لِلأَمِيرِ أَبِي ٱلمَرْجِيِّ خَازِناً مِثْلَكَ، لَمَا وَصَلْتُ أَنَا وَلَا غَيْرِي إِلى قَرْقُوفٍ مِنْ خِزَانَتِهِ، وَٱلقَرْقُوفُ: ٱلدِّرْهَمُ.

ٱلدُّخُولُ إِلَى ٱلجَنَّةِ

وَٱلْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَام، فَرَآنِي وَقَدْ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فَرَجَعَ إِلَيَّ فَجَذَبَنِي جَذْبَةً حَصَّلَنِي بِهَا فِي ٱلجَنَّةِ.

وَكَانَ مُقَامِي فِي ٱلمَوْقِفِ مُدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ شُهُورِ ٱلعَاجِلَةِ، فَلِذٰلِكَ بَقِيَ عليَّ حِفْظِي ما نَزِفَتْهُ[4] ٱلأَهْوَالُ، وَلَا نَهَكَهُ تَدْقِيقُ ٱلحِسَابِ.

رَاعِي ٱلإِبِلِ

فَأَيُّكُم رَاعِي ٱلإِبِلِ[5]؟ فَيَقُولُونَ: هٰذا. فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ ٱلشَّيْخُ وَيَقُولُ: أَرْجُو أَنْ لَا

---

(١) كفرطاب: بلدة بين المعرّة ومدينة حلب. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٧٠.

(٢) بعلت بالأمر: احترت فلم أدرِ ما أصنع.

(٣) دجرت: احترت.

(٤) نزفته: أدركته.

(٥) مرّت ترجمته.

أَجِدَكَ مِثْلَ أَصْحَابِكَ صِفْراً مِنْ حِفْظِكَ وَعَرَبِيَّتِكَ. فَيَقُولُ: أَرْجُو ذٰلِكَ، فَاسْأَلْنِي وَلَا تُطِيلَنْ. فَيَقُوْلُ: أَحَقٌّ مَا رَوَى عَنْكَ سِيبَوَيْهِ فِي قَصِيْدَتِكَ ٱللَّامِيَّةِ ٱلَّتِي تَمْدَحُ بِهَا عَبْدَ ٱلمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ مِنْ أَنَّكَ تَنْصِبُ ٱلجَمَاعَةَ فِي قَوْلِكَ:

[الكامل]

أَيَامَ قَوْمِي وَٱلجَمَاعَةَ كَٱلَّذِي ... لَزِمَ ٱلرِّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ مُمِيْلَا

فَيَقُوْلُ: حَقٌّ ذٰلِكَ.

حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ[1]

وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ رَشِيْداً إِلى حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ فَيَقُوْلُ: إِيهِ يَا حُمَيْدُ! لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي قَوْلِكَ:

[الطويل]

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ، ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا[2]

وَلَنْ يَلْبَثَ ٱلعَصْرَانِ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ... إِذَا طَلَبَا، أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

فَكَيْفَ بَصَرُكَ ٱليَوْمَ؟

فَيَقُوْلُ: إِنِّي لَأَكُوْنُ فِي مَغَارِبِ ٱلجَنَّةِ، فَأَلْمَحُ ٱلصَّدِيقَ مِنْ أَصْدِقَائِي وَهُوَ بِمَشَارِقِهَا، وَبَيْنِي وبَيْنَهُ مَسِيْرَةُ أُلُوفِ أَعْوَامٍ لِلشَّمْسِ ٱلَّتِي عَرَفْتَ سُرْعَةَ مَسِيرِهَا فِي ٱلعَاجِلَةِ! فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلقَادِرُ عَلَى كُلِّ بَدِيعٍ.

فَيَقُولُ: لَقَد أَحْسَنْتُ في (الدَالِيَةِ) ٱلَّتِي أَوَّلُها:

[الطويل]

جُلُبَّانَةٌ[3] وَرْهَاءُ[4]، تُخْصِي حِمَارَهَا ... بِفِي مَنْ بَغَى خَيْراً لَدَيْهَا ٱلجَلَامِدُ[5]

---

(١) هو: حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى: شاعر مخضرم، شهد حنيناً مع المشركين، مثل بين يدي النبي ﷺ وأسلم. مات في خلافة عثمان نحو سنة ٣٠هـ = نحو سنة ٦٥٠م وانظر ترجمته في: الإصابة: ت ١٨٣٠، الأغاني طبعة دار الكتب ٤/ ٣٥٦.

(٢) ورد البيت في: الحيوان، للجاحظ ٦/ ٥٠٣، البيان والتبيين، للجاحظ ١/ ١٥٤، المصون، لأبي أحمد العسكري: ١٥٠، زهر الآداب، للحصري: ٢٢٣، وانظر: ديوان حميد بن ثور: ٧.

(٣) «وامرأة جلأبة ومُجلِّبة وجِلْبانةٌ وَجُلُبَّانَةٌ وجَلْبنانة وجُلُبْنانة وتِكلأبَةٌ: مُصَوِّتَةٌ صَخَّابة، كثيرة الكلام، سيئة الخلق.. وقيل: الجُلُبَّانة من النساء: الجافية الغَليظة» انظر: لسان العرب ١/ ٢٧٠ مادة «جلب».

(٤) «.. وامرأة وَرْهَاءُ: خَرْقاء بالعمل. وامرأة وَرْهاء اليدين: خرقَاء..» انظر: لسان العرب ١٣/ ٥٦٠ مادة «وره».

(٥) «الجلامد: الصخور».

إِزَاءَ مَــعَــاشٍ لَا يَــزَالُ نِــطَــاقُــهَــا شَـدِيْـداً، وَفِـيْـهَـا سَـوْرَةٌ[١]، وَهِـي قَـاعِـدُ
تَـتَـابَـعَ أَعْـوَامٌ عَـلَـيْـهَـا هَـزَلْـنَـهَـا، وَأَقْـبَـلَ عَـامٌ يُـنْـعِـشُ ٱلـنَّـاسَ وَاحِـدُ

فَيَقُولُ حُمَيْدٌ: لَقَدْ ذُهِلْتُ عَنْ كُلِّ مِيمٍ ودَالٍ، وشُغِلْتُ بِمُلَاعَبَةِ حُورٍ خِدالٍ[٢] فَيَقُولُ: أَمِثْلُ هٰذِهِ ٱلدَّالِيةِ تُرفَضُ وَفِيْهَا؟

عَـضَـمَّـرَةٌ[٣] فِـيْـهَـا بَـقَـاءٌ وَشِـدَّةٌ وَوَالٍ لَهَـا، بَـادِي ٱلـنَّـصِـيْـحَـةِ جَـاهِـدُ
إِذَا مَـا دَعَـا: أَجْـيَـادَ جَـاءَتْ خَـنَـاجِـرٌ لَهَـامِـيـمُ[٤] لَا يَـمْـشِـي إِلَيْـهِـنَّ قَـائِدُ
فَجَاءَتْ بِمَعْيُوفِ[٥] الشَّرِيْعَةِ مُكْلَعٍ[٦] أَرَشَّـتْ[٧] عَـلَـيْـهِ بِـالأَكُـفِّ ٱلـسَّـوَاعِـدُ

وَفِيهَا ٱلصِّفَةُ ٱلَّتِي ظَنَنْتُ ٱلقَطامِيَّ[٨] أَخَذَهَا مِنْكَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَقَكَ لأَنَّكُمَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ:

[الطويل]

تَـأَوَّبَـهَـا[٩]، فِـي لَيْـلٍ نَـحْـسٍ وقِـرَّةٍ خَلِيْلِي أَبُـو ٱلـخَـشْـخَـاشِ، وَٱللَّيْـلُ بَـارِدُ
فَقَـامَ يُـصَادِيْـهَا[١٠]، فَقَـالَتْ: تُـرِيدُنِي عَـلَى ٱلـزَّادِ؟ شَـكْـلٌ بَـيْـنَـنَـا مُـتَـبَـاعِـدُ!
إِذَا قَالَ: مَهْلًا، أَسْجِحِي[١١]، لَمَختُ لَهُ بِـزَرْقَـاءَ لَمْ تَـدْخُـلْ عَـلَـيْـهَـا ٱلـمَـرَاوِدُ[١٢]

---

(١) السورة: القوّة والنشاط.
(٢) الخِدال، مفرده خدلة، وهي الغليظة الساق المستديرة.
(٣) «العَضمر: البخيل الضيق» انظر: لسان العرب ٤/ ٥٨٢، مادة «عضمر».
(٤) «لهاميم.. جمع لُهموم: الجواد من الناس والخيل» انظر: لسان العرب ٢/ ٥٥٥، مادة «لهم».
(٥) المعيوف: مرغوب عنه.
(٦) «المُكْلَع: التبد عليه الوسخ» انظر: لسان العرب ٨/ ٣١٣ مادة «كلع».
(٧) «أرشت بين القوم تأريشاً: أفسدت..» انظر: لسان العرب ٦/ ٢٦٣ مادة «أرش».
(٨) هو: عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبَّاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي شاعر غزل فحل. كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وهو أول من لقب بـ«صريع الغواني». مات نحو سنة ١٣٠هـ = نحو سنة ٧٤٧م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٧٧، طبقات الشعراء: ١٢١.
(٩) تأوّبها: أرجعها.
(١٠) «الصدى: شِدّة العطش، وقيل: هو العطش ما كان...» انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٥٣ مادة «صدي».
(١١) «وخُلُق سجيح: ليِّن سهل، وكذلك المِشيةُ، وقال الأزهري: هو أن يعتدل في مشيه ولا يتمايل فيه تكبّراً..» انظر: لسان العرب ٢/ ٤٧٥ مادة «سجح».
(١٢) المراود، مفرده مرود: وهو الميل يكتحل به.

كَأَنَّ حِجَاجِي رَأْسِهَا فِي مُلْتِمٍ[١]، مِنَ ٱلصَّخْرِ، جَوْنٌ أَخْلَقَتْهُ ٱلْمَوَارِدُ

هٰذِهِ ٱلصِّفَةُ نَحْوٌ مِنْ قَوْلِ ٱلقُطَامِيِّ:

[الطويل]

تَلَفَّعْتُ[٢] فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تَلُفُّنِي، وَفِي طَرْمَسَاءَ[٣] غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ

إِلَى حَيْزَبُونٍ[٤] تُوقِدُ ٱلنَّارَ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتِ[٥] ٱلجَوْزَاءُ قَصْدَ ٱلمَغَارِبِ

فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامُ[٦] مَطِيَّةٍ، تَرُوحُ بِمَخْصُورٍ مِنَ ٱلصَّوْتِ لَاغِبِ[٧]

وَجَنَّتْ جُنُوناً مِنْ دِلَاثٍ[٨] مُنَاخَةٍ، وَمِنْ رَجُلٍ عَارِي ٱلأَشَاجِعِ[٩] شَاحِبِ

تَقُولُ، وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقَتِي: إِلَيْكَ! فَلَا تَذْعَرْ[١٠] عَلَيَّ رَكَائِبِي

والأَبياتُ معروفةٌ. وقلْتُ فِي هٰذِهِ ٱلقصيدةِ:

[الطويل]

فَجَاءَ بِذِي أَوْنَيْنِ[١١] أَغْبَرَ شَأْنُهُ، وَعَمَّرَ حَتَّى قِيلَ: هَلْ هُوَ خَالِدُ؟!

فَعَزَّاهُ، حَتَّى أَسْنَدَاهُ كَأَنَّهُ، عَلَى ٱلقَرْوِ[١٢]، عَلْفُوفٌ[١٣] مِنَ ٱلتَّرْكِ سَانِدُ

---

(١) «اللَّتْم: الطعن في النحر مثل اللتب..» انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٣٣. مادة «لتم».

(٢) تلفعت: شملتني.

(٣) «الطِّرْمِس والطِّرْمِساء، ممدود: الظلمة الشديدة..» انظر: لسان العرب ٦/ ١٢٢ مادة «طرمس».

(٤) «والحيزبون: العجوز، والنون زائدة، كما زيدت في الزيتون» انظر: لسان العرب ١/ ٣١٠ مادة «حزب».

(٥) تصوّبت: مالت.

(٦) «بُغام الظَّبية: صوتها. بغمت الظبيةُ تبغم.. وهي بَغُومٌ: صاحت إلى ولدها بأرخَم ما يكونُ من صوتها..» انظر: لسان العرب ١٢/ ٥١.

(٧) اللاغب: المتعب من شدّة الإعياء.

(٨) «الدلاث: السريع من الإبل، وكذلك المؤنث. ناقة دِلاث أي سريعة..» انظر: لسان العرب ٢/ ١٤٨ مادة «دلث».

(٩) «الأشاجع؛ هي مفاصل الأصابع، واحدها أشجع، أي كان اللحم عليها قليلًا، وقيل: هو ظاهر عصبها، وقيل: الأشاجع رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكفّ، وقيل الأشاجع عروق ظاهر الكف، وهو مَغرز الأصابع..» انظر لسان العرب ٨/ ١٧٤ مادة «شجع».

(١٠) «الذُّعر، بالضم: الخوف والفزع، وهو الاسم. ذَعَرَه يَذْعَرُهُ ذَعْراً..» انظر: لسان العرب ٤/ ٣٠٦ مادة «ذعر».

(١١) الأونان: الخاصرتان.

(١٢) «القَرْو: من الأرض الذي لا يقطعه شيء، والجمع قُرُوٌّ..» انظر: لسان العرب ١٥/ ١٧٤.

(١٣) «ورجل عُلْفُوف: جافٍ كثير اللحم والشعر. وتيس عُلْفُوف: كثير الشعر. وشيخ عِلْفُوف: كبير السن». انظر: لسان العرب ٩/ ٢٥٧ مادة «علف».

وَفِيهَا ذِكْر ٱلزُّبْدَةِ:

فَلَمَّا تَجلَّى ٱللَّيْلُ عَنْهَا وَأَسْفَرَتْ، وَفِي غَلَسِ ٱلصُّبْحِ ٱلشُّخُوصُ ٱلأَبَاعِدُ
رَمَى عَيْنَهُ مِنْهَا بِصَفْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهَا تُعَانِيهِ وَعَنْهَا تُرَاوِدُ[١]

فيقول حُمَيْدٌ: لقد شُغِلْتُ عَنْ زبدٍ، وطَرْدِ ٱلنَّافِرَة مِنَ ٱلزَّبْدِ[٢]، بِما وَهَبَ رَبِّي ٱلكَرِيمُ، ولا خوفَ عَلَيَّ ولا حَزَنَ. وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا يُعْمِلُ فِكْرَهُ ٱلسَّنَةَ أَوِ ٱلأَشْهُرَ، فِي ٱلرَّجلِ قَدْ آتاهُ ٱللَّهُ ٱلشَّرفَ وَٱلمَالَ، فرُبَّمَا رَجعَ بِٱلخَيْبَةِ، وَإِنْ أَعْطَى فَعَطَاءٌ زَهِيدٌ، وَلٰكِنَّ ٱلنظمَ فضيلةُ ٱلعربِ.

لبيدُ بْنُ ربيعةَ[٣]

وَيَعْرِضُ لَهُمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فَيَدعُوهُم إِلى مَنْزِلِهِ بِٱلقِسيَّةِ، ويُقِيمُ عَلَيْهِمْ لَيَذْهَبُنَّ مَعَهُ، فَيَمْشُونَ قَليلاً، فَإِذَا هُمْ بِأَبْيَاتٍ ثَلاثةٍ لَيْسَ فِي ٱلجَنَّةِ نَظِيرُهَا بَهاءً وَحُسْناً، فَيَقُولُ لَبِيدٌ: أَتَعْرِفُ أَيُّهَا ٱلأَدِيبُ ٱلحَلَبِيُّ[٤] هٰذِهِ ٱلأبياتَ؟ فَيَقُولُ: لا، وٱلَّذِي حَجَّتِ ٱلقَبائِلُ كَعْبَتَهُ! فَيَقُولُ: أَمَّا ٱلأُوْلَى فَقوْلِي:

[الرمل]

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ، وَبِإِذْنِ ٱللَّهِ رَيْثِي وَٱلعَجَلْ[٥]

وَأَمَّا ٱلثَّانِي فَهُوَ قَوْلِي:

أَحْمَدُ ٱللَّهَ، فَلَا نِدَّ لَهُ، بِيَدَيْهِ ٱلخَيْرُ، مَا شَاءَ فَعَلْ[٦]

---

(١) تُراود: تتطلب منه أن يزني بها.

(٢) الربد: السجن.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) يقصد به ابن القارح.

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٦٧٠ مادة «نفل».
«النَّفَل، بالتحريك: الغنيمة والهبة؛ قال لبيد:
إنَ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ، وبإذنِ ٱللَّهِ ريثي وٱلعَجَلْ
والجمع أنفال ونِفال..».
ويروى: خيرُ النَّفَل. النَّفَل: الفضل والعطية. الريث: الإبطاء. وانظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ دار صادر، صفحة ١٣٩.

(٦) ورد البيت مباشرة في ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ دار صادر، صفحة: ١٣٩ «والنِّد، بالكسر: المثل والنظير، والجمع أنداد..» انظر: لسان العرب ٣/ ٤٢٠ مادة «ندد».

وَأَمَّا ٱلثَّالِثُ فَقَوْلِي:

مَـنْ هَـداهُ سُـبُـلَ ٱلـخَـيْـرِ ٱهـتَـدَى　　نَـاعِـمَ ٱلـبَـالِ، وَمَـنْ شَـاءَ أَضَـلْ[1]

صَيَّرَهَا رَبِّي ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ أَبْيَاتاً فِي ٱلجَنَّة، أَسْكُنُها أُخْرَى ٱلأَبَدِ وَأَنْعَمُ نَعِيمَ ٱلمُخَلَّدِ.

فَيَعْجَبُ هُوَ وَأُولَئِكَ ٱلقومُ وَيَقُولُونَ: إِنَّ ٱللَّهَ قَدِيرٌ عَلَى مَا أَرَادَ.

مَأْدُبَةٌ فِي ٱلجِنانِ

وَيَبْدُو لَهُ، أَيَّد ٱللَّهُ مجدَهُ بِٱلتَّأْيِيدِ، أَنْ يَصنعَ مَأْدُبَةً فِي ٱلجِنانِ، يَجْمَعُ فِيهَا مَنْ أَمْكَنَ مِنْ شُعَراءِ ٱلخَضْرَمَةِ وَٱلإِسْلَامِ، وَٱلَّذِينَ أَصَّلُوا كَلَامَ ٱلعَرَبِ، وجعلُوهُ مَحْفُوظاً فِي ٱلكُتُبِ، وغيرَهُمْ مِمَّنْ يَتأَسَّسُ بِقَلِيلِ ٱلأدبِ. فيخطُرُ لَهُ أَنْ تَكونَ كَمَآدِبِ ٱلدَّارِ ٱلعاجِلَةِ، إِذْ كَانَ ٱلبارِئُ، جَلَّتْ عَظَمتُهُ، لا يُعْجِزُهُ، أَنْ يَأْتِيَهُمْ بجميعِ ٱلأَغْرَاضِ، مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ وَلَا إِبْطَاءٍ، فَتَنشأُ أَرْحَاءٌ[2] على ٱلكوثرِ[3] تُجَعْجِعُ[4] لِطَحْنِ بُرٍّ مِنْ بُرِّ ٱلجَنَّةِ. وإِنَّهُ لَأَفْضَلُ مِنْ بُرِّ ٱلهُذَلِيِّ ٱلَّذِي قَالَ فِيهِ:

[البسيط]

لَا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْـعَـمْـتُ رَائِدَهُـمْ　　قِرْفَ ٱلـحِـتِيِّ وَعِـنْـدِي ٱلـبُـرُّ مَـكْـنُوزُ[5]

---

(١) ورد البيت مباشرة في ديوان لبيد بن ربيعة العامري. نفس الصفحة. وناعم البال: مطمئن النفس.

(٢) الأرحاء: مفرده رحًى، حجر الطاحون.

(٣) الكوثر: نهر في الجنة.

(٤) تجعجع: تصدر صوتاً مزعجاً.

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٤٠٢ مادة «كنز».

«ابن السكيت: هو الكَناز، بالفتح لا غير؛ قال: ولم يسمع إلا بالفتح وقال بعضهم: هو مثل الجَداد والجِداد والصَّرام والصِّرام، وربما استعمل الكَناز في البُرّ؛ أنشد سيبويه للمتنخل الهذلي:

لا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْـعَـمْـتُ نـازِلَكُـمْ　　قِـرْفَ ٱلـحِـتِيِّ، وعـنـدي ٱلـبُـرُّ مَـكْـنـوزُ»

القِرْف: لحاء الشجر. والحِتِيُّ: سَوِيق المُقْل. ويروى «نازلكم» بدلًا من «رائدهم». وانظر: لسان العرب ١٤/ ١٦٣ مادة «حتا». ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ١/ ٢٦١، الحيوان، للجاحظ ٥/ ٢٨٥، جمهرة العسكري: ١٧٩، جمهرة ابن دريد ١/ ٢٧، شرح شواهد الشافية للبغدادي: ٤٨٨، وورد في لسان العرب ٤/ ٢٨ مادة «درر» ولم يعزه للمتنخل الهذلي، وورد في لسان العرب ١٤/ ١٦٣ مادة «حتا»، ديوان الهذليين ٢/ ١٥.

بِمِقْدَارِ تَفْضُلُ بِهِ ٱلسَّمٰواتُ ٱلْأَرْضِينَ، فَيَقْتَرِحُ، أَمْضَى ٱلْقَادِرُ لَهُ ٱقتراحَهُ، أَنْ تَحْضُرَ بينَ يَدَيْهِ جوارٍ مِنَ ٱلحُورِ ٱلعِينِ، يَعْتَمِلْنَ بِأَرحاءِ ٱلْيَدِ: فَرَحًى مِنْ دُرٍّ، وَرَحًى مِنْ عَسْجَدٍ، وأَرْحَاءُ لَمْ يَرَ أَهْلُ ٱلعَاجِلَةِ شَيْئاً مِنْ شَكْلِ جَواهِرِهِنَّ. فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِنَّ، حَمِدَ ٱللَّهَ سبُحانَهُ عَلَى مَا مَنَحَ، وَذَكَرَ قَوْلَ ٱلرَّاجِز:

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَلِلْجِيرَانِ حَزِيتَيْنِ تَتَعَاوَرَانِ[١]
لا تَرْأَمَانِ[٢] وَهُمَا ظِئْرَانِ[٣]

يَصِفُ رَحى ٱلْيَدِ.

وَيَبْتَسِمُ إِلَيْهِنَّ وَيَقُولُ: اطْحَنَّ شَزْراً وَبَتًّا. فَيَقُلْنَ: ما شَزْرُ وَمَا بَتُّ؟ فَيَقُولُ: الشَّزْرُ عَلَى أَيْمَانِكُنَّ، وَٱلبَتُّ عَلَى شَمَائِلِكُنَّ، أَما سَمِعْتُنَّ قَوْلَ ٱلقَائِلِ:

[الوافر]

وَنُصْبِحُ بِٱلغَدَاةِ أَتَرَّ شَيْءٍ، وَنُمْسِي بِٱلعَشِيِّ طَلَنْفَحِيْنَا[٤]
وَنَطْحَنُ بِٱلرَّحى شَزْراً وَبَتًّا وَلَوْ نُعْطَى ٱلمَغَازِلَ مَا عُيِينَا[٥]

وَيُقَالُ: إِنَّ هٰذَا ٱلشِّعْرَ لِرَجُلٍ أُسِرَ فَكَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ بِذٰلِكَ.

وَيَجِسُّ فِي صَدْرِهِ عَمَّرَهُ ٱللَّهُ بِالسُّرورِ، أَرْحَاءُ تَدُورُ فِيهَا ٱلبَهَائِمُ، فَيَمْثُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلبُيُوتِ، فِيهَا أَحجارٌ مِنْ جَواهِرِ ٱلجَنَّةِ، تُدِيرُ بَعْضَهَا جِمالٌ تَسُومُ فِي عِضَاهِ[٦] ٱلفِرْدَوْسِ، وَأَيْنُقٌ لا تَعطُفُ عَلَى ٱلحِيْرَانِ[٧]، وَصُنُوفٌ مِنَ ٱلبِغالِ وَٱلبَقَرِ

---

(١) تتعاوران: تتبادلان وتتداولان.

(٢) «رئمت الناقةُ ولدها ترأمه رَأْماً ورَأَماناً: عطفت عليه ولزمته، وفي التهذيب: رئماناً أحبته. .» انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٢٣ مادة «رأم».

(٣) ظئران: عاطفتان.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٥٣٤ مادة «طلفح».
«الطلَنْفح: الخالي الجوف، ويقال: المُغيي التعِبُ؛ وقال رجل من بني الحِرْماز:
وَنُصْبِحُ بِٱلغداةِ أَتَرَّ شيءٍ، وَنُمْسِي بِٱلعَشِيِّ طَلَنْفَحِينَا»

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٤٠٥ مادة «شزر».
«وطحنٌ شزرٌ: ذهب به عن اليمين، يقال: طَحَنَ بالرحى شَزْراً، وهو أن يذهب بالرحى عن يمينه، وبَتًّا أي عن يساره؛ وأنشد:
وَتَطْحَنُ بِٱلرَّحى بَتًّا وَشَزْراً، وَلَوْ نُعْطَى ٱلمَغَازِلَ ما عَيِينَا
والشَّزر: الشِّدَّة والصعوبة في الأمر».

(٦) العِضاه، بكسر العين: ضرب من الشجر العملاق.

(٧) الحيران، مفرده حوار، وهو صغير الناقة.

وَبَنَاتِ صِعْدَةَ[١]، فَإِذَا ٱجتمعَ مِنَ ٱلطَّحْنِ ما يُظَنُّ أَنَّهُ كَافٍ لِلْمَأْدُبَةِ، تفرَّقَ خَدَمَةٌ مِنَ ٱلوِلْدَانِ ٱلمُخَلَّدِينَ فجاءُوا بِٱلعَمَارِيسِ، وَهِيَ ٱلجِدَاءُ، وَضُرُوب ٱلطَّيْرِ ٱلَّتِي جَرَتِ ٱلعَادَةُ بِأَكْلِها: كَأَبْجَاجِ ٱلعَكَارِمِ[٢]، وَجَوَازِلِ[٣] ٱلطَّوَاوِيسِ، وَٱلسمينِ مِنْ دَجاجِ ٱلرَّحْمَةِ وَفَرَارِيجِ ٱلخُلْدِ، وسِيقَتِ ٱلبقرُ وَٱلغَنَمُ وَٱلإبلُ لِتَعْتَبِطَ؛ فَٱرْتَفَعَ رُغاءُ ٱلعَكَرِ[٤]، وَيعَارُ ٱلمَعزِ، وَثُؤَاجُ ٱلضَّأْنِ، وَصِياحُ ٱلدِّيكةِ، لِعيانِ ٱلمِدْيَةِ[٥]. وذلك كلُّهُ، بِحَمْدِ ٱللَّهِ، لا أَلَمَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُو جِدٌّ مِثْلُ ٱللَّعِبِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَصَوَّرَهُ بِلَا مِثَالٍ.

فَإِذَا حَصَلَتِ ٱلنُّحُوصُ[٦] فَوْقَ ٱلأَوْفَاضِ، وَٱلأَوْفَاضُ مِثْلُ ٱلأَوْضَامِ[٧] بِلُغَةِ طَيِّئٍ، قالَ، زَادَ ٱللَّهُ أَمْرَهُ مِنَ ٱلنَّفاذِ: أَحْضِرُوا مَنْ فِي ٱلجَنَّةِ مِنَ ٱلطُّهاةِ ٱلسَّاكِنِينَ بِحَلَب عَلَى مَمَرِّ ٱلأزمانِ، فَتَحْضُرُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، فيأمُرُهم بِٱتِّخاذِ ٱلأَطْعِمَةِ، وَتِلْكَ لَذَّةٌ يَهَبُهَا ٱللَّهُ، عَزَّ سُلْطَانُهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧١ ـ ٧٣].

المَدْعُوونَ إلى ٱلمائِدَةِ

فَإِذَا أَتَتِ ٱلأَطْعِمَةُ، ٱفترقَ غِلْمَانُهُ ٱلَّذِينَ كَأَنَّهُمُ ٱللؤلؤُ ٱلمَكْنُونُ، لإِحْضَارِ ٱلمدْعُوين، فَلَا يتركونَ فِي ٱلجَنَّةِ شَاعِراً إِسْلَامِيًّا، وَلَا مُخَضْرِماً، ولا عَالِماً بِشَيْءٍ مِنْ أَصْنَافِ ٱلعُلومِ، ولا مُتَأَدِّباً، إِلَّا أَحْضَرُوهُ. فَيَجْتَمِعُ بَجْدٌ عَظِيمٌ، وَٱلبَجْدُ: الخَلْقُ ٱلكَثِيرُ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[المتقارب]

تَطُوفُ ٱلبُجُودُ بِأَبْوَابِهِ، مِنَ ٱلضُّرِّ فِي أَزَمَاتِ ٱلسِّنِينَا[٨]

---

(١) بنات صعدة: ضرب من الحيوانات الوحشية.
(٢) العكارم: مفرده عِكْرِمة: وهي الأنثى من الطير الذي يقال له ساق حُرّ، وقيل: الحمامة الأنثى.
(٣) الجوازل، مفرده جزلة: أي القطعة.
(٤) العكر: القطيع من الإبل.
(٥) المدية: شفرة السكين الكبيرة.
(٦) النحوص: ما سمن من الإبل.
(٧) الأوضام، مفرده وضم أي الخشبة التي يستعملها الجزار لقطع اللحم.
(٨) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٧٧ مادة «بجد».
«وجاءنا بَجد من الناس أي طبق. وعليه بَجْدٌ من الناس أي جماعة، وجمعه بُجود؛ قال كعب بن مالك:
تَلُوذُ ٱلبُجُودُ بِأَذرائِنَا مِنَ ٱلضُّرِّ، في أزماتِ ٱلسِّنِينَا»

فَتُوضَعُ ٱلْخُونُ[١] مِنَ ٱلذَّهبِ، وَٱلْفَوَاثِيرُ مِنَ ٱللُّجَيْنِ[٢]، ويجلِسُ عَلَيْهَا ٱلآكِلُونَ، وَتُنْقَلُ إِلَيْهِمُ ٱلصِّحَافُ، فَتُقِيمُ ٱلصَّحْفَةُ لَدَيْهِمْ وَهُمْ يُصِيبُونَ مِمَّا ضُمِّنَتْهُ كَعُمر كَوِي وسرَي، وَهُمَا ٱلنَّسْرَانِ مِنَ ٱلنُّجُومِ.

مَجْلِسُ شَرَابٍ وَغِنَاءٍ

فَإِذَا قَضَوْا ٱلأَرَبَ[٣] مِنَ ٱلطَّعامِ، جاءَتِ ٱلسُّقَاةُ بِأَصْنَافِ ٱلأَشْرِبَةِ وَٱلْمُسْمِعاتُ بِٱلأَصْوَاتِ ٱلْمُطْرِبَةِ.

وَيَقُولُ، لا فَتِئَ نَاطِقاً بِٱلصَّوَابِ: عَلَيَّ بِمَنْ فِي ٱلْجَنَّةِ مِنَ ٱلْمُغَنِّينَ وَٱلْمُغَنِّيَاتِ: مِمَنْ كَانَ فِي ٱلدَّارِ ٱلعاجِلَةِ، فَقُضِيَتْ لَهُ ٱلتَّوْبَةُ. فَتَحْضرُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ: فِيهِمُ ٱلْغَرِيضُ[٤]، وَمَعْبَدٌ[٥]، وَٱبْنُ مِسْجَح[٦]، وَٱبْنُ سُرَيْجٍ؛ إِلَى أَنْ يَحْضِرَ إِبْرَاهِيمُ ٱلْمَوْصِلِيُّ[٧] وَٱبْنُهُ إِسْحَاقُ. فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ ٱلجَمَاعَةِ، وَقَدْ رَأَى أَسْرَابَ[٨] قِيانٍ قَدْ حَضَرْنَ، مِثْلِ بَصْبَصٍ[٩] وَدَنَانِيرَ[١٠] وَعَنَانٍ[١١]: مِنَ ٱلْعَجَبِ أَنَّ

---

(١) الخون، مفرده خِوان: المائدة عندما يوضع عليها الطعام.

(٢) الفواثير، مفرده فاثور، وهو الخوان من رخام.

(٣) الأرب: القصد.

(٤) مرّت ترجمته.

(٥) مرّت ترجمته.

(٦) مرّت ترجمته.

(٧) هو: إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي. فارسي الأصل. ولد في بغداد سنة ١٥٥هـ = سنة ٧٧٢م. من أشهر ندماء الخلفاء. تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللّغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، شاعراً. مات في بغداد سنة ٢٣٥هـ = سنة ٨٥٠م، من كتبه: «أخبار عزّة الميلاء»، «مواريث الحكماء». انظر ترجمته في: الفهرست ١/ ١٤٠، وفيات الأعيان ١/ ٦٥، الأغاني طبعة دار الكتب ٥/ ٢٦٨ ـ ٤٣٥.

(٨) أسراب، مفرده سرب: جماعات، وهو في الأصل القطيع من الظباء وغيرها.

(٩) لم أعثر لها على ترجمة.

(١٠) جارية الشاعر ابن كناسة، من أهل الكوفة، شاعرة أديبة فصيحة. ولدت في الكوفة. كان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر. ماتت في حياة ابن كناسة ورثاها نحو سنة ٢٠٥هـ = نحو سنة ٨٢٠م. انظر ترجمتها في: مختار الأغاني ١٠/ ١٨٧.

(١١) هي: عِنَان الناطفية: شاعرة مستهترة، من أذكى النساء وأشعرهن كانت جارية لرجل يدعى «الناطفي» من أهل بغداد حيث اشتهرت. كان العباس بن الأحنف يهواها. ماتت سنة ٢٢٦هـ = سنة ٨٤١م. انظر ترجمتها في: الأغاني، طبعة الدار ١١/ ٢٨٦ و٢٨٧، أخبار أبي نواس لابن منظور ١/ ٣٤ و٣٥ و١٣٧ و٢١٢.

ٱلجَرَادَتَيْنِ[١] فِي أَقَاصِي ٱلجَنَّةِ. فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ لا بَرِحَ سَمْعُهُ مَطْرُوقاً بِمَا يُبْهِجُهُ، قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهِما. فَيَرْكَبُ بَعْضُ ٱلخَدَمِ نَاقَةً مِنْ نُوْقِ ٱلجَنَّةِ، وَيَذهَبُ إِلَيْهِمَا عَلَى بُعْدِ مَكَانِهِمَا، فَتُقْبلانِ عَلَى نَجِيبينِ أَسْرَعَ مِنَ ٱلبَرْقِ ٱللَّامِعِ. فَإِذَا حَصَلَتَا فِي ٱلمَجْلِسِ، حَيَّاهُمَا وَبَشَّ[٢] بِهِمَا وَقَالَ: كَيْفَ خَلَصْتُمَا إِلَى دَارِ ٱلرَّحْمَةِ بَعْدَمَا خَبَطْتُما فِي ٱلضَّلَالِ؟ فَتَقُولانِ: قُدِّرَتْ لَنَا ٱلتَّوْبَةُ وَمِتْنَا عَلَى دِينِ ٱلأَنْبِيَاءِ ٱلمُرْسَلِينَ. فَيَقُولُ: أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْكُما، أَسْمِعَانا شَيْئاً مِنَ ٱلقَصِيدَةِ ٱلحَائيةِ ٱلَّتِي تُروى لِعبيدٍ مَرَّةً ولِأَوْسٍ[٣] أُخْرى، وَمَا سَمِعَتَا قَطُّ بِعَبَيدٍ ولا أَوْسٍ، فَتُلْهَمَانِ أَنْ تُغَنِّيَا بِٱلمَطْلُوبِ، فَتَلْحَنانِ:

[البسيط]

وَدِّعْ لَمِيْسَ وَدَاعَ ٱلوَامِقِ ٱللَّاحِي ... قَدْ فَنَّكَتْ فِي فَسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحِ[٤]

إِذْ تَسْتَبِيْكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ[٥] ... حَمْشِ ٱللِّثَاثِ[٦] عِذَابٍ غَيْرِ مِمْلَاحِ

كَأَنَّ رِيقَتَها بَعْدَ ٱلكَرَى ٱغْتَبَقَتْ[٧] ... مِنْ مَاءِ أَذْكَنَ فِي ٱلحَانُوتِ نَضَّاحِ[٨]

وَمِنْ مُشَعْشَعَةٍ وَرْهَاءَ[٩] نَشْوَتُها، ... وَمِنْ أَنَابِيبِ[١٠] رُمَّانٍ وَتُفَّاحِ

---

(١) هما: الجرادتان.

(٢) بش: ابتسم.

(٣) هو: أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأشعار. كان غزلاً مغرماً بالنساء. مات نحو ٢ق.هـ = نحو سنة ٦٢٠م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ١١/ ٧٠، خزانة الأدب ٢/ ٢٣٥.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٠/ ٤٨٠ مادة «فنك».
«وفَنَكَ في أمره: ابتزّه ولَجَّ فيه وغلب عليه؛ قال عبيد بن الأبرص:
وَدِّعْ لَمِيسَ وَدَاعَ ٱلصَّارِمِ ٱللَّاحي، ... إِذْ فَنَكَتْ في فَسادٍ بَعدَ إِصْلاحِ
وفنك فُنُوكاً وأفنك: كذَب. وفنك في الكذب: مضى ولجّ فيه..» والبيت لا يوجد في ديوان عبيد بن الأبرص طبعة دار صادر.

(٥) العوارض: الأسنان التي تبدو للعيان عند الابتسام.

(٦) «ولثة حَمْشة: دقيقة حسنة» انظر: لسان العرب ٦/ ٢٨٨ مادة «حمش».

(٧) اغتبقت: شربت الغبوق وهو شرب المساء.

(٨) «نضح عليه الماء ينضحه نضحاً إذا ضربه شيء فأصابه منه رشاش». انظر: لسان العرب ٢/ ٦١٨ مادة «نضح».

(٩) «الوَرَهُ: الحمق في كل عمل، ويقال: الخرق في العمل..» انظر: لسان العرب ١٣/ ٥٦٠ مادة «وره».

(١٠) «الليث: الأُنبوب والأُنبوبة: ما بين العُقدتين في القصب القناة.. جمع أنبوب أنابيب». انظر: لسان العرب ١/ ٧٤٧ مادة «نبب».

هَبَّتْ تَلُومُ، وَلَيْسَتْ سَاعَةَ ٱللَّاحِي[١]، هَلَّا ٱنْتَظَرْتِ بِهٰذَا ٱللَّوْمِ إِصْبَاحِي؟
قَاتَلَهَا ٱللَّهُ، تَلْحَانِي، وَقَدْ عَلِمَتْ أَنِّي لِنَفْسِيَ إِفْسَادِي وَإِصْلَاحِي[٢]!
إِنْ أَشْرَبِ ٱلْخَمْرَ، أَوْ أُرْزَأْ لَهَا ثَمَناً، فَلَا مَحَالَةَ يَوْماً أَنَّنِي صَاحِ[٣]
وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرٍ بِمَحْنِيَةٍ[٤]، أَوْ فِي مَلِيعٍ كَظَهْرِ ٱلتُّرْسِ وَضَّاحِ[٥]

فَتُطْرِبان مَنْ سَمِعَ، وتستفزّانِ ٱلأَفْئِدَةَ بِٱلسُّرورِ، ويَكْثُرُ حَمْدُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَنْعَمَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلتَّائِبِينَ، وخَلَّصَهُمْ مِنْ دارِ ٱلشِّقْوَةِ إِلَى مَحَلِّ ٱلنَّعِيمِ.

وَيَعرِضُ لَهُ، أَدامَ ٱللَّهُ ٱلجَمالَ ببقائِهِ، الشَّوقُ إلى نَظَرِ سَحَابٍ كَٱلسَّحَابِ ٱلَّذِي وَصَفَهُ قَائِلُ هٰذِهِ ٱلقَصِيدَةِ فِي قَوْلِهِ:

[البسيط]

إِنِّي أَرِقْتُ، وَلَمْ تَأْرَقْ مَعِي صَاحِ، لِمُسْتَكِفٍّ[٦]، بُعَيْدَ ٱلنَّوْمِ، لَمَّاحِ[٧]
قَدْ نِمْتَ عَنِّي وَبَاتَ ٱلبَرْقُ يُسْهِرُنِي كَمَا ٱسْتَضَاءَ يَهُودِيٌّ بِمِصْبَاحِ[٨]
تُهْدِي ٱلْجَنُوبَ بِأَوْلَاهُ وَنَاءَ بِهِ أَعْجَازُ مُزْنٍ، يَسُوقُ ٱلمَاءَ دَلَّاحِ[٩]

---

(١) ورد البيت في: الديوان، صفحة ٥٢. واللاحي: اللائم.

(٢) ورد البيت في: الديوان، صفحة ٥٢.

(٣) ورد البيت في: الديوان، صفحة ٥٢. «ورزأه ماله ورَزِئه يرزؤه فيهما رُزْءاً: أصاب من ماله شيئاً». انظر: لسان العرب ١/ ٨٥ مادة «رزأ».

(٤) «المحاني: معاطف الأدوية، الواحدة مَحْنية، بالتخفيف..» انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٠٦ مادة «حنا».

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٨/ ٣٤٢ مادة «ملع» وقد عزاه إلى أوس بن حجر.
«والمَلِيعُ: الأرض الواسعة، وقيل: التي لا نبات فيها؛ قال أوس بن حجر:
ولا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرٍ بِمَحْنِيَةٍ أو في مَلِيعٍ، كظَهْرِ التُّرْسِ، وضَّاحِ
.. وقال ابن الأعرابي: هي الفلاة الواسعة يحتاج فيها إلى الملع الذي هو السرعة، وليس هذا بقوي. والمليع: الفسيح الواسع من الأرض البعيد المستوي، وإنما سمي مَلِيعاً لمَلْع الإبل فيه وهو ذهابها».
ورد البيت في: ديوان عبيد بن الأبرص. صفحة ٥٢، على النحو التالي:
«ولا مَحَالَةَ مِن قبرٍ بمَحْنِيَةٍ وَكَفَنٍ كَسَرَاةِ ٱلثَّوْرِ وَضَّاحِ»
«وسراة كل شيء: أعلاه وظهره ووسطه..» انظر: لسان العرب ١٤/ ٣٧٩ مادة «سرا».

(٦) المستكفّ: المطر الهاطل. (٧) اللمّاح: الرائي.

(٨) هذا البيت غير موجود في ديوان عبيد بن الأبرص. طبعة دار صادق.

(٩) ورد البيت في: ديوان عبيد على النحو التالي:
«هَبَّتْ جَنُوبٌ بِأُولاهُ وَمَالَ بِهِ أعجازُ مُزْنٍ يَسُحُّ ٱلمَاءَ دَلَّاحِ»
المُزن، الواحدة مزنة: السحابة ذات الماء. الدلّاح: الممتلئ من الماء.

كَــأَنَّ رَيِّــقَــهُ، لَمَّــا عَــلَا شَــطِــبــاً، أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي ٱلْخَيْلَ رَمَّاحِ[1]
كَــأَنَّ فِــيــهِ عِــشَــاراً جِــلَّةً شُــرُفــاً، عُوذاً مَطَافِيلَ، قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاحِ[2]
دانٍ، مُسِفٌّ، فُوَيْقَ ٱلأَرْضِ هَيْدَبُهُ، يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِٱلرَّاحِ[3]
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعُقْوَتِهِ، وَٱلْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ[4]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٤٩٧ مادة «شطب» ولم يعزه لعبيد. «وشَطِب: جبل معروف، قال:
كَــأَنَّ أَقــرابَــهُ، لَمَّــا عَــلَا شَــطِــبــاً، أَقرابُ أبلَقَ، ينفي ٱلخَيْلَ رَمَّاحِ»
وورد البيت في ديوان عبيد، صفحة: ٥٣.
ريقه: أوله، شطِب: اسم جبل. أقراب، الواحد قرب: الخاصرة. أبلق: أي فرس فيه سواد وبياض. الرماح: الفرس. شبّه بياض السحاب في أوله ببياض خاصرتي فرس أبلق يدفع الخيل أمامه ويرفس برجليه. ينفي الخيل يطردها؛ شبّه تكشف بياض البرق بتكشف الأبلق عن أرفاغه.

(٢) ورد البيت في: ديوان عبيد، صفحة: ٥٣ على النحو التالي:
كَــأَنَّ فِــيــهِ عِــشَــاراً جِــلَّةً شُــرُفــاً شُــعْــثــاً لَهَــامِــمَ قَــدْ هَــمَّــتْ بِــإِرشــاحِ
هَمَّت بإرشاح: أي قربت أن تصير مرشحاً، أي أن يقوى فصيلها على المشي ويسمّى راشحاً. العشار التي أتي عليها عشرة أشهر من حملها. والجلة السمان من الإبل، والشرف الكبار منها. واللهاميم الغزار. ويقال أرشحت الناقة إذا اشتدّ فصيلها وقوي وهو فصيل راشح، وإنما ذكر بذلك لأنها تحنُّ.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٧٨٠ مادة «هدب».
«الجوهري: هَيْدَب السحاب ما تهدَّب منه إذا أراد الوَدْقَ كأنه خُيُوط؛ وقال عبيد بن الأبرص:
دانٍ مُسِفٌّ، فُوَيْقَ ٱلارض هَيْدَبُهُ، يَكَادُ يَدْفَعُهُ، مَنْ قَامَ، بِٱلرَّاحِ
قال ابن بري: البيت يروى لعبيد بن الأبرص، ويروى لأوس بن حجر يَصف سحاباً كثير المطر. والمُسفّ: الذي قد أسَفّ على الأرض أي دنا منها. والهيدب: سحاب يقرب من الأرض، كأنَّه مُتَدَلٍّ، يكاد يمسكه، من قام، براحته..».
وورد البيت في: ديوان عبيد، صفحة: ٥٣.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٥/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ مادة «نجا».
«النجوة: وهو ما ارتفع من الأرض..؛ قال عبيد:
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ، وَٱلْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يمشي بِقِرْوَاحِ
وورد البيت في: ديوان عبيد، صفحة ٥٣، على النحو التالي:
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفَلِهِ وَٱلْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يمشي بِقِرْوَاحِ
أراد بمن كان بنجوته: من كان بعيداً عنه، وبمن كان بمحفله: من كان في معظمه. المستكن: المختبئ في بيته، يريد أن هذا المطر لا ينجو منه أحد فالبعيد منه كالقريب والمستتر كالظاهر. النجوة: ما ارتفع من الأرض. والمحفل: مستقرّ الماء. والقِرواح: أرض مستوية ظاهرة. والمستكن الذي في بيته.

وَأَصْبَحَ ٱلرَّوْضُ وَٱلقِيعَانُ مُمْرِعَةً ... ما بينَ مُنْفَتِقٍ مِنْهُ وَمُنْصاحِ[(١)]

فيُنْشِئُ ٱللَّهُ، تَعالَتْ آلاؤُهُ، سُبْحانَهُ كَأَحْسَنِ ما يَكُونُ مِنَ ٱلسُّحُبِ، مَنْ نَظَرَ إِلَيْها شَهِدَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ قَطُّ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهَا، مُحَلَّاةً بِٱلبرقِ فِي وَسَطِها وَأَطْرافِها، تُمْطِرُ بِماءِ وَرْدِ ٱلجَنَّةِ مِنْ طَلٍّ وَطَشٍّ[(٢)]، وتَنْثُرُ حَصَى ٱلكافُورِ كَأَنَّهُ صِغارُ ٱلبَرَدِ، فَعَزَّ إِلٰهُنا ٱلقَدِيمُ ٱلَّذِي لا يُعْجِزُهُ تَصْوِيرُ ٱلأَمَانِيِّ وَتَكْوِينُ ٱلهَواجِسِ مِنَ ٱلظُّنُون.

جِرانُ ٱلعَوْدِ ٱلنُّمَيْرِيُّ[(٣)]

وَيَلْتَفِتُ فَإِذَا هُوَ بِجِرانِ ٱلعَوْدِ ٱلنُّمَيْرِيِّ، فَيُحَيِّيهِ ويُرَحِّبُ بِهِ، وَيَقُولُ لِبعضِ ٱلقِيانِ: أَسْمِعِينا قَوْلَ هٰذَا ٱلمُحْسِن:

[الطويل]

حَمَلْنَ جِرَانَ ٱلعَوْدِ حَتَّى وَضَعْنَهُ ... بِعَلْيَاءَ فِي أَرْجَائِهَا ٱلجِنُّ تَعْزِفُ
وَأَحْرَزْنَ مِنَّا كُلَّ حَجْزَةِ مِئْزَرٍ ... لَهُنَّ، وَطَاحَ ٱلنَّوْفَلِيُّ ٱلمُزَخْرَفُ
وَقُلْنَ: تَمَتَّعْ لَيْلَةَ ٱلنَّأْيِ هٰذِهِ ... فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ[(٤)] غَداً أَوْ مُسَيَّفُ[(٥)]

وَهٰذَا ٱلبَيْتُ يُرْوَى لِسُحَيْمٍ[(٦)]، فتُصِيبُ تِلْكَ ٱلقَيْنَةُ وتُجِيدُ. فإذا عَجِبَتِ ٱلجَماعَةُ

---

(١) ورد البيت في: ديوان عبيد، صفحة ٥٤٢، على النحو التالي:

فَأَصْبَحَ ٱلرَّوْضُ وَٱلقيعان مُمْرِعَةً ... مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ فِيهِ وَمُنْطَاحِ»

المنطاح من انطاح مطاوع طوح، ذهب بنفسه، يريد أن من الماء، ما كان محتبساً ومنه ما كان جارياً. المرتفق ماء راكد قد حبسه شيء يرتفق به. والمنطاح سائل لم يكن له ما يحبسه فسال: ومكان مرتفق فيه ومُنْطاح فيه.

أورد لسان العرب عجز البيت ١٠/ ١٢١ مادة «رفق».

«والرفيق: ضد الأخرق. ورفيقة الرجل: امرأته... ورفيق المرأة زوجها؛ قال شمر: سمعت ابن الأعرابي ينشد بيت عبيد:

مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ مِنْها ومُنْصاحِ

وفسرَ المُنصاحَ الفائضَ الجاري على وجه الأرض. والمرْتَفِق الممتلئ الواقف الثابت الدائم..».

(٢) الطشّ: رذاذ المطر.

(٣) هو: عامر بن الحارث النميري: شاعر وصاف أدرك الإسلام، وسمع القرآن واقتبس منه، ومعنى «جِران العود»، مقدم عنق البعير المسنّ. انظر ترجمته في الشعر والشعراء: ٢٧٥، اللباب ١/ ٢٠٨.

(٤) المرجوم: من وجب عليه إقامة الحدّ في الزنى.

(٥) المسيف: المضروب بالسيف.

(٦) هو: سحيم بن وثيل بن عمرو، الرياحيّ اليربوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم، عاش=

مِنْ إِحْسَانِهَا وَإِصَابَتِهَا قَالَتْ: أَتَدْرُونَ؟ مَنْ أَنَا؟ فَيَقُولُونَ: لا، واللَّهِ ٱلمَحْمُودِ! فَتَقُولُ: أَنَا أُمُّ عَمْرٍو ٱلَّتِي يَقُولُ فِيهَا ٱلقَائِلُ:

[الوافر]

تَصُدُّ ٱلكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ ٱلكَأْسُ مَجْرَاهَا ٱليَمِينَا
وَمَا شَرُّ ٱلثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ ٱلَّذِي لَا تُصْبِحِينَا[1]

فَيزدادُونَ بِهَا عَجَباً، وَلَهَا إِكْرَاماً، وَيَقُولُونَ: لِمنْ هٰذَا ٱلشِّعْرُ؟ أَلِعمرو بْنِ عَدِيٍّ ٱللَّخْمِيِّ[2]؟ أَمْ لِعَمرو بْنِ كَلْثُوم ٱلتَّغلبيِّ[3]؟ فَتَقُولُ: أَنَا شَهِدْتُ نَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ[4]: مَالِكاً وَعَقِيلاً، وَصَبَّحْتُهُمَا ٱلخَمْرَ ٱلمُشَعْشَعَةَ، لَمَّا وَجدا عَمرو بْنَ عَدِيٍّ، فَكُنْتُ أَصْرِفُ ٱلكَأْسَ عَنْهُ، فَقَالَ هٰذَيْنِ ٱلبَيْتَينِ، فلَعَلَّ عَمرو بْنَ كُلْثومٍ حَسَّنَ بِهِمَا كَلامَهُ وَٱستَزَادَهُمَا فِي أَبياتِهِ.

رَقْصُ ٱلجَوَارِي ٱلأَربعِ

وَيَذْكُرُ، أَذكرَهُ ٱللَّهُ بِالصَّالِحَاتِ، الأبياتَ ٱلَّتِي تُنْسَبُ إِلَى ٱلخَليلِ بْنِ أَحْمَدَ. وَٱلخَليلُ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلجماعةِ، وَأَنَّها تَصْلُحُ لِأَنْ يُرْقَصَ عَلَيْهَا، فيُنْشِئُ ٱللَّهُ، ٱلقَادِرُ بِلُطْفِ حِكْمَتِهِ، شَجْرَةً مِنْ عفَزٍ، وَٱلعفَزُ ٱلجوْزُ، فَتُونِعُ لِوَقْتِهَا[5]، ثُمَّ تَنْفَضُ عَدَداً لا يُحْصِيهِ إِلَّا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَتَنْشَقُّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُ عَنْ أَربعِ جوارٍ يَرُقْنَ ٱلرَّائِينَ، مِمَّنْ قَرُبَ وَٱلنَّائِينَ، يَرْقُصْنَ عَلَى ٱلأَبْيَاتِ ٱلمَنْسُوبَةِ إِلَى ٱلخَليلِ، وَأَولُها:

[مجزوء الكامل]

إِنَّ ٱلخَلِيطَ تَصَدَّعَ[6] فَطِرْ بِدَائِكَ أَوْ قَعِ

= في الجاهلية والإسلام، وناهز عمره المئة. توفي نحو سنة ٦٠هـ = نحو سنة ٦٨٠م انظر ترجمته في: الإصابة: ت ٣٦٦٠، شرح شواهد المغني: ١٥٧.

(١) تصبّحين: تسقين الخمرة في الصباح الباكر.

(٢) هو: عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة اللخمي: أول من ملك العراق من بني لخم في الجاهلية. تولى بعد مقتل خاله «جذيمة» وانتقم له من قاتلته «الزبّاء». وكانت إقامته في الحيرة. ومات فيها. انظر ترجمته في المرزباني: ٢٠٥، خزانة الأدب ٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، أبو الأسود: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وهو من الفتاك الشجعان. ساد قومه وهو فتى، عمر طويلاً: مات نحو سنة ٤٠ق.هـ = نحو سنة ٥٨٤م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ١١/ ٥٢. الشعر والشعراء: ٦٦.

(٤) هو: جذيمة بن مالك بن نصر، من بني أسد بن خزيمة جدّ جاهلي. انظر ترجمته في: سبائك الذهب: ٥٨، اللباب ١/ ٢١٦.

(٥) تونع لوقتها: تنضج حالاً.

(٦) تصدّع: انشق نصفين.

لَوْلَا جَـــوَارِ حِـــسَـــانٌ مِـــثْـــلُ ٱلْـــجَـــآذِرِ[١] أَرْبَـــعْ
أُمُّ ٱلْـــرَّبَـــابِ وَأَسْـــمَـــا ءُ وَٱلْـــبَـــغُـــومُ وَبَـــوْزَعُ
لَقُـــلْتُ لِلـــظَّـــاعِـــنِ: اظْـــعَـــنْ[٢] إِذَا بَـــدَا لَكَ، أَوْ دَعُ!

فَتَهْتَزُّ أَرجَاءُ ٱلجنَّةِ، وَيَقُولُ، لا زَالَ مُنْطِقاً بِٱلسَّدادِ[٣] لِمَنْ هٰذِهِ ٱلأَبْيَاتُ يا أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ؟ فَيَقُولُ ٱلخَلِيلُ: لَا أَعْلَمُ. فَيَقُولُ: إِنَّا كُنَّا فِي ٱلدَّارِ ٱلعاجِلَةِ نَرْوِي هٰذِهِ ٱلأَبْيَاتَ لَكَ. فَيَقُولُ ٱلخَلِيلُ: لا أَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا قِيْلَ حَقًّا. فَيَقُولُ: أَفَنَسِيْتَ يا أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ وَأَنْتَ أَذْكَى ٱلعَرَبِ فِي عَصْرِكَ؟ فَيَقُولُ ٱلخَلِيلُ: إِنَّ عُبُورَ ٱلسِّراطِ يَنْفُضُ ٱلخَلَدَ[٤] مِمَّا ٱسْتَوْدَعَ.

فِقاعُ ٱلدَّارِ ٱلخَادِعَةِ

وَيَخْطُرُ لَهُ ذِكْرُ ٱلفقَّاعِ[٥] ٱلَّذِي كَانَ يُعْمَلُ فِي ٱلدَّارِ ٱلخَادِعَةِ، فَيُجْرِي ٱللَّهُ بِقُدْرَتِهِ أَنْهَاراً مِنْ فِقاعٍ، الجُرْعَةُ مِنْهَا لَوْ عَدَلَتْ بِلذَّاتِ ٱلفانِيَةِ، مُنْذُ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأَرْضَ إِلَى يَوْمِ تُطْوَى ٱلأُمَمِ ٱلآخِرَةُ، لَكَانَتْ أَفْضَلَ وَأَشَفَّ. فَيَقُولُ فِي نَفسِهِ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللَّهَ قَدِيرٌ، وَٱلَّذِي أُرِيْدُ، نَحْوَ ما كُنْتُ أَرَاهُ مَعَ ٱلطَّوَافِينَ فِي ٱلدَّارِ ٱلذَّاهِبَةِ. فلا تكْمُلُ هٰذِهِ ٱلمقالَةُ، حَتَّى يَجْمَعَ ٱللَّهُ كُلَّ فَقَاعِي في ٱلجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ ٱلعِراقِ وَٱلشَّامِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ ٱلبِلادِ، بين أيدِيهِمُ ٱلوِلْدانُ ٱلمُخَلَّدُونَ يَحْمِلُونَ ٱلسِّلالَ إِلَى أَهْلِ ذٰلِكَ ٱلمَجْلِسِ. فَيَقُولُ، حَفِظَ ٱللَّهُ عَلَى أَهْلِ ٱلأَدَبِ حَوْبَاءَهُ[٦]، لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ: ما تُسَمَّى هٰذِهِ ٱلسِّلَالُ بِٱلعَرَبِيَّةِ؟ فَيَرْمُونَ، أَيْ يَسْكُتُونَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هٰذِهِ تُسَمَّى ٱلبَوَاسِنَ، وَاحِدَتُها بَاسِنَةٌ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ ٱلحَاضِرِينَ: مَنْ ذَكَرَ هٰذا مِنْ أَهْلِ ٱللُّغةِ؟ فَيَقُولُ، لا ٱنفكَّتِ ٱلفَوَائِدُ وَاصِلَةً مِنْهُ إِلى ٱلجُلَسَاءِ: قَدْ ذَكَرَهَا ٱبْنُ دُرُسْتُويْهِ[٧]، وَهُوَ

---

(١) الجآذر، واحده جؤذر: وهو ولد البقرة الوحشية.
(٢) ظعن: رحل.
(٣) السداد: الصواب.
(٤) الخلد: الضمير.
(٥) الفقّاع: نوع من الشراب يحصلون عليه من الشعير.
(٦) الحوباء: النفس.
(٧) هو: عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان، أبو محمد: من علماء اللغة: فارسي الأصل. اشتهر وتوفي ببغداد سنة ٣٤٧هـ = سنة ٩٥٨. له تصانيف كثيرة، منها، «تصحيح الفصيح»، «الكتّاب». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨، وفيات الأعيان ١/ ٦٣.

يَوْمَئِذٍ فِي ٱلحَضْرَةِ. فَيَقُولُ لَهُ ٱلخَلِيلُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهٰذَا ٱلحَرْفِ؟ فَيَقُولُ ٱبْنُ دُرُسْتُويهِ: وجدْتُهُ فِي كُتبِ ٱلنَّضرِ بْنِ شُمَيْلٍ[١]. فَيَقُولُ ٱلخليل: أَتُحِقُّ[٢] هٰذَا يا نَضِرُ، فَأَنْتَ عِنْدَنَا ٱلثِّقَةُ؟ فَيَقُولُ ٱلنَّضِرُ: قَدِ ٱلتَبَسَ عَلَيَّ ٱلأَمْرُ، وَلَمْ يُحِقِّ ٱلرَّجُلُ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، إِلَّا حَقًّا.

مِنْ طَوَاوِيس ٱلجَنَّةِ

وَيَعْبُرُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلأَكْرَاسِ، أَي ٱلجَمَاعَاتِ، طَاوُوسٌ مِنْ طَواويسِ ٱلجَنَّةِ يَرُوقُ مَنْ رَآهُ حُسْناً، فيشتَهيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ[٣] مَصُوصاً[٤]، فَيَتَكَوَّنُ كَذٰلِكَ فِي صَفْحَةٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ. فَإِذَا قُضِيَ مِنْهُ ٱلوَطرُ، ٱنْضَمَّتْ عِظَامُهُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَصِيرُ طَاوُوساً كَمَا بَدَا. فَتَقُولُ ٱلجَمَاعَةُ: سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِي ٱلعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ! هٰذا كَمَا جَاءَ فِي ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وَيَقُولُ هُوَ، آنس ٱللَّهُ بِحَياتِهِ، لِمَنْ حَضَرَ: ما مَوْضِعُ يَطْمَئِن؟ فَيَقُولُونَ: نَصْبٌ بِلامِ كَيْ. فَيَقُولُ: هَلْ يَجُوزُ غَيْرُ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: لا يَحْضرُنا شَيْءٌ. فَيَقُولُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِلامِ ٱلأَمْرِ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ ٱلكَلامِ مَخرَجَ ٱلدُّعاءِ، كَمَا يُقَالُ: يا رَبِّ ٱغفِرْ لِي، وَلْتَغْفِرْ لِي. وَأَمَّا قَوْلُهُ ٱلحِكَايَةَ عَنْ عَازَرَ[٥]: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فَقَدْ قُرِئَ بِرفعِ ٱلميمِ وَسُكُونِها، فَالرَّفْعُ عَلَى ٱلخَبَرِ، وَٱلسُّكُونُ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ ٱللَّهِ، جَلَّ سُلْطَانُهُ.

وَأَجَازَ أَبُو عَلِيٍّ ٱلفارِسِيُّ أَنْ يَكُون «اعلم» مُخَاطَبَةً مِنْ عازَرَ لِنَفْسِهِ، لِأَنَّ مِثْلَ

---

(١) هو: النضر بن شُمَيْل بن خَرَشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو سنة ١٢٢هـ = سنة ٧٤٠م وفيها كانت وفاته سنة ٢٠٣هـ = سنة ٨١٩م. من كتبه «الصفات». «غريب الحديث». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٦١، المزهر: ٢/ ٢٣٢.

(٢) أتحق: أتراه حقاً وصدقاً.

(٣) مرّت ترجمته، هو معمر بن المثنّى.

(٤) المصوص: لحم يطبخ وينقع في الخل.

(٥) عازر: أحد أنبياء بني إسرائيل.

هٰذَا مَعْرُوفٌ. يَقُولُ ٱلقَائِلُ، وَهُوَ يَعْنِي نَفْسَهُ: وَيْحَكَ ما فَعَلْتَ وَمَا صَنَعْتَ! وَمِنْهُ قَوْلُ الحَادِرَةِ ٱلذُّبيانيِّ[١]:

[الكامل]

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً فَتَمَتَّعِ، وَغَدَتْ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لَمْ يَرْبَعِ[٢]

مُرُور الإِوزة

وَتَمرُّ إِوَزَّةٌ مثلُ ٱلبَخْتِيَّةِ[٣]، فيتمنَّاهَا بعضُ ٱلقَوْمِ شِوَاءً، فَتَمَثَّلُ عَلَى خِوانٍ مِنَ ٱلزُّمُرُّدِ، فَإِذَا قُضِيَتْ مِنهَا ٱلحَاجَةُ، عَادَتْ، بِإِذْنِ ٱللَّهِ، إِلَى هَيْئَةِ ذَوَاتِ ٱلجَناحِ وَيَخْتَارُهَا بَعْضُ ٱلحَاضِرِينَ كِرْدِناجاً[٤] وبعضُهُمْ مَعْمُولَةً بِسِمَّاقٍ، وَبَعْضُهُمْ مَعْمُولَةً بِلَبَنٍ وَخَلٍّ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ، وَهِيَ تَكُونُ عَلَى مَا يُرِيدُونَ. فَإِذَا تَكَرَّرَتْ بَيْنَهُمْ قَالَ أَبُو عُثْمَانَ ٱلمَازِنِيُّ[٥] لِعبدِ ٱلملكِ بْنِ قُرَيْبٍ ٱلأَصْمَعِيِّ[٦]. يَا أَبَا سَعِيدٍ، ما وَزْنُ إِوَزَّةٍ؟ فَيَقُولُ ٱلأَصْمَعِيُّ: أَلِي تعرُضُ بِهٰذَا يا فُصْعُلُ[٧]، وَطَالَ ما جِئْتَ مَجْلِسِي بِٱلبصْرَةِ وَأَنْتَ لَا يُرْفَعُ بِكَ رَأْسٌ؟ وَزْنُ إِوَزَّةٍ فِي ٱلمَوْجُودِ إِفَعْلَةٌ، وَوَزْنُهَا فِي ٱلأَصْلِ إِفْعَلَةٌ. فَيَقُولُ المازِنِيُّ: ما ٱلدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ٱلهَمْزَةَ فِيهَا زَائِدَةٌ، لِأَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا: نَاسٌ، وَأَصْلُهُ أُنَاسٌ، وَمِيهَةٌ لِجُدَرِي ٱلغَنَمِ، وَإِنَّمَا هُوَ أُمَيْهَةٌ، فَيَقُولُ ٱلأَصْمَعِيُّ: أَلَيْس أَصْحَابُكَ مِنْ أَهْلِ ٱلقِيَاسِ يَزْعَمُونَ أَنَّهَا إِفْعَلَةٌ، وَإِذَا بَنَوْا مِنْ أَوَى ٱسْماً عَلَى وَزْنِ إِوَزَّةٍ قَالُوا: إِيَّاةٌ؟ وَلَوْ أَنَّهَا فِعْلَةٌ قالوا: إِوْيَةٌ، وَلَوْ جَاءُوا بِهَا عَلَى إِفْعَلَةٍ، بِسُكُونِ ٱلعَيْنِ، قَالُوا: إِيْيَةٌ، وَٱلياءُ ٱلَّتِي بَعْدَ ٱلهَمْزَةِ، وَهِيَ هَمْزَةُ أَوَى، جُعِلَتْ يَاءً لِاجْتِمَاعِ ٱلهَمْزَتَيْنِ، وَلِأَنَّ قَبْلَهَا مَكْسُوراً وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ. وَإِذَا خُفِّفَتْ هَمْزَةُ مِئْزَرٍ، جَعَلْتَهَا يَاءً خَالِصَةً. فَيَقُولُ ٱلمَازِنِيُّ: تَأَوَّلَ مِنْ أَصْحَابِنَا

---

(١) هو: قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني: شاعر جاهلي مقلّ. لقب بالحادرة (الضخم) أو الحويدرة. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٥، المفضليات، شرح الأنباري طبعة لايل: ٤٨ ـ ٦٢.

(٢) يربع: يتمهَّل.

(٣) البختية: الناقة المنسوبة إلى خراسان.

(٤) الكردناج: فارسي معرّب، وهو نوع من الأطعمة.

(٥) هو: بكر بن محمد بن محمد بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان: أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة ووفاته فيها سنة ٢٤٩هـ = سنة ٨٦٣م. من كتبه: «التصريف» «ما تلحن فيه العامة». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٩٢، معجم الأدباء ٢/ ٢٨٠.

(٦) مرّت ترجمته.

(٧) الفصعل: صغير العقرب.

وَٱدِّعَاءٌ، لِأَنَّ إِوَزَّةَ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ ٱلْهَمْزَةَ فِيهَا زَائِدَةٌ. فَيَقُولُ ٱلْأَصْمَعِيُّ:

[الرمل]

رَيَّشَتْ جُرْهُمُ نَبْلًا فَرَمَى جُرْهُماً[1] مِنْهُنَّ فُوقٌ[2] وَغِرَارُ[3]

تَبِعْتَهُمْ مُسْتَفِيداً، ثُمَّ طَعَنْتَ فِيما قالُوه مُعِيداً، ما مثلُكَ ومثلُهُم إِلَّا كَمَا قَالَ ٱلْأَوَّلُ:

[الوافر]

أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي[4]

وَيَنْهَضُ كَٱلْمُغْضَبِ، ويَفْتَرِقُ أَهْلُ ذَلِكَ ٱلْمَجْلِسِ وَهُمْ نَاعِمُونَ.

مَعَ ٱلْحُورِ ٱلْعِيْنِ

وَيَخْلُو، لا أَخْلاهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلإِحسانِ، بِحَوْرَتَيْنِ لَهُ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ، فَإِذَا بَهَرَهُ مَا يَرَاهُ مِنَ ٱلْجَمَالِ قَالَ: أَعْزِزْ عَلَيَّ بِهَلَاكِ ٱلْكِنْدِيِّ[5]، إِنِّي لَأَذْكُر بِكُمَا قَوْلَهُ:

[الطويل]

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ ٱلْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا، وَجَارَتِهَا أُمِّ ٱلرَّبَابِ بِمَأْسَلِ[6]

---

(1) «جُرْهم: حيّ من اليمن نزلوا مكة وتزوّج فيهم إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، وهم أصهاره ثم ألحدوا في الحرم فأبادهم اللّه تعالى». انظر: لسان العرب ١٢/ ٩٧ مادة «جرهم».

(2) الفوق: موضع الوتر من السهم.

(3) الغِرار: النوم القليل.

(4) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٢٠٨ مادة «سدد».

«ويقال: إنه لذو سَدادٍ في منطقه وتدبيره، وكذلك في الرمي. يقال: سَدَّ السهم يَسِدُّ إذا استقام وسَدَّدْته تسديداً واستدّ الشيءُ إذا استقام؛ وقال:

أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال الأصمعي: اشتد بالشين المعجمة. ليس بشيء؛ قال ابن بري: هذا البيت ينسب إلى معن بن أوس قاله في ابن أخت له، وقال ابن دريد هو لمالك بن فهم الأزديّ، وكان اسم ابنه سُلَيمة، رماه بسهم فقتله وقال البيت؛ قال ابن بري: ورأيته في شعر عقيل بن عُلَّفة يقوله في ابنه عُميس حين رماه بسهم، وبعده:

فلا ظَفِرَتْ يمينُك حينَ ترمي، وشَلَّتْ منك حاملةُ ٱلبنانِ:»

(5) يقصد امرأ القيس.

(6) «كدأبك» أي: كعادتك. وروى أبو عبيدة «كدينك». والدين ها هنا الدَّأب والعادة. والكاف متعلقة بقوله: «قفا نبك» كأنه قال: قفا نبك، كعادتك في البكاء...

و«مأسل»: موضع.

و«أمُّ الحويرث» هي: هرُّ أمّ الحارث بن حصن بن ضمضمٍ الكلبي. و«أم الرباب» من كلب أيضاً. =

إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ ٱلمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا ٱلقُرُنْفُلِ[1]

وقولَهُ:

[الطويل]

كَعَاطِفَتَيْنِ مِنْ نِعَاجِ تَبَالَةٍ عَلَى جُؤْذَرَيْنِ، أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ[2]

إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ ٱلمِسْكُ مِنْهُمَا وَأَصْوِرَةٍ[3] مِنَ ٱللَّطِيمَةِ[4] وَٱلقُطُرْ[5]

= يقول: «لقيت من وقوفك على هذه الديار، وتذكّرك أهلَها، كما لقيت من أمّ الحويرث وجارتها». وانظر: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣.
ورد البيت في: خزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٥٣٨، شرح القصائد السبع لابن الأنباري: ٢٧، إعراب القرآن، للنحاس ١/ ٣٥٩، شرح المعلقات السبع، للزوزني ـ طبعة دار صادر، صفحة: ١٠.

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٥٥٦ مادة «قرنفل».
«القَرَنْفُل والقَرَنْفُول: شجر هندي ليس من نبات أرض العرب، وذكره امرؤ القيس في شِعره، فقال:
نَسِيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ»
وقد أورد لسان العرب عجز البيت في: مادة «روي» ١٤/ ٣٥٠.
«ويقال للمرأة: إنها لطيبة الرَّيا إذا كانت عطِرة الجِرْم.
وريّا كل شيء: طيب رائحته؛ ومنه قوله:
نَسِيمَ ٱلصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا ٱلقُرُنْفُلِ»
«المسك» يذكر ويؤنّث، وكذلك العنبر. وقيل: من أنَّث إنما ذهب به إلى معنى الريح. ومن أنَّث فروايته «تضوَّعُ المسكُ منهما» يريد: تتضوّعُ؛ فحذف إحدى التاءين.
ومعنى «تضوَّع» أي: فاح متفرّقاً. . «وريّا القَرَنْفُل» رائحته ولا تكون الرَّيّا إلّا ريحاً طيّبة.
ويروى: «إذا التفتت نحوي تضوَّع ريحُها . . .» وانظر: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣١.
ورد البيت في: مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٦١٧، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٠.

(٢) ورد عجز البيت في: لسان العرب ٥/ ٣٦٦ مادة «هكر».
«وهَكرٌ وهَكِرٌ: موضع؛ قال امرؤ القيس:
لَدَى جُؤْذَرَيـنِ أو كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ
قال الأزهري: هكر موضع أو دير، قال: أراه روميًا، وأنشد بيت امرئ القيس.
وتبالة: موضع ببلاد اليمن. انظر: معجم البلدان ٢/ ٩. وهكر: موضع على بعد أربعين ميلًا من المدينة. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٠٩.

(٣) الأصورة: مفرده صوار: وهي نافجة المسك.

(٤) اللطيمة: قطعة المسك.

(٥) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس برواية ثانية في عجزه:
«إذا قامتا تَضَوَّعَ ٱلمِسْكُ منهما نَسيمَ ٱلصَّبا جَاءَتْ بريح مِنَ القُطُرْ
القُطُر: عود من البخور. ونصب نسيم بفعل محذوف تقديره تحكي نسيم الصبا.

وَأَيْنَ صاحِبَتَاهُ مِنكُمَا لا كَرَامَةَ لَهُمَا وَلَا نِعْمَةَ عَيْنٍ؟ لَجلْسَةٌ مَعَكُمَا بِمِقْدَارِ دَقِيقَةٍ مِنْ دَقَائِقِ سَاعَاتِ ٱلدُّنْيَا، خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي آكِلِ ٱلمِرارِ وَبَنِي نَصْرٍ بِٱلحِيرةِ وَآلِ جَفْنَةَ مُلُوكِ ٱلشَّامِ.

وَيُقْبِلُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنهُمَا يَتَرَشَّفُ رُضَابَهَا ويَقُولُ: إِنَّ ٱمرأَ ٱلقيسِ لَمِسْكِينٌ مِسْكِينٌ! تَحْتَرِقُ عِظَامُهُ فِي ٱلسَّعِيرِ، وَأَنَا أَتَمَثَّلُ بِقَوْلِهِ:

[المتقارب]

كَـأَنَّ ٱلـمُـدَامَ وَصَـوْبَ ٱلـغَـمَـامِ ... وَرِيـحَ ٱلـخُـزَامَـى وَنَـشْـرَ ٱلـقُـطُـرْ[١]

يُـعَـلُّ بِـهِ بَـرْدُ أَنْـيَـابِـهَـا، ... إذا غَـرَّدَ ٱلـطَّـائِرُ ٱلـمُـسْـتَـحِـرْ[٢]

وقوله:

[الكامل]

أَيَّـامَ فُـوهَـا كُـلَّمَـا نَـبَّـهْـتُـهَـا ... كَـٱلمِسْكِ بَاتَ وَظَلَّ فِي ٱلـفِدَّامِ[٣]

أُنُـفٌ كَـلَونِ دَمِ ٱلـغَـزَالِ مُـعَـتَّـقٌ ... مِـنْ خَمْـرِ عَـانَـةَ[٤] أو كُـرُومِ شِـبَـامِ[٥]

فتَسْتَغْرِبُ إِحْدَاهُمَا ضَحِكاً. فَيَقُولُ: مِمَّ تَضْحَكِينَ؟ فَتَقُولُ: فَرَحاً بِتَفَضُّلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ نَعِيماً، وَكَانَ بِٱلمَغْفِرَةِ زَعِيماً، أَتَدْرِي مَنْ أَنَا يا عَلِيَّ بْنَ مَنْصُورٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتِ مِنْ حُورِ ٱلجِنَانِ ٱللَّواتِي خَلَقَكُنَّ ٱللَّهُ جَزاءً لِلْمُتَّقِينَ، وَقَالَ فِيكُنَّ: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] فتَقُولُ: أَنَا كَذٰلِكَ بِإِنْعَامِ ٱللَّهِ ٱلعَظِيمِ، عَلَى أَنِّي كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ أُعْرَفُ بِحَمْدُونَةَ، وَأَسْكُنُ فِي بَابِ ٱلعِرَاقِ بِحَلَبَ وَأَبِي صَاحِبُ رَحًى،

---

(١) و (٢) ورد البيتان في لسان العرب ١٠٨/٥ مادة «قطر».
«والقُطْر والقُطُر، مثل عُسْر وعُسُر: العود الذي يتبخَّر به، وقد قطر ثوبه وتقطَّرتِ المرأة: قال امرؤ القيس:

كَـأَنَّ ٱلـمُـدامَ وَصَـوْبَ ٱلـغَـمَـامِ ... وَرِيـحَ ٱلـخُـزامـى وَنَـشْـرَ ٱلـقُـطُـرْ

يُـعَـلُّ بِـهِ بَـرْدُ أَنْـيَـابِـهَـا ... إذا طَـرَّبَ ٱلـطَّـائِرُ ٱلـمُـسْـتَـحِـرْ

شَبَّه ماء فيها في طيبه عند السحر بالمُدام وهي الخمرة، وصَوْب الغمام الذي يُمزج به الخمر، وريح الخُزامى: وهو خيريُّ البرّ ونشر القُطُر: وهو رائحة العود. والطائر المستحرّ: هو المصوّت عند السحر. وانظر: ديوان امرئ القيس، صفحة: ١١٠.

(٣) الفِدَّام: المصفاة.

(٤) «وعانة: قرية من قرى الجزيرة، وفي الصحاح، قرية على الفرات.. والعانية: الخمر، منسوبة إليها...» انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٠٠ مادة «عون».

(٥) «وشبام: حيّ من اليمن. وشبام: حيٌّ من هَمْدان. وفي الصحاح: الشبام حيٌّ من العرب. وشِبام: اسم جبل. انظر: لسان العرب ١٢/ ٣١٧ مادة «شبم».

وَتزوَّجَنِي رَجلٌ يَبيعُ ٱلسَّقَطَ[١] فطَلَّقَنِي لِرائحَةٍ كَرِهَهَا مِنْ فيَّ، وكُنْتُ مِنْ أَقْبَحِ نِسَاءِ حَلَبَ، فَلَمَّا عَرَفْتُ ذٰلِكِ زَهِدتُ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلغَرَّارَةِ، وتوَفَّرْتُ عَلى ٱلعِبَادَةِ، وَأَكَلْتُ مِنْ مِغْزَلِي ومِرْدَني[٢]، فَصَيَّرَني ذٰلِكَ إلى مَا تَرَى.

وَتَقُولُ ٱلأُخْرَى: أَتَدْرِي مَنْ أنَا يا عَليَّ بْنَ مَنْصُورٍ؟ أَنَا توفيقُ ٱلسَّوداءُ ٱلَّتِي كَانَتْ تَخْدِمُ فِي دَارِ ٱلعِلْمِ بِبَغْدَادَ عَلى زَمَانِ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلخَازِنِ وَكُنْتُ أُخْرِجُ ٱلكُتُبَ إِلَى ٱلنُّسَّاخِ.

فَيَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، لَقَدْ كُنْتِ سَوْدَاءَ فصِرْتِ أَنصعَ مِنَ ٱلكَافُورِ، وَإِنْ شِئْتَ القَافُورِ. فَتَقُولُ: أَتعْجَبُ مِنْ هٰذَا، وَٱلشَّاعِرُ يَقُولُ لِبَعْضِ ٱلمَخْلُوقِينَ؟

[البسيط]

لَوْ أَنَّ مِنْ نُورِهِ مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ فِي ٱلسُّودِ كُلِّهِمُ، لَٱبْيَضَّتِ ٱلسُّودُ

ويَمُرُّ مَلَكٌ مِنَ ٱلمَلائِكَةِ، فَيَقُولُ: يا عَبْدَ ٱللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلحُورِ ٱلعِينِ، أَلَيْسَ فِي ٱلكِتَابِ ٱلكَرِيمِ؟ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦]. فَيَقُولُ ٱلمَلَكُ: هُنَّ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ خَلَقَهُ ٱللَّهُ في ٱلجَنَّةِ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا، وضَرْبٌ نَقَلَهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ لِمَا عَمِلَ ٱلأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ. فَيَقُولُ، وَقَدْ هَكَرَ مِمَّا سَمِعَ، أَيُّ عَجَبٍ: فَأَيْنَ ٱللَّوَاتِي لَمْ يَكُنَّ فِي ٱلدَّارِ ٱلفَانِيَةِ؟ وَكَيفَ يتَمَيَّزْنَ مِنْ غَيْرِهِنَّ؟ فَيَقُولُ ٱلمَلَكُ: أُقْفُ أَثَرِي لِتَرَى ٱلبَدِيءَ[٣] مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ.

فَيَتْبَعُهُ، فَيَجِيءُ بِهِ إِلَى حَدَائِقَ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهَا إِلَّا ٱللَّهُ، فَيَقُولُ ٱلمَلَكُ: خُذْ ثَمْرَةً مِنْ هٰذا ٱلثَّمَرِ فَٱكْسِرْهَا فَإِنَّ هٰذَا ٱلشَّجَرَ يُعْرَفُ بِشَجَرِ ٱلحُورِ.

فيأْخُذُ سفرجلَةً، أَوْ رُمَّانَةً، أو تُفَّاحَةً، أَوْ ما شاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلثِّمَارِ، فيكسِرُهَا فَتَخْرُجُ مِنْهَا جارِيةٌ حَوْرَاءُ[٤] عَيْنَاءُ[٥] تَبرقُ[٦] لِحُسْنِهَا حُورِيَّاتُ ٱلجِنَانِ، فَتَقُولُ: مَنْ أَنْتَ يا عَبْدَ ٱللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانُ ٱبْنُ فُلانٍ. فَتَقُولُ: إِنِّي أُمَنَّى بِلِقَائِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱللَّهُ ٱلدُّنْيَا بِأَرْبَعَةِ آلافِ سَنَةٍ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَسْجُدُ إِعْظَاماً لِلَّهِ ٱلقَدِيرِ وَيَقُولُ: هٰذا كَمَا جَاءَ

---

(١) سقط المتاع: المتاع الذي بلا قيمة.

(٢) المِردني: ضرب من العمل اليدوي.

(٣) البديء: الجميل.

(٤) الحوراء: الأنثى التي اشتدّ بياض بياض عينها وسواد سوادها.

(٥) العيناء: جميلة العينين.

(٦) تبرق: تذهل.

فِي ٱلحَدِيثِ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي ٱلمُؤْمِنِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، بَلْهَ ما أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ. وَبَلْهَ فِي مَعْنَى: دَعْ وكُفَّ.

وَيَخْطُرُ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، أَنْ تِلْكَ ٱلجَارِيَةَ، عَلَى حُسْنِهَا، ضَاوِيَةٌ[١]، فَيَرفَعُ رَأْسَهُ مِنَ ٱلسُّجُودِ وَقَدْ صَارَ مِنْ وَرَائِهَا رِدْفٌ يُضَاهِي كُثْبَانَ عَالِجٍ[٢]، وَأَنْقَاءَ ٱلدَّهْنَاءِ[٣]، وَأَرْمَلَةَ يَبْرِينَ[٤] وَبَنِي سَعْدٍ، فَيَهَالُ مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ ٱللَّطِيفِ ٱلخَبِيرِ وَيَقُولُ: رَازِقَ ٱلمُشْرِقَةِ سَنَاهَا، وَمُبلِغُ ٱلسائِلَةِ مُنَاهَا، وَٱلَّذِي فَعَلَ ما أَعْجَزَ وَهَالَ، وَدَعَا إِلَى ٱلحِلْمِ ٱلجُهَّالَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُقَصِّرَ بُوصَ[٥] هٰذِهِ ٱلحُورِيَّةِ عَلَى مِيلٍ فِي مِيلٍ، فَقَدْ جَازَ بِهَا قَدرُكَ حَدَّ ٱلتَّأْمِيلِ. فَيُقَالُ لَهُ: أَنْتَ مُخَيَّرٌ فِي تَكْوِينِ هٰذِهِ ٱلجَارِيَةِ كَمَا تَشَاءُ. فَيَقْتَصِرُ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى ٱلإِرَادَةِ.

أَهْلُ ٱلنَّارِ

وَيَبْدُو لَهُ أَنْ يَطَّلِعَ إِلَى أَهْلِ ٱلنَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ لِيَعظُمَ شُكْرُهُ عَلَى ٱلنِّعَمِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥١ ـ ٥٧].

فَيَرْكَبُ بَعْضَ دوابِّ ٱلجَنَّةِ وَيَسِيرُ، فَإِذَا هُوَ بِمَدَائِنَ لَيْسَتْ كَمَدَائِنِ ٱلجَنَّةِ، وَلَا عَلَيْهَا ٱلنُّورُ ٱلشَّعْشَعَانِيُّ، وَهِيَ ذَاتُ أَدْحَالٍ[٦] وَغَمَالِيلَ[٧]. فَيَقُولُ لِبَعْضِ ٱلمَلَائِكَةِ: ما هٰذِهِ يا عَبْدَ ٱللَّهِ؟ فَيَقُولُ: هٰذِهِ جَنَّةُ ٱلعَفَارِيتِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ، ﷺ، وَذُكِرُوا فِي ٱلأَحْقَافِ، وَفِي سُورَةِ ٱلجِنِّ، وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ. فَيَقُولُ: لَأَعْدِلَنَّ إِلَى هٰؤُلَاءِ فَلَنْ أَخْلُوَ لَدَيْهِمْ مِنْ أُعْجُوبَةٍ. فَيُعَرِّجُ عَلَيْهِم، فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ جَالِسٍ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيُحْسِنُ ٱلرَّدَّ وَيَقُولُ: ما جَاءَ بِكَ يا إِنْسِيُّ؟ إِنَّكَ بِخَيْرٍ لَعَسِيٌّ[٨]، مَا لَكَ مِنَ ٱلقَوْمِ سِيٌّ[٩]!

---

(١) ضاوية: نحيلة الجسم.

(٢) عالج: رملة البادية على طريق مكة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٧٠.

(٣) الدهناء: سبعة أجبل من الرمل على طريق مكة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٣.

(٤) يبرين: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقال السكري يبرين بأعلى بلاد بني سعد. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٢٧.

(٥) البوص: البعد.

(٦) الأدحال: مفرده دحل: وهو نقب ضاق فمه ثم اتسع أسفله حتى يمشى فيه.

(٧) الغماليل: الروابي.

(٨) العسيُّ: المستحق.

(٩) سيّ: شبيه، مثيل.

فَيَقُولُ: سَمِعْتُ أَنَّكُم جِنٌّ مُؤْمِنُونَ فجِئْتُ أَلْتَمِسُ عِنْدَكُمْ أَخْبَارَ ٱلْجِنَانِ، وما لَعَلَّهُ لَدَيْكُمْ مِنْ أَشْعَارِ ٱلْمَرَدَةِ.

فَيَقُولُ ذَٰلِكَ ٱلشَّيْخُ: لَقَدْ أَصَبْتَ ٱلعَالَمَ بِبَجْدَةِ[١] ٱلأَمْرِ، وَمَنْ هُوَ مِنْهُ كَٱلْقَمَرِ مِنَ ٱلهالَةِ[٢] لا كَٱلحَاقِنِ مِنَ ٱلإِهَالَةِ[٣]، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ.

فَيَقُولُ: ما ٱسْمُكَ أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ؟ فَيَقُولُ: أَنَا ٱلخَيْشَعُورُ أَحَدُ بَنِي ٱلشَّيْصَبَانِ، وَلَسْنَا مِنْ وَلَدِ إِبليسَ وَلَكِنَّا مِنَ ٱلجِنِّ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ ٱلأَرْضَ قَبْلَ ولدِ آدمَ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ.

مِنْ أَشْعَارِ ٱلجِنِّ

فَيَقُولُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَشعارِ ٱلجِنِّ، فَقَدْ جَمَعَ عَنْهَا ٱلمَعْرُوفُ بِٱلمُرْزُبَانِيِّ[٤] قِطْعَةً صَالِحَةً. فَيَقُولُ ذَٰلِكَ ٱلشَّيْخُ: إِنَّمَا ذَٰلِكَ هَذَيَانٌ لَا مُعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَهَلْ يَعْرِفُ ٱلبَشَرُ مِنَ ٱلنَّظْمِ إِلَّا كَمَا تَعْرِفُ ٱلبَقَرُ مِنْ عِلْمِ ٱلهَيْئَةِ وَمِسَاحةِ ٱلأَرْضِ؟ وَإِنَّمَا لَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ جِنْساً مِنَ ٱلمَوْزُونِ قَلَّ ما يَعدُوها ٱلقَائِلُونَ، وَإِنَّ لَنَا لَآلافَ أَوْزَانٍ ما سَمِعَ بِهَا ٱلإِنسُ، وَإِنَّمَا كانَتْ تَخْطُرُ بِهِمْ أُطَيْفَالٌ مِنَّا عَارِمُونَ[٥]، فَتَنْفُثُ إِلَيْهِمْ مِقْدَارَ ٱلضُّوازَةِ[٦] مِنْ أَراكِ نُعْمَانَ. وَلَقَدْ نَظَمْتُ ٱلرَّجَزَ وَٱلقَصِيدَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱللَّهُ آدَمَ بِكُورٍ[٧] أَوْ كُورَيْنِ. وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلإِنْسِ تَلْهَجُونَ بِقَصِيدةِ ٱمرئِ ٱلقَيْسِ:

[الطويل]

«قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ»

وَتُحَفِّظُونَهَا ٱلحَزَاوِرَةَ[٨] فِي ٱلمَكَاتِبِ، وَإِنْ شِئْتَ أَمْلَيْتُكَ أَلْفَ كَلِمَةٍ عَلَى هٰذَا ٱلوَزْنِ عَلَى مِثْلِ: مَنْزِلِ وَحَوْمَلِ، وَأَلِفاً عَلَى ذَٰلِكَ ٱلقَرْيِ يَجِيءُ عَلَى: مَنْزِلٍ وَحَوْمَلٍ، وَأَلِفاً عَلَى: مَنْزِلَا وَحَوْمِلَا، وَأَلفاً عَلَى: منزِلِهِ وَحَوْمَلِهِ، وَأَلِفاً عَلَى: مَنْزِلُهُ وَحوملُهُ،

---

(١) بجدة الأمر: حقيقته.
(٢) الهالة: دارة القمر.
(٣) الإهالة: الشحم والزيت.
(٤) هو: المرزباني.
(٥) عارمون: أشرون بطرون.
(٦) الضوازة: النفاثة من المسواك، وقيل: هو ما بقي بين الأسنان فنفث.
(٧) كور: دهر من الدهور.
(٨) الحزاورة، مفرده حزوّر: وهو الشاب المدرك.

وَأَلِفاً عَلَى: مَنزِلِهِ وحوملِهِ. وكُلُّ ذَٰلِكَ لِشاعِرٍ مِنَّا هَلَكَ وهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ الآنَ يَشْتَعِلُ فِي أَطباقِ ٱلجَحِيم. فَيَقُولُ: لَسْنَا مِثْلَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ يَغْلُبُ عَلَيْنَا ٱلنِّسْيَانُ وَٱلرُّطُوبَةُ، لِأَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ[١]، وخُلِقْنَا مِنْ مَارِجٍ[٢] مِنْ نَارٍ، فتحمِلُهُ ٱلرَّغْبَةُ فِي ٱلأَدَبِ أَنْ يَقُولَ لذٰلِكَ ٱلشَّيخ: أَفتُمِلُّ عَلَيَّ شَيْئاً مِنَ ٱلأَشْعَارِ؟ فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ: فَإِذَا شِئْتَ أَمْلَلْتُكَ مَا لا تَسْقِهِ ٱلرِّكَابُ، وَلَا تَسعُهُ صُحُفُ دُنْيَاكَ.

الشَّقَاءُ بِٱلأَدَبِ

فيهمُّ ٱلشَّيخُ، لا زَالَتْ هِمَّتُهُ عَالِيَةً، بِأَنْ يَكْتَتِبَ مِنهُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ شَقِيتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ بِجَمْعِ ٱلأَدَبِ، وَلَمْ أَحظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ، وَإِنَّمَا كُنتُ أَتقرَّبُ بِهِ إِلَى ٱلرُّؤَسَاءِ، فَأَحْتَلِبُ مِنْهُمْ دَرَّ بَكِيءٍ[٣] وَأَجْهَدُ أَخْلَافَ مُصَوِّرٍ، وَلَسْتُ بِمُوَفَّقٍ أَنْ تَرَكْتُ لَذَّاتِ ٱلجَنَّةِ وَأَقْبَلْتُ أَنْتَسِخُ آدابَ ٱلجِنِّ، وَمَعِي مِنَ ٱلأَدَبِ ما هُوَ كَافٍ، لا سِيَّما وَقَدْ شَاعَ ٱلنِّسْيَانُ فِي أَهْلِ أَدَبِ ٱلجَنَّةِ، فَصِرْتُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ رِوَايَةً وَأَوْسَعِهِمْ حِفظاً، ولِلَّهِ ٱلحَمْدُ.

وَيَقُولُ لِذٰلِكَ ٱلشَّيْخِ: ما كُنيَتُكَ لِأُكْرِمَكَ بِٱلتَّكْنِيَةِ؟ فَيَقُولُ: أَبُو هَدْرَش، أَوْلَدْتُ مِنَ الأَوْلادِ مَا شَاءَ ٱللَّهُ، فَهُمْ قَبَائِلُ: بَعْضُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ٱلمُوقَدَةِ، وَبَعْضُهُمْ فِي ٱلجِنَانِ.

فَيَقُولُ: يا أَبَا هَدْرَش، مَا لِي أَرَاكَ أَشْيَبَ وَأَهْلُ ٱلجَنَّةِ شَبَابٌ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ ٱلإِنسَ أُكْرِمُوا بِذٰلِكَ وحُرِمْنَاهُ، لِأَنَّا أُعْطِينَا ٱلحَوْلَةَ[٤] فِي ٱلدَّارِ ٱلماضِيَةِ، فَكَانَ أَحَدُنَا إِنْ شَاءَ صَارَ حَيَّةً رَقْشَاءَ، وَإِنْ شَاءَ صَارَ عُصْفُوراً، وَإِنْ شَاءَ صَارَ حَمَامَةً، فَمُنِعْنَا ٱلتَّصَوُّرَ في ٱلدَّارِ ٱلآخِرَةِ، وَتُرِكْنَا عَلَى خَلْقِنَا لا نَتَغَيَّرُ، وَعُوِّضَ بَنُو آدَمَ كونَهُمْ فِيمَا حَسُنَ مِنَ ٱلصُّوَرِ. وَكَانَ قَائِلُ ٱلإِنسِ يَقُولُ فِي ٱلدَّارِ ٱلذَّاهِبَةِ: أُعْطِينَا ٱلحَيْلَةَ، وَأُعْطِيَ ٱلجِنُّ ٱلحَوْلَةَ.

وَلَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي آدَمَ شَرًا، وَلَقُوا مِنِّي كَذٰلِكَ.

مِنْ جرْذٍ . . إِلى صَلٍّ . . إِلى رِيحٍ

دَخَلْتُ مَرَّةً دَارَ أُنَاسٍ أُرِيدُ أَنْ أَصْرَعَ فَتَاةً لَهُمْ، فَتَصَوَّرْتُ فِي صُورةِ عَضلٍ، أَيْ

(١) حمأ مسنون: طين أسود منتن.
(٢) المارج: الشعلة ذات اللهب الشديد المختلط بسواد النار.
(٣) البَكِي من النياق: التي تبخل بلبنها.
(٤) الحولة: التشكّل والتبدّل.

جِرْذٍ، دَعَوْا لي ٱلضَّياوِنَ[١] فَلَمَّا أَرْهَقَتْنِي تَحَوَّلْتُ صِلاً أَرْقَمَ[٢] وَدَخَلْتُ فِي قَطِيلٍ[٣] هُنَاكَ، فَلَمَّا عَلِمُوا ذٰلِكَ كَشَفُوهُ عَنِّي؛ فَلَمَّا خِفْتُ ٱلْقَتْلَ صِرْتُ رِيحاً هَفَّافَةً فَلحِقْتُ بِٱلرَّوَافِدِ وَنَقَضُوا تِلْكَ ٱلْخُشُبَ وَٱلأَجْذَالَ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً. فَجَعَلُوا يَتَفَكَّنُونَ وَيَقُولُونَ: لَيْسَ هٰهُنَا مَكَانٌ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَتِرَ فِيهِ. فَبَيْنَا هُمْ يَتَذَاكَرُونَ ذٰلِكَ عَمَدْتُ لِكَعَابِهِمْ[٤] فِي ٱلْكِلَّةِ[٥]، فَلَمَّا رَأَتْنِي أَصَابَهَا ٱلصَّرَعُ، وَٱجْتَمَعَ أَهْلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَجَمَعُوا لَهَا ٱلرُّقَاةَ، وجَاءُوا بِٱلأَطِبَّةِ وَبَذَلُوا ٱلْمُنْفِسَاتِ، فَمَا تَرَكَ رَاقٍ رُقْيَةً إِلَّا عَرَضَهَا عَلَيَّ وَأَنَا لا أُجِيبُ؛ وَغَبَرَتِ ٱلأُسَاةُ تَسْقِيهَا ٱلأَشْفِيَةَ وَأَنَا سَدِكٌ[٦] بِهَا لَا أَزولُ؛ فَلَمَّا أَصَابَهَا ٱلْحِمَامُ[٧] طَلَبْتُ لِي سِوَاهَا صَاحِبَةً، ثُمَّ كَذٰلِكَ حَتَّى رَزَقَ ٱللَّهُ ٱلإِنَابَةَ وَأَثَابَ ٱلْجَزِيلَ، فَلَا أَفْتَأُ لَهُ مِنَ ٱلْحَامِدِينَ:

[البسيط]

حَمِدْتُ مَنْ حَطَّ أَوْزَارِي[٨] وَمَزَّقَهَا ... عَنِّي، فَأَصْبَحَ ذَنْبِي ٱلآنَ مَغْفُورَا

وَكُنْتُ آلَفُ مِنْ أَتْرَابِ قُرْطُبَةٍ[٩] ... خُوداً[١٠]، وَبِٱلصِّينِ أُخْرَى بِنْتَ يَغْبُورَا

أَزُورُ تِلْكَ وَهٰذِي، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... فِي لَيْلَةٍ، قَبْلَ أَنْ أَسْتَوْضِحَ ٱلنُّورَا

وَلَا أَمُرُّ بِوَحْشِيٍّ وَلَا بَشَرٍ، ... إِلَّا وَغَادَرْتُهُ وَلْهَانَ[١١] مَذْعُورَا

أَرُوعُ ٱلزِّنْجَ إِلْمَاماً[١٢] بِنِسْوَتِهَا ... وَٱلرُّومَ وَٱلتُّرْكَ وَٱلسِّقْلَابَ وَٱلْغُورَا

وَأَرْكَبُ ٱلْهَيْقَ[١٣] فِي ٱلظَّلْمَاءِ مُعْتَسِفاً ... أَوْ لا، فَذَبَّ رِيادٍ بَاتَ مَقْرُورَا[١٤]

---

(١) الضياون، مفرده ضيون: وهو السنور، القط.
(٢) الصل: ضرب من الثعابين الخبيثة.
(٣) القطيل: ما قطع من أُصول الشجر.
(٤) الكعاب، مفرده كاعب: الناهد من الفتيات.
(٥) الكلّة: الستر الرقيق.
(٦) السدك: الذي يلزم الشيء، ولا يفارقه لولعه به.
(٧) الحمام، بكسر الحاء: الموت.
(٨) أوزاري: آثامي.
(٩) القُرطُبُ والقُرطُوبُ: الذكر من السَّعالي؛ وقيل: هم صِغار الجِنّ. انظر: لسان العرب ١/ ٦٧٠ مادة «قرطب».
(١٠) الخُود، بضمّ الخاء، واحدها خَوْد بفتح الخاء: النساء في مقتبل العمر.
(١١) ولهان: حيران من الرعب.
(١٢) إلماماً: سريعاً.
(١٣) الهيق: الظليم؛ ذكر النعام.
(١٤) المقرور: المرتجف من شدّة البرد.

وَأَحْضَرُ ٱلشَّرْبَ[١] أَعْرُوهُمْ بِآبِدَةٍ[٢] يَزْجُونَ[٣] عُوداً وَمِزْمَاراً وَطُنْبُورَا
فَلَا أُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ فِعْلٌ، يَظَلُّ بِهِ إِبْلِيسُ مَسْرُورَا
وَأَصْرِفُ ٱلعَدْلَ خَتْلاً[٤] عَنْ أَمَانَتِهِ حَتَّى يَخُونَ، وَحَتَّى يَشْهَدَ ٱلزُّورَا
وَكَمْ صَرَعْتُ عَوَاناً[٥] فِي لَظَى لَهَبٍ قَامَتْ تُمَارِسُ لِلأَطْفَالِ مَسْجُورَا[٦]
وَذَادَنِي[٧] المَرْءُ نُوحٌ[٨] عَنْ سَفِينَتِهِ، ضَرْباً إِلَى أَنْ غَدَا الظُّنْبُوبُ[٩] مَكْسُورَا
وَطِرْتُ فِي زَمَنِ ٱلطُّوفَانِ مُعْتَلِياً فِي ٱلجَوِّ حَتَّى رَأَيْتُ ٱلمَاءَ مَحْسُورَا
وَقَدْ عَرَضْتُ لِمُوسَى فِي تَفَرُّدِهِ بِٱلشَّاءِ يُنْتِجُ عَمْرُوساً[١٠] وَفَرْفُورَا[١١]
لَمْ أُخْلِهِ مِنْ حَدِيثٍ مَا، وَوَسْوَسَةٍ إِذْ دَكَّ[١٢] رَبُّكَ فِي تَكْلِيمِهِ ٱلطُّورَا
أَضْلَلْتُ رَأْيَ أَبِي سَاسَانَ[١٣] عَنْ رَشَدٍ وَسِرْتُ مُسْتَخْفِياً فِي جَيْشِ سَابُورَا[١٤]
وَسَادَ بِهْرَامُ جُورٍ وَهْوَ لِي تَبَعٌ أَيَّامَ يَبْنِي عَلَى عِلَاتِهِ جُورَا
فَتَارَةً أَنَا صِلٌّ[١٥] فِي نَكَارَتِهِ[١٦]، وَرُبَّمَا أَبْصَرَتْنِي ٱلعَيْنُ عُصْفُورَا
تَلُوحُ لِي ٱلإِنْسُ عُوراً أَوْ ذَوِي حَوَلٍ وَلَمْ تَكُنْ قَطُّ، لَا حُولاً وَلَا عُورا
ثُمَّ ٱتَّعَظْتُ وَصَارَتْ تَوْبَتِي مَثَلاً مِنْ بَعْدِمَا عِشْتُ بِٱلعِصْيَانِ مَشْهُورَا

---

(١) الشَّرْب، بفتح الشين وسكون الراء: رفقة شرب الخمرة.
(٢) الآبدة: الحيوان المفترس.
(٣) يزجون: يرافقون معهم حيثما حلّوا.
(٤) ختلاً: خداعاً وإيهاماً.
(٥) عواناً: امرأة كهلة في منتصف العمر.
(٦) مسجوراً: مشتعلاً، ملتهباً.
(٧) ذادني: أبعدني.
(٨) نوح عليه السلام والد البشر الثاني.
(٩) الظُّنبوب: حرف الساق اليابِسُ من قُدُم، وقيل: هو ظاهر الساق. وقيل: هو عظمه. انظر: لسان العرب ١/ ٥٧٢ مادة «ظنب».
(١٠) العمروس: الخروف.
(١١) الفرفور: ولد النعجة.
(١٢) دكَّ: حطَّمه وسوّى به الأرض.
(١٣) ساسان: مؤسس الأسرة الساسانية الفارسية المالكة.
(١٤) سابور: أحد أكاسرة الفرس.
(١٥) الصل: نوع من أخبث الثعابين، يصدر صوتاً مزعجاً.
(١٦) نكارته: بشاعته المرعبة.

حَتَّى إِذَا ٱنْقَضَتِ ٱلدُّنْيَا وَنُودِيَ: إِسْـ ـرَافِيلُ وَيْحَكَ، هَلَّا تَنْفُخُ ٱلصُّورَا(١)
أَمَاتَنِي ٱللَّهُ شَيْئاً، ثُمَّ أَيْقَظَنِي لِمَبْعَثِي، فَرُزِقْتُ ٱلخُلْدَ مَبْرُورَا

أَلْسِنَة الجن

فَيَقُولُ: لِلَّهِ دَرُّكَ يا أَبا هَدْرَشَ! لَقَدْ كُنْتَ تُمَارِسُ أَوَابِدَ وَمُنْدِيَاتٍ(٢)، فَكَيْفَ أَلْسِنَتُكُمْ؟ أَيَكُونُ فِيكُمْ عَرَبٌ لا يَفْهَمُونَ عَنِ ٱلعَرَبِ، كَمَا نَجِدُ فِي أَجيالِ ٱلإِنْسِ؟ فَيَقُولُ: هَيْهَاتَ(٣) أَيُّهَا ٱلمَرْحُومُ! إِنَّا أَهْلُ ذَكاءٍ وَفِطَنٍ، وَلَا بُدَّ لِأَحَدِنَا أَنْ يَكُونَ عارِفاً بِجَمِيعِ ٱلأَلْسُنِ ٱلإِنْسِيَّةِ، وَلَنَا بَعْدَ ذٰلِكَ لِسانٌ لا يعرِفُهُ ٱلأَنِيسُ.

وَأَنَا ٱلَّذِي أَنْذَرْتُ ٱلجِنَّ بِٱلكِتَابِ ٱلمُنَزَّلِ: أَدْلَجْتُ(٤) في رفقةٍ مِنَ ٱلخَابِلِ(٥) نُرِيدُ ٱليَمَنَ، فَمَرَرْنَا بِيَثْرِبَ فِي زَمَانِ المَغْوِ، أَيْ ٱلرُّطَبِ، ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢] وَعُدْتُ إِلَى قَوْمِي فَذَكَرْتُ لَهُمْ ذٰلِكَ، فَتَسَرَّعَتْ مِنْهُمْ طَوَائِفُ إِلى ٱلإِيمانِ، وحَثَّهُمْ عَلَى مَا فَعلُوهُ أَنَّهُمْ رُجِمُوا عنِ ٱسْتِرَاقِ(٦) ٱلسَّمْعِ بِكواكِبَ مُحْرِقَاتٍ.

فَيَقُولُ: يا أَبا هَدْرَشَ، أَخْبِرْنِي، وَأَنْتَ ٱلخَبِيرُ، هَلْ كَانَ رَجْمُ ٱلنُّجُومِ فِي ٱلجاهِلِيَّةِ؟ فَإِنَّ بعضَ ٱلنَّاسِ يَقُولُ: إِنَّهُ حَدَثَ فِي ٱلإِسْلَامِ. فَيَقُولُ: هَيْهَاتَ! أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ ٱلأَوْدِيّ(٧):

[الرمل]

كَشِهَابِ ٱلقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ، فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ

---

(١) الصور: المزمار المعدّ ليوم النشور والبعث.

(٢) المنديات: المخجلات من الأعمال السّيئة.

(٣) هيهات: اسم فعل ماضٍ، بمعنى بَعُد.

(٤) أولجت: سرت ليلاً.

(٥) الخابل: المفسد، الشيطان.

(٦) استراق: سرقة الإنصات لما يحصل في الملأ الأعلى.

(٧) هو: صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج: شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره. انظر ترجمته في الشعر والشعراء: ٥٩، جمهرة الأنساب: ٣٨٦.

وقول ٱبن حَجَرٍ: [الكامل]

فَـٱنْـصَـاعَ[١] كَـٱلـدُّرِّيِّ يَـتْـبَـعُـهُ نَـقْـعٌ يَـثُـورُ، تَـخَـالُهُ طُـنُـبَـا[٢]

وَلٰكِنَّ ٱلرَّجْمَ زَادَ فِي أَوَانِ ٱلْمَبْعَثِ، وَإِنَّ ٱلتَّخَرُّصَ لَكَثِيرٌ فِي ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنِّ، وَإِنَّ ٱلصِّدْقَ لمُعْوِزٌ قَلِيلٌ، وَهَنِيئاً فِي ٱلْعَاقِبَةِ لِلصَّادِقِينَ.

مَـكَّـةُ أَقْـوَتْ[٣] مِـنْ بَـنِـي ٱلـدَّرْدَبِـيـسِ[٤] فَـمَـا لِجِـنِّـيٍّ بِـهَـا مِـنْ حَـسِـيْـسِـي[٥]

وَكُـسِّـرَتْ أَصْـنَـامُـهَـا عَـنْـوَةً، فَـكُـلُّ جِـبْـتٍ بِـنَـصِـيْـلٍ رَدِيْـسِ[٦]

وَقَـامَ فِـي ٱلـصَّـفْـوَةِ مِـنْ هَـاشِـمٍ أَزْهَـرُ لَا يُـغْـفِـلُ حَـقَّ ٱلـجَـلِـيْـسِ

يَـسْـمَـعُ مَـا أُنْـزِلَ مِـنْ رَبِّـهِ ٱلـقُـدُّوسِ وَخَـيـاً مِـثْـلَ قَـرْعِ ٱلـطَّـسِـيْـسِ[٧]

يَـجْـلِدُ فِـي ٱلـخَـمْـرِ، وَيَـشْـتَـدُّ فِـي ٱلأَمْـرِ، وَلَا يُـطْـلِقُ شُـرْبَ ٱلـكَـسِـيْـسِ[٨]

وَيَـرْجُـمُ ٱلـزَّانِـي ذَا ٱلـعِـرْسِ لَا يَـقْـبَـلُ فِـيْـهِ سُـؤْلَةَ مِـنْ رَئِـيْـسِ

وَكَـمْ عَـرُوسٍ بَـاتَ حُـرَّاسُـهَـا كَـجُـرْهُـمٍ فِـي عِـزِّهَـا أَوْ جَـدِيْـسِ[٩]

زُفَّـتْ إِلَى زَوْجٍ لَهَـا سَـيِّـدٍ مَا هُوَ بِـٱلنِّكْسِ[١٠] وَلَا بِـٱلضَّـبِـيْـسِ[١١]

غُـرْتُ عَـلَـيْـهَـا، فَـتَـخَـلَّـجْـتُـهَـا[١٢] بِـوَاشِـكِ ٱلـصَّـرْعَـةِ قَـبْـلَ ٱلـمَـسِـيْـسِ[١٣]

وَأَسْـلُكُ ٱلـغَـادَةَ[١٤] مَـحْـجُـوبَـةً فِـي ٱلـخِـدْرِ، أَوْ بَـيْـنَ جَـوَارٍ تَـمِـيْـسِ

لا أَنْـتَـهِـي عَـنْ غَـرَضِـي بِـٱلـرُّقَـى، إِذَا ٱنْـتَـهَـى ٱلـضَّـيْـغَـمُ[١٥] دُونَ ٱلـفَـرِيْـسِ[١٦]

---

(١) انصاع: أطاع وامتثل.
(٢) الطُّنُب: الفسطاط الكبير، الخيمة العظيمة.
(٣) أقوت: فرغت، خلت.
(٤) الشيخ المسن، يقصد بذلك الشياطين.
(٥) حسيس: وجود متحرّك فاعل.
(٦) الرديس: الصلب من الحجارة.
(٧) الطسيس، مفرده طسّ: وهو الطَّست، وعاء من معدن.
(٨) الكسيس: من أسماء الخمر.
(٩) جديس: من قبائل العرب البائدة.
(١٠) النكس: المرذول لسفالته.
(١١) الضبيس: الشرس الخُلُق.
(١٢) تخلجتها: تجاذبتها.
(١٣) المسيس: ممارسة الجنس مع زوجها.
(١٤) الغادة: الفتاة الجميلة في مقتبل العمر.
(١٥) الضيغم: الأسد.
(١٦) الفريس: الفريسة المقتولة.

وَأَدْلِجُ(١) ٱلظَّلْمَاءَ فِي فِتْيَةٍ … مُلجِّنٍ(٢) فَوْقَ ٱلْمَاحِلِ ٱلْعَرْبَسِيسِ(٣)

فِي طَاسِمٍ(٤) تَعْزِفُ جِنَّاتُهُ، … أَقْفَرَ إِلَّا مِنْ عَفَارِيتَ لِيْسِ(٥)

بِيضٍ، بَهَالِيلَ(٦)، ثِقَالٌ، يَعَا … لِيلُ(٧)، كِرَامٌ، يَنْطِقُونَ ٱلْهَسِيسِ(٨)

تَحْمِلُنَا فِي ٱلْجُنْحِ خَيْلٌ لَهَا … أَجْنِحَةٌ، لَيْسَتْ كَخَيْلِ ٱلْأَنِيسِ

وَأَيْنُقٌ تَسْبِقُ أَبْصَارَكُمْ … مَخْلُوقَةٌ بَيْنَ نِعَامٍ وَعِيسِ

تَقْطَعُ مِنْ عَلْوَةٍ فِي لَيْلِهَا … إِلَى قُرَى شَاسٍ(٩) بِسَيْرٍ هَمِيسِ(١٠)

لَا نُسُكَ فِي أَيَّامِنَا عِنْدَنَا … بَلْ نَكْسُ ٱلدِّيْنِ فَمَا إِنْ نَكِيسِ(١١)

فَالأَحَدُ ٱلْأَعْظَمُ، وَٱلسَّبْتُ كَٱلِا … ثْنَيْنِ، وَٱلْجُمُعَةُ مِثْلُ ٱلْخَمِيسِ

لَا مَجَسٌ نَحْنُ، وَلَا هُودٌ … وَلَا نَصَارَى يَبْتَغُونَ ٱلْكَنِيسِ

نُمَزِّقُ ٱلتَّوْرَاةَ مِنْ هَوْنِهَا، … وَنُحَطِّمُ ٱلصُّلْبَانَ حَطْمَ ٱلْيَبِيسِ

نُحَارِبُ ٱللَّهَ جُنُوداً لِإِبْـ … ـلِيسَ أَخِي ٱلرَّأْيِ ٱلْغَبِيْنِ ٱلنَّجِيسِ

نُسَلِّمُ ٱلْحُكْمَ إِلَيْهِ إِذَا … قَاسَ، فَنَرْضَى بِٱلضَّلَالِ ٱلْمَقِيسِ

نُزَيِّنُ لِلشَّارِخِ(١٢) وَٱلشَّيْخِ أَنْ … يُفْرِغَ كِيساً فِي ٱلْخَنَا(١٣) بَعْدَ كِيسِ

وَنَقْتَرِي جِنَّ سُلَيْمَانَ كَيْ … نُطْلِقَ مِنْهَا كُلَّ غَاوٍ حَبِيسِ

صُيِّرَ فِي قَارُورَةٍ رُصِّصَتْ … فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُ غَيْرَ ٱلنَّسِيسِ(١٤)

وَتُخْرِجُ ٱلْحَسْنَاءَ مَطْرُودَةً … مِنْ بَيْتِهَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ حَدِيسِ(١٥)

---

(١) أدلج: أمشي في الليل.

(٢) ملج: تناول الثدي بأدنى فمه.

(٣) العربسيس: متن مستوٍ من الأرض.

(٤) الطاسم: المظلم.

(٥) الليس: المقيمة باستمرار.

(٦) بهاليل، مفرده بهلول: سادة.

(٧) يعاليل: حباب الماء.

(٨) الهسيس: الكلام الغامض المبهم.

(٩) شاس: طريق بين المدينة وخيبر. انظر: معجم البلدان: ٣/٣٠٨.

(١٠) سير هميس: سير لا تسمع خطواته.

(١١) نكيس: تبدل الحال إلى الأسوأ.

(١٢) الشارخ: الشاب في عنفوان شبابه.

(١٣) الخنا: البغاء.

(١٤) النسيس: النفس.

(١٥) حديس: مشكوك بصحته.

نَقُولُ: لَا تَقْنَعْ بِتَطْلِيقَةِ ... وَٱقْبَلْ نَصِيحاً لَمْ يَكُنْ بِٱلدَّسِيسِ[1]

حَتَّى إِذَا صَارَتْ إِلَى غَيْرِهِ ... عَادَ مِنَ ٱلْوَجْدِ[2] بِجَدٍّ[3] تَعِيسِ

تُذَكِّرُهُ مِنْهَا، وَقَدْ زُوِّجَتْ، ... ثَغْراً كَدُرٍّ فِي مُدَامٍ[4] غَرِيسِ

وَنَخْدَعُ ٱلْقِسِّيسَ فِي فِصْحِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا مُلِئَ بِٱلْأَنْقَلِيسِ

أَصْبَحَ مُشْتَاقاً إِلَى لَذَّةٍ ... مُعَلَّلاً بِٱلصِّرْفِ[5] أَوْ بِٱلْخَفِيسِ[6]

أَقْسَمَ لَا يَشْرَبُ إِلَّا دُوَيْـ ... ـنَ ٱلسُّكْرِ، وَٱلْبَزْلِ تَالِي ٱلسَّدِيسِ

قُلْنَا لَهُ: ٱزْدَدْ قَدَحاً وَاحِداً ... مَا أَنْتَ إِنْ تَزْدَادُهُ بِٱلْوَكِيسِ[7]

يَحْمِيكَ فِي هٰذَا ٱلشُّفَيْفِ ٱلَّذِي ... يُطْفِئُ بِٱلْقُرِّ ٱلْتِهَابَ ٱلْحَمِيسِ[8]

فَعَبَّ فِيهَا، فَوَهَى[9] لُبُّهُ ... وَعُدَّ مِنْ آلِ ٱللَّعِينِ ٱلرَّجِيسِ

حَتَّى يَفِيضَ ٱلْفَمُ مِنْهُ عَلَى ... نُمْرُقَتَيْهِ بِٱلشَّرَابِ ٱلْقَلِيسِ[10]

وَنُسْخِطُ ٱلْمَلِكَ عَلَى ٱلْمُشْفِقِ ٱلْمُـ ... ـفْرِطِ فِي ٱلنُّصْحِ إِذَا ٱلْمَلْكُ سِيسِ

وَأُعْجِلُ ٱلسَّعْلَاةَ[11] عَنْ قُوَّتِهَا ... فِي يَدِهَا كَشْحُ مَهَاةٍ نَهِيسِ[12]

لَا أَتَّقِي ٱلْبَرَّ لِأَهْوَالِهِ ... وَأَرْكَبُ ٱلْبَحْرَ أَوَانَ ٱلْقَرِيسِ[13]

نَادَمْتُ قَابِيلَ وَشِيثاً وَهَا ... بِيلَ عَلَى ٱلْعَاتِقَةِ ٱلْخَنْدَرِيسِ[14]

وَصَاحِبَي ٱللُّمْكِ[15] لَدَى ٱلْمُزْهِرِ ٱلْمَـ ... ـغْمَلِ لَمْ يَغْيَ بِزِيرٍ[16] جَسِيسِ

---

(١) الدسيس: الخبيث.
(٢) الوجد: الشوق والحب.
(٣) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظ.
(٤) المُدام: الخمرة.
(٥) الصِّرف، بكسر الصاد: الصافي الذي لم يخلط بشيء آخر.
(٦) الخفيس: تقليل الماء في الشراب.
(٧) الوكيس: الخاسر.
(٨) الحميس: الشجاع الممتلئ حماسة.
(٩) وهى: ضعف.
(١٠) الشراب القليس: قليل المزج بالماء.
(١١) السعلاة: أنثى الغول.
(١٢) النهيس: الخفيفة قليلة اللحم.
(١٣) القريس: البرد القارص.
(١٤) الخندريس: الخمرة.
(١٥) اللُّمك: الإثمد تكحل به العين.
(١٦) الزير: الدنّ من النحاس.

وَرَهْطَ لَقَانَ وَأَيْسَارَهُ ... عَاشَرْتُ مِنْ بَعْدِ ٱلشَّبَابِ ٱللَّبِيْسِ

ثُمَّتَ آمَنْتُ، وَمَنْ يُرزَقِ الإ ... يمَانَ يَظْفَرْ بِٱلْخَطِيْرِ ٱلنَّفِيْسِ

جَاهَدْتُ فِي بَدْرٍ وَحَامَيْتُ فِي ... أُحُدٍ وَفِي ٱلْخَنْدَقِ رُعْتُ ٱلرَّئِيْس

وَرَاءَ جِبْرِيلَ ومِيكَالَ نُخْـ ... ـلِي ٱلْهَامَ فِي ٱلْكُبَّة[1] خَلْيَ ٱللَّسِيْسِ[2]

حِيْنَ جُيُوشُ ٱلنَّصْرِ فِي ٱلْجَوِّ، وَٱلـ ... ـطَّاغُوتُ كَٱلزَّرْعِ تَنَاهَى، فَدِيْس[3]

عَلَيْهِمْ فِي هَبَوَاتِ[4] ٱلْوَغَى ... عَمَائِمٌ صُفْرٌ كَلَوْنِ ٱلْوَرِيْسِ[5]

صَهِيْلُ حَيْزُوم[6] إِلَى ٱلآنَ فِي ... سَمْعِي أَكْرِمْ بِٱلْحِصَانِ ٱلرَّغِيْسِ[7]

لَا يَتْبَعُ ٱلصَّيْدَ وَلَا يَأْلَفُ ٱلْقَيْـ ... ـدَ وَلَا يَشْكُو ٱلْوَجَى[8] وَٱلدَّخِيْسِ[9]

فَلَمْ تَهِبْنِي حُرَّةٌ عَانِسٌ، ... وَلَا كَعَابٌ ذَاتُ حُسْنٍ رَسِيْسِ[10]

وَأَيْقَنَتْ زَيْنَبُ مِنِّي ٱلتُّقَى، ... وَلَمْ تَخَفْ مِنْ سَطَواتِي لَمِيْس

وَقُلْتُ لِلْجِنِّ: أَلَا يَا ٱسْجُدُوا ... لِلَّهِ، وَٱنْقَادُوا ٱنْقِيَادَ ٱلْخَسِيْسِ[11]

فَإِنَّ دُنْيَاكُمْ لَهَا مُدَّةٌ ... غَادِرَةٌ بِٱلسَّمْحِ أَوْ بِٱلشَّكِيْسِ[12]

بِلْقِيْسُ أَوْدَتْ وَمَضَى مُلْكُهَا ... عَنْهَا، فَمَا فِي ٱلْأُذْنِ مِنْ هَلْبَسِيْسِ[13]

وَأُسْرَةُ ٱلْمُنْذِرِ حَارُوا عَنِ ٱلْحِـ ... ـيْرَةِ كُلٌّ فِي تُرَابٍ رَمِيْسِ

إِنَّا لَمَسْنَا بَعْدَكُمْ فَٱعْلَمُوا ... بِرقِع، فَٱهْتَاجَتْ بِشَرٍّ بَئِيْس

تَرْمِي ٱلشَّيَاطِيْنَ بِنِيْرَانِهَا ... حَتَّى تُرَى مِثْلَ ٱلرَّمَادِ ٱلدَّرِيْسِ[14]

---

(١) الكبّة: اللهب.

(٢) اللسيس: من لسّتِ الدابة الحشيش: تناولته ونتفته بجفلتها.

(٣) دِيس: وُطِئَ.

(٤) الهبوات، مفرده هبوة: واحات، ساحات.

(٥) الوريس: الأصفر.

(٦) الحيزوم: الصدر.

(٧) الرغيس: الميمون الموفّق.

(٨) الوجى: الحفا.

(٩) الدخيس: اللحم المكتنز.

(١٠) الرسيس: بقيّة الحبّ وأثره.

(١١) الخسيس: الذليل الحقير.

(١٢) الشكيس: سوء الخلق.

(١٣) الهلبسيس: النزر القليل.

(١٤) الدريس: المندثر.

فَطَاوَعَتْنِي أُمَّةٌ مِنْهُمْ فَازَتْ، وَأُخْرَى لَحِقَتْ بِالرَّكِيسِ[١]

وَطَارَ فِي الْيَرْمُوكِ بِي سَابِحٌ وَالْقَوْمُ فِي ضَرْبٍ وَطَعْنٍ خَلِيسِ[٢]

حَتَّى تَجَلَّتْ عَنِّي الْحَرْبُ كَالْجَمْـ ـرَةِ فِي وَقْدَةِ ذَاكَ الْوَطِيسِ[٣]

وَالْجَمَلُ الأَنْكَدُ شَاهَدْتُهُ بِئْسَ نَتِيجُ النَّاقَةِ الْعَنْتَرِيسِ[٤]

بَيْنَ بَنِي ضَبَّةَ مُسْتَقْدِماً وَالْجَهْلُ فِي الْعَالَمِ دَاءٌ نَجِيسِ

وَزُرْتُ صِفِّينَ عَلَى شَطْبَةٍ جَرْدَاءَ، مَا سَائِسُهَا بِالأَرِيسِ[٥]

مُجَنْدِلاً بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا وَقَاذِفاً بِالصَّخْرَةِ الْمَرْمَرِيسِ[٦]

وَسِرْتُ قُدَّامَ عَلِيٍّ غَدَا ةَ النَّهْرِ حَتَّى فَلَّ غَرْبَ الْخَمِيسِ[٧]

صَادَفَ مِنِّي وَاعِظٌ تَوْبَةً فَكَانَتِ اللَّقْوَةُ[٨] عِنْدَ الْقَبِيسِ[٩]

فَيُعْجَبُ، لَا زَالَ فِي الْغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ، لِمَا سَمِعَهُ مِنْ ذَلِكَ الْجِنِّيِّ، وَيَكْرَهُ الإِطَالَةَ عِنْدَهُ فَيُوَدِّعُهُ.

الأَسَدُ يَتَكَلَّمُ

وَيَجِمُّ، فَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ يَفْتَرِس مَنْ صِيرَانِ[١٠] الْجَنَّةِ وحَسِيلِهَا[١١]، فَلَا تَكْفِيهِ هُنَيْدَةٌ وَلَا هِنْدٌ، أَيْ مَائَةٌ وَلا مَائَتَانِ، فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: لَقَدْ كَانَ الأَسَدُ يَفْتَرِسُ الشَّاةَ الْعَجْفَاءَ[١٢]، فَيُقِيمُ عَلَيْهَا الأَيَّامَ لَا يَطعَمُ سِوَاهَا شَيْئاً.

فَيُلْهِمُ اللَّهُ الأَسَدَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَقَدْ عَرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ، فَيَقُولُ: يا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَيْسَ

---

(١) الركيس: الخاسر.
(٢) خليس: سريع لا صوت له.
(٣) الوطيس: المعركة.
(٤) العنتريس: القوية.
(٥) الأريس: الأكّار.
(٦) المرمريس: العملاقة.
(٧) الخميس: الجيش.
(٨) اللقوة: السريعة الحمل.
(٩) الفحل القبيس: السريع الإلقاح لدى ضربه الناقة.
(١٠) الصيران: مجموعة من الأبقار.
(١١) الحسيل: ولد البقرة.
(١٢) الشاة العجفاء: الهزيلة.

أَحَدُكُمْ فِي ٱلْجَنَّةِ تُقدَّمُ لَهُ ٱلصَّحْفَةُ وَفِيهَا ٱلْبَهَطُ[١] وَٱلطِّرْيَمُ[٢] مَعَ ٱلنُّهيدةِ[٣]، فَيأْكُلَ مِنْهَا مِثْلَ عُمْرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ، يَلْتَذُّ بِمَا أَصَابَ فَلَا هُوَ مُكْتَفٍ، وَلَا هِيَ ٱلفَانِيَةُ؟ وَكَذٰلِكَ أَنَا أَفْتَرِسُ مَا شَاءَ ٱللَّهُ، فَلَا تأْذَى ٱلفَرِيْسَةُ بِظُفْرٍ وَلَا نَابٍ، وَلٰكِنْ تَجِدُ فِي ٱللَّذَّةِ كَمَا أَجِدُ بِلُطْفِ رَبِّهَا ٱلعَزِيزِ.

أَتَدْرِي مَنْ أَنَا أَيُّهَا ٱلبَزِيغُ[٤]؟ أَنَا أَسَدُ ٱلقَاصِرَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي طَرِيقِ مِصْرَ، فَلَمَّا سَافَرَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ[٥] يُرِيدُ تِلْكَ ٱلجِهَةَ، وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِكَ» أُلْهِمْتُ أَنْ أَتَجَوَّحَ[٦] لَهُ أَيَّاماً، وَجِئْتُ وَهُوَ نَائِمٌ بَيْنَ ٱلرُّفْقَةِ فَتَخَلَّلْتُ ٱلجَمَاعَةَ إِلَيْهِ، وَأُدْخِلْتُ ٱلجَنَّةَ بِمَا فَعَلْتُ.

وَٱلذِّئْبُ يَتَكَلَّمُ

وَيَمُرُّ بِذِئْبٍ يَقْتَنِصُ ظِبَاءً فَيُفْنِي ٱلسِّرْبَةَ بَعْدَ ٱلسِّرْبَةِ، وَكُلَّمَا فَرَغَ مِنْ ظَبْيٍ أَوْ ظَبْيَةٍ، عَادَتْ بِٱلقُدْرَةِ إِلَى ٱلحَالِ ٱلمَعْهُودَةِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ خَطْبَهُ كَخَطْبِ ٱلأَسَدِ، فَيَقُولُ: مَا خَبَرُكَ يَا عَبْدَ ٱللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا ٱلذِّئْبُ ٱلَّذِي كَلَّمَ ٱلأَسْلَمِيَّ عَلَى عَهْدِ ٱلنَّبِيِّ، ﷺ، كُنْتُ أُقِيمُ عَشْرَ لَيَالٍ أَوْ أَكْثَرَ، لَا أَقْدِرُ عَلَى ٱلعِكْرِشَةِ[٧] وَلَا ٱلقُوَاعِ[٨]، وَكُنْتُ إِذَا هَمَمْتُ بِعَجِيِّ[٩] ٱلمَعِيزِ، آسَدَ ٱلرَّاعِي عَلَيَّ ٱلكِلَابَ، فَرَجَعْتُ إِلَى ٱلصَّاحِبَةِ مُخَرَّقَ ٱلإِهَابِ. فَتَقُولُ: لَقَدْ خَطِئْتَ فِي أَفْكَارِكَ، مَا خَيْرٌ لَكَ فِي ٱبْتِكَارِكَ؛ وَرُبَّمَا رُمِيتَ بِٱلسَّرْوَةِ فَنَشِبَتْ فِي ٱلأَقْرَابِ، فَأَبِيتَ لَيْلَتِي لِمَا بِي، حَتَّى تَنْتَزِعَهَا ٱلسَّلْقَةُ وَأَنَا بِآخِرِ ٱلنَّسِيسِ[١٠]، فَلَحِقَتْنِي بَرَكَةُ مُحَمَّدٍ، ﷺ.

---

(١) البهط: طعام من اللبن والأرز والسمن.
(٢) الطريم: من أسماء العسل.
(٣) النهيدة: الزبدة الضخمة.
(٤) البزيغ: النبيل.
(٥) هو: ابن عمّ رسول الله ﷺ: خطب من الرسول ابنته، وعندما دعاه إلى الإسلام فصل خطبته، وراح يشنّع على الرسول ﷺ فدعا عليه: «اللّهم سلط عليه كلباً من كلابك، فافترسه الأسد وهو نائم بين رفقة له ذهبوا بتجارة إلى بلاد الشام.
(٦) أتجوّح: أعمل على إهلاكه والقضاء عليه.
(٧) العكرشة: الأرنب الضخمة.
(٨) القُواع: الذكر من الأرنب.
(٩) عجي الماعز: السخل.
(١٠) النسيس: الجوع الفاحش.

بَيْتُ ٱلْحُطَيْئَةِ ٱلشَّاعِرِ[1]

فَيَذْهَبُ، عَرَّفَهُ ٱللَّهُ ٱلغِبْطَةَ فِي كُلِّ سَبِيلٍ، فَإِذَا هُوَ بِبَيْتٍ فِي أَقْصَى ٱلْجَنَّةِ، كَأَنَّهُ حَفَشُ[2] أَمَةٍ رَاعِيَةٍ، وَفِيهِ رَجُلٌ لَيْسَ عَلَيْهِ نُورُ سُكَّانِ ٱلجَنَّةِ، وَعِنْدَهُ شَجَرَةٌ قَمِيئَةٌ ثَمَرُهَا لَيْسَ بِزَاكٍ. فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ ٱللَّهِ، لَقَدْ رَضِيتَ بِحَقِيرٍ شَقْنٍ. فَيَقُولُ: وَٱللَّهِ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ هِيَاطٍ وَمِيَاطٍ[3]، وَعَرَقٍ مِنْ شَقَاءٍ، وَشَفَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَدِدْتُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ. فَيَقُولُ: أَنَا ٱلحُطَيْئَةُ ٱلعَبْسِيُّ. فَيَقُولُ: بِمَ وَصَلْتَ إِلَى ٱلشَّفَاعَةِ؟ فَيَقُولُ: بِٱلصِّدْقِ. فَيَقُولُ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ فَيَقُولُ: فِي قَوْلِي:

[الطويل]

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمَا … بِهُجْرٍ، فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ
أَرَى لِيَ وَجْهاً شَوَّهَ ٱللَّهُ خَلْقَهُ، … فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ، وَقُبِّحَ حَامِلُهْ[4]

فَيَقُولُ: مَا بَالُ قَوْلِكَ:

[البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ … لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللَّهِ وَٱلنَّاسِ[5]

لَمْ يُغْفَرْ لَكَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: سَبَقَنِي إِلَى مَعْنَاهُ ٱلصَّالِحُونَ، وَنَظَمْتُهُ وَلَمْ أَعْمَلْ بِهِ، فَحُرِمْتُ ٱلأَجْرَ عَلَيْهِ. فَيَقُولُ: مَا شَأْنُ ٱلزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ[6]؟ فَيَقُولُ ٱلحُطَيْئَةُ: هو رئيس فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ، إِنْتَفَعَ بِهِجَائِي وَلَمْ يَنْتَفِعْ غَيْرُهُ بِمَدِيحِي.

---

(١) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مُلَيكة: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجّاءًا عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. مات نحو سنة ٤٥هـ = نحو سنة ٦٦٥م. انظر ترجمته في: الأغاني. طبعة الدار ٢/ ١٥٧، الشعر والشعراء: ١١٠.

(٢) الحفش: البيت الحقير الملاصق للأرض.

(٣) الهياط والمياط: الجلبة المصحوبة بشر.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٥٥٢ مادة «قبح».
«القُبْح: ضد الحسن يكون في الصورة؛ والفعل. . قال الحطيئة:
أَرَى لَكَ وَجْهاً قَبَّحَ ٱللَّهُ شَخْصَهُ … فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ، وقُبِّحَ حامِلُهْ»
وأورد لسان العرب ١٣/ ٥٠٨ مادة «شوه» البيت أيضاً برواية أخرى.
«رجل أَشْوَهُ: قبيح الوجه. يقال: شاهَ وجهُهُ يَشُوهُ، وقد شوَّهَهُ الله عزَّ وجلَّ، فهو مُشَوَّهٌ؛ قال الحطيئة:
أَرَى ثَمَّ وَجهاً شَوَّهَ ٱللَّهُ خَلْقَهُ … فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ، وقُبِّحَ، حامِلُهْ!»

(٥) ورد البيت في: نوادر أبي زيد الأنصاري: ١٥١، أمالي ابن الشجري: ١/ ١١٥.

(٦) هو: الزبرقان بن بدر التميمي السعدي صحابي، من رؤساء قومه. قيل: اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه. ولّاه الرسول ﷺ صدقات قومه. مات نحو سنة ٤٥هـ = نحو سنة ٦٦٥م. انظر: لسان العرب: الإصابة ١/ ٥٤٣، جمهرة الأنساب: ٢٠٨.

فِي أَقْصَى ٱلجَنَّةِ

الخَنساءُ[١] وأَخُوها صَخْرٌ[٢]

فَيَخلفه وَيَمْضِي، فإذَا بِٱمْرَأَةٍ فِي أَقْصَى ٱلجَنَّةِ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلمَطْلَعِ إِلَى ٱلنَّارِ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا ٱلخَنْسَاءُ ٱلسُّلَمِيَّةُ، أَحْبَبتُ أَنْ أَنظُرَ إِلَى صَخْرٍ فَٱطَّلَعْتُ فَرَأَيْتُهُ كَٱلجَبَلِ ٱلشَّامِخِ وَٱلنَّارُ تَضْطرِمُ فِي رَأسِهِ، فَقَالَ لِي: لَقَدْ صَحَّ مَزْعَمُكِ فِيَّ! يَعْنِي قَوْلِي:

[البسيط]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ ٱلهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأسِهِ نَارُ[٣]

إِبْلِيسُ وَبَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ

فَيَطْلعُ، فَيَرَى إِبْلِيسَ، لَعَنَهُ ٱللَّهُ، وَهُوَ يَضطَرِبُ فِي ٱلأَغْلَالِ وَٱلسَّلَاسِلِ، وَمَقَامِعُ ٱلحَدِيدِ تَأْخُذُهُ مِنْ أَيْدِي ٱلزَّبانِيَةِ. فَيَقُولُ: ٱلحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَمْكَنَ مِنكَ يَا عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّ أَولِيَائِهِ! لَقَدْ أَهْلَكْتَ مِنْ بَنِي آدَمَ طَوَائِفَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا ٱللَّهُ. فَيَقُولُ: مَنِ ٱلرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانُ ٱبْنُ فُلانٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ، كَانَتْ صِنَاعَتِي ٱلأَدبَ، أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى ٱلمُلُوكِ. فَيَقُولُ: بِئْسَ ٱلصِّنَاعَةُ! إِنَّهَا تَهَبُ غُفةً[٤] مِنَ ٱلعَيْشِ، لا يَتَّسِعُ بِهَا ٱلعِيَالُ،

---

(١) هي: تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحيّة السُّلميّة، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق. أدركت الإسلام فأسلمت، مثلت بين يدي النبي ﷺ. توفيت سنة ٢٠هـ = سنة ٦٤٥م. انظر ترجمتها في: حسن الصحابة: ٩٤. الشعر والشعراء: ١٢٣.

(٢) هو: صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السُّلمي، من بني سُليم بن منصور، من قيس عيلان، أخو الخنساء الشاعرة. كان من فرسان بني سُليم وغزاتهم، رثته أخته، توفي نحو سنة ١٠ ق.هـ = نحو سنة ٦١٣م. انظر ترجمته في: جمهرة الأنساب: ٢٤٩، التبريزي: ٦٦/٣.

(٣) ورد البيت في: المصون، لأبي أحمد العسكري: ١٧، مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٥٦، معاهد التنصيص، للعباسي ١٦٦/١، ديوان الخنساء: ٤٩.
تأتمّ به: تهتدي به. الهداة، واحدها هادٍ: المرشد، التقدم. كأنه علم في رأسه نار: مثل ضربته في شهرة أخيها، والعلم الجبل.

(٤) الغفّة: العيش الطفيف.

وَإِنَّهَا لَمُزِلَّةٌ بِالْقَدَمِ وَكَمْ أَهْلَكَتْ مِثْلَكَ! فَهَنِيئاً لَكَ إِذْ نَجَوْتَ، فَأَوْلَى لَكَ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ ثُمَّ أَوْلَى! وَإِنَّ لِي إِلَيْكَ لَحَاجَةً، فَإِنْ قَضَيْتَهَا شَكَرَتْكَ يَدُ الْمَنُونِ. فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَكَ عَلَى نَفْعٍ، فَإِنَّ الآيَةَ سَبَقَتْ فِي أَهْلِ النَّارِ، أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ عَنْ خَبَرٍ تُخْبِرُنِيهِ: إِنَّ الْخَمْرَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا وأُحِلَّتْ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ، فَهَلْ يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِالْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ فِعْلَ أَهْلِ الْقَرْيَاتِ؟ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ الْبَهْلَةُ[١]! أَمَا شَغَلَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ؟ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ [البقرة: ٢٥].

فَيَقُولُ: وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَأَشْرِبَةً كَثِيرَةً غَيْرَ الْخَمْرِ، فَمَا فَعَلَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ[٢]؟ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَداً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنْ وِلْدِ آدَمَ: كَانَ يُفَضِّلُنِي دُونَ الشُّعَرَاءِ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

[الكامل]

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمٍ ... فَتَبَيَّنُوا يَا مَعْشَرَ الأَشْرَارِ

النَّارُ عُنْصُرُهُ، وَآدَمُ طِينَةٌ، ... وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُوَّ النَّارِ

لَقَدْ قَالَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَزَلْ قَائِلُهُ فِي الْمَمْقُوتِينَ.

فَلَا يَسْكُتُ مِنْ كَلَامِهِ، إِلَّا وَرَجُلٌ فِي أَصْنَافِ الْعَذَابِ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ حَتَّى لا يَنْظُرَ إِلَى ما نَزَلَ بِهِ مِنَ النِّقَمِ، فيفتحُها الزَّبانِيَةُ بِكَلالِيبَ[٣] مِنْ نارٍ، وَإِذ هُو بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ قَدْ أُعْطِيَ عَيْنَيْنِ بَعْدَ الْكَمَهِ[٤]، لِيَنْظُرَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ النَّكَالِ[٥].

فَيَقُولُ لَهُ، أَعْلَى اللَّهُ دَرَجَتَهُ: يَا أَبَا مُعَاذٍ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَقَالِكَ، وَأَسَأْتَ فِي مُعْتَقَدِكَ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ أَذْكُرُ بَعْضَ قَوْلِكَ فَأَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ، ظَنًّا أَنَّ التَّوْبَةَ سَتَلْحَقُكَ، مِثْلُ قَوْلِكَ:

[الكامل]

ارْجِعْ إِلَى سَكَنٍ تَعِيشُ بِهِ ... ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ

---

(١) عليك البهلة: عليك اللعنة.

(٢) مرّت ترجمته.

(٣) الكلاليب، مفرده كلاب: الملاقط.

(٤) الكمه: العمى منذ الولادة.

(٥) النكال: الخسارة.

تَـرْجُـو غَـداً، وَغَـدٌ كَـحَـامِـلِهِ فِـي ٱلْـحَـيِّ لَا يَـدْرُونَ مَـا تَـلِدُ!

وَقَوْلِكَ:

[الرجز]

وَاهــاً لِأَسْــمَــاءَ ٱبْــنَــةِ ٱلأَشَــدِّ قَـامَـتْ تَـرَاءَى إِذْ رَأَتْـنِـي وَحْـدِي
كَـٱلشَّـمْسِ بَيْـنَ ٱلزِّبْرِجِ[1] ٱلْـمُـنْـقَـدِّ ضَـنَّـتْ[2] بِـخَـدٍّ، وَجَـلَّتْ[3] عَـنْ خَـدِّ
ثُـمَّ ٱنْـثَـنَـتْ كَـٱلـنَّـفْـسِ ٱلْـمُـرْتَـدِّ؛ وَصَـاحِـبٍ كَـٱلـدُّمَّـلِ ٱلْـمُـمَـدِّ[4]
أَرْقُـبُ مِـنْـهُ مِـثْـلَ حِـمَـى ٱلْـوِرْدِ، حَـمَـلْـتُـهُ فِـي رُقْـعَـةٍ مِـنْ جِـلْـدِي
ٱلْحُرُّ يُـلْحَى[5]، وَٱلْـعَـصَـا لِلْعَـبْـدِ، وَلَيْـسَ لِلْمُـلْـحِـفِ[6] مِـثْـلُ ٱلـرَّدِّ

ٱلآنَ وَقَعَ مِنْكَ ٱلْيَأْسُ! وَقُلْتَ فِي هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ: ٱلسُّبَد، فِي بَعْضِ قَوافِيهَا، فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ جَمْعَ سَبَدٍ، وَهُوَ طَائِرٌ، فَإِنَّ فَعَلاً لا يُجْمَعُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ سَكَّنْتَ ٱلْبَاءَ فَقَدْ أَسَأْتَ، لِأَنَّ تَسْكِينَ ٱلْفَتْحَةِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ، وَلَا حُجَّةَ لَكَ فِي قَوْلِ ٱلأَخْطَلِ[7]:

[الطويل]

وَمَـا كُـلُّ مَـغْـبُـونٍ إِذَا سَـلَفَ صَـفْـقَـةً يُـرَاجِـعُ مَـا قَـدْ فَـاتَـهُ بِـرَدَادِ[8]

وَلَا فِي قَوْلِ ٱلآخَرِ:

[الطويل]

وَقَـالُوا: تُـرَابِيٌّ، فَـقُـلْـتُ: صَـدَقْـتُـكُـمْ أَبِـي مِـنْ تُـرَابٍ خَـلَقَـهُ ٱللَّهُ آدَمَـا

(١) الزبرج: الغيم الضعيف.
(٢) ضنّت: بخلت.
(٣) جلّت: تكرّمت.
(٤) المُمَدّ: القبيح جداً.
(٥) يلحى: يعاتب.
(٦) الملحف: الملحاح في الطلب.
(٧) هو: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، أحد ثلاثة من كبار شعراء العصر الأموي. مدح الأمويين. مات سنة ٩٠هـ = سنة ٧٠٨م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٨/ ٢٨٠، الشعر والشعراء: ١٨٩.
(٨) ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢/٣٣٨، المحتسب، لابن جني ١/٥٣، ٦٢، ٢٤٩، المنصف، لابن جني ١/٢١، الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي: ٤٦٢، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٧/١٥٢، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ١٨، وانظر: ديوان الأخطل: ١٣٧.

لِأَنَّ هٰذِهِ شَوَاذٌّ، فَأَما قَوْلُ جَمِيْلٍ[١]:

[الطويل]

وَصَاحَ بِبَيْنٍ[٢] مِنْ بُثَيْنَةَ، وَٱلنَّوَى[٣] جَمِيْعٌ بِذَاتِ ٱلرَّضْمِ[٤] صُرْدٌ[٥] مُحَجَّلُ

فَإِنَّ مَنْ أَنْشَدَهُ بِضَمِّ ٱلصَّادِ مُخْطِئٌ، لِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلى أَنَّهُ أَرَادَ ٱلصَّرْدَ فَسَكَّنَ ٱلرَّاءَ، وَإِنَّمَا صَرْدٌ أَيْ خَالِصٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ أُحِبّكَ حُبًّا صَرْداً، أَيْ خَالِصاً، يَعْنِي غُرَاباً أَسْوَدَ لَيْس فِيْهِ بَيَاضٌ، وَقَوْلُهُ: مُحَجَّلٌ أَيْ مُقَيَّدٌ، لِأَنَّ حَلْقَةَ ٱلقَيْدِ تُسَمَّى حَجَلاً؛ قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ[٦]:

[الطويل]

أَعَاذِلَ قَدْ لَاقَيْتُ مَا يَزَعُ ٱلفَتَى وَطَابَقْتُ فِي ٱلحَجْلَيْنِ مَشْيَ ٱلمُقَيَّدِ[٧]

وَٱلغُرَابُ يُوصَفُ بِٱلتَّقْيِيْدِ لِقِصَرِ نَسَاهُ[٨] قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الكامل]

وَمُقَيَّدٍ بَيْنَ ٱلدِّيَارِ كَأَنَّهُ حَبَشِيُّ دَاجِنَةٍ يَخِرُّ وَيَغْتَلِي

فَيَقُوْلُ بَشَّارٌ: يَا هٰذَا! دَعْنِي مِنْ أَبَاطِيْلِكَ فَإِنِّي لَمَشْغُولٌ عَنْكَ.

أمرؤُ ٱلقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ

وَيَسْأَلُ عَنِ ٱمْرِئِ ٱلقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ، فَيُقَالُ: هٰا هُوَ ذَا بِحَيْثُ يَسْمَعُكَ. فَيَقُوْلُ: يَا

---

(١) هو: جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو: شاعر، من عشاق العرب، افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة. وكانت منازل قومه في وادي القرى (من أعمال المدينة. قصد جميل مصر، حيث توفي سنة ٨٢هـ = سنة ٧٠١م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١١٥، الشعر والشعراء: ١١٦.

(٢) البين: الفراق.

(٣) النوى: البعد.

(٤) ذات الرضم: من نواحي وادي القرى وتيماء. انظر: معجم البلدان ٣/ ٥١.

(٥) الصُّرد، بضم الصاد: طائر حجمه كبير يصيد صغار الطير.

(٦) مرّت ترجمته.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ١٤٥ مادة «حجل».
«.. حِجلا القيد: حلقتاه؛ قال عدي بن زيد العِبادي:
أعاذِل، قد لاقَيْتُ ما يزعُ الفتى، وطابَقْتُ في الحِجلينِ مَشْيَ المقيَّدِ»
العاذل: اللائم. يزع: يمنع.

(٨) النسا: عرق من الورك إلى الكعب.

أَبَا هِنْدٍ إِنَّ رُوَاةَ ٱلبَغْدَادِيِّينَ يُنْشِدُونَ في «قِفَا نَبْكِ»، هٰذِهِ ٱلأَبْيَاتَ بِزِيَادَةِ ٱلوَاوِ فِي أَوَّلِهَا، أَعْنِي قَوْلَكَ:

وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ ٱلمُجَيْمِرِ غُدْوَةً[١]

وَكَذٰلِكَ:

وَكَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلجِوَاءِ[٢]

وَكَأَنَّ ٱلسِّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى[٣]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٢٨٣ مادة «عرن».
«وعرانين السحاب: أوائل مطره؛ ومنه قول امرئ القيس يصف غيثاً:
كَأَنَّ ثَبِيراً فِي عَرَانِينِ وَدْقِهِ مِنَ ٱلسَّيْلِ وٱلغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ»
ويروى: وبله بدل ودقه، والمعنى واحد.
وأورد لسان العرب ١٥/ ١٥ مادة «طما» البيت أيضاً:
«كَأَنَّ طَمِيَّةَ ٱلمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ ٱلسَّيْلِ وَٱلأَغْثَاءِ، فَلْكَةُ مِغْزَلِ
روى الأصمعي: «كَأَنَّ طَمِيَّةَ المجيمر غُدْوَةً». و«المجيمر»: أرض لبني فزارة. و«طميّة»: جبل في بلادهم.
يقول: قد امتلأ المجيمر، فكأَنَّ الجبل في الماء فلكة مِغْزَلِ، لما جمع السيلُ حوله، من الغُثاء.
ورواه الفرّاء: «من السيل والأغثاء»: جمع الغُثاء، وهو قليل في الممدود.. و«الذرى»: الأعالي، الواحدة ذروة. ويروى كأنَّ قُليعة المجيمر». انظر: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي، صفحة: ٩١. وانظر: ديوان امرئ القيس: ٦٢.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٤٦٧ مادة «ريح».
«والرِّياح، بالفتح: الرَّاح، وهي الخمر، وكلُّ خمر رَياحٌ وراحٌ، وبذلك علم أن ألفها منقلبة عن ياء؛ قال امرؤ القيس:
كَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلجِوَاءِ، غُدَيَّةً نَشَاوى، تَسَاقَوْا بِالرِّيَاحِ ٱلمُفَلْفَلِ
وأورد لسان العرب ١/ ٥٣٢ مادة «فَلَلَ».
«والفُلفُل، بالضمّ: معروف لا ينبت بأرض العرب. وقد كثر مجيئه في كلامهم، وأصل الكلمة فارسية.. واحدته فُلفلة، وقد فلفل الطعام والشراب؛ قال:
كَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً مِن رحيقٍ مُفَلْفَلِ»
«المكاكي»: جمع مُكّاء، وهو طائر صغير كثير الصفير. و«الجِواء». البطن من الأرض العظيم. وقد يكون الجواء جمعاً واحده جَوّ... انظر: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٩٣.
انظر: ديوان امرئ القيس: ٦٣.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٦/ ٣٥٠ مادة «نبش».
«.. والأُنبوش: أصل البقل المنبوش، والجمع الأنابيش، قال امرؤ القيس:
كَأَنَّ سِبَاعاً فِيهِ غَرْقَى غُدَيَّةً بِأَرجائِهِ ٱلقُصْوى، أنابيشُ عَنصلِ =

فَيَقُوْلُ: أَبْعَدَ ٱللَّهُ أُوْلَئِكَ! لَقَدْ أَسَاءُوا ٱلرِّوَايَةَ، وَإِذا فَعَلُوا ذٰلِكَ فَأَيُّ فَرْقٍ يَقَعُ بَيْنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ؟ وَإِنما شَيْءٌ فَعَلَهُ مَنْ لَا غَرِيزَة لَهُ فِي مَعْرِفَةِ وَزْنِ ٱلْقَرِيضِ، فَظَنَّهُ ٱلْمُتَأَخِّرُوْنَ أَصْلًا فِي ٱلْمَنْظُومِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

فَيَقُوْلُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ:

كَبِكْرِ ٱلْمُقَانَاةِ ٱلْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ[1]

مَاذَا أَرَدْتَ بِٱلْبِكْرِ؟ فَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلْمُتَأَوِّلُونَ فِي ذٰلِكَ فقالُوا: ٱلْبَيْضَةَ، وقالوا: الدُّرَّةَ، وقَالُوا: الرَّوْضَةَ، وقَالُوا: ٱلزَّهْرَةَ، وقَالُوا: البَرْدِيَّةَ.

وكيفَ تُنْشِدُ: البياضِ، أَمِ ٱلبَيَاضَ، أَمِ ٱلبَيَاضُ؟

فَيَقُوْلُ: كُل ذٰلِكَ حَسَنٌ، وَأَخْتَارُ ٱلبَيَاضِ، بِٱلكَسْرِ؛ فَيَقُوْلُ، فَرَّغَ ٱللَّهُ ذِهْنَهُ

= أبو الهيثم: واحد الأنابيش أَنبوش وأُنبوشة وهو ما نبشه المطر. يروى: «غُدَيَّة». يقول: حين أصبح الناس، ورأوها، فكأنها تلك الأنابيش، من العُنْصُلِ. و«الأنابيش»: جماعات من العُنْصل، يجمعها الصبيان. ويقال: الأنابيش: العروق، وإنما سُمّيت أنابيش لأنها تنبش، أي تُخرج من تحت الأرض. و«العُنْصُل» بصل برّيّ، يعمل منه خِلُّ عُنْصُلان، وهو شديد الحموضة. شبّه السباع الغرقى بما نُبش من العُنصل، لأن السَّيل غرّقها، فهي في نواحيه تبدو منها أطرافها، فشبّهها بذلك. و«الأرجاء»: النواحي، واحدها رجأ. انظر: شرح القصائد العشر: ٩٣ ـ ٩٤. انظر: ديوان امرئ القيس: ٦٣.

(١) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ٤٣.
ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ١٦٩ مادة «حلل».
والمُحَلَّل: الشيء اليسير، كقول امرئ القيس يصف جارية:

كَبِكْرِ ٱلمقاناةِ البياضِ بِصُفْرَةٍ غذاها نميرُ ٱلماء غيرُ ٱلمحَلَّلِ

وهذا يحتمل معنيين: أحدهما أنْ يُعنى به أنه غذاها غِذاء ليس بمُحلَّل أي ليس بيسير ولكنه مبالغ فيه. وقال أبو الهيثم: غير مُحَلَّل يُقال إنه أراد ماء البحر أي أن البحر لا يُنزل عليه لأن ماءه زُعاق فهو غير محلَّل أي غير منزول عليه». انظر: ديوان امرئ القيس: ٤٣.
وورد البيت كذلك في لسان العرب ١٥/ ٢٠٥ مادة «قنا».
«. . الأصمعي: قانيت الشيء وخلطته، وكلّ شيء خلطته فقد قانيته. وكل شيء خالط شيئاً فقد قاناه، أبو الهيثم، ومنه قول امرئ القيس:

كَبِكْرِ ٱلمُقَانَاةِ، ٱلبياضِ بصُفْرَةٍ غَذَاها نميرُ ٱلماءِ غيرُ مُحَلَّلِ

البياض يروى بالحركات الثلاث. . قال: أراد كالبكر المقاناة البياض بصفرة أي كالبيضة التي هي أول بيضة باضتها النعامة. ثم قال: المقاناة البياض بصفرة أي التي قوني بياضها بصفرة أي خالط بياضها بصفرة فكانت صفراء بيضاء، فترك الألف واللام من البكر وأضاف البكر إلى نعتها؛ وقال غيره: أراد كبكر الصدفة المقاناة البياض بصفرة لأن في الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرّة إليها. .». انظر: ديوان امرئ القيس: ٤٣.

لِلآدَابِ: لَوْ شَرَحْتُ لَكَ ما قَالَ النَّحْوِيُّونَ في ذٰلِكَ لَعَجِبْتَ. وَبَعْضُ الْمُعَلِّمِينَ يُنْشِدُ قَوْلَكَ:

مِنَ السَّيْلِ وَالغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ[1]

فَيُشَدِّدُ الثَّاءَ. فَيَقُولُ: إنَّ هٰذَا لَجَهُولٌ، وَهُوَ نَقِيضُ الَّذِينَ زَادُوا الواوَ فِي أَوَائِلِ الأَبْيَاتِ: أُولٰئِكَ أَرَادُوا النَّسَقَ، فَأَفْسَدُوا الوَزْنَ، وهٰذَا البَائِسُ أَرَادَ أَنْ يُصَحِّحَ الزِّنَةَ فَأَفْسَدَ اللَّفْظَ. وَكَذٰلِكَ قَوْلِي:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا[2]

مِنْهُمْ مَنْ يُشَدِّدُ الضَّادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْشِدُ بِالتَّخْفِيفِ، وَالوَجْهَانِ مِنْ قَوْلِكَ: نَضَوْتُ الثَّوْبَ، إلَّا أَنَّكَ إذَا شَدَدْتَ الضَّادَ، أَشْبَهَ الفِعْلَ مِنَ النَّضِيضِ، يُقَالُ: هٰذِهِ نَضِيضَةٌ مِنَ المَطَرِ أَيْ قَلِيلٌ، وَالتَّخْفِيفُ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنَّما حَمَلَهُمْ عَلَى التَّشْدِيدِ كَرَاهَةُ الزِّحَافِ، وَلَيْسَ عِنْدَنا بِمَكْرُوهٍ.

فَيَقُولُ، لَا بَرِحَ مِنْطِيقاً بِالحِكَمِ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ كَلِمَتِكَ الصَّادِيَّةِ وَالضَّادِيَّةِ وَالنُّونِيَّةِ الَّتِي أَوَّلُها:

[الطويل]

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي   كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِ[3]

---

(١) هذا الشطر هو عجز البيت السابق:

كَأَنَّ ذُرى رَأْسِ المجيمرِ غُدْوَةً   من السيلِ والأغثاءِ فلكةُ مغزلِ

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٥/ ٣٢٩ مادة «نضا».

«ونضا الثوبُ الصِّبغ عن نفسه إذا ألقاه، ونضتِ المرأة ثوبها: ومنه قول امرئ القيس:

فَجِئْتُ، وقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيابَها   لَدَى السِّتْرِ، إلَّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ»

«نَضت»: ألقت.. و«المتفَضّل» الذي يبقى في ثوب واحد، لينام أو ليعمل عملاً. واسم الثياب: الفُضُل. ويقال للرجل والمرأة: فُضُلٌ أيضاً. والمِفْضَل: الإزار الذي يُنام فيه. يُخبر أنه جاءها، وقت خلوتها، ونومها، لينال منها ما يريد. انظر: شرح القصائد العشر: ٥٢ ـ ٥٣. ورد البيت في: المقرّب، لابن عصفور: ٣٣، شذور الذهب، لابن هشام: ٢٢٢، شرح شواهد شروح الألفية للعيني: ٣/٦٦، ٢٢٥، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ٣٣٦، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي: ١/ ١٩٤، ٢٤٧، الدرر اللوامع: ١/ ١٦٦، ٢٠٤، شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٢/ ١٢٤. ديوان امرئ القيس: ٤٠.

(٣) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٧٠.

الطلل: ما شخص من أعلام الدار. شجاني: أحزنني. الزبور: الكتاب. العسيب: سعف النخل الذي جرد عنه خوصه، وقوله في عسيب يمان: ذاك لأن أهل اليمن كانوا يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم.

لَقَدْ جِئْتَ فِيهَا بِأَشْيَاءَ يُنْكِرُهَا ٱلسَّمْعُ، كَقَوْلِكَ:

فَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ غَارَةٍ شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رَخْوِ ٱللُّبَانِ(١)

وكَذٰلِكَ قَوْلُكَ فِي ٱلْكَلِمَةِ ٱلصَّادِيَّةِ:

[الطويل]

عَلَى نَقْنَقٍ هِيْقٍ لَهُ وَلِعُرْسِهِ بِمُنْقَطَعِ ٱلْوَعْسَاءِ بَيْضٌ رَصِيصٍ(٢)

وَقَوْلُكَ:

[الطويل]

فَأَسْقِي بِهِ أُخْتِي ضَعِيفَةَ، إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعُدَ ٱلْمَزَارُ غَيْرَ ٱلْقَرِيضِ(٣)

فِي أَشْبَاهٍ لِذٰلِكَ، هَلْ كَانَتْ غَرَائِزُكُمْ لَا تُحِسُّ بِهٰذِهِ ٱلزِّيَادَةِ؟ أَمْ كُنْتُمْ مَطْبُوعِينَ عَلَى إِتْيَانِ مَغَامِضِ ٱلْكَلَامِ وَأَنْتُمْ عَالِمُونَ بِمَا يَقَعُ فِيهِ؟ كَمَا أَنَّهُ لَا رَيْبَ أَنَّ زُهَيْراً كانَ يعرِفُ مَكَانَ ٱلزِّحافِ فِي قَوْلِهِ:

[البسيط]

يَطْلُبُ شَأْوَ ٱمْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَباً نَالَا ٱلْمُلُوكَ، وَبَذَّا هٰذِهِ ٱلسُّوقَا(٤)

---

(١) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٧٠:

وَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ غَارَةٍ شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رَخْوِ ٱللُّبَانِ

الأقب: الضامر البطن من الخيل. اللبان: الصدر. ورخو اللبان: أي لين المعطف وهو مستحبّ في الخيل.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٤١ مادة «رصص».

«وبيض رَصِيص: بعضه فوق بعض؛ قال امرؤ القيس:

على نَقْنِقٍ هَيْقٍ له ولعِرْسِهِ، بِمُنْخَدَعِ ٱلْوَغْسَاءِ، بيضُ رَصِيصِ

ورَصْرصَ إذ ثبت بالمكان».

«والنَّقْنَق»: الظليم، والنِّقْنِق، والجمع النَّقانِق. انظر: لسان العرب ١٠/ ٣٦٠ مادة «نقق».

«والهَيْق: الظليم لطوله كالهيْعَل؛ الياء في هَيْقٍ أصل وفي هَيْقَل زائدة، والجمع أهياق وهُيُوق، والأنثى هَيقة..». انظر: لسان العرب ١٠/ ٣٧٠ مادة «هيق».

ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٢٣:

«على نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعِرْسِهِ بِمُنْعَرَجِ ٱلْوَغْسَاءِ بَيْضُ رَصِيصُ»

الوعساء: الرمل السهل. الرصيص: المرصوص.

(٣) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٢٧.

فأُسْقي بِهِ أُخْتي ضَعِيفَة، إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعُدَ ٱلْمَزَارُ غَيْرَ ٱلْقَرِيضِ

أسقي: أي أدعو لها بالسقيا إذ نأت عني وبعد مزارها مني فلا أصل إليها، غير أني أنظم القريض: الشعر، وأهديه إليها.

(٤) ورد البيت في: ديوان زهير بن أبي سلمى: ٤٢.

الشأو: الطلق من الجري، والغاية. وأراد بالمرأين: أباه وجدّه. بذا: غلبا، فاقا. السوق: =

فَإِنَّ ٱلغَرائِزَ تُحِسُّ بِهٰذِهِ ٱلمَوَاضِعِ، فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلخَالِقِينَ.

فَيَقُوْلُ ٱمرؤُ ٱلقَيْسِ: أَدْرَكْنَا ٱلأَوَّلِيْنَ مِنَ ٱلعَرَبِ لا يَحْفَلُونَ بِمَجِيءِ ذٰلِكَ، وَلَا أَدْرِي مَا شَجَنَ عَنْهُ، فَأَمَّا أَنَا وَطَبقَتِي فَكُنَّا نَمُرُّ في ٱلبَيْتِ حَتَّى نَأْتِيَ إِلَى آخِرِهِ، فَإِذَا فَنِيَ أو قارَب تَبَيَّنَ أَمْرُهُ لِلسَّامِعِ

فَيَقُوْلُ: ثَبَّتَ ٱللَّهُ تَعَالى ٱلإِحْسَانَ عَلَيْهِ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ:

أَلَا رُبَّ يَـوْمٍ لَكَ مِـنْـهُـنَّ صَالِحٍ، وَلَا سِـيَّـمَـا يَـوْمٌ بِـدَارةِ جُـلْـجُـلِ[1]

أَتُنْشِدُهُ: «لَكَ مِنهُنَّ صَالِحٍ» فَتُزَاحِفُ بِٱلكَفِّ؟ أَمْ تُنشِدُهُ عَلَى ٱلرِّوَايَةِ ٱلأُخْرَى؟ فَأَمَّا يَوْمٌ، فَيَجُوزُ فِيْهِ ٱلنَّصْبُ وَٱلخَفْضُ وَٱلرَّفْعُ؛ فَأَمَّا ٱلنَّصْبُ فَعَلَى ما يَجِبُ لِلْمَفْعُولِ مِنَ ٱلظُّرُوفِ، وَٱلعَامِلُ فِي ٱلظَّرْفِ هٰهُنَا فِعْلٌ مُضْمَرٌ، وَأَما ٱلرَّفْعُ فَعَلَى أَنْ تَجْعَلَ مَا كافَّةً، وَمَا ٱلكَافَّةُ عِندَ بَعْضِ ٱلبَصْرِيينَ نَكِرَةٌ، وَإِذَا كَانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ فَـ(هو) بَعْدَهَا مُضْمَرَةٌ، وَإِذَا خَفَضَ يَوْمَ، فَـ(مَا) مِنَ ٱلزِّيَادَاتِ. وَيُشَدِّدُ (سِيَّ) وَيُخَفِّفُ، فَأَمَّا ٱلتَّشْدِيدُ

= أوسط الناس. يقول: إن أبويه سبقا أوساط الناس، وساويا الملوك، وهو يطلب سبقها.

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٤/ ٤١١ مادة «سوا».

وقولهم: لا سيَّما كلمة يُستثنى بها وهو سيَّ ضُمَّ إليه ما، والاسم الذي بعد ما لك فيه وجهان: إن شئت جعلت ما بمنزلة الذي وأضمرت ابتداءً ورفعت الاسم الذي تذكره بخبر الابتداء، تقول: جاءني القومُ ولا سيَّما أخوك أي ولا سيَّما الذي هو أخوك، وإن شئت جَرَرْتَ ما بعده على أن تجعل ما زائدة وتجرَّ الاسم بِسِيِّ «لأن معنى سِيَّ يعني مثل؛ ويُنشد قول امرئ القيس:

ألا رُبَّ يـوم لَكَ مـنـهُـنَّ صـالـحٍ، ولا سِـيَّـمـا يـومٌ بـدارةِ جُـلْـجُـلِ

مجروراً ومرفوعاً، فمن رواه ولا سيّما يومِ أراد ومثل يومٍ وما صلة، ومن رواهُ يومٌ أراد ولا سِيَّ الذي هو يومٌ...».

«ألا»: افتتاح للكلام. و«ربَّ» فيها لغات، أوضحهنَّ ضمّ الراء وتشديد الياء.. والمعنى: ألا ربَّ يوم كان فيه لك منهنَّ سرور وغبطة. و«السِّيُّ»: المثل. ودارة جُلجُل: موضع. ويروى بـ«ولا سيّما يوم» و«يومٌ» بالجرّ والرفع. فمن جرّه جعل «ما» زائدة للتوكيد، وهو الجيّد. ومن رفعه جعل «ما» بمعنى الذي، وأضمر مبتدأ، والمعنى: ولا سيّما هو يومٌ.. ومعنى قوله «ولا سيّما يوم بدارة جُلجُل» التعجب من فضل هذا اليوم، أي: هو يوم يفضلُ سائر الأيام. وقال هشام ابنُ الكلبي: «دارة جُلجُل» عند غمْر ذي كندة. وقال الأصمعي وأبو عبيدة: دارة جُلجُل في الحمى». انظر: شرح القصائد العشر: ٣٤ ـ ٣٥.

ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٢/ ٨٦، خزانة الأدب، للبغدادي ٢/ ٦٣، مغني اللبيب، لابن هشام وشرح شواهده للسيوطي: ١٤٠، ٣١٣ (١٤١، ٢٤٧)، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ١٤٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١٣٤، الدرر اللوامع ١/ ١٩٩، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ١٤٤، الديوان: ٣٢.

فَهُوَ ٱللُّغَةُ ٱلعَالِيَةُ، وَبَعْضُ ٱلنَّاسِ يُخَفِّفُ، ويُقَالُ: إِنَّ ٱلفَرَزْدَقَ[١] مَرَّ وَهُوَ سَكْرَانُ عَلَى كِلَابٍ مُجْتَمِعَةٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَلَمَّا لَمْ يَسْمَعِ ٱلجَوَابَ أَنْشَأَ يَقُولُ:

[الوافر]

فَمَا رَدَّ ٱلسَّلَامَ شُيُوخُ قَوْمٍ ... مَرَرْتُ بِهِمْ عَلَى سِكَكِ ٱلبَرِيدِ

وَلَا سِيَّمَا ٱلَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ ... قَطِيفَةُ[٢] أُرْجُوَانٍ فِي ٱلقُعُودِ

فَيَقُولُ ٱمْرُؤُ ٱلقَيْسِ: أَمَّا أَنَا فَمَا قُلْتُ فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ إِلَّا بِزِحَافٍ: «لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ». وَأَمَّا ٱلمُعَلِّمُونَ فِي ٱلإِسْلَامِ فَغَيَّرُوهُ عَلَى حَسَبِ ما يُرِيدُون، ولَا بَأْسَ بِٱلوَجْهِ ٱلَّذِي ٱخْتَارُوهُ.

وَٱلوُجُوهُ فِي يَوْمٍ مُتَقَارِبَةٌ (وَسِيَّ) تَشْدِيدُها أَحْسَنُ وَأَعْرَفُ. فَيَقُولُ: أَجَلْ، إِذَا خَفَّفْتَ صَارَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ أَحَدُهُما حَرْفُ عِلَّةٍ.

وَيَقُولُ: أَخْبِرْنِي عَنِ ٱلتَّسْمِيطِ[٣] ٱلمَنْسُوبِ إِلَيْكَ، أَصَحِيحٌ هو عَنْكَ؟ وَيُنْشِدُهُ ٱلَّذِي يَرْوِيهِ بَعْضُ ٱلنَّاسِ:

يَا صَحْبَنَا عَرِّجُوا ... تَقِفْ بِكُمْ أُسُجُ[٤]

مَهْرِيَّةٌ[٥] دُلَّجُ[٦]، ... فِي سَيْرِهَا مَعَجُ[٧]

طَالَتْ بِهَا ٱلرِّحَلُ

فَعَرَّجُوا كُلُّهُمْ ... وَٱلهَمُّ يَشْغَلُهُمْ

وَٱلعِيسُ تَحْمِلُهُمْ ... لَيْسَتْ تُعَلِّلُهُمْ

وَعَاجَتْ ... ٱلرَّمْلُ

يَا قَوْمُ إِنَّ ٱلهَوَى ... إِذَا أَصَابَ ٱلفَتَى

---

(١) هو: هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، شاعر من النبلاء. من أهل البصرة، أحد أشهر ثلاثة من شعراء العصر الأموي. لقب بالفرزدق لجهامة في وجهه. توفي سنة ١١٠هـ = سنة ٧٢٨م. انظر ترجمته في: الأغاني ٢/٢١٩٦، خزانة الأدب: ١/١٠٥ - ١٠٨.

(٢) القطيفة: دثار من المخمل يتدثر به المرء.

(٣) التسميط: ما كان على أجزاء عروضية مفضاة على غير روي القافية، ويسمى أيضاً المخمّس.

(٤) الأُسُج: النياق السريعة.

(٥) المهرية: المنسوبة إلى مهرة، وهي من جياد الإبل.

(٦) الدُلُج: السائرة في الليل.

(٧) المعج: سرعة السير وسهولته.

فِــي ٱلــقَــلْـبِ ثُــمَّ ٱرْتَـنَـقَــى   فَــهَــدَّ بَــعْــضَ ٱلــقِــوَى
فَــقَــدْ هَــوَى ٱلــرَّجُــلُ

فَيَقُوْلُ: لَا، وَٱللَّهِ ما سَمِعْتُ هٰذَا قطُّ، وَإِنَّهُ لَقَرِيٌّ[1] لَمْ أَسْلُكْهُ، وَإِنَّ ٱلكَذِبَ لَكَثِيرٌ، وَأَحْسَبُ هٰذَا لِبَعْضِ شُعَرَاءِ ٱلإِسْلَامِ، وَلَقَدْ ظَلَمَنِي وَأَسَاءَ إِلَيَّ؟ أَبَعْدَ كَلِمَتِي ٱلَّتِي أَوَّلُها:

[الطويل]

أَلَا ٱنْعِـمْ صَبَـاحـاً أَيُّـهَـا ٱلطَّـلَلُ ٱلبَـالِي،   وَهَلْ يَنْعُمَنْ مَنْ كَانَ فِي ٱلعَصْرِ ٱلخَالِي[2]؟

وَقَوْلِي:

[الطويل]

خَـلِيْـلَـيَّ مُـرَّا بِـي عَـلَـى أُمِّ جُـنْـدَبِ   لِأَقْـضِـيَ لُبَـانَـاتِ ٱلـفُـؤَادِ ٱلـمُـعَـذَّبِ[3]

يُقَالُ لِي مِثْلُ ذٰلِكَ؟ وَٱلرَّجَزُ[4] مِنْ أَضْعَفِ ٱلشِّعْرِ، وَهٰذَا ٱلوَزْنُ مِنْ أَضْعَفِ ٱلرَّجَزِ.

فَيُعْجَبُ، مَلَأَ ٱللَّهُ فُؤَادَهُ بِٱلسُّرورِ، لِمَا سَمِعَهُ مِنِ ٱمرِئِ ٱلقَيْسِ، ويَقُوْلُ: كَيْفَ تُنْشِدُ؟

[الكامل]

جَـالَتْ لِتَـصْـرَعَـنِي فَـقُـلْتُ لَهَـا: قَـرِّي   إِنِّـي ٱمْـرُؤٌ صَـرْعِـي عَـلَـيْـكِ حَـرَامُ

أَتَقُولُ: حَرَامُ، فَتُقْوِي[5]؟ أَمْ تَقُوْلُ: حَرَامِ، فَتُخْرِجَهُ مَخْرَجَ حَذَامِ وَقَطَامِ؟ وَقَدْ

---

(١) القري: الأسلوب في الروي والقافية والوزن.

(٢) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ١٣٩.
«أَلَا عِـمْ صَبَـاحـاً أَيُّـهـا ٱلـطَّـلَلُ ٱلـبَـالِـي   وَهَلْ يَنْعُمنْ مَنْ كَانَ في ٱلعُصُرِ ٱلخالي»
يحيي الطلل بالتحيَّة الجاهلية ويدعو له بالنعيم، فإن معنى عِمْ صباحاً: أنعم صباحاً. والمراد بالطلل: أهله. وقوله: وهل ينعمن، يخاطب الطلل فيقول له: قد تفرَّق أهلك عنك، فتغيَّرت عمّا كنت عليه، فكيف تنعم بعدهم. وهو هنا يضرب مثل الطلل ويريد نفسه.

(٣) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ٦٤.
خَـلِيـلَـيَّ مُـرَّا بِـي عَـلَـى أُمِّ جُـنْـدَبِ   نُـقَـضِّ لُبـانـاتِ ٱلـفُـؤادِ ٱلـمُـعَـذَّبِ
اللبانات واحدها لُبانة: «الحاجة من غير فاقة ولكن من هِمَّة». انظر: لسان العرب ١٣/ ٣٣٧ مادة «لبن».
«وزعم الفراء: أن العرب تُخاطب الواحد بمخاطبة الاثنين؛ فيقول الرجل: يا رجلُ قوما وأنشد. .». انظر: إعراب القرآن، لابن النحاس ٤/ ٢٢٨.

(٤) الرجز: أحد البحور في الشعر العربي.

(٥) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ١٦٣.
جَـالَتْ لِتَصْرَعَـنـي فقُـلْتُ لَهَـا: ٱقْـصِري: إنِّـي ٱمْـرؤٌ صَـرْعِـي عَـلَـيْـكِ حَـرَامُ
حرام: في هذه القافية إقواء لأن القصيدة مخفوضة وهذا البيت آخره مرفوع.

كَانَ بَعْضُ عُلَمَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلثَّانِيَةِ يَجْعَلُكَ لَا يَجُوزُ ٱلإِقْوَاءُ عَلَيْكَ. فَيَقُولُ ٱمْرَؤُ ٱلقَيْسِ: لَا نَكِرَةَ عِنْدَنَا فِي ٱلإِقْوَاءِ، أَمَا سَمِعْتَ ٱلبَيْتَ فِي هٰذِهِ ٱلقَصِيْدَةِ؟

[الكامل]

فَكَأَنَّ بَذْراً وَاصِلٌ بِكُتَيْفَةٍ، وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ إِرْمَامُ[1]

فَيَقُولُ: لَقَدْ صَدَقْتَ يا أَبَا هِنْدٍ، لِأَنَّ إِرْمَاماً هٰهُنَا، لَيْسَ وَاقِعاً مَوْقِعَ ٱلصِّفَةِ فَيُحْمَلُ عَلَى ٱلمُجَاوَرَةِ، لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى كَأَنَّما؛ وَإِضَافَتُهُ إِلَى يَاءِ ٱلنَّفْسِ تُضْعِفُ ٱلغَرَضَ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلإِضَافَةِ فِي قَوْلِ ٱلفَرَزْدَقِ:

[الوافر]

فَمَا تَدْرِي إِذَا قَعَدَتْ عَلَيْهِ أَسَعْدُ ٱللَّهِ أَكْثَرُ أَمْ جِذَامِ

فَقَالُوا: أَضَافَ كَمَا قَالَ جَرِيْرٌ[2]:

[البسيط]

تِلْكُمْ قُرَيْشِيَ وَٱلأَنْصَارُ أَنْصَارِي[3]

وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ:

[الكامل]

وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَتْ وَرَائِي مَازِنٌ أَوْلَادُ جَنْدَلَتِي كَخَيْرِ ٱلجَنْدَلِ

وبَعْضُهُمْ يَرْوِي:

أَوْلَادُ جَنْدَلَةٍ كَخَيْرِ ٱلجَنْدَلِ

وَجَنْدَلَةُ هٰذِهِ هِيَ أُمُّ مَازِنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ وَهِيَ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ.

---

(١) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ١٦٤.
وَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَصِيلُ كُتَيْفَةٍ وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامُ
بدر وكُتَيْفَة: موضعان متباعد ما بينهما وكذا عاقل وأرمام.
وقوله وصيل، أي وصل بكُتَيْفة. وفي البيت إقواء.

(٢) هو: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة ١١٠هـ = سنة ٧٢٨م. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/ ١٠٢، الأغاني: أول المجلد الثامن من طبعة دار الكتب.

(٣) ورد البيت في: ديوان جرير، صفحة: ٢٤١.
إِنَّ ٱلذينَ ٱجْتَنَبُوا مَجْداً وَمَكْرُمَةً تِلْكُمْ قُرَيْشِيَ وَٱلأَنْصَارُ أَنْصَاري

وَإِنَّا لَنَرْوِي لَكَ بَيْتاً مَا هُوَ فِي كُلِّ ٱلرِّوَايَاتِ، وَأَظُنُّهُ مَصْنُوعاً لِأَنَّ فِيْهِ مَا لَمْ تَجْرِ عَادَتُكَ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ قَوْلُكَ:

[الطويل]

وَعَمْرُو بْنُ دَرْمَاءَ ٱلْهُمَامُ إِذَا غَدَا بِصَارِمِهِ، يَمْشِي كَمِشْيَةِ قَسْوَرَا(١)

فَيَقُوْلُ: أَبْعَدَ ٱللَّهُ ٱلآخِرَ، لَقَدِ ٱخْتَرَصَ(٢)، فَمَا ٱتَّرَصَ(٣)! وَإِنَّ نِسْبَةَ مِثْلِ هٰذَا إِلَيَّ لَأَعُدُّهُ إِحْدَى ٱلوَصْمَاتِ، فَإِنْ كَانَ مَنْ فَعَلَهُ جَاهِلِيًّا، فَهُوَ مِنَ ٱلَّذِينَ وَجَدُوا فِي ٱلنَّارِ صُلِيًّا، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلإِسْلامِ، فَقَدْ خَبَطَ(٤) فِي ظَلَامٍ.

وَإِنَّمَا أُنْكِرَ حَذْفُ ٱلهَاءِ مِنْ قَسْوَرَةٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْضِعِ ٱلحَذْفِ، وَقَلَّ مَا يُصَابُ فِي أَشْعَارِ ٱلعَرَبِ مِثْلُ ذٰلِكَ. فَأَمَّا قَوْلُ ٱلقَائِلِ:

[البسيط]

إِنَّ ٱبْنَ حَارِثِ إِنِ ٱشْتَقْ لِرُؤْيَتِهِ أَوْ أَمْتَدِحْهُ، فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ عَلِمُوا(٥)

فَلَيْسَ مِنْ هٰذَا ٱلنَّحْوِ، إِذْ كَانَ ٱلتَّغْيِيرُ إِلى ٱلأَسْمَاءِ ٱلمَوْضُوعةِ أسرعَ مِنْهُ إِلى ٱلأَسْمَاءِ هِيَ نَكِرَاتٌ، إِذَا كَانَتِ ٱلنَّكِرَةُ أَصْلًا في ٱلبَابِ.

عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ(٦)

وَيَنْظُرُ فَإِذَا عَنْتَرَةُ ٱلعَبْسِيُّ مُتَلَدِّدٌ فِي ٱلسَّعِيرِ، فَيَقُوْلُ: مَا لَكَ يَا أَخَا عَبْسٍ؟ كَأَنَّكَ لَمْ تَنْطِقْ بِقَوْلِكَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ ٱلْهَواجِرُ، بِٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ(٧)

---

(١) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس، صفحة: ٩٨.
وَعَمْرُو بْنُ دَرْمَاءَ ٱلْهُمَامُ إِذا غَدَا بِصَارِمِهِ يمشي كَمِيشَةِ قَسْوَرا
عمرو بن درماء: رجل نزل به امرؤ القيس. ذو شطب: سيف مشطب.
عضب: ماضي، القسور: من أسماء الأسد.

(٢) اخترص: خالف الحقيقة. (٣) اتَّرص: جانب الاعتدال.

(٤) خبط في الظلام: وقع فيه.

(٥) قائل البيت هو أوس بن حبناء. ورد في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٣٤٣، أمالي ابن الشجري ١/ ١٢٦؛ ٢/ ٩٢، الإنصاف لابن الأنباري: ٣٥٤، المقرّب، لابن عصفور: ٤٠، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ٢٨٣، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١٨١، الدرر اللوامع ١/ ١٥٧، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ١٨٤.

(٦) مرَّت ترجمته.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ١٨٤ مادة «شوف».
«شافَ الشيءَ شَوْفاً: جلاه. والشَّوْفُ: الجَلْو، والمشوفُ: المجلُوُّ. ودينار مَشُوفٌ أي مَجْلُوٌّ؛ =

بِــزُجَــاجَــةٍ صَــفْــرَاءَ ذَاتِ أَسِــرَّةٍ   قُـرِنَـتْ بِـأَزْهَـرَ فِـي ٱلـشِّـمَـالِ مُـفَـدَّمِ[(١)]

وَإِنِّي إِذَا ذَكَرْتُ قَوْلَكَ:

هَــلْ غَــادَرَ ٱلــشُّــعَــرَاءُ مِــنْ مُــتَــرَدَّمِ[(٢)]

لَأَقُولُ: إِنَّمَا قِيلَ ذٰلِكَ وَدِيْوَانُ ٱلشِّعْرِ قَلِيْلٌ مَحفُوظٌ، فَأَمَّا ٱلآنَ فَقَدْ كَثُرَتْ عَلَى ٱلصَّائِدِ ٱلضِّبَابُ، وَعَرَفَتْ مَكَانَ ٱلجَهْلِ ٱلرِّبَابُ. وَلَوْ سَمِعْتَ مَا قِيلَ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، لَعَتِبَتْ نَفْسُكَ عَلَى مَا قُلْتَ، وَعَلِمْتَ أَنَّ ٱلأَمْرَ كَمَا قَالَ حَبِيْبُ بْنُ أَوْسٍ[(٣)]:

[الطويل]

فَـلَوْ كَـانَ يَـفْـنَـى ٱلـشِّـعْـرُ أَفْـنَـاهُ مَـا قَـرَتْ   حِـيَـاضُـكَ مِـنْـهُ فِـي ٱلـعُـصُـورِ ٱلـذَّوَاهِـبِ

= قال عنترة:

وَلَقَــدْ شَــرِبْــتُ مِــنَ ٱلــمُــدامَــةِ بَــعْــدَمَــا   رَكَــدَ ٱلــهَــواجِــرُ بِــالــمَــشُــوفِ ٱلــمُــعْــلَــمِ

يعني الدينار المجلُوَّ، وأراد بذلك ديناراً شافَهُ ضاربُهُ أي جلاه»، ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٣/ ٧٨، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٤٥، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٢٩١، ديوان عنترة: ٢٣.

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ مادة «فدم».

«وإبريق مُفْدم ومَفْدوم ومُفَدَّم: عليه فِدام.. والفَدام: لغة في الفِدام وفَدَّم الإبريق وضع على فمه الفِدام؛ قال عنترة:

بِــزُجَــاجَــةٍ صَــفْــراءَ ذاتِ أَسِــرَّةٍ،   قُــرِنَــتْ بِــأَزْهَــرَ فــي ٱلــشــمــالِ مُــفَــدَّمِ

الأزهر: الإبريق من الفضة. مفدم: مسدود الرأس بالفِدام أي المصفاة.

ورد البيت في: شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٤٦، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٢٩١، ديوان عنترة: ٢٤.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٢٣٦ مادة «ردم».

«والمُتردَّم: الموضع الذي يُرْقَع. ويقال: تردّم الرجل ثوبه أي رقعه.. ابن سيده: ثوب مُرَدَّم ومُرْتَدَمٌ ومتردَّم ومُلَدَّم خلق مرقّع؛ قال عنترة:

هــلْ غــادَرَ ٱلــشُّــعَــراءُ مِــنْ مُــتَــرَدَّمِ   أَمْ هَــلْ عَــرَفْــتَ ٱلــدَّارَ بَــعْــدَ تَــوَهُّــمِ

معناه أي مستصلح؛ وقال ابن سيده: أي من كلام يُلْصق بعضه ببعض ويُلْبَق أي قد سبقونا إلى القول فلم يَدَعوا مقالاً لقائل».

ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٨/ ١٣٥، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٣٧، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٢٦٢، ديوان عنترة: ١٥.

(٣) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) سنة ١٨٨هـ = سنة ٨٠٤م رحل إلى مصر، وارتبط اسمه بالمعتصم الخليفة العباسي. مات سنة ٢٣١هـ = سنة ٨٤٦م. من كتبه: «فحول الشعراء»، «ديوان الحماسة». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٢١، تاريخ بغداد: ٨/ ٢٤٨.

وَلٰكِنَّهُ صَوْبُ ٱلعُقُولِ إِذَا ٱنْجَلَتْ سَحَائِبُ مِنْهُ، أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

فَيَقُولُ: وَمَا حَبِيبُكُم هٰذَا؟ فَيَقُولُ: شَاعِرٌ ظَهَرَ فِي ٱلإِسْلَامِ. وَيُنْشِدُهُ شَيْئاً مِنْ نَظْمِهِ.

فَيَقُولُ: أَمَّا ٱلأَصْلُ فَعَرَبِيٌّ، وَأَمَّا ٱلفَرْعُ فَنَطَقَ بِهِ غَبِيٌّ، وَلَيْسَ هٰذَا ٱلمَذْهَبُ عَلَى ما تَعْرِفُ قَبَائِلُ ٱلعَرَبِ. فَيَقُولُ، وَهُوَ ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ: إِنَّما يُنْكِرُ عَلَيْهِ ٱلمُسْتَعارُ، وَقَدْ جَاءَتِ ٱلعَارِيَةُ فِي أَشْعَارِ كَثِيرٍ مِنَ ٱلمُتَقَدِّمِينَ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ كَٱجْتِمَاعِهَا فِيمَا نَظَمَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ.

فَمَا أَرَدْتَ بِٱلمَشُوفِ ٱلمُعْلَمِ؟ ٱلدِينَارَ أَمِ ٱلرِّدَاءَ؟ فَيَقُولُ: أَيَّ ٱلوَجْهَينِ أَرَدْتُ فَهُوَ حَسَنٌ وَلَا يَنْتَقِضُ.

فَيَقُولُ، جَعَلَ ٱللَّهُ سَمْعَهُ مُسْتَوْدَعاً كُلَّ ٱلصَّالِحَاتِ: لَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ دُخُولُ مِثْلِكَ إِلَى ٱلجَحِيمِ، وَكَأَنَّ أُذُنِي مُصْغِيَةٌ إِلى قَيْنَاتِ ٱلفُسْطَاطِ[١] وَهِيَ تُغَرِّدُ بِقَوْلِكَ:

[البسيط]

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ ٱلعَيْنِ تَذْرِيفُ[٢]؟ لَوْ أَنَّ ذا مِنْكِ قَبْلَ ٱليوم مَعْرُوفُ
تَجَلَّلَتْنِي إِذْ أَهْوَى ٱلعَصَا قِبَلِي كَأَنَّها رَشَأٌ[٣] فِي ٱلبَيْتِ مَطْرُوفُ[٤]
ٱلعَبْدُ عَبْدُكُمْ، وَٱلمَالُ مَالُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكِ عَنِّي ٱليَوْمَ مَصْرُوفُ

وَإِنِّي لَأَتَمَثَّلُ بِقَوْلِكَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ نَزَلْتِ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ، مِنِّي بِمَنْزِلَةِ ٱلمُحَبِّ ٱلمُكْرَمِ[٥]

---

(١) الفسطاط: الخيمة العظيمة.
(٢) التذريف: الغزير المنهمر.
(٣) الرشأ: ولد الظبية.
(٤) المطروف: المستحسن النادر.
(٥) ورد البيت في: ديوان عنترة، صفحة: ١٦.
يقول: وقد نزلتِ من قلبي منزلة من يُحبّ ويُكرم فتيقني هذا واعلميه قطعاً ولا تظنّي غيره.
ورد البيت في: الخصائص، لابن جنّي ٢/ ٢١٦، كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٧٨، المقرب، لابن عصفور: ٢١، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ٥٣٩؛ ٤/ ٤، شذور الذهب، لابن هشام: ٣٧٨، شرح شواهد شروح الألفية، للعيني ٢/ ٢١٤، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ٢٦٠، همع الهوامع، وشرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ٢٥٢، الدرر اللوامع ١/ ١٣٤، حاشية يس على التصريح ١/ ١٢٦، شرح المعلقات السبع، للزوزني ١٣٨، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي ٢٧٠.

وَلَقَدْ وُفِّقْتَ فِي قَوْلِكَ: ٱلْمُحَبّ، لِأَنَّكَ جِئْتَ بِٱللَّفْظِ عَلَى مَا يَجِبُ فِي أَحْبَبْتُ، وَعَامَّةُ ٱلشُّعَراءِ يَقُولُونَ: أَحْبَبْتُ، فَإِذَا صَارُوا إِلى ٱلمَفْعُولِ قَالُوا: مَحْبُوبٌ. قَالَ زُهَيْرُ بْنُ مَسْعُودٍ ٱلضَّبِّيُّ[1]:

[السريع]

وَاضِحَةُ ٱلغُرَّةِ مَحْبُوبَةٌ وَٱلفَرَسُ ٱلصَّالِحُ مَحْبُوبُ

وَقَالَ بَعضُ ٱلعُلَمَاءِ: لَمْ يَسْمَعْ بِمُحَبٍّ إِلَّا في بَيْتِ عَنْتَرَةَ.

وَإِنَّ ٱلَّذِي قَالَ: أَحْبَبْتُ، لَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: مُحَبٌّ، إِلَّا أَنَّ ٱلعَرَبَ ٱخْتَارَتْ: أَحَبَّ فِي ٱلفِعْلِ، وقَالَتْ فِي ٱلمَفْعُولِ: مَحْبُوبٌ. وَكَانَ سِيبَوَيهِ يُنْشِدُ هٰذَا ٱلبَيْتَ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ.

فَهٰذَا عَلَى رَأْيِ مَنْ قَالَ: مِغِيْرَةُ، فَكَسَرَ ٱلمِيمَ عَلَى مَعْنَى ٱلإِتْبَاعِ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَهُ عَلَى: حَبَبْتُ أُحِبُّ.

وَقَدْ جَاءَ حَبَبْتُ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

إِحِبُّ لِحُبِّهَا ٱلسُّودَانَ حَتَّى إِحِبُّ لِحُبِّهَا سُودَ ٱلكِلَابِ[2]

[الطويل]

وَوَٱللَّهِ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَلَا كَانَ أَدْنَى مِنْ عَبِيْدٍ وَمَرْشَقِ

وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا رَجَاءِ ٱلعُطَارِدِيَّ[3] قَرَأَ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحِبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] بِفَتْحِ ٱلبَاءِ.

وَٱلبَابُ فِيمَا كَانَ مُضَاعَفاً مُتَعَدِّياً أَنْ يَجِيءَ بِٱلضَّمِّ، كَقَوْلِكَ: عَدَدْتُ أَعُدُّ، وَرَدَدْتُ أَرُدُّ. وَقَدْ جَاءَتْ أَشْيَاءُ نَوَادِرُ كَقَوْلِهِمْ: شَدَدْتُ ٱلحَبْلَ أَشُدُّ وَأَشِدُّ، وَنَمَمْتُ ٱلحَدِيثَ أَنُمُّ وَأَنِمُّ، وَعَلَلْتُ ٱلقَوْلَ أَعُلُّ وَأَعِلُّ.

وَإِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ فَٱلبَابُ ٱلكَسْرُ، كَقَوْلِهِم: حَلَّ عَلَيْهِ ٱلدَّيْنُ يَحِلُّ، وَجَلَّ ٱلأَمْرُ يَجِلُّ.

---

(١) زهير بن مسعود الضبي، شاعر جاهلي.

(٢) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٩/٤٧، الجمل، للزجاجي: ١٩٥، ولم يعز لشاعر.

(٣) قرأ أبو رجاء العطاردي «يحببكم» انظر: البحر المحيط ٢/٤٣١، الكشاف ١/١٨٤، مختصر ابن خالويه: ٢٠.

وَٱلضمُّ في غيرِ ٱلمُتَعَدِّي أَكْثَرُ مِنَ ٱلكَسْرِ فِيمَا كَانَ مُتَعَدِّياً، كَقَوْلِهِمْ: شَحَّ يَشُحُّ وَيَشِحُّ، وَشَبَّ ٱلفَرَسُ يَشُبُّ وَيَشِبُّ، وَصَحَّ ٱلأَمْرُ يَصِحُّ وَيَصُحُّ، وَفَحَّتِ ٱلحَيَّةُ تَفِحُّ وَتَفُحُّ، وَجَمَّ[١] ٱلمَاءُ يَجِمُّ وَيَجُمُّ، وَجَدَّ فِي ٱلأَمْرِ يَجِدُّ وَيَجُدُّ في حروفٍ كَثيرةٍ.

عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ[٢]

وَيَنْظُرُ فَإِذَا عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ فَيَقُوْلُ: أَغزِزْ عَلَي بِمَكانِكَ! ما أَغْنَى عَنْكَ سِمْطا لُؤْلُئِك، يَعْنِي قَصِيْدَتَهُ ٱلَّتِي عَلَى ٱلبَاءِ:

[الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي ٱلحِسَانِ طَرُوبُ[٣]

وَٱلَّتِي عَلَى ٱلمِيْمِ:

[البسيط]

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا ٱسْتُوْدِعْتَ مَكْتُومُ[٤]

فَبِالَّذِي يَقْدِرُ عَلَى تَخْلِيصِكَ، مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ؟:

[الطويل]

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَتْكِ رَوَايا ٱلمُزْنِ حِيْنَ تَصُوبُ[٥]

---

(١) جم الماء: غزر وكثر.

(٢) مرّت ترجمته.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ١٥ مادة «طحا».
ومنه قيل طَحَا به قلبُه أي ذهب في كلّ مذهب؛ قال علقمة بن عبدة:
طَحَا بِكَ قَلْبٌ، في ٱلحِسَانِ طَروبُ بُعَيْدَ ٱلشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشيبُ
طحا بك: اتّسع بك وذهب كل مذهب. طروب: كثير الطرب وطرب طرباً أي اهتز واضطرب فرحاً وحزناً، وهو هنا في حزن. عصر حان مشيب: الزمن الذي حان فيه الشيب. وقال: بعيد الشباب: أي بعذر من الشباب بوقت قصير، وقد استعمل الشاعر التصغير هنا للتقريب. ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢/ ٢٦٧. معاهد التنصيص، للعباسي ١/ ٦٣، الكافي في علمي العروض والقوافي: ٩٣، المفضليات ٣٩١.

(٤) ورد البيت في: ديوان علقمة، صفحة: ٤٧.
هَلْ ما عَلِمْتَ وما ٱسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ ٱليومَ مَصْرومُ
استودعت: استكتمت الوديعة، صين عن الابتذال والامتهان. مكتوم: مستور. حبلها: وصلها. نأتك: بعدت عنك. مصروم: مقطوع.
يقول الضبّي أي هل ما علمت وما استودعت من حبها مكتوم عندها أم منتشر. وهنا يتساءل الشاعر هل هي على العهد وفيّة أم أن وصلها قد انقطع فخانت العهد إذ بعدت عنه.

(٥) ورد البيت في: ديوان عبدة، صفحة: ٢٢.
مغمّر: الغَمْر والغِمْر والغُمْر: من لم يجرّب الأمور، الجاهل، وقال الضبي: المغمَّر من لم=

وَمَا ٱلْقَلْبُ، أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةٌ يَخُطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ[(١)]

أَعَنَيْتَ بِٱلْقَلِيبِ هٰذَا ٱلَّذِي يُورِدُ، أَمِ ٱلْقَبْرَ؟ وَلِكُلٍّ وَجْهٌ حَسَنٌ. فَيَقُولُ عَلْقَمَةُ: إِنَّكَ لَتَسْتَضْحِكُ عَابِساً، وَتُرِيدُ أَنْ تَجْنِيَ ٱلثَّمَرَ يَابِساً، فَعَلَيْكَ شُغْلَكَ أَيُّها ٱلسَّلِيمُ!

فَيَقُولُ: لَوْ شَفَعَتْ لِأَحَدٍ أَبْيَاتٌ صَادِقَةٌ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ ٱللّٰهِ، سُبْحَانَهُ، لَشَفَعَتْ لَكَ أَبْيَاتُكَ فِي وَصْفِ ٱلنِّسَاءِ، أَعْنِي قَوْلَكَ:

[الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِٱلنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ ٱلنِّسَاءِ طَبِيبُ[(٢)]

إِذَا شَابَ رَأْسُ ٱلْمَرْءِ، أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِنَّ نَصِيبُ[(٣)]

يُرِدْنَ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ، وَشَرْخُ ٱلشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ[(٤)]

= يجرّب الأمور. المُزْن: السحاب أو ذو الماء منه، وقد قال الضبيّ: المزن سَحَابٌ أبيض يأتي من قُبُل الصيف. رَوَايا المزن، الراوية هي الحاملة للشيء، وروايا المزن الحاملة للماء. تصوب: صاب المطر أي صبّ ونزل، وصابت السماءُ الأرض أي جاءتها بالمطر.

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ١٠٣ مادة «ثرمد».
«وثَرْمَد وثَرْمَداء: موضعان؛ وقال علقمة:
وَمَا أَنْتَ أَمَّا ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةٌ، يَخُطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ
قال أبو منصور: ورأيت ماء في ديار بني سعد يقال له ثَرْمَداء». ورد البيت في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ١٣٣، الدرر اللوامع ٢/ ١٧٩، المفضليات: ٣٩٦، ديوان علقمة بن عبدة: ٢٣.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٥٥٤ مادة «طبب».
«وأصل الطبّ: الحِذْق بالأشياء والمهارة بها، يقال: رجل طَبٌّ وطبيب إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المرض؛ .. وقال علقمة:
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِٱلنِّسَاءِ، فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ ٱلنِّسَاءِ طَبِيبُ»
ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/ ١٦، الدرر اللوامع ٢/ ١٤، المفضليات ٣٩٢، ديوان علقمة ٢٣.

(٣) ورد البيت في: ديوان علقمة، صفحة: ٢٣.
يقول الشاعر: إذا علا الشيب رأس المرء وقلّ ماله، فليس له نصيب من وُدّ النساء.
ورد البيت في: كتاب سيبويه، وشرح شواهده، للأعلم ١/ ١٠٧، المقتضب، للمبرد ٢/ ١٧٣، المفضليات ٣٩٤.

(٤) ورد البيت في: ديوان علقمة، صفحة: ٢٣.
ثراء المال: كثرته. شرخ الشباب: أول الشباب. يقول: إنّ النساء يُرِدْن في المرء كثرة المال وشرخ الشباب ويُعجبهنّ فيه ذلك.

وَلَوْ صَادَفْتُ مِنكَ رَاحَةً لَسَأَلْتُكَ عَنْ قَوْلِكَ:

[الطويل]

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَّ بِنِعْمَةٍ فَحَقٌّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[1]

أَهٰكَذَا نَطَقْتَ بِهَا طَاءً مُشَدَّدَةً، أَمْ قَالَهَا كَذٰلِكَ عَرَبِيٌّ سِوَاكَ؟ فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ ٱلشَّاعِرُ ٱلْكَلِمَةَ، فَيُغَيِّرُهَا عَنْ تِلْكَ ٱلْحَالِ ٱلرُّوَاةُ.

وَإِنَّ فِي نَفْسِي لَحَاجَةً مِنْ قَوْلِكَ:

[البسيط]

كَأْسٌ عَزِيزٌ مِنَ ٱلأَعْنَابِ عَتَّقَهَا لِبَعْضِ أَرْبَابِهَا حَانِيَّةٌ حُومُ[2]

فَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِي قَوْلِكَ حُومُ، فَقِيلَ: أَرَادَ حَماً، أَيْ سُوداً، فَأَبْدَلَ مِنَ

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٢٨٣ مادة «خبط».
«وخَبَطه بخير: أعطاه من غير معرفة بينهما؛ قال علقمة بن عبدة:
وفي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ، فَحُقَّ لِشأْسٍ مِنْ نداك ذَنُوبُ
وشأس: اسم أخي علقمة، ويروى: قد خَبَطَّ أراد خَبَطْتَ فقلب التاء طاء وأدغم الطاء الأولى فيها، ولو قال خَبَتَّ يريد خَبَطْتَ لكان أقيس اللغتين...».
خبطْت بنعمة: أنعمت وتفضلت. شأس: قال الضَّبي شأس أخو علقمة. نداك: خيرك وجودك. ذَنوب: الذنوب: الدلو، وهنا النصيب.
ورد البيت في: كتاب سيبويه، وشرح شواهده، للأعلم ٢/ ٤٢٣، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٨١، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٤٨/٥، ٤٨/١٠، ١٥١، المنصف، لابن جنّي ٢/ ٣٣٢، شرح شواهد الشافية، للبغدادي ٤٩٤، ديوان علقمة ٢٩.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ١٦٢ مادة «حوم».
وقال الأصمعي في قول علقمة بن عبدة:
كَأْسٌ عزيزٌ مِنَ الأعناب عتّقها لِبَعْضِ أربابِها، حانيةٌ حُومُ
قال: الحُومُ الكثيرة، وقال خالد بن كلثوم: الحُومُ التي تحوم في الرأس أي تدور، والمعتقة: التي طال مكثها».
كأس: الإناء المملوء خمراً. عزيز: قال الرستميّ: العزيز: الملك. الأعناب: جمع عنب عتّقها: ترك الخمرة في دنّها تعتّق فأطال حبسها. لبعض أحيانها: لبعض المناسبات الخاصة كعيد أو فصح. حانيّة: قوم خمّارون نسبة إلى الحانة وقيل للحانوت. حومُ: الكثير وأصله الفتح وحمّه هنا للرويّ.
يقول: إنّ هذا من الخمر المعتّقة قد حفّظها الخمّارون لمناسبات خاصة وهو يفخر بجودة هذه الخمرة المعتقة.
ورد البيت في: كتاب سيبويه، وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٢١٣٤ المقرّب، لابن عصفور: ٨٥، المفضليات: ٤٠٢، ديوان علقمة: ٥٧.

إِحْدَى ٱلمِيْمَينِ وَاواً وقِيْلَ: أَرادَ حُوْماً أَيْ كَثِيراً، فَضَمَّ ٱلحَاءَ لِلضَّرُورَةِ، وَقِيْلَ: حَوَمَ، يَحَامُ بِهَا عَلَى ٱلشَّرْبِ أَيْ يُطَافُ.

وَكَذٰلِكَ قَوْلُكَ:

[البسيط]

يَـهْـدِي بِـهَـا أَكْـلَفُ ٱلـخَـدَّيْـنِ مُـخْـتَـبِـرُ مِـنَ ٱلـجِـمَـالِ كَـثِـيْـرُ ٱلـلَّـحْـمِ عَـيْـثُـومُ[1]

فَرُوِيَ: يَهْدِي، بِٱلدَّالِ غيرِ مُعْجَمَةٍ، وَيَهْذِي بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ.

وَقِيْلَ: مُخْتَبِرٌ، مِنِ ٱخْتِبَارِ ٱلحَوَائِلِ[2] مِنَ ٱللَّوَاقِحِ، وَقِيْلَ: هُوَ مِنَ ٱلخَبِيرِ أَيِ ٱلزَّبَدِ، وَقِيْلَ: ٱلخَبِيرُ ٱللَّحْمُ، وقِيْلَ: هُوَ ٱلوَبَرُ.

عَمْرُو بْنُ كُلْثُوم ٱلتَّغْلِبِيُّ[3]

فَلَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ كُلْثومٍ؟ فَيُقَالُ: هَا هُوَ ذَا مِنْ تَحْتِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُحَاوِرَهُ فَحَاوِرْهُ.

فَيَقُولُ: كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلمُصْطَبِحُ[4] بِصَحْنِ ٱلغَانِيَةِ، وَٱلمُغْتَبِقُ[5] مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلفَانِيَةِ؟ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تُسَانِدْ فِي قَوْلِكَ:

[الوافر]

كَـأَنَّ مُـتُـونَـهُـنَّ مُـتُـونُ غُـدْرٍ تُـصَـفِّـقُـهَـا ٱلـرِّيَـاحُ إِذَا جَـرَيْـنَـا[6]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٣٨٤ مادة «عثم».
«والعَيْثُوم: الضخم الشديد من كل شيء. وجمل عَيْثوم: ضخم شديد؛ وأنشد لعلقمة بن عبدة:
يَـهْـدِي بِـهَـا أَكْـلَفُ الـخـدَّيـن مُـخْـتَـبَـرٌ، مِـنَ الـجـمـالِ، كـثـيـرُ الـلَّـحـم عَـيْـثـومُ»
يهدي بها يتقدّمها. أَكْلَف: الكُلفة هي حمرة كَدِرَةٌ أو سواد أشرب حمرةً. مختبر: مجرّب. عيثوم: عظيم الخفّ والعيثوم: الفيل أيضاً وقد شبّه الجمل الفحل بالعيثوم للدلالة على عظمه. يقول: يتقدّم هذه الإبل فحل مختبر سمين عظيم الجثّة.
ورد البيت في: كتاب سيبويه، وشرح وشواهده، للأعلم ٢/ ٣٢٥، المفضليات ٤٠٤، ديوان علقمة ٦١.

(٢) الحوائل: مفرده حائل: وهي التي لا تنجب.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) المصطبح: الذي يشرب الصبوح، وفي ذلك إشارة إلى مطلع معلقته: ألا هبّي بصحنك فاصبحينا.

(٥) المغتبق، من الغبوق: وهو شراب المساء.

(٦) ورد البيت في: ديوان عمرو بن كلثوم، صفحة: ٦٧.
كَـأَنَّ غُـصُـونَـهُـنَّ مُـتُـونُ غُـدْرٍ تُـصَـفِّـقُـهَـا الـرِّيَـاحُ إذا جَـرَيْـنَـا =

فَيَقُوْلُ عَمْرٌو: إِنَّكَ لَقَرِيرُ ٱلعَيْنِ لَا تَشْعُرُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ، فَٱشْغِلْ نَفْسَكَ بِتَمْجِيدِ ٱللَّهِ وَٱتْرُكْ مَا ذَهَبَ فَإِنَّهُ لَا يَعُوْدُ. وَأَمَّا ذِكْرُكَ سِنَادِي، فَإِنَّ ٱلإِخْوَةَ لَيَكُونُونَ ثَلاثَةً أَوْ أَرْبَعَةً، وَيَكُوْنُ فِيْهِمُ ٱلأَعْرَجُ أَوِ ٱلأَبْخَقُ[1] فَلَا يُعَابُوْنَ بِذٰلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا بَلَغُوا ٱلمَائَةَ في ٱلعَدَدِ، وَرَهَاقُهَا[2] في ٱلمُدَدِ؟ فَيَقُوْلُ: أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنَّكَ قَصَرْتَ عَلَى شُرْبِ حَمِيْمٍ، وَأُخِذْتَ بِعَمَلِكَ ٱلذَّمِيْمِ، مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ تُسْبأُ لَكَ ٱلقَهْوَةُ[3] مِنْ خُصٍّ[4] أَوْ غَيْرِ خُصٍّ، تُقَابِلُكَ بِلَوْنِ ٱلحُصِّ.

وَقَالُوْا فِي قَوْلِكَ «سَخِيناً» قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُما أَنَّهُ فَعَلْنَا مِنَ ٱلسَّخاءِ وَٱلنُّونُ نُوْنُ ٱلمُتَكَلِّمِيْنَ، وَٱلآخَرُ أَنَّهُ مِنَ ٱلمَاءِ ٱلثَّخِيْنِ[5] لِأَنَّ ٱلأَنْدَرِينَ[6] وقَاصِرِينَ[7] كَانَتَا فِي ذٰلِكَ ٱلزمَنِ لِلرُّوْمِ، وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَشْرَبُوا ٱلخَمْرَ بِٱلمَاءِ ٱلثَّخِيْنِ فِي صَيْفٍ وَشِتَاءٍ.

وَلَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ ٱلأُدَبَاءِ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ عَنْ قَوْلِكَ:

[الوافر]

فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ ... أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ ٱلحَنِيْنَا[8]

وَلَا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا ... لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِيْنَا[9]

= الغدر: مخفف غُدُر وهو جمع غدير. تصفقه: تضربه، شبه غصون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح في جريها، والطرائق التي ترى في الدروع بالتي تراها في الماء إذا ضربته الريح.
ورد البيت في: شرح المعلقات السبع، للزوزني ١٣٢، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣٥٧.

(١) الأبخق: الأعور.

(٢) الرهاق: الزهاء.

(٣) تسبأ لك القهوةُ: تُشرى لك الخمرة.

(٤) الخص: حانوت الخمّار.

(٥) الماء الثخين: الغليظ والصلب.

(٦) الأندرين: قرية في جنوب حلب.

(٧) قاصرين: بلد كان بقرب بالس.

(٨) ورد البيت في: ديوان عمرو، صفحة: ٥٥.
قال القاضي أبو سعيد السيرافي: البعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والسقب بمنزلة الصبي، والحائل بمنزلة الصبية، والحوار بمنزلة الولد، والبكر بمنزلة الفتي، والقلوص بمنزلة الجارية. الوجد: الحزن، والفعل وجد يجد. الترجيع: ترديد الصوت. والحنين: صوت المتوجّع. يقول: فما حزنت حزناً مثل حزني ناقة أضلت ولدها فردّدت صوتها مع توجعها في طلبها، يريد أنّ حزن هذه الناقة دون حزنه لفراق حبيبته.
ورد البيت في: شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٢٢، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣٣٠.

=

هَلْ يَجُوزُ نَصْبُ شَمْطَاءَ؟ فَلَمْ يُجِبْ بِشْيءٍ، وَذٰلِكَ يَجُوزُ عِنْدِي مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُما على إِضْمَارِ فِعْلٍ دَلَّ عَلَيْهِ ٱلسَّامِعَ مَعْرِفَتُهُ بِهِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: ولَا أَذْكُرُ شَمْطَاءَ، أَيْ إِنَّ حَنِينَها شَدِيدٌ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَوْلِكَ: وَلَا تنسَ شَمْطَاءَ، أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلأَفْعَالِ؛ وَهٰذَا كَقَوْلِكَ: إِنَّ كَعْبَ بْنَ مَامَةَ[1] جَوادٌ وَلَا حاتَماً[2]؛ أَيْ وَلَا أَذْكُرُ حَاتِماً، أَيْ إِنَّهُ جَوادٌ عَظِيمُ ٱلجُوْدِ، قَدِ ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ ذِكْرِهِ بِٱشْتهارِهِ.

وَٱلآخَرُ، أَنْ يَكُوْنَ مِنْ وَلَاهُ ٱلمَطَرُ إِذا سَقَاهُ ٱلسَّقْيَةَ ٱلثَّانِيَةَ، أَيْ هٰذَا ٱلحَنِينُ ٱتَّفَقَ مَعَ حَنِينِي، فَكَأَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ وَلِيًّا؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَلِيَ يَلِي، وَقَلَبَ ٱليَاءَ عَلَى ٱللُّغَةِ ٱلطائِيَّةِ.

ٱلْحَارِثُ ٱليَشْكُرِيُّ[3]

وَيَنْظُرُ فَإِذَا ٱلحَارِثُ ٱليَشْكُرِيُّ فَيَقُوْلُ: لَقَدْ أَتْعَبَتَ ٱلرُّوَاةَ في تَفْسِيرِ قَوْلِكَ:

[الخفيف]

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ ٱلعَيْـ ـرَ مُوَالٍ لَنَا، وَأَنَا ٱلوَلَاءُ[4]

= ورد البيت في: ديوان عمرو، صفحة: ٥٦.

الشمط: بياض الشعر. والجنين: المستور في القبر هنا. يقول: ولا حزنت كحزني عجوز لم يترك شقاها لها إلّا مدفوناً في قبره، يريد أن حزن العجوز التي فقدت تسعة بنين دون حزنه عند فراق عشيقته.

(١) هو: كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، أبو دؤاد: كريم، جاهلي. يضرب به المثل في حسن الجوار، وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار: «اِسق أخاك النمري. انظر ترجمته في: أمثال الميداني ١/١٠٩ و١٢٣، جمهرة الأنساب: ٣٠٨.

(٢) هو: حاتم بن عبد اللّٰه بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عديّ، فارس شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوّج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طي) سنة ٤٦ ق. م = سنة ٥٧٨هـ.

(٣) هو: الحارث بن حِلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق. وهو أحد أصحاب المعلقات كان أبرص فخوراً. انظر ترجمته في الأغاني طبعة دار الكتب ١١، ٤٢، الشعر والشعراء: ٥٣.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٦٢١ مادة «عير». ولم يعزه لقائله «والعَيْر: السيد والملك. وعَيْر القوم: سيدهم؛ وقوله:

زعموا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ ٱلعَيْـ ـرَ مُوالٍ لنا، وأَنَّى ٱلولاءُ؟

قيل: معناه كلُّ من ضرب بجفنٍ على عَيْرٍ، وقيل: يعني الوتد، أي من ضرب وتداً من أهل العَمَد، وقيل: يعني إياداً لأنهم أصحاب حمير، وقيل: يعني جبلاً، ومنهم من خص فقال: جبلاً بالحجاز..». =

وَمَا أَحْسَبُكَ أَرَدْتَ إِلَّا ٱلعَيْرَ ٱلحِمَارَ.

وَلَقَدْ شَنَّعْتَ هٰذه ٱلكلمةَ بِٱلإِقْوَاءِ[1] في ذٰلِكَ ٱلبَيْتِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لُغَتُكَ أَنْ تَقِفَ على آخرِ ٱلبَيْتِ سَاكِناً، وَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ، ٱشْتَبَهَ ٱلمُطْلَقُ بِٱلمُقَيَّدِ، وَصَارَتْ هٰذِهِ ٱلقَصِيدَةُ مُضَافَةً إلى قولِ ٱلرَّاجزِ:

دَارٌ لِظَلْمِيَاءَ وَأَيْنَ ظَمْيَا أَهَلِكَتْ أَمْ هِيَ بَيْنَ ٱلأَحْيَا؟

وبَعْضُ ٱلنَّاسِ يُنْشِدُ قَوْلَكَ:

[مجزوء الرجز]

فَعِشْ بِخَيْرٍ لَا يَضِرْ كَ ٱلنُّوكُ[2] ما أُعْطِيتَ جَدًّا[3]

فَيَجْمَعُ بَيْنَ تَحرِيكِ ٱلشِّيْنِ وَحَذْفِ ٱليَاءِ، مِنْ عَاشَ يَعِيشُ، وذٰلِكَ قَلِيْلٌ رَدِيءٌ. وَمِنْهُ قَوْلُ ٱلآخرِ:

[الطويل]

مَتَى تَشْئِي يَا أُمَّ عُثْمَانَ تَصْرِمِي[4] وَأُذْنُكِ إِيذَانَ ٱلخَلِيْطِ ٱلمُزَايِلِ[5]

وَإِنَّما الكَلَامُ: مَتَى تَشَائِي، لِأَنَّ هٰذَا ٱلسَّاكِنَ إِذَا حُرِّكَ عَادَ ٱلسَّاكِنُ ٱلمَحْذُوفُ.

وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي قَوْلِكَ:

[السريع]

لَا تَكْسَعِ ٱلشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ ٱلنَّاتِجُ[6]

= ورد البيت في: شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٥٨، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣٧٩، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ٢٦٥، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٤١.

(١) الإقواء: من عيوب القافية. (٢) النوك: الحمق.

(٣) الجَدّ: بفتح الجيم. الحظ. (٤) تصرمي: تقطعي.

(٥) المزايل: المباين، المخالف.

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٣٧٤ مادة «شول».

«والشائلة من الإبل: التي أتى عليها من حَمْلها أو وضعها سبعة أشهر فخفَّ لبنها، والجمع شَوْل؛ قال الحرث بن حِلِّزة:

لا تَكْسَعِ ٱلشَّوْل بأَغْبارِها، إِنَّكَ لا تدري مَنِ ٱلنَّاتِجُ»

وأورد لسان العرب ٨/ ٣١٠ مادة «كسع» البيت أيضاً.

«وكَسَعَ الناقة بغُبرها يكْسَعُها كَسْعاً: ترك في خِلفها بقيّة من اللبن، يريد بذلك تغزيرها وهو أشدُّ لها؛ قال الحرث بن حِلِّزة:

لَا تَكْسَعِ ٱلشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا، إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ ٱلنَّاتِجُ

وَٱحْلُبْ لأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا، فَإِنَّ شَرَّ ٱللَّبَنِ ٱلوَالِجُ =

وَقَدْ كَانُوا فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ يَكْسَعُوْنَ نَاقَةَ ٱلمَيِّتِ على قَبْرِهِ، ويَزْعَمُونَ أَنَّهُ إِذَا نَهَضَ لِحَشْرٍ وَجَدَهَا قد بُعِثَتْ لَهُ فَيَرْكَبُها؛ فَلَيْتَهُ لَا يَهْصُ[١] بِثِقْلِهِ مَنْكِبُها، وهَيْهَاتَ! بَلْ حُشِرُوا عُراةً حُفاةً بُهْماً، أَيْ غُرْلاً، وتِلْكَ ٱلبَلِيَّةُ ذَكَرْتَ في قَوْلِكَ

[الخفيف]

أَتَـلَهَّـى بِـهَـا ٱلـهَـوَاجِـرَ إِذْ كُـ ـلُّ ٱبْـنِ هَـمٍّ بَـلِيَّـةٌ عَـمْـيَـاءُ[٢]

طَرَفَةُ بْنُ ٱلعَبْدِ[٣]

ويَعْمَدُ لِسُؤَالِ طَرَفَةَ بْنِ ٱلعَبْدِ فَيَقُوْلُ: يا ٱبْنَ أَخي يا طرفةُ خَفَّفَ ٱللَّهُ عنك! أَتَذْكُرُ قَوْلَك:

[الطويل]

كَـرِيـمٌ يُـروِّي نَـفْـسَـهُ فِـي حَـيَـاتِـهِ سَـتَـعْـلَمُ إِنْ مُـتْـنَـا غـداً أَيُّـنَـا ٱلـصَّـدِي[٤]

= أغبارُها: جمع الغُبر وهي بقيّة اللبن في الضرع، والوالج أي الذي يَلِج في ظهورها من اللبن المكسوع؛ يقول: لا تُغزِّرْ إبلَك تطلب بذلك قُوَّة نسلها واحلبها لأضيافك، فلعلّ عدوًّا يُغير عليها فيكون نتاجُها له دونك».

(١) يهص: يرهق.

(٢) ورد البيت في: شرح المعلقات السبع، للزوزني، صفحة: ١٥٧.
يقول: أتلعب بها في أشدّ ما يكون من الحر إذا تحيّر صاحب كلّ همّ تحيّر الناقة البلية العمياء.
يقول: أركبها وأقتحم بها لفح الهواجر إذا تحيّر غيري في أمره، يريد أنه لا يعوقه الحرّ عن مرامه.
ورد البيت في: شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٣٧٧.

(٣) هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع البحرين، وكان من ندماء الملك عمرو بن هند الذي أرسله بكتاب إلى واليه ليقتله فقتله المكعبر سنة ٦٠ ق هـ = ٥٦٤م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٩، شرح شواهد المغني: ٢٧٢.

(٤) ورد عَجزُ البيت في: لسان العرب ١٤/ ٤٥٥ مادة «صدي»: ولم يعزه لقائله.
«وقال المبرد: والصَّدي أيضاً العطش. يقال: صَدِي الرجل يَصْدَى صَدًى، فهو صَدٍ وصَدْيان، وأنشد:

سَـتـعـلـم، إنْ مُـتْـنـا صَـدى، أَيُّـنـا الـصَّـدي

وقال غيره: الصّدى العطش الشديد...».
يقول: أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمر ستعلم إنْ متنا غداً أينا العطشان. يريد أنه يموت ريّان وعاذله يموت عطشان.
ورد البيت في: ديوان طرفة بن العبد: ٣٣، المنصف، لابن جني ٣: ٧٥، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ١٣٦، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٦٢.

وَقَوْلُكَ:

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي ٱلْبَطَالَةِ مُفْسِدِ[1]

وَقَوْلُكَ:

مَتَى تَأْتِنِي، أُصْبِحْكَ كَأْساً رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْها غَانِياً، فَٱغْنَ وَٱزْدَدِ[2]

فَكَيْفَ صَبُوحُكَ ٱلآنَ وَغَبُوقُكَ؟ إِنِّي لَأُحِبُّهُمَا حَمِيماً، لَا يفتأُ مَنْ شَرِبَهُمَا ذَمِيماً.

وَهٰذَا ٱلْبَيْتُ يَتَنَازَعُ فِيهِ: فَيَنْسِبُهُ إِلَيْكَ قَوْمٌ، وَيَنْسُبُهُ آخَرُونَ إِلى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ، وَهُو بِكَلَامِكَ أَشْبَهُ، وَٱلْبَيْتُ:

وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حُوَيْرَهُ عَلَى ٱلنَّارِ، وَٱسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجَمِّدِ[3]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٥٧٢ مادة «نحم».

«ورجل نحّام: بخيل إذا طُلبت إليه حاجة كثُر سُعالُه عندها؛ قال طرفة:

أرى قَبرَ نحّامٍ بخيلٍ بمالِهِ، كقَبرِ غَوِيٍّ في ٱلبَطَالَةِ مُفْسِدِ

وقد نَحَمَ نَحِيماً. ابن الأعرابي: النَّحْمَة السعلة، وتكون الزحيرة = النحّام: الحريص على الجمع والمنع. الغوي: الغاوي الضال، والغي والغواية الضلالة، وقد غوي يغوي.

يقول: لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة فلم أبخل بأعلاقي، فقال: أرى قبر البخيل والحريص بماله كقبر الضال في بطالته المفسد بماله.

ورد البيت في: ديوان طرفة: ٣٣، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ١٣٧، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٦٢.

(٢) ورد عجز البيت في: لسان العرب ١٥/ ١٣٧، مادة «غنا».

«والغنيُّ والغاني: ذو الوَفْر؛ .. وقال طرفة:

وَإِنْ كُنْتَ عنها غانياً فَٱغْنَ وٱزْدَدِ»

ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ٢/ ٣٠٣، المقتضب ٢/ ٤٩، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٧/ ٤٦، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ١٢٦، ديوان طرفة: ٣٠.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٥٢٢ مادة «ضبح». ولم يعزه لقائله.

«ضَبُحَ العود بالنار يضبحه ضَبْحاً: أحرق شيئاً من أعاليه، وكذلك اللحم وغيره؛ الأزهري: وكذلك حجارة القدّاحةِ إذا طلعت متحرّقة مَضبوحة. وضبح القِدْحَ بالنار: لوّحه وقِدْح ضَبيحٌ ومَضبوح: مُلَوّح؛ قال:

وَأَصفرَ مَضبوحٍ نظرْتُ حِوارَهُ على ٱلنّارِ، وٱسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ

أصفر: قِدْح، وذلك أن القِدْح إذا كان فيه عِوَج ثُقّف بالنار حتى يستوي. والمَضبوحة: حجارة القدّاحة التي كأنها محترقة. .».

ورد البيت في: ديوان طرفة: ٤١، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٧٠، شرح القصائد العشر، للخطيب البغدادي: ١٥٧.

وَشَدَّ ما ٱخْتَلَفَ ٱلنُّحَاةُ فِي قَوْلِكَ:

أَلَا أَيُّهَا ذَا ٱلزَّاجِرِي أَحْضُرَ ٱلوَغَى، وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[١]

وَأَمَّا سيبويهِ فيكرَهُ نصبَ أَحضُرَ، لِأَنَّهُ يعتقِدُ أَنَّ عَوَامِلَ ٱلأفعالِ لا تُضْمَرُ. وَكَانَ الكوفيُّونَ ينصبونَ أحضُرَ بِٱلحرفِ ٱلمُقَدَّرِ، ويُقَوِّي ذلك: وأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ، فجِئْتَ بِأَنْ، وليسَ هٰذا بأبعدَ من قولِهِ:

[الطويل]

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ قَبِيلَةً، وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بِبَيْنٍ غُرَابُهَا[٢]

وَقَدْ حَكَى ٱلمَازِنِيُّ عن علي بْنِ قُطْرَبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَباهُ قُطْرُباً يحكي عَنْ بعضِ ٱلعربِ نَصْبَ أَحْضُرَ.

---

(١) ورد البيت في: ديوان طرفة، صفحة: ٣٢.
أَلَا أَيُّهَذا ٱللَّائمي أَحْضُرَ ٱلوغى، وَأَنْ أَحْضُرَ ٱللَّذاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟
الوغى: أصله صوت الأبطال في الحرب ثم جعل اسماً للحرب. الخلود: البقاء. والفعل خلد يخلد، والإخلاد والتخليد: البقاء. يقول: ألا أيها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات، هل تخلدني إن كففت عنها؟
ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٤٥٢، مجالس ثعلب: ٣٨٣، أمالي ابن الشجري ١/ ٨٣، الإنصاف، لابن الأنباري: ٥٦٠، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٢/ ٧؛ ٤/ ٢٨؛ ٧/ ٥٢، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ٥٧؛ ٣/ ٥٩٤، ٦٢٥، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٣٨٣، ٦٤١ (٢٧٠)، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ٤٠٢، الدرر اللوامع ١/ ٣، ١٥٢؛ ٢/ ١٢، همع الهوامع، وشرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ٥، ١٧٥؛ ٢/ ١٧، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ١٣٢. حيث ورد «اللائمي» بدلًا من «الزاجري».

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٣١٤ مادة «شأم».
الشُّؤم: خلاف اليُمن. ورجل مشؤوم على قومه، والجمع مشائيم نادر، وحكمه السلامة؛ أنشد سيبويه للأحوص اليربوعي:
مَشَائيمَ لَيْسُوا مُصلحينَ عَشِيرَةً ولا نَاعِبٍ إِلَّا بِشُؤْمٍ غُرابُهَا
رَدَّ ناعباً على موضع مصلحين، وموضعه خفض بالباء، أي ليسوا بمصلحين لأن قولك ليسوا مصلحين وليسوا بمصلحين معناهما واحد، وقد تشاءموا به».
ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٨٣، ١٥٤، ٤١٨، البيان والتبيين، للجاحظ ٢/ ٢٦١، الخصائص، لابن جنّي ٢/ ٣٥٤، الإنصاف، لابن الأنباري: ١٩٣، ٣٩١، ٥٩٥، شرح المفصل لابن يعيش الحلبي ٢/ ٥٢؛ ٥/ ٦٨؛ ٧/ ٥٧؛ ٨/ ٦٩، مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٤٧٨، ٥٥٣ (٢٩٥) خزانة الأدب، للبغدادي ٢/ ١٤٠؛ ٣/ ٥٠٧، ٦١٣، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٣٥، ديوان الفرزدق: ٢٣.

وَلَقَدْ جِئْتَ بِأُعْجُوبَةٍ في قولِك:

[الرجز]

لَوْ كَانَ فِي أَمْلَاكِنَا مَلِكٌ يَعْصُرُ فِينا، كَٱلَّذِي تَعْصُرُ[1]

لَاجْتَبْتُ صَحْنِيَ ٱلعَوَاقَ عَلَى حَرْفٍ أَمُونٍ، دَفُّهَا أَزْوَرُ[2]

مُتِّعُنِي يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ بِهَا فَرْعٌ تَنَقَّاهُ ٱلقِدَاحُ يُسْرُ

ولكنَّكَ سَلَكْتَ مَسَالِكَ ٱلعَرَبِ، فَجِئْتَ بقري كلمةِ ٱلمُرَقِّشِ[3]:

[الرجز]

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمُ؟ لَوْ كَانَ حَيًّا نَاطِقاً كَلِمُ

وقولِ ٱلأَعْشَى:

أَقْصِرْ فَكُلُّ طَالِبٍ سَيَمَلُّ

على أَنَّ مُرَقِّشاً خَلَطَ في كلمتِهِ فقالَ:

[الكامل]

مَاذَا عَلَيْنَا أَنْ غَزَا مَلِكٌ مِنْ آلِ جَفْنَةَ ظَالِمٌ مُرْغِمُ

وهٰذه خُرُوجٌ عَمَّا ذَهَبَ إليهِ ٱلخليلُ.

وَلَقَدْ كَثُرَتْ في أمرِكَ أَقاوِيلُ ٱلناسِ: فمنهم مَنْ يزعَمُ أَنَّكَ في مُلْكِ ٱلنُّعْمَانِ ٱعْتُقِلْتَ، وَقَالَ قَوْمٌ: بَلِ ٱلذي فَعَلَ بِكَ ما فَعَلَ عَمرو بْنُ هِنْدٍ[4].

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٥٧٩ مادة «عصر».
«والعَصْر: العَطية؛ عَصَرَهُ يعصِرُه: أعطاه، قال طرفة:
لو كان في أملاكنا واحدٌ، يَعْصِرُ فينا كالّذي تَعْصِرُ
وقال أبو عبيد: معناه أي يتخذ فينا الأيادي، وقال غيره: أي يُعطينا كالذي تُعطينا، وكان أبو سعيد يرد به: يُعْصَر وفينا كالذي يُعْصَرُ أي يُصاب منه».
والأبيات الثلاثة ليست موجودة في ديوان طرفة.

(٢) العواق: صوت قنب الفرس، وقيل: هو الصوت من كل شيء. الحرف. هو من كل شيء: طرفه وحدّه. والأمون: الناقة المأمونة العثار. الدف: الجنب. والأزور: المائل.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) هو: عمرو بن المنذر اللخمي: ملك الحيرة في الجاهليّة. عرف بنسبته إلى أمه هند (عمّة امرئ القيس الشاعر) تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر (ابن أمامة) اشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة. قتله عمرو بن كلثوم أنفة وغضباً لأمه. انظر ترجمته في: العرب قبل الإسلام ٢٠٨، المرزباني: ٢٠٥.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَثَرٌ في ٱلعاجِلَةِ إِلَّا قَصِيدَتَكَ ٱلتي على ٱلدَّالِ، لَكُنْتَ قد أَبْقَيْتَ أَثراً حَسَناً.

فيقولُ طرفةُ: وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَنطِقْ مِصْراعاً[1]، وَعَدِمْتُ في ٱلدَّارِ ٱلزَّائِلَةِ إِمْراعاً[2]، وَدَخَلْتُ ٱلجَنَّةَ مَعَ ٱلهَمَجِ[3] وَٱلطُّغامِ[4] ولم يَعْمَدْ لِمَرْسَنِي[5] بِٱلإِرْغامِ[6]، وكيفَ لي بِهَذْءٍ وَسُكُونٍ، أَرْكَنُ إِليهِ بعضَ ٱلرُّكونِ؟ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

أوسُ بْنُ حَجَرٍ

وَيَلْفِتُ عُنُقَهُ يَتَأَمَّلُ، فَإِذا هو بأوسِ بْنِ حَجَرٍ، فيقولُ: يا أَوْسُ، إِنَّ أَصْحَابَكَ لا يُجِيبُونَ ٱلسَّائِلَ، فَهَلْ لي عِنْدَكَ مِنْ جَوَابٍ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هٰذا ٱلبيتِ:

[البسيط]

وَقَارَفَتْ وَهْيَ لَمْ تَجْرَبْ، وَبَاعَ لَهَا ... مِنَ ٱلفَصَافِصِ بِٱلنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ[7]

---

(١) التصريع في مطلع القصيدة هو أن ينتهي الشطر الأول من البيت الأول بالروي ذاته الذي تنتهي به أبيات القصيدة، وهو المصراع.

(٢) الإمراع: الخصب.

(٣) الهمج: الرعاع من العامة.

(٤) الطغام: الحمقى.

(٥) المرسن: موضع الرسن.

(٦) الإرغام: الإجبار.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٣٧١ مادة «سفسر».

السِّفْسيرُ: الفيج والتابع ونحوه. ابن سيده: السِّفسير الذي يقوم على الناقة؛ قال أوس بن حجر:

وَقَارَقَتْ، وهي لم تجْرَبْ وباعَ لَهَا ... مِنَ ٱلفصافِص بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

وقيل: هو الذي يقوم على الإبل ويصلح شأنها، وقيل: هو السمسار؛ قال الأزهري: وهو معرّب...».

وأورد لسان العرب ٩/ ٢٨٠ مادة «قرف» البيت أيضاً.

«القَرَف. وقارفَ فلان الخطيئة أي خالطها. وقارف الشيء: داناه؛ ولا تكونُ المقارفة إلا في الأشياء الدنية:.. وقال النابغة:

وَقَارفَتْ، وهي لم تَجْرَبْ، وباعَ لها ... مِنَ الفصافِصِ بِالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

أي قاربت أن تجرب».

فإنَّهُ في قَصِيْدَتِكَ ٱلتي أَوَّلُها:

[البسيط]

هَلْ عَاجِلٌ مِنْ مَتَاعِ ٱلحَيِّ مَنْظُورُ أَمْ بَيْتُ دُومَةَ بَعْدَ ٱلوَصْلِ مَهْجُورُ(١)

وَيُرْوَى في قَصِيدةِ ٱلنابِغَةِ ٱلتي أَوَّلُها:

[البسيط]

وَدِّعْ أُمَامَةَ(٢) وَٱلتَّوْدِيعُ تَعْذِيرُ، وَمَا وَدَاعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ ٱلعِيرُ(٣)

وَكَذلِكَ ٱلبيتُ ٱلَّذي قبلَهُ:

[البسيط]

قَدْ عَرِيَتْ(٤) نِصفَ حَوْلٍ أَشْهُراً جُدُداً(٥) يَسْفِي عَلَى رَحْلِهَا فِي ٱلحِيْرَةِ ٱلمُورُ(٦)

وكذلِكَ قولُه:

[البسيط]

إِنَّ ٱلرَّحِيلَ إِلَى قَوْمٍ، وَإِنْ بَعُدُوا، أَمْسَوْا وَمِنْ دُونِهِمْ ثَهْلَانُ فَٱلنِّيرُ(٧)

وَكِلَاكُما مَعْدُودٌ في ٱلفُحُولِ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُحْمَلُ ذلك؟ فَلَمْ تَزَلْ تُعْجِبُني لامِيَّتُكَ ٱلتي ذَكَرْتَ فيها ٱلجَرْجَةَ، وَهي ٱلخَرِيْطَةُ مِنَ ٱلأَدَمِ، فقلْتَ لَمَّا وَصَفْتَ ٱلقَوْسَ:

[الطويل]

فَجِئْتُ بِبَيْعي مُوَلِّياً لا أَزِيْدُهُ عَلَيْهِ بِهَا، حَتَّى يَؤُوبَ ٱلمُنَخَّلُ(٨)

ثَلَاثَةُ أَبْرادٍ جِيَادٍ، وَجُرْجَةٌ، وَأَدْكَنُ مِنْ أَرْيِ الدَّبُورِ مُعَسَّلُ(٩)

---

(١) وفي الديوان، صفحة: ٣٩ ورد «بعد الإلف» بدلًا من «بعد الوصل».

(٢) أمامة: هي ابنة النابغة الذبياني.

(٣) العِير: قافلة الحمير، أطلقت على كل قافلة.

(٤) عريت: أقامت. وقد ورد في الديوان «وقد ثوت» بدلًا من «قد عريت».

(٥) الجدد: التامة.

(٦) المور: التراب الدقيق.

(٧) ثهلان والنير: جبلان من جبال نجد.

(٨) «والمُنَخَّل، بفتح الخاء مشدّدة: اسم شاعر؛ ومن أمثال العرب في الغائب الذي لا يُرجى إيابه: حتى يؤوب المنخَّل.. قال الأصمعي: المنخّل رجل أرسل في حاجة فلم يرجع، فصار مثلًا يضرب في كل من لا يُرجى..». انظر: لسان العرب ١١/ ٦٥٣ مادة «نخل».

(٩) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٢٢٤ مادة «جرج».

«والجُرْجُ: وعاء من أوعية النساء؛ وفي التهذيب: الجُرْجَة والجَرَجة ضرب من الثياب.. قال أوس بن حجر يصف قوساً حسنة، دفع من يسومها ثلاثة أبراد وأدكن أي زقًّا مملوءاً عسلًا:

ثلاثةُ أبرادٍ جيادٍ، وَجُرْجَةٌ، وَأَدْكَنُ مِنْ أَرْيِ الدَّبُورِ، مُعَسَّلُ

فيقولُ أَوْسٌ: قَدْ بلغَني أَنَّ نابغَةَ بني ذُبيانَ في ٱلجنَّةِ، فَٱسْأَلْهُ عمَّا بَدا لَكَ فَلَعَلَّهُ يُخبِرُكَ، فإنَّهُ أجْدَرُ بِأَنْ يَعِيَ هٰذه ٱلأشياءَ، فأمَّا أنا فقدْ ذُهِلْتُ: نارٌ تَوَقَّدُ، وبَنَانٌ يُعقَّدُ؛ إذا غلَبَ عليَّ ٱلظَّمأُ، رُفِعَ لِي شيءٌ كَٱلنَّهرِ، فإذا ٱغترَفْتُ منه لِأَشْرَبَ، وجدْتُهُ سَعِيراً مُضْطَرِماً، فَلَيْتَني أَصْبَحْتُ دَرِماً، وهو ٱلَّذي يُقالُ فيهِ: أَوْدَى دَرِمٌ. وهو مِنْ بَنِي دَبِّ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبانَ، ولقدْ دَخلَ ٱلجنَّةَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنّي، ولكنَّ ٱلمَغْفِرَةَ أرزاقٌ، كأنَّها ٱلنَّشَبُ في ٱلدَّارِ ٱلعاجلَةِ. فيقول، صَارَ وليُّهُ مِنَ ٱلمَتْبُوعِينَ، وَشَانِئُهُ بِٱلسَّفَهِ مِنَ ٱلمَسْبُوعِينَ[١]: إنَّما أرَدْتُ أنْ آخُذَ عَنْكَ هٰذه ٱلألفاظَ، فَأُتحِفَ بها أهْلَ ٱلجنَّةِ فأقُولُ: قالَ لِي أوسٌ، وأخبرَني أبو شُرَيْحٍ.

وَكانَ فِي عَزْمي أنْ أَسْأَلَكَ عمَّا حكاهُ سيبويهِ في قولِك:

[الطويل]

تُــواهِــقُ رِجْــلَاهَــا يَــدَاهُ، وَرَأْسُــهُ لَهَـا قَـتَـبٌ خَـلْـفَ ٱلْـحَـقِـيْـبَـةِ رَادِفُ[٢]

فَإنِّي لا أَخْتارُ أَنْ تُرْفَعَ ٱلرِّجْلانِ وَٱليَدَانِ، وَلَمْ تَدْعُ إلى ذلك ضرورةٌ، لِأَنَّكَ لو قُلْتَ: تُوَاهِقُ رِجلَيْها يَداهُ، لَمْ يَزِغِ ٱلوَزْنُ؛ ولَعلَّكَ، إنْ صَحَّ قَوْلُكَ لِذَلِكَ، أَنْ تَكُونَ طَلَبْتَ ٱلمُشاكَهةَ[٣]، وهٰذا ٱلمَذْهَبُ يَقْوَى إذا رُوِيَ: يَداها بِٱلإضافةِ إلى ٱلمُؤنَّثِ، فأمَّا في حالِ ٱلإضافةِ إلى ضميرِ ٱلمُذكَّرِ، فَلا قُوَّةَ لَهُ.

وإنِّي لَكَارِهٌ قَوْلَكَ:

[الكامل]

وَٱلْـخَـيْـلُ خَـارِجَـةٌ مِـنَ ٱلْـقَـسْـطَـالِ[٤]

---

(١) المسبوعين: المستغيبين.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ١٠/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ مادة «وهق».
«الوَهَق المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان، والجمع أوهاق؛ وأوهق الدابة: فعل بها ذلك. والمواهقة في السير: المواظبة ومدّ الأعناق. وهذه الناقة تُواهِق هذه: كأنها تباريها في السير. . وقال أوس بن حجر:
تُــواهِــقُ رِجْــلاهــا يــداهُ ورأسُــهُ لَهَـا قـتـبٌ خَـلْـفَ ٱلْـحَـقِـيْـبَـة رادفُ»

(٣) المشاكهة: المشابهة.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٥٥٧ مادة «قسطل».
«القَسْطَل والقَسْطالُ والقُسْطُولُ والقَسْطلان، كله: الغبار الساطع. والقصطل: بالصاد أيضاً. . .
وقال الجوهري: القسطال لغة فيه كأنه ممدود منه مع قلة فعلال في غير المضعف وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثي رجلًا:
ولَـنِـعْـمَ رِفْـدُ ٱلْـقـوم يـنـتـظـرونـه، وَلَـنِـعْـمَ حَـشْـوُ ٱلـدِّرْع وَٱلْـسِّـربـالِ
وَلَنِعْمَ مَـأْوى ٱلْـمُـسْـتَـضِـيـفِ إذا دَعَـا، وَٱلْـخَـيْـلُ خـارجَـةٌ مِـنَ ٱلْـقَـسْـطَـالِ»
ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٣/ ٢١٣، ديوان أوس بن حجر: ١٠٨.

أَخْرَجْتَ ٱلاسْمَ إِلَى مِثَالٍ قَلِيلٍ، لِأَنَّ فِعْلَالًا لَمْ يَجِئْ في غَيْرِ ٱلْمُضَاعَفِ، وَقَدْ حُكِيَ: ناقَةٌ بِها خَزْعَالٌ، أَيْ بِها ظَلَعٌ.

أَبو كَبِيرٍ ٱلهُذَلِيُّ، عامِرُ بْنُ ٱلحُلَيْسِ (١)

وَيَرَى رَجُلًا في ٱلنَّارِ لَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فيقول: مَنْ أَنْتَ أَيُّها ٱلشَّقِيُّ؟ فيقول: أَنَا أَبُو كبيرٍ ٱلهُذَلِيُّ، عامِرُ بْنُ ٱلحُلَيْسِ، فيقول: إِنَّكَ لَمِنْ أَعْلَامِ هُذَيْلٍ، ولكِنِّي لَمْ أُوثِرْ قَوْلَكَ:

[الكامل]

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدَلِ ... أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلشَّبَابِ ٱلأَوَّلِ

وَقُلْتَ في ٱلأُخْرَى:

[الكامل]

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ... أَمْ لَا خُلُودَ لِعَاجِزٍ مُتَكَلِّفِ (٢)

وقلتَ في ٱلثالثةِ: «أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مَنْ مَعْكَمْ».

أَيْ مِنْ مَحْبَسٍ، فهٰذا يَدُلُّ على ضِيقِ عَطَنِكَ بِٱلقَرِيضِ، فَهَلَّا ٱبتدأْتَ كُلَّ قصيدةٍ بِفَنٍّ؟ وَٱلأَصْمَعِيُّ لَمْ يَرْوِ لَكَ إِلَّا هٰذه ٱلقصائدَ ٱلثَّلاثَ، وقد حُكِيَ أَنَّهُ يَرْوِي عنك ٱلرائيةَ الَّتي أَوَّلُها: «أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مُقْصِرِ».

وَأَحْسِنْ بِقَوْلِكَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ وَرَدْتُ ٱلْمَاءَ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ ... بَيْنَ ٱلشِّتَاءِ إِلى شُهُورِ ٱلصَّيِّفِ

إِلَّا عَوَاسِلُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ ... بِٱللَّيْلِ مورد أَيِّم مُتَغَضِّفِ (٣)

---

(١) هو: عامر بن الحليس الهذلي، أبو كبير، من بني سهل بن هذيل: شاعر فحل، من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي ﷺ. انظر ترجمته في: الإصابة، الكنى، ت٩٥٢، الشعر والشعراء: ٢٥٧.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٣٠٧ مادة «كلف».
«ابن سيده: كَلِفَ الأمرَ وكلفه تجشّمه على مشقّة وعُسْرة؛ قال أبو كبير:
أَزُهيرُ، هل عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ، ... أَمْ لا خُلُودَ لِباذِلٍ مُتَكَلِّفِ؟»

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٤٠٠ مادة «مرط».
«وجمع المُرْط السهم أَمْراطٌ ومِراط.. وقال الهذلي:
إِلَّا عَوَابِسُ، كَالْمِراطِ، مُعِيدَةٌ ... بِٱللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيِّم مُتَغَضِّفِ»
وأورد لسان العرب ٩/ ٢٦٧ مادة «غضف» البيت أيضاً.
«غَضَفَ العودَ والشيءَ يغضفُهُ غَضْفاً فانغضف وغَضَّفَهُ فتغضَّف: كسره فانكسر، ولم يُنْعِمْ=

زَقَبٌ[١] يَظَلُّ ٱلذِّئْبُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ فِيهِ، فَيَسْتَنُّ ٱسْتِنَانَ ٱلأَخْلَفِ[٢]
فَصَدَدْتُ عَنْهُ ظَامِئاً، وَتَرَكْتُهُ يَهْتَزُّ غَلْفَقُهُ[٣]، كَأَنْ لَمْ يُكْشَفِ

فيقولُ أَبُو كَبِيرٍ ٱلْهُذَلِيُّ: كيفَ لي أَنْ أَقْضِمَ على جَمَراتٍ مُحْرِقاتٍ، لِأَرِدَ عِذاباً غَدَقاتٍ؟ وَإِنَّما كَلامُ أَهْلِ سَقَرٍ[٤] وَيْلٌ وَعَوِيلٌ، ليسَ لَهُمْ إِلَّا ذلكَ حَوِيلٌ، فَٱذْهَبْ لِطَيَّتِكَ[٥]، وَٱحْذَرْ أَنْ تُشْغَلَ عَنْ مَطِيَّتِكَ.

فيقولُ، بَلَّغَهُ ٱللَّهُ أَقاصِيَ ٱلأَمَلِ: كيفَ لا أَجْذَلُ وَقَدْ ضُمِنَتْ لِيَ ٱلرَّحْمَةُ ٱلدَّائِمَةُ، ضَمِنَها مَنْ يَصْدُقُ ضَمانُهُ، ويعمُّ أَهْلَ ٱلْخِيفَةِ أَمانُهُ؟

صَخْرُ ٱلْغَيِّ[٦]

فيقولُ: ما فَعَلَ صَخْرُ ٱلْغَيِّ؟ فيُقالُ: ها هو ذا حَيْثُ تَرَاهُ. فيقولُ: يا صَخْرَ ٱلْغَيِّ ما فَعَلَتْ دَهْمَاؤُك؟ لا أرضَكَ لَهَا ولا سَماؤُك! كانَتْ في عَهْدِكَ وشَبَابُها رَؤْدٌ[٧]، يَأْخُذُكَ مِنْ حَبابِهَا ٱلزُؤْدُ[٨]، فلِذلِك قلْتَ:

[المنسرح]

إِنِّي بِدَهْمَاءَ عَزَّ مَا أَجِدُ يَعْتَادُني مِنْ حِبَابِهَا زُؤُدُ[٩]!

= كسره. وتغضَّفَت الحيَّةُ: تلوَّتْ وتكسَّرت؛ قال أبو كبير الهذلي:
إِلَّا عَوَابِسُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ، مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّفِ

(١) الزقب: الطريق. والزَّقَب: الطرق الضيِّقة، واحدتها زقبة؛ وقيل: الواحد والجمع سواء، وطريق زقبٌ أي ضيِّق..». انظر: لسان العرب ١/ ٤٥٢.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ٩٠ مادة «خلف».
«والأَخْلَف: الأعسر؛ ومنه قول أبي كبير الهذلي:
زَقَبٌ، يَظَلُّ ٱلذِّئْبُ يتبع ظِلَّه مِنْ ضيق مَوْرِدِهِ، اسْتِنان ٱلأَخْلَفِ قال السكري: الأخلف المخالف العَسِرُ الذي كأنه يمشي على أحد شقيه».

(٣) الغلفق: الطحلب وهو الخضرة على رأس الماء، ويقال: ينبت في الماء ذو ورق عِراضٍ..». انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٩٤ مادة «غلفق».

(٤) سقر: من أسماء جهنم.

(٥) طيتك: طويتك، نيتك، ضميرك.

(٦) هو: صخر بن عبد الله الخيثمي، من بني هذيل: شاعر جاهلي. أغار صخر على بني المصطلق من خزاعة، فقاتلوه ومن معه، وقتلوه. انظر ترجمته في: الأغاني، طبعة الدار ٢٢/ ٣٢٤ ـ ٣٥٠.

(٧) الرؤد: الحسن الجميل.

(٨) الزؤد: الشك والريب.

(٩) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٢٩٠ مادة «حبب».
«والحِبابُ، بالكسر: المُحابَّة والموادَّةُ والحُبُّ.. وقال صخر الغي: =

وَأَيْنَ حَصَلَ تَلِيدُكَ؟ شَغَلَكَ عَنْهُ تَخْلِيدُكَ، وحقَّ لَكَ أَنْ تَنْسَاهُ، كَمَا ذُهِلَ وَحْشِيٌّ دَمِيَ نَسَاهُ.

الأَخْطَلُ ٱلتَّغْلِبِيُّ(١)

وَإِذا هُوَ بِرَجُلٍ يَتَضوَّرُ(٢)، فيقولُ مَنْ هٰذا؟ فيُقالُ: الأَخْطَلُ ٱلتَّغْلِبِيُّ، فيقولُ لَهُ: مَا زَالَتْ صِفَتُكَ لِلْخَمْرِ، حَتَّى غَادَرَتْكَ أُكُلًا لِلْجَمْرِ، كَمْ طَرِبَتِ ٱلسَّادَاتُ عَلَى قَوْلِك:

[الطويل]

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا … رِجَالٌ مِنَ ٱلسُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا(٣)

فَقُلْتُ: أصبحوني، لَا أَبَا لِأَبِيكُمُ، … وَمَا وَضَعُوا ٱلأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا

فَصَبُّوا عُقَاراً(٤) فِي ٱلإِنَاءِ كَأَنَّهَا، … إِذَا لَمَحُوهَا، جُذْوَةٌ(٥) تَتَأَكَّلُ

وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَةٍ(٦) هِيَ، بَعْدَمَا … يُعَلُّ بِهَا ٱلسَّاقِي، أَلَذُّ وَأَسْهَلُ

تَمُرُّ بِهَا ٱلأَيْدِي سَنِيحاً(٧) وَبَارِحاً(٨)، … وَتُوضَعُ بِاللَّهُمَّ حَيِّ، وَتُحْمَلُ

= إِنِّي بِدَهْمَاءَ عَزَّ مَا أَجِدُ … عَاوَدَنِي مِنْ حِبَابِهَا، ٱلزُّؤُدُ

وتحبَّب إليه: تودَّد..».

(١) مرَّت ترجمته. (٢) يتضوّر: يتألم من الجوع.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١٤/ ٤٣١ مادة «شصا».

«ويقال للزِّقاق المملوءة الشائلة القوائم والقِرَب إذا كانت مملوءة أو نفخ فيها فارتفعت قوائمها: شاصية، والجمع شواصٍ وشاصية، والجمع شواصٍ وشاصِيات. وقال الأخطل يصف زقاق الخمر:

أناخوا، فجرّوا شاصياتٍ كأنّها … رجالٌ من السودانِ لم يتسربلوا»

«السِّربال: القميص والدِّرع، وقيل: كل ما لُبِسَ فهو سِرْبال، وقد تسَرْبَلَ به وسَرْبَلَهُ إياه. وسَرْبلته فتسَرْبل أي ألبسته السربال». انظر: لسان العرب ١١/ ٣٣٥ مادة «سربل». وانظر: ديوان الأخطل ٤٠.

(٤) عقاراً: خمرة.

(٥) الجذوة: الجمرة.

(٦) بيسانية، نسبة إلى بيسان «موضع بنواحي الشام». انظر: لسان العرب ١٣/ ٥٢ مادة «بسن».

(٧) «السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك..». انظر: لسان العرب ٢/ ٤٩٠ مادة «سنح».

(٨) «والبارح: ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. والسانح: ما مرّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد. انظر: لسان العرب ٢/ ٤١١ مادة «برح».

فَتُوْقَفُ أَحْيَاناً، فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا غِنَاءُ مُغَنٍّ، أَوْ شِوَاءُ مُرَغْبَلُ[١]

فَلَذَّتْ لِمُرْتَاحٍ، وَطَابَتْ لِشَارِبٍ، وَرَاجَعَنِي مِنْهَا مَرَاحٌ وَأَخْيَلُ

فَمَا أَلْبَتَتْنَا نَشْوَةٌ لَحِقَتْ بِنَا تَوَابِعُهَا نُعَلُّ[٢] وَنُنْهَلُ[٣]

تَدُبُّ دَبِيباً[٤] فِي ٱلعِظَامِ كَأَنَّهُ دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقاً[٥] يَتَهَيَّلُ[٦]

رَبَتْ وَرَبَا فِي كَرْمِهَا ٱبْنُ مَدِينَةٍ مُكِبٌّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ[٧]

إِذَا خَافَ مِنْ نَجْمٍ عَلَيْهَا ظَمَاءَةً أَدَبَّ إِلَيْهَا جَدْوَلاً يَتَسَلْسَلُ[٨]

فَقُلْتُ: ٱقْتُلُوها عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا، وَحبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِيْنَ تُقْتَلُ[٩]

فَقَالَ ٱلتَّغْلِبِيُّ: إِنِّي جَرَرْتُ ٱلذَّارِعَ، وَلَقِيْتُ ٱلدَّارِعَ[١٠]، وَهَجَرْتُ

---

(١) «رعبل اللحم رعبلة: قطّعه لتصل النار إليه، فتنضجه، والقطعة الواحدة رُعْبولة...». انظر لسان العرب ١١/ ٢٨٩ مادة «رعبل».

(٢) نعلّ: نشرب تباعاً.

(٣) نشرب أول الشرب.

(٤) «دبَّ الشراب في الجسم والإناء والإنسان، يدبّ دبيباً: سرى». انظر: لسان العرب ١/ ٣٦٩ مادة «دبب».

(٥) النقا: الكثيب من الرمل.

(٦) يتهيّل: يتصبّب.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٢٩٤ مادة «ركل».

وتركّل الرجل بمسحاته إذا خربها برجله لتدخل في الأرض؛ قال الأخطل يصف الخمر:

رَبَتْ في كَرْمِها ابنُ مدينةٍ يَظَلُّ على مِسْحاتِهِ يتركَّلُ»

وأورد لسان العرب ١٣/ ١٧٠ مادة «دين» البيت أيضاً.

«والمَدِين: العبد. والمدينة: الأمة المملوكة كأنهما أذلّهما العمل؛ قال الأخطل:

رَبَتْ، وربا في حَجْرِها ابنُ مدينةٍ يَظَلُّ على مِسْحاتِه يَتَرَكَّلُ

ويروى: في كرمها ابن مدينة؛ قال أبو عبيدة: أي ابن أمة؛ وقال ابن الأعرابي: معنى ابن مدينة عالم بها...».

ورد البيت في: المنصف، لابن جنّي ١/ ٣١٢، لسان العرب ١٣/ ٤٠٣ مادة «مدن». ديوان الأخطل: ٥.

(٨) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٣٤٤ مادة «سلسل».

«وتسلسل الماء: جرى في حُدور أو صبب؛ قال الأخطل:

إذا خاف من نجم عليها ظماءةً، أَدَبَّ إليها جدولاً يَتَسَلْسَلُ

(٩) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٧/ ١٢٩، خزانة الأدب، للبغدادي ٤/ ١٢٢، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ١٤، شرح شواهد شروح الألفية، للعيني: ٤/ ٢٦، ديوان الأخطل: ٤.

(١٠) الدارع: لابس الدرع.

ٱلآبِدَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تُدْعَى ٱلنَّفسُ ٱلعَابِدَةُ، ولكنْ أَبَتِ ٱلأَقْضِيَةُ.

فيقولُ أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلهَلَكَةَ بِمُبْغِضِيهِ: أَخْطَأْتَ فِي أَمْرَيْنِ، جَاءَ ٱلإِسْلَامُ فَعَجِزْتَ أَنْ تَدْخُلَ فيهِ، وَلَزِمْتَ أَخْلَاقَ سَفِيهٍ؛ وَعَاشَرْتَ يَزِيْدَ بْنَ مُعاوية، وَأَطَعْتَ نَفْسَكَ ٱلغَاوِيَةَ؛ وآثرْتَ ما فَنِيَ عَلى باقٍ، فكيفَ لَكَ بِٱلإِبَاقِ[1]؟

فيزفرُ ٱلأَخطلُ زفرةً تَعَجَّبَ لَهَا ٱلزَّبَانِيَةُ، ويقول: آهِ على أَيَّامِ يزيدَ أَسوفُ عِنْدَهُ عَنبراً، ولا أُعْدَمُ لَدَيْهِ سيسنبرا[2]؛ وأَمزحُ مَعَهُ مَزْحَ خَليلٍ، فَيَحْتَمِلُنِي ٱحْتِمَالَ ٱلجَلِيلِ؛ وَكَمْ أَلْبَسَنِي مِنْ مَوشيّ، أَسْحَبُهُ فِي ٱلبُكْرَةِ أَوِ ٱلعَشِيِ، وَكَأَنِّي بِٱلقِيانِ ٱلصَّادِحَةِ بينَ يديهِ تُغَنِّيهِ بقولِه:

[مجزوء الرمل]

وَلَهَـا بِـٱلْـمَـاطِـرُونَ[3] إذا ... أَنَـفَـدَ ٱلـنَّـمْـلُ ٱلَّـذي جَـمَـعَـا

خِـلْـفَـةٌ حَـتَّـى إذَا ظَـهَـرَتْ ... سَـكَـنَـتْ مِـنْ جِـلَّـقٍ[4] بِـيَـعَـا

فِـي قِـبَـابٍ حَـوْلَ دَسْـكَـرَةٍ ... حَـوْلَهَـا ٱلـزَّيْـتُـونُ قَـدْ يَـنَـعَـا[5]

وَقَـفَـتْ لِلْبَـذْرِ تَـرْقُـبُـهُ، ... فَـإِذَا بِـٱلْـبَـذْرِ قَـدْ طَـلَعَـا

وَلَقَدْ فَاكَهْتُهُ فِي بَعْضِ ٱلأَيَّامِ وَأَنا سَكْرانُ مُلْتَخٌ[6] فقلْتُ:

[المتقارب]

أَلا ٱسْـلَـمْ سَـلِـمْـتَ أَبَـا خَـالِـدٍ ... وَحَـيَّـاكَ رَبُّـكَ بِـٱلْـعَـنْـقَـزِ[7]

---

(١) الإباق: الفرار. (٢) سيسنبرا: لم أعثر لها على معنى.

(٣) الماطرون: موضع بالشام قرب دمشق. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) التهذيب: جلق، بالتشديد وكسر الجيم، موضع بالشام معروف؛ قال ابن بري: جلق اسم دمشق..». انظر: لسان العرب ١٠/ ٣٦ مادة «جلق».

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٤/ ٢٨٥ مادة «دسكر».

«الدسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي، قال الأخطل:

فِـي قِـبَـابٍ عِـنْـدَ دَسْـكَـرَةٍ ... حَـوْلَهَـا ٱلـزَّيـتـونُ قَـدْ يَـنَـعَـا

(٦) الملتخي: المخمور من شدّة السكر، ولم يتمالك وعيه.

(٧) أورد لسان العرب أربعة أبيات ٥/ ٣٨٤ مادة «عنقز».

«العَنقَز والعُنقُز: الأخيرة عن كراع: المَرْزنجُوش، قال ابن بري: والعُنقُزان مثله؛ قال أبو حنيفة، ولا يكون في بلاد العرب وقد يكون بغيرها، ومنه يكون هناك اللّاذَن؛ قال الأخطل يهجو رجلاً:

أَلا ٱسْـلَـمْ، سَـلِـمْـتَ أَبَـا خَـالِـدٍ! ... وَحَـيَّـاكَ رَبُّـكَ بِـٱلْـعَـنْـقَـزِ

وَرَوَّى مُـشَـاشَـكَ بِـٱلْـخَـنْـدَرِيـ ... ـسِ قَـبْـلَ ٱلْـمَـمَـاتِ فَـلَا تَـعْـجَـزِ!

أَكَـلْتَ ٱلـدَّجَـاجَ فَـأَفْـنَـيْـتَـهَـا، فَـهَـلْ فـي ٱلـخَـنَـانِـيْـصِ مِـنْ مَـغْـمَـزِ[١]؟

فَمَا زَادَني عَنِ ٱبْتِسَامٍ، وَٱهْتَزَّ لِلصِّلَةِ كَٱهْتِزَازِ ٱلحُسَامِ. .

فيقولُ، أَدَامَ ٱللَّهُ تَمْكِينَهُ: مِنْ ثَمَّ أَتَيْتَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ذلك ٱلرجلَ عانِدٌ، وفي جِبالِ ٱلمَعْصِيةِ سانِدٌ؟ فَعَلامَ ٱطَّلَعْتَ مِنْ مَذْهَبِهِ: أَكَانَ مُوَحِّداً، أَمْ وَجَدْتَهُ في ٱلنُّسُكِ مُلْحِداً؟

فيقولُ ٱلأَخْطَلُ: كانَتْ تُعْجِبُهُ هٰذهِ ٱلأَبياتُ:

[الطويل]

أَخَـالِدُ هَـاتِـي خَـبِّـرِيـنِـي وَأَعْـلِنِـي حَـدِيْـثَـكِ، إِنِّـي لَا أُسِـرُّ ٱلـتَّـنَـاجِـيَـا[٢]

حَـدِيْـثَ أَبِـي سُـفْـيَـانَ لَـمَّـا سَـمَـا بِـهَـا إِلَـى أُحُـدٍ حَـتَّـى أَقَـامَ ٱلـبَـوَاكِـيَـا

وَكَـيْـفَ بَـغَـى أَمْـراً عَـلِـيَّ فَـفَـاتَـهُ وَأَوْرَثَـهُ ٱلـجَـدُّ ٱلـسَّـعِـيْـدُ مُـعَـاوِيَـا

وَقُـومِـي فَـعِـلِّـيـنِـي عَـلَـى ذَاكَ قَـهْـوَةً تَـحَـلَّـبُـهَـا ٱلـعِـيْـسِـيُّ[٣] كَـرْمـاً شَـامِـيَـا

إِذَا مَـا نَـظَـرْنَـا فِـي أُمُـورٍ قَـدِيـمَـةٍ وَجَـدْنَـا حَـلَالاً شُـرْبَـهَـا ٱلـمُـتَـوَالِـيَـا

فَـلَا خُـلْـفَ بَـيْـنَ ٱلـنَّـاسِ أَنَّ مُـحَـمَّـداً تَـبَـوَّأَ رَمْـسـاً[٤] فِـي ٱلـمَـدِيْـنَـةِ ثَـاوِيَـا

فيقولُ، جَعَلَ ٱللَّهُ أوقاتَهُ كُلَّهَا سعيدةً: عليكَ ٱلبَهْلَةُ[٥]! قَدْ ذَهَلَتِ ٱلشُّعَرَاءُ مِنْ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ وَٱلنَّارِ عَنِ ٱلمَدْحِ وَٱلنَّسِيبِ، وما شَدَهْتَ عَنْ كُفْرِكَ ولا إِسَاءَتِكَ. وإبليسُ يسمعُ ذلك ٱلخِطَابَ كُلَّهُ فيقولُ لِلزَّبانِيَةِ: ما رَأَيْتُ أعجزَ منكم إخوانَ مالِكٍ! فيقولون: كيفَ زَعَمْتَ ذلك يا أَبا مُرَّةَ؟ فيقولُ: أَلَا تَسمعونَ هٰذا ٱلمُتَكَلِّمَ بِما لا يعنيهِ؟ قد شغلَكُمْ وشَغَلَ غَيْرَكُمْ عَمَّا هو فيهِ! فَلَوْ أَنَّ فِيْكم صاحِبَ نَحِيزَةٍ[٦] قويةٍ، لَوَثَبَ وَثْبَةً حتَّى يَلْحَقَ بِهِ فَيَجذَبَهُ إِلى سقر. فيقولون: لَمْ تَصْنَعْ شيئاً يا أَبَا زوبعةَ! ليسَ على أَهلِ ٱلجَنَّةِ سبيلٌ.

= أَكَـلْتَ ٱلـقِـطَـاطَ فَـأَفْـنَـيْـتَـهَـا فَـهَـلْ فِـي ٱلـخَـنَـانـيـصِ مِـنْ مَـغْـمَـزِ؟
وَدِيـنُـكَ هٰـذا كَـدِيـنِ ٱلـحِـمَـا رِ بَـلْ أَنْـتَ أَكْـفَـرُ مِـنْ هُـرْمُـزِ»

(١) الخنانيص: صغار الخنازير.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٣٩، وليس في ديوان الأخطل ولا تكملته.

(٣) العيسي: المنسوب إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

(٤) رمساً: قبراً.

(٥) عليك البهلة: عليك اللعنة.

(٦) النحيزة: الطوية والضمير.

فَإذا سَمِعَ، أَسْمَعَهُ ٱللّٰهُ مَحابَّهُ، ما يقولُ إبليسُ، أَخَذَ فِي شَتْمِهِ وَلَعْنِهِ وإظهارِ ٱلشماتةِ به. فيقولُ، عليهِ ٱللَّعْنَةُ: أَلَمْ تُنْهَوْا عَنِ ٱلشَّمَاتِ يَا بَنِي آدَمَ؟ ولٰكِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ، ما زَجَرْتُمْ عَنْ شيءٍ إِلَّا وَرَكِبْتُمُوهُ. فيقولُ، واصلَ ٱللّٰهُ ٱلإِحْسانَ إليه: أنت بَدَأْتَ آدمَ بِٱلشَّماتَةِ، وَٱلبادِئُ أَظْلَمُ.

ثُمَّ يعودُ إلى كلامِ ٱلأَخطلِ فيقولُ: أَأَنتَ ٱلقائِلُ هٰذه ٱلأبياتَ؟

[الوافر]

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعاً ... وَلَسْتُ بِآكِلِ ٱلأَضَاحِي

وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَٱلعَيْرِ أَدْعُو ... قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ: حَيَّ عَلَى ٱلفَلَاحِ!

وَلٰكِنِّي سَأَشْرَبُهَا شَمُولًا ... وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ ٱلصَّبَاحِ!

فيقولُ: أَجَلْ، وَإِنِّي لَنَادِمٌ سَادِمٌ[(١)]، وَهَلِ ٱلنَّدَامَةُ عَنْ أَخي كُسَعٍ[(٢)]؟

ٱلمُهَلْهِل ٱلتَّغْلِبِيّ[(٣)]

وَيَمَلُّ مِنْ خِطابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ، فَيَنْصَرِفُ إلى قصرِهِ ٱلمَشِيدِ، فَإِذَا صَارَ عَلَى مِيْلٍ أو مِيلينِ، ذَكَرَ أَنَّهُ مَا سَأَلَ عَنْ مُهَلهِلِ ٱلتَّغْلِبِيِّ ولا عَنِ ٱلمُرَقِّشينِ[(٤)] وأَنَّهُ أَغفلَ ٱلشَّنْفَرَى[(٥)]

---

(١) السادم: النادم المهموم.

(٢) أورد لسان العرب ٨/ ٣١١ ـ ٣١٢ مادة «كسع» سبب ورود هذا المثل: ومفاده أن محارب بن قيس من بني كُسَيعة وجد قضيب شَوْحَطٍ جعله قَوْساً ثم خرج ليلاً إلى قترة له على مورد ممر الوحش فرمى عيراً منها فأنفذه، وأورى السهم في الصَّوانة ناراً فظنّ أنه أخطأ، فقطع إصبعه وفي الصباح الباكر اكتشف أنه لم يخطِئ فندم على فعلته بعد فوات الأوان.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) المرقش الأكبر هو: عوف (أو عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها «أسماء» وقال فيها شعراً كثيراً. وكان يحسن الكتابة. وشعره من الطبقة الأولى. مات نحو سنة ٧٥ق. هـ = نحو سنة ٥٥٠. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٦/ ١٢٧، الشعر والشعراء: ٥٤.

المرقش الأصغر هو: ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك: شاعر جاهلي، من أهل نجد، كان أجمل الناس وجهاً ومن أحسنهم شعراً وهو ابن أخ المرقش الأكبر. مات نحو سنة ٥٠ ق هـ = نحو سنة ٥٧٠م. انظر ترجمته في الأغاني طبعة الدار ٦/ ١٣٦، طبقات فحول الشعراء: ٣٤.

(٥) هو: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائيهم: وهو أحد الخلعاء الذين تبرّأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. انظر ترجمته في الأغاني: ١٣٤ ـ ١٤٣ طبعة ليدن، مجمع الأمثال ١/ ٣٣٢.

وَتَأَبطَ شَرًّا[١]، فيرْجِعُ عَلَى أَدْرَاجِهِ، فَيَقِفُ بذلِكَ ٱلمَوْقِفِ يُنادِي: أَيْنَ عَدِيُّ بْنُ ربيعةَ؟ فَيُقَالَ: زِدْ في ٱلبَيانِ. فيقول: ٱلذي يَسْتَشْهِدُ ٱلنَّحْوِيُّونَ بِقولِهِ:

[الخفيف]

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ: يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ ٱلأَوَاقِي[٢]

وقدِ ٱسْتَشْهَدُوا لَهُ بِأَشياءَ كقولِهِ:

[الكامل]

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً، أَخْوَالُنَا، وَهُمُ بَنُو ٱلأَعْمَامِ

وقولِهِ:

[الخفيف]

مَا أُرَجِّي بِٱلعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَى كُلُّهُمْ قَدْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلَاقِ[٣]

فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَتَعْرِفُ صاحِبَكَ بِأَمْرٍ لا مَعْرِفَةَ عِنْدَنَا مِنْهُ، ما ٱلنَّحْوِيُّونَ؟ وما ٱلاستشهادُ؟ وما ٱلهَذَيَانُ؟ نحنُ خَزَنَةَ ٱلنَّارِ، فَبَيِّنْ غَرَضَكَ تُجَبْ إِليهِ.

فيقولُ: أُرِيدُ ٱلمَعْروفَ بِمُهَلْهِلٍ ٱلتَّغْلِبِيِّ، أَخِي كُلَيْبِ وَائِلٍ ٱلَّذي كَانَ يُضْرَبُ بِهِ ٱلمَثَلُ.

فيُقَالُ: ها هو ذا يَسْمَعُ حِوَارَكَ، فقلْ ما تَشَاءُ.

فيقولُ: يا عَدِيَّ بْنَ رَبيعةَ، أَعْزِزْ عَلَيَّ بِوُلُوجِكَ هٰذا ٱلمُولِجَ! لَوْ لَمْ آسَفْ عليكَ إِلَّا لِأَجْلِ قَصِيدَتِكَ ٱلتي أَوَّلُهَا:

[الوافر]

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسَمٍ أَنِيرِي إِذَا أَنْتِ ٱنْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي[٤]

---

(١) هو: ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي. من مضر شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة شعره فحل. قتل نحو سنة ٨٠هـ = نحو سنة ٥٤٠م. انظر ترجمته في: المحبر: ١٩٦، المبهج: ١٧.

(٢) ورد البيت في: المقتضب ٤/ ٢١٤، الجمل، للزجاجي: ١٦٦، المنصف، لابن جنّي ١/ ٢١٨، الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٤/ ١٤٧، أمالي ابن الشجري ٢/ ٩، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ١٠/ ٨، ١٠، شذور الذهب، لابن هشام: ١١٢.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب: ١٠/ ٦٦ مادة «حلق».

«والحالقة: المنيَّة، وتسمى حَلاقِ. قال ابن سيده: وحَلاقِ مثل قَطامِ المنية، معدولة عن الحالقة، لأنها تحلق أي تقشِرُ؛ قال مهلهل:

مَا أُرَجِّي بِٱلعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَى، قَدْ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلاقِ

وبنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة».

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ١٣٥ مادة «حسم».

«وحاسِمٌ مواضع في البادية؛ .. وقال مهلهل:

أَلَيْلَتَنَا بِذي حُسُمٍ أَنِيرِي، إِذَا أَنتِ ٱنْقَضَيتِ فلا تحوري»

لا تحوري: لا ترجعي.

لَكَانَتْ جَدِيرةً أنْ تُطِيلَ الأَسَفَ عليكَ، وَقَدْ كُنْتَ إِذَا أَنْشَدْتَ أَبياتَكَ في ٱبنتِك، ٱلمُزَوَّجَةِ في جنبِ تَغْرَوْرَقُ مِنَ ٱلحُزْنِ عَيْنَايَ، فَأَخْبِرْنِي لِمَ سُمِّيتَ مُهَلْهِلاً؟ فقدْ قِيلَ: إِنَّكَ سُمِّيتَ بِذلِكَ لِأَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ هَلْهَلَ ٱلشِّعْرَ، أَيْ رَقَّقَهُ.

فيقولُ: إِنَّ ٱلكَذِبَ لَكَثِيرٌ، وإِنَّما كانَ أَخٌ يُقالُ لَهُ ٱمرؤُ ٱلقَيْسِ فَأَغارَ عَلَيْنا زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ ٱلكَلْبِيُّ[1]، فَتَبِعَهُ أَخِي في زَرَافَةٍ[2] منْ قومِهِ، فقالَ في ذلك:

[الكامل]

لَمَّا تَوَقَّلَ في ٱلكُرَاعِ هَجِينُهُمْ ... هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مَالِكاً أَوْ صِنْبِلَا[3]

وَكَأَنَّهُ بَازٍ[4] عَلَتْهُ كِبْرَةٌ ... يَهْدِي بِشِكَّتِهِ[5] ٱلرَّعِيلَ[6] ٱلأَوَّلَا

هَلْهَلْتُ: أَيْ قَارَبْتُ، ويُقَالُ: تَوَقَّفْتُ؛ يَعْنِي بِٱلهَجِينِ زُهَيْرَ بْنَ جَنَابٍ. فَسُمِّيَ مُهَلْهِلاً، فَلَمَّا هَلَكَ شُبِّهْتُ بِهِ فقِيلَ لِي: مُهَلْهِلٌ فيقول: ٱلآنَ شَفَيْتَ صَدْرِي بِحقيقةِ ٱليقينِ.

فَأَخْبِرْنِي عَنْ هٰذا ٱلبيتِ ٱلذي يُروى لَكَ:

[الخفيف]

أَرْعَدُوا[7] سَاعَةَ ٱلهِيَاجِ[8] وَأَبْرَقْـ ... ـنَا كَمَا تَوْعَدُ ٱلفُحُولُ ٱلفُحُولَا

فَإِنَّ ٱلأَصْمَعِيَّ كَانَ يُنْكِرُهُ ويَقولُ: إِنَّه مُوَلَّدٌ، وكَانَ أَبُو زيدٍ يَسْتَشْهِدُ بِهِ ويُثْبِتُهُ.

فيقولُ: زَعَمَ ٱلأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ لَا يُقالُ أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ في ٱلوَعِيدِ وَلَا في ٱلسَّحَابِ.

فيقولُ: إِنَّ ذلك لَخَطأٌ مِنَ ٱلقَوْلِ، وإِنَّ هٰذا ٱلبيتَ لَمْ يَقُلْهُ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ جُذامِ ٱلفَصَاحَةِ، إِمّا أَنَا وإِمَّا سِوَايَ، فَخُذْ بِهِ وَأَعْرِضْ عَنْ قولِ ٱلسُّفَهاءِ.

---

(١) مرَّت ترجمته.

(٢) زرافة: شرذمة، جماعة.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ٣٨٦ مادة «صنبل».
«الصُّنْبُل والصُّنْبُل: الخبيث المنكر، وصِنبل: اسم، قال مهلهل:
لَمَّا تَوَقَّلَ في ٱلكُرَاعِ هَجِينُهُمْ، ... هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مالِكاً أو صِنْبِلا
توقّل: صعّد. الكراع: ناحية الأرض وطرفها، السبيل.

(٤) البازي: من جوارح الطيور.

(٥) الشكّة: الرمح من السلاح.

(٦) الرعيل: الفوج، الجماعة.

(٧) أرعدوا: ارتجفوا خوفاً.

(٨) الهياج: الصياح في الحرب.

المرقش الأكبر

وَيَسْأَلُ عَنِ ٱلمُرَقِّشِ ٱلأَكْبَرِ[١]، فَإِذا هو بِهِ فِي أَطْبَاقِ ٱلعَذَابِ، فيقولُ: خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكَ أَيُّهَا ٱلشَّابُّ ٱلمُغْتَصِبُ، فلمْ أَزَلْ في ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ حَزِيْناً لِمَا أَصَابَكَ بِهِ ٱلرَّجُلُ ٱلغُفَلِيُّ، أَحَدُ بني غُفَيْلَةَ بنِ قَاسِطٍ، فعليهِ بَهْلَةُ ٱللَّهِ!

وَإِنَّ قَوْماً مِنْ أَهلِ ٱلإِسْلَامِ كَانُوا يَسْتَزِرُونَ[٢] بِقَصِيْدَتِكَ ٱلمِيمِيَّةِ ٱلتي أَوَّلُها:

[السريع]

هَلْ بِٱلدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ كَانَ حَيّاً نَاطِقاً كَلِمْ

وَإِنَّها عِنْدِي لَمِنَ ٱلمُفْرَدَاتِ، وَكَانَ بعضُ ٱلأُدباءِ يَرَى أَنَّها وَٱلميميةَ ٱلتي قالَها ٱلمُرَقِّشُ ٱلأَصْغَرُ نَاقِصَتانِ عنِ ٱلقَصَائِدِ ٱلمُفَضَّلِيَّاتِ، ولقد وَهِمَ صاحِبُ هٰذه ٱلمقالةِ.

وبعضُ ٱلنَّاسِ يَرْوِي هٰذا ٱلشعرَ لَكَ:

[الطويل]

تَخَيَّرْتُ مِنْ نُعْمَانَ عُودَ أَراكَةٍ[٣]، ... لِهِنْدٍ، وَلٰكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدَا؟

خَلِيلَيَّ جُورَا بَارَكَ ٱللَّهُ فِيكُمَا، ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِأَرْضِكُمَا قَصْدَا

وَقُولَا لَهَا: لَيْسَ ٱلضَّلَالُ أَجَارَنَا ... وَلَكِنَّنَا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا

وَلَمْ أَجِدْها في دِيوانِكَ، فَهَلْ ما حُكِيَ صَحِيحٌ عَنْكَ؟

فيقولُ: لَقَدْ قُلْتُ أَشْيَاءَ كثيرةً، منها ما نُقِلَ إِلَيْكُمْ ومنها ما لم يُنْقَلْ. وقد يجوزُ أَنْ أَكونَ قُلْتُ هٰذه ٱلأبياتَ، ولكنِّي سَرِفْتُهَا[٤] لِطُولِ ٱلأَبَدِ، وَلَعَلَّكَ تُنْكِرُ أَنَّهَا في هِنْدٍ، وَأَنَّ صَاحِبَتِي أَسْمَاءُ، فَلَا تَنْفِرْ مِنْ ذلك، فَقَدْ يَنْتَقِلُ ٱلمُشَبِّبُ مِنَ ٱلاسمِ إِلى ٱلاسْمِ، وَيكونُ في بعضِ عُمْرِهِ مُسْتَهْتِراً بِشَخْصٍ مِنَ ٱلناسِ، ثُمَّ يَنصَرِفُ إِلى شَخْصٍ آخرَ؛ أَلَا تَسْمَعُ إِلى قَوْلِي؟

[الكامل]

سَفَهٌ تَذَكُّرُهُ خُوَيْلَةَ بَعْدَمَا ... حَالَتْ ذُرَى نَجْرَانَ[٥] دُونَ لِقَائِهَا

---

(١) مرَّت ترجمته.

(٢) يستزرون: يسخرون.

(٣) الأراكة: شجرة كثيرة الشوك.

(٤) سرفتها: أغفلتها، أهملتها.

(٥) «نجران، وهو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن..». انظر: لسان العرب ٥/ ١٩٥، مادة «نجر». وفي معجم البلدان ٥/ ٢٦٦ «نجران: في عدة مواضع منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة».

المرقش الأصغر(١)

وَيَنْعَطِفُ إلى ٱلمُرَقِّشِ ٱلأَصْغَرِ فَيَسْأَلُهُ عَنْ شَأْنِهِ مَعَ بِنْتِ ٱلمُنْذِرِ وبنتِ عَجْلَانَ فَيَجِدُهُ غيرَ خَبيرٍ، قد نَسِيَ لِتَرادُفِ(٢) الأَحْقَابِ. فَيَقُولُ: أَلَا تذكُرُ ما صَنَعَ بِكَ جَنَابٌ ٱلَّذي تَقُولُ فِيهِ؟:

[الطويل]

فَـآلَى جَـنَـابٌ حِـلْـفَـةً فَـأَطَـعْـتُـهُ، فَـنَـفْـسَـكَ وَلِّ ٱلـلَّـوْمَ إِنْ كُـنْـتَ لَائِمَـا

فيقولُ: وما صَنَعَ جَنَابٌ؟ لَقَدْ لَقِيْتُ ٱلأَقْوَرِينَ(٣)، وسُقِيْتُ ٱلأَمَرَّيْنِ(٤)، وكيفَ لي بِعَذابِ ٱلدَّارِ ٱلعاجِلَةِ!

الشَّنْفَرَى ٱلأَزْدِيُّ(٥)

فَإذا لَمْ يَجِدْ عندَهُ طائِلًا تَرَكَهُ، وَسَأَلَ عن ٱلشَّنفَرى ٱلأَزْدِيِّ فَأَلْفَاهُ قليلَ ٱلتَّشَكِّي وَٱلتَّأَلُّم لِمَا هُوَ فِيه، فيقولُ: إِنِّي لَا أَرَاكَ قَلِقاً مثلَ قَلَقِ أَصْحَابِكَ. فيقول: أَجَلْ، إِنِّي قُلْتُ بَيْتاً في ٱلدَّارِ ٱلخَادِعَةِ فأَنا أَتَأَدَّبُ بِهِ حَيْرَيَّ ٱلدَّهرِ(٦)، وَذلِكَ قَوْلي:

[الطويل]

غَوَى فَغَوَتْ، ثُمَّ ٱرْعَوَى بَعْدُ وَٱرْعَوَتْ وَلَلصَّبْـرُ إِنْ لَمْ يَـنْـفَـعِ ٱلـشَّـكْـوُ أَجْـمَـلُ(٧)

وَإذا هو قرينٌ مَعَ تَأَبَّطَ شَرًّا، كَمَا كَانَ في ٱلدَّارِ ٱلغَرَّارَةِ.

تَأَبَّطَ شَرًّا(٨)

فيقولُ، أَسْنَى ٱللَّهُ حَظَّهُ مِنَ ٱلمَغْفِرَةِ، لِتَأَبَّطَ شَرًّا: أَحَقٌ مَا رُوِي عَنْكَ مِنْ نِكَاحِ ٱلغِيْلَانِ؟ فيقولُ: لَقَدْ كُنَّا فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ نَتَقَوَّلُ وَنَتَخَرَّصُ(٩)، فَمَا جَاءَكَ عَنَّا مِمَّا يُنْكِرُهُ

---

(١) مرَّت ترجمته. (٢) ترادف: توالي.
(٣) الأقورين: الدواهي العظام.
(٤) الأمرَّين: الفقر والكهولة.
(٥) مرَّت ترجمته.
(٦) حيري الدهر: طول الدهر.
(٧) ورد البيت في: ديوان الشنفرى، صفحة: ٦٠.
شَـكَـا وَشَـكَـتْ ثُـمَّ ٱرْعَـوَى بَـعْـدُ وَٱرْعَـوَتْ وَلَلصَّـبْـرُ إِنْ لَمْ يَـنْـفَـعِ ٱلـشَّـكْـوُ أَجْـمَـلُ
شكا: بث حزنه. ارعوى: عاد إلى صوابه. غوى: فسد وضلّ.
(٨) مرَّت ترجمته.
(٩) نتخرَّص: نختلق الأكاذيب.

ٱلمَعقولُ فَإِنَّهُ مِنَ ٱلأَكَاذِيبِ، وَٱلزَّمَنُ كُلُّهُ عَلَى سَجِيَّةٍ واحِدَةٍ، فَٱلَّذِي شَاهَدَهُ مَعَدُّ بْنُ عدنانَ كَٱلَّذي شاهَدَ نَضَاضَةُ وَلَدِ آدمَ. وَٱلنَّضَاضَةُ آخِرُ وَلَدِ ٱلرَّجُلِ.

فيقولُ، أَجْزَلَ ٱللَّهُ عَطاءَهُ مِنَ ٱلغُفْرَانِ: نُقِلَتْ إِلَيْنا أَبياتٌ تُنسَبُ إِلَيْكَ:

[البسيط]

أَنَـا ٱلَّذِي نَـكَـحَ ٱلـغِـيْـلَانَ فِـي بَـلَـدٍ ... مَـا ظَـلَّ فِـيْـهِ سَـمَـاكِـيٌّ وَلَا جَـادَا

فِي حَيْثُ لا يَعْمِتُ[١] ٱلغَادِي عَمَايَتَهُ ... وَلَا ٱلـظَّـلِيـمُ[٢] بِـهِ يَـبْـغِـي تَـهَـبَّـادَا[٣]

وَقَـدْ لَهَـوْتُ بِـمَـصْـقُـولٍ عَـوارِضُـهـا ... بِـكْـرٌ تُـنـازِعُـنِـي كَـأْسـاً وَعَـنْـقَـادَا[٤]

ثُـمَّ ٱنْـقَـضَـى عَـصْـرُهـا عَـنِّـي وَأَعْـقَـبَـهُ ... عَـصْـرُ ٱلـمَشِيبِ، فَقُلْ فِي صَالِحٍ: بَادَا

فَٱسْتَدْلَلْتُ عَلى أَنَّها لَكَ لِمَا قُلْتُ: تَهَبَّادَا، مَصْدَرُ تَهَبَّدَ ٱلظَّلِيمُ إِذَا أَكَلَ ٱلهَبِيْدَ، فقلْتُ: هٰذا مثلُ قولِهِ في ٱلقافِيةِ:

[البسيط]

طَـيْـفُ ٱبْـنَـةِ ٱلـحُـرِّ إِذْ كُـنَّـا نُـوَاصِـلُهَـا ... ثُـمَّ ٱجْـتَـنَـنْـتُ بِـهَـا بَـعْـدَ ٱلـتِّـفِـرَّاقِ

مصدَرُ تَفَرَّقُوا تِفِرَّاقاً، وهٰذا مُطَّرِدٌ في تَفَعَّلَ، وَإِنْ كَانَ قَليلًا في ٱلشِّعْرِ، كَمَا قالَ أَبُو زُبَيْدٍ[٥]:

[الوافر]

فَـثَـارَ ٱلـزَّاجِـرُونَ فَـزَادَ مِـنْـهُـمْ ... تَـقِـرَّابـاً وَصَـادَفَـهُ ضَـبِـيْـسُ[٦]

فَلَا يُجِيبُهُ تَأَبَّطَ شَرًّا بِطَائِلٍ.

---

(١) يعمت: يغزل.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) «الهبْد والهبيد: الحنظل؛ وقيل حبّه، واحدته هَبِيدة. .». انظر لسان العرب ٣/ ٤٣١ مادة «هبد».

(٤) العنقاد: لغة في العنقود.

(٥) هو: المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، أبو زبيد: شاعر نديم معمّر، من نصارى طيء، عاش زمناً في الجاهلية. وأدرك الإسلام ولم يسلم. وكان يدخل مكة متنكراً. مات في الكوفة نحو سنة ٦٢ هـ = نحو سنة ٦٨٢م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ١٠١، إرشاد الأريب ٤/ ١٠٧.

(٦) «الضِّبْس والضبيس: الحريص الشرس الخُلُق. ورجل ضبس وضبيس أي شرِس غير شكيس». انظر: لسان العرب ٦/ ١١٦ مادة «ضبس».

عَوْدٌ إلى ٱلجِنَانِ

آدمُ

فَإِذَا رأى قِلَّةَ ٱلفَوَائِدِ لَدَيْهِمْ، تَرَكَهُمْ فِي ٱلشَّقَاءِ ٱلسَّرْمَدِ[1]، وَعَمَدَ لِمَحَلِّهِ في ٱلجِنانِ، فيلْقَى آدمَ، عليهِ ٱلسَّلامُ، في ٱلطَّرِيقِ فيقولُ: يا أَبَانا، صَلَّى ٱللَّهُ عليكَ، قَدْ رُوِيَ لَنا عَنكَ شِعْرٌ، منه قولُك:

نَحْنُ بَنُو ٱلأَرْضِ وَسُكَّانُهَا ... مِنْهَا خُلِقْنَا، وَإِلَيْهَا نَعُودُ
وَٱلسَّعْدُ لَا يَبْقَى لِأَصْحَابِهِ ... وَٱلنَّحْسُ تَمْحُوهُ لَيالي ٱلسُّعُودِ

فيقولُ: إنَّ هٰذا ٱلقولَ حَقٌّ، وَما نَطَقَهُ إِلَّا بعضُ ٱلحُكَمَاءِ، ولٰكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهِ حتَّى ٱلسَّاعَةِ.

فَيَقُولُ، وَفَرَ ٱللَّهُ قِسْمَهُ في ٱلثَّوابِ: فَلَعَلَّكَ يا أَبَانَا قُلْتَهُ ثُمَّ نسِيتَ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلنِّسْيَانَ مُتَسَرِّعٌ إِلَيْكَ، وَحَسْبُكَ شَهِيداً على ذلك الآيَةُ ٱلمَتْلُوَّةُ فِي فُرْقَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وقد زَعَمَ بعضُ ٱلعُلَمَاءِ أَنَّكَ سُمِّيْتَ إِنْسَاناً لِنِسْيانِكَ، وَٱحتجَّ على ذلك بقولِهِم في ٱلتَّصْغِيرِ: أُنيسيانٌ، وفِي ٱلجمعِ: أناسيٌّ، وقد رُوِيَ أَنَّ ٱلإِنسانَ مِنَ ٱلنِّسْيَانِ عَنِ ٱبنِ عَبَّاسٍ، وقال ٱلطَّائِيُّ:

[الرجز]

لَا تَنْسَيَنْ تِلْكَ ٱلعُهُودَ وَإِنَّمَا ... سُمِّيتَ إِنْسَاناً لِأَنَّكَ نَاسِ

وَقَرأَ بعضُهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] بِكَسْرِ ٱلسينِ، يُرِيدُ الناسي، فَحَذَفَ ٱلياءَ كَمَا حُذِفَتْ في قولِهِ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ [الحج: ٢٥] فَأَمَّا ٱلبَصْرِيُّونَ فيعتقِدُون أَنَّ ٱلإِنسَانَ مِنَ ٱلأُنسِ، وأَنَّ قَوْلَهُمْ في التصغيرِ: أُنيسيانُ، شَاذٌّ، وقولَهُمْ في ٱلجَمْعِ: أُنَاسِيٌّ، أَصْلُهُ أُنَاسِين، فَأُبْدِلَتِ ٱلياءُ مِنَ ٱلنونِ. وَٱلقَوْلُ ٱلأَوَّلُ أَحسنُ.

---

(١) السرمد: الزمن المستمر الذي لا يزول.

فيقول آدم، عليه السلام: أَبَيْتُمْ إلّا عُقُوقاً[١] وأذيّةً، إنّما كُنْتُ أتَكَلَّمُ بِٱلعربيَّةِ وأنا فِي ٱلجَنَّةِ، فَلَمَّا هَبَطْتُ إلى ٱلأرْضِ نُقِلَ لِسَانِي إلى ٱلسُّرْيَانِيَّةِ، فَلَمْ أنطقْ بغيرها إلى أنْ هَلَكْتُ، فَلَمَّا رَدَّنِي ٱللَّهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، إلى ٱلجَنَّةِ، عادَتْ عَلَيَّ العربيةُ، فَأَيَّ حِيْنٍ نَظَمْتُ هٰذا ٱلشِّعْرَ: في ٱلعَاجِلَةِ أَمِ ٱلآجِلَةِ؟ وَٱلَّذي قالَ ذٰلِكَ يَجِبُ أنْ يكونَ قالَهُ وهو في ٱلدَّارِ ٱلمَاكِرَةِ؛ أَلَا تَرَى قولَه:

«منها خلقنا وإليها نعود»

فكيفَ أقُولُ هٰذا ٱلمَقَالَ وَلِسَانِي سُرْيَانِيٌّ؟ وَأَمَّا ٱلجَنَّةُ قَبْلَ أنْ أُخْرَجَ منها فَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي بِٱلمَوْتِ فِيها، وَأَنَّهُ مِمَّا حُكِمَ على ٱلعِبَادِ، صُيِّرَ كَأَطْوَاقِ حِمام، وَمَا رَعَى لِأَحَدٍ مِنْ ذِمام؛ وَأَمَّا بعدَ رُجُوعي إليها، فَلَا مَعنى لِقَوْلِي: وَإليها نَعُودُ، لِأَنَّهُ كَذِبٌ لَا مَحَالَةَ، ونحنُ مَعَاشِرَ أَهْلِ ٱلجَنَةِ خالِدُون مُخَلَّدونَ.

فيقولُ، قُضِي لَهُ بِٱلسَّعْدِ ٱلمُؤَرَّبِ[٢]: إنَّ بَعْضَ أَهْلِ ٱلسِّيَرِ يَزْعَمُ أنَّ هٰذا ٱلشِّعْرَ وَجَدَهُ يَعْرُبُ فِي مُتَقَدِّمِ ٱلصُّحُفِ بِٱلسُّرْيَانِيَّةِ، فنقلَهُ إلى لِسَانِهِ، وهٰذا لا يَمْتَنِعُ أنْ يكونَ.

وكذلِكَ يَرْوُون لَكَ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْكَ، لَمَّا قَتَلَ قَابِيلُ هَابِيْلَ:

[الوافر]

تَغَيَّرَتِ ٱلبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ ٱلأَرْضِ مُغْبِرٌّ قَبِيْحُ

وَأَوْدَى رَبْعُ أَهْلِيهَا، فَبَانُوا ... وَغُودِرَ فِي ٱلثَّرَى[٣] ٱلوَجْهُ ٱلمَلِيحُ

وبعضُهم يُنْشِد: «وَزَالَ بَشَاشَةُ ٱلوَجْهِ ٱلمَلِيحِ».

على ٱلإقْوَاءِ. وفي حكاية، مَعْنَاهَا على ما أذْكُرُ أنَّ رَجُلًا مِنْ بَعْضِ وَلَدِكَ يُعْرفُ بِٱبْنِ دُرَيد أَنْشَدَ هٰذا ٱلشِّعْرَ، وكانَتْ رِوَايَتُهُ: «وَزَالَ بَشَاشَةَ ٱلوَجْهُ ٱلمَلِيحُ»[٤].

فقالَ: أولُ ما قالَ أَقْوَى.

وَكَانَ في ٱلمجلسِ أبو سعيدٍ ٱلسِّيرافِيُّ فقالَ: يجوزُ أَنْ يكونَ قال: «وزالَ بشاشةَ ٱلوجهُ ٱلمليحُ».

---

(١) العقوق: الخروج عن طاعة ولي الأمر كالأب وغيره.

(٢) المؤرّب: المؤكّد.

(٣) الثرى: تراب الأرض.

(٤) ورد في جمهرة أشعار العرب ـ طبعة دار الكتب العلمية: «وقلّ بشاشة الوجه الصبيح» بدلًا من «وغودر في الثرى الوجه المليح».

بِنصبِ بشاشةَ على ٱلتميز[١]، وبِحذْفِ ٱلتنوينِ لالتقاءِ ٱلسَّاكنينِ، كَمَا قالَ:

[الكامل]

عَـمْـرُو ٱلَّذي هَـشَـمَ ٱلـثَّـرِيْـدَ لِقَـوْمِـهِ   وَرِجَـالُ مَـكَّـةَ مُـسْـنَـتُـونَ عِـجَـافُ[٢]

قُلْتُ أنا: هٰذا ٱلوجهُ ٱلّذي قالَهُ أبو سعيدٍ شرٌّ مِنْ إقْوَاءِ عَشْرِ مَرَّاتٍ في ٱلقصيدةِ ٱلواحِدَة.

فيقولُ آدمُ، عليه ٱلسلامُ: أعززْ عليَّ بِكُمْ مَعْشَرَ أُبينيَّ! إِنَّكُمْ في ٱلضَّلالَةِ مُتَهَوِّكُونَ[٣]! آلَيْتُ ما نَطَقْتُ هٰذا ٱلنَّظِيمَ، وَلَا نُطِقَ في عَصْري، وَإِنَّما نَظَمَهُ بعضُ ٱلفارِغِينَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ! كَذَبْتُمْ على خالِقِكُمْ وَرَبِّكُمْ، ثُمَّ على آدمَ أَبِيكُمْ، ثُمَّ على حَوَّاءَ أُمِّكُمْ، وكذَّبَ بعضُكُمْ على بعضٍ، ومآلُكُمْ في ذلك إلى ٱلأَرْضِ.

ٱلحيّاتُ في ٱلفِرْدَوْسِ

ثُمَّ يَضْرِبُ سَائِراً في ٱلفِرْدَوْسِ فَإِذَا هو بِرَوْضَةٍ مُؤْنِقَةٍ، وَإِذا هو بِحَيَّاتٍ يَلْعَبْنَ وَيَتَمَاقَلْنَ[٤]، يَتَخَافَقْنَ وَيَتَثَاقَلْنَ، فيقولُ: لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ! وَمَا تَصْنَعُ حَيَّةٌ في ٱلجَنَّةِ؟ فيُنْطِقُها ٱللَّهُ، جَلَّتْ عظَمَتُهُ، بعدَما أَلْهَمَهَا ٱلمَعْرِفَةَ بِهاجِسِ ٱلخُلْدِ فتقولُ: أَمَا سَمِعْتَ في عمرِكَ بِذاتِ ٱلصَّفَا[٥]، ٱلوافيةِ لِصاحِبِ ما وَفَى؟ كانَتْ تَنْزِلُ بِوادٍ خَصِيبٍ، ما زَمِنُها في ٱلعِيْشَةِ بَقَصِيبٍ، وَكَانَتْ تَصْنَعُ إليه ٱلجَمِيلَ في وِرْدِ ٱلظَّاهِرَةِ وٱلغِبِّ[٦]، وليسَ مِنْ كُفْرٍ للمؤمنينَ بِسَبٍّ. فَلَمَّا ثَمَّرَ بِودِّها مالَه، وأَمِلَ أَنْ يَجْتَذِبَ آمالَهُ، ذَكَرَ عندَها ثارَهُ، وأرادَ أَنْ يَقْتَفِرَ[٧] آثارَه، وَأَكَبَّ على فَأْسٍ معملةٍ، يحدُّ غرابَها[٨] لِلْآمِلَةِ،

---

(١) وعلى هذا تكون العبارة: «وقلّ الوجهُ الصبيحُ بشاشة».

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٤٧ مادة «سنت».

«.. وأسنتوا، فهم مُسْنِتون: أصابتهم سنةٌ وقحط، وأجدبوا؛ ومنه قول ابن الزِّبَعْرَى»:

«عَـمْـرُو ٱلـعُـلَا هَـشَـمَ ٱلـثَّـرِيـدَ لِقَـوْمِـهِ،   وَرِجَـالُ مَـكَّـةَ مُـسْـنِـتُـون عِـجَـافُ»

ورد البيت في: المقتضب ٢/ ٣١٢، المنصف، لابن جني ٢/ ٢٣١، الإنصاف، لابن الأنباري: ٦٦، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٩/ ٣٦، شرح شواهد الألفية للعيني ٤/ ١٤٠، السيرة النبوية: ٨٧.

(٣) متهوّكون: مندهشون.

(٤) يتماقلن: يسبحن.

(٥) ذات الصفا: حيّة اشتهرت بوفائها.

(٦) الغبّ: العاقبة.

(٧) يقتفر: يقتفي.

(٨) يحدّ غرابها: يشحذ جدّها.

وَوَقَفَ لِلسَّاعِيَةِ على صَخْرَةٍ، وَهَمَّ أنْ ينتقِمَ منها بأخرةٍ، وكانَ أَخُوهُ مِمَّنْ قتلتْهُ، جاهرةً في ٱلحادِثَةِ أو قِيلَ خَتَلَتْهُ[١]، فَضَرَبَهَا ضَرْبَةً، وأهونَ بِٱلْمُقِرِّ شَرْبَةً، إِذَا ٱلرَّجُلُ أَحَسَّ ٱلتَّلَفَ، وَفَقَدَ مِنَ ٱلأَنِيسِ ٱلخَلَفَ! فَلَمَّا وُقِيَتْ ضربةُ فَأْسِهِ، وَٱلحِقْدُ يُمْسِكُ بأنفاسِهِ، نَدِمَ على ما صَنَعَ أَشَدَّ ٱلنَدم، وَمَنْ لَهُ في ٱلجِدَّةِ بِٱلعَدَمِ؟ فقالَ لِلْحَيَّةِ مُخَادِعاً، وَلَمْ يَكُنْ بِمَا كُنْتُمْ صَادِعاً[٢]: هَلْ لَكَ أَنْ نَكُونَ خِلَّيْنِ، ونَحْفَظَ ٱلعَهْدَ إِلّيَنِ[٣]؟ وَدَعَاهَا بِٱلسَّفَهِ إِلى حِلْفٍ، وَقَدْ سُقِيَ مِنَ الغَدْرِ بِخُلْفٍ. فقَالَتْ: لا أفعلُ وإِنْ طَالَ ٱلدَّهْرُ، وَكَمْ قُصِمَ بِٱلغِيَرِ[٤] ظهرٌ! إِنِّي أَجِدُكَ فَاجِراً مَسْحُوراً، لم تَأْلُ في خِلَّتِكَ حَيُوراً[٥]؛ تَأْبى لي صَكَّةً فوقَ ٱلرَّأْسِ، مارَسْتُها أَبْأَسَ مِراسٍ، ويَمْنَعُكَ مِنْ أَرَبِكَ قبرٌ محفورٌ، وَٱلأَعْمَالُ ٱلصَّالِحَةُ لَهَا وُفورٌ.

وقدْ وَصَفَ ذلك نابغةُ بني ذِبيانَ فقال:

[الطويل]

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي ٱلضِّغْنِ مِنْهُمُ، ... وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ ٱلبثِّ سَاهِرَهْ

كَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ ٱلصَّفَا مِنْ خَلِيلِهَا، ... وَكَانَتْ تَدِيهِ ٱلمَالَ[٦] غِبًّا[٧] وَظَاهِرَهْ

فَلَمَّا رَأَى أَنْ ثَمَّرَ ٱللَّهُ مَالَهُ، ... فَأَصْبَحَ مَسْرُوراً، وَسَدَّ مَفَاقِرَهْ[٨]

أَكَبَّ عَلَى فَأْسٍ يُحِدُّ غُرَابَهَا[٩]، ... مُذَكَّرَةً، مِنَ ٱلمَعَاوِلِ بَاتِرَهْ[١٠]

وَقَامَ عَلَى جُحْرٍ لَهَا فَوْقَ صَخْرَةٍ، ... لِيَقْتُلَهَا، أَوْ تُخْطِئَ ٱلكَفُّ بَادِرَهْ

فَلَمَّا وَقَاهَا ٱللَّهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ ... وَلِلْبِرِّ عَيْنٌ لَا تُغَمِّضُ نَاظِرَهْ

فَقَالَ: تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللَّهَ بَيْنَنَا ... عَلَى مَالِنَا، أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهْ

فَقَالَتْ: مَعَاذَ ٱللَّهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي ... رَأَيْتُكَ مَسْحُوراً يَمِينُكَ فَاجِرَهْ[١١]

---

(١) ختلته: خدعته.
(٢) صادعاً: مجاهراً.
(٣) الإل: العهد.
(٤) الغير: مصائب الدهر وتبدل حاله.
(٥) حيوراً: هلاكاً.
(٦) تديه المال، لغة في تعطيه.
(٧) غبًّا: خفية.
(٨) «ويقال: سدّ الله مفاقره أي أغناه وسَدَّ وجوه فقره...». انظر: لسان العرب ٥/ ٦١ مادة «فقر». ورد البيت في: خزانة الأدب. للبغدادي، ديوان النابغة الذبياني: ٤٨.
(٩) غراب الفأس: حدّه.
(١٠) باترة: قاطعة.
(١١) فاجرة: مائلة إلى الباطل.

أَبَـى لِي قَـبْـرٌ لَا يَـزَالُ مُـقَـابِـلِي، وَضَـرْبَـةُ فَـأْسٍ فَـوْقَ رَأْسِـي فَـاقِـرَهْ[١]

[حديث في القراءات القرآنية]

وَتَقولُ حيةٌ أُخرى: إِنِّي كُنْتُ أَسْكُنُ في دارِ ٱلحَسَنِ ٱلبَصْرِيِّ[٢] فَيتلو ٱلقرآنَ لَيْلًا، فَتَلَقَّيْتُ مِنْهُ ٱلكِتابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخرِهِ.

فيقولُ، لَا زالَ ٱلرُّشْدُ قَرِيْناً لِمَحَلِّهِ: فكيفَ سَمِعْتِهِ يقرأُ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾؟ [الأنعام: ٩٦] فَإِنَّهُ يُرْوَى عنهُ بِفتحِ ٱلهمزةِ كَأَنَّهُ جَمْعُ صُبْحٍ، وَكَذلك «بالعشي والإبكار» كَأَنَّهُ جَمْعُ بُكْرٍ، مِنْ قَوْلِهِم: لَقِيْتُهُ بكراً، وَإِذا قُلْنا: إِنَّ أَنْعُماً وَأَشُدًّا جَمْعُ نِعْمَةٍ وَشِدَّةٍ، على طَرْحِ ٱلهاءِ، فيجوز أَنْ تكُونَ ٱلأَبْكارُ جَمْعَ بُكْرَةٍ، فتكونَ على قولِنا: بُكْر وأَبْكار، كَمَا يُقالُ: جُنْدٌ وَأَجْنادٌ.

فَتَقُولُ: لَقَدْ سَمِعْتُهُ يقرأُ هٰذه ٱلقِراءَةَ، وكُنْتُ عليها بُرْهَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ، فَلَمَّا تُوفِيَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انتقلْتُ إِلى جِدارٍ في دارِ أَبي عَمْرِو بْنِ ٱلعَلاءِ[٣]؛ فسمِعْتُهُ يقرأ، فَرَغِبْتُ عَنْ حُروفٍ مِنْ قِراءةِ ٱلحَسَنِ كهذينِ ٱلحَرْفَينِ وكَقولِهِ: ٱلأَنْجيل، بفتح ٱلهَمْزَةِ. فلَمَّا توفي أبو عَمْرٍو وكَرِهْتُ ٱلمُقامَ، فَٱنتقلْتُ إِلى ٱلكُوفةِ، فَأَقَمْتُ في جِوارِ حمزةَ بْنِ حَبيبٍ[٤]، فسمِعْتُهُ يَقرأُ بِأَشياءَ يُنْكِرُها عليهِ أَصحابُ ٱلعربيَّةِ؛ كَـخَفْضِ ٱلأَرحامِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] وكَسْرِ ٱلياءِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وكذلك سكونُ ٱلهمزةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئْ﴾ [فاطر: ٤٣] وهذا إِغْلَاقٌ لِبابِ

---

(١) فاقرة: حازّة، جارحة.

(٢) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد في المدينة سنة ٢١هـ = سنة ٦٤٢م مات سنة ١١٠هـ = سنة ٧٢٨م. انظر ترجمته في: حلية الأولياء ٢/ ١٣١، أمالي المرتضى ١/ ١٠٦.

(٣) هو: زبّان بن عمّار التميمي المازني البصري، أبو عمرو: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة سنة ٧٠هـ = سنة ٦٩٠، ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ١٥٤هـ = سنة ٧٧١م. انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٨٨، وفيات الأعيان: ١/ ٢٨٦.

(٤) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات: أحد القرّاء السبعة. كان من موالي التيم فنسب إليهم. كان عالماً بالقراءات. مات بحلوان سنة ١٥٦هـ = سنة ٧٧٣م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٦٧، ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٤.

ٱلعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ ٱلفُرْقَانَ ليسَ بِمَوْضِعِ ضَرُورَةٍ، وإِنَّما حُكِيَ مثلُ هٰذا في ٱلمنظُومِ. وقد رُوِيَ أَنَّ ٱمرأَ ٱلقيسِ قال:

[الكامل]

فَٱلْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ   إِثْماً مِنَ ٱللّٰهِ، وَلَا وَاغِلِ[١]

وَبَعْضُهُمْ يَرْوِي: فَٱليومَ أُسْقَى؛ وَإِذا رُوِيَ: فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ، فَيجوزُ أَنْ يكونَ ثَمَّ إِشارةٌ إِلى ٱلضَّمِّ لا حُكْمَ لَهَا في ٱلوَزْنِ، فَقَدْ زَعَمَ سيبويهِ أَنَّهُمْ يفعلون ذلك في قولِ ٱلرَّاجز:

مَتَى أَنَامُ لَا يُؤَرِّقُنِي ٱلكَرَى،   لَيْلًا وَلَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ ٱلمَطِي[٢]

وَهٰذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخفِلُونَ بِطَرْحِ ٱلإِعْرَابِ؛ فَأَمَّا قولُ ٱلرَّاجِزِ:

إِذَا ٱعْوَجَجْنَ قُلْتُ: صَاحِبُ قَوِّمِ   في ٱلدَّوِّ[٣]، أَمْثَالَ ٱلسَّفِينِ ٱلعُوَّمِ

فَإِنَّهُ مِنْ عَجِيبِ مَا جَاءَ، وَقَدْ بَلِهَ قائلُهُ عَنْ أَنْ يَقولَ: صَاحِ قَوِّمْ، فَلَا يَكُونُ بِٱلوَزْنِ إِخْلَالٌ، ولكنَّ ٱلَّذِينَ يَحْتَجُّونَ لَهُ يزعمونَ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يُعادِلَ بينَ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٣٢٥ مادة «حقب».
«واحتقب خيراً أو شرًا، واستحقبه: اذخره، على المثل، لأن الإنسان حامل لعمله ومُدَّخر له. واحتقب فلان الإثم: كأنه جمعه واحتقبه من خلفه؛ قال امرؤ القيس:
فاليوم أُسقى، غيرَ مُستَحقبٍ   إثماً، مِنَ ٱللّٰهِ، ولا وَاغِلِ
واحتقبه واستحقبه، بمعنى، أي احتمله».
ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٤٩، لسان العرب مادة «وَغل» المستحقب: المكتسب للإثم الحامل له. الواغل: الذي يدخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى.

(٢) ورد الرجز في لسان العرب ١٥/ ٢٨٥ مادة «مطا».
«والمطيَّة من الدوابّ التي تمطُّ في سيرها، وهو مأخوذ من المُطْو أي المَدّ. قال ابن سيده: المطية من الدّوابّ التي تمطو في سيرها، وجمعها مطايا ومَطِيٌّ؛ ومن أبيات الكتاب:
مَتَى أَنَامُ لا يُؤَرِّقُني ٱلكَرَى   لَيْلًا، ولا أسمعُ أجْراس ٱلمطِي
قال سيبويه: أراد لا يؤرِّقني الكريُ فاحتاجَ فأشمَّ الساكنَ الضمَّة، وإنما قال سيبويه ذلك لأن بعده ولا أسمعُ، وهو فعل مرفوع، فحكم الأول الذي عُطف عليه هذا الفعل أن يكون مرفوعاً لكن لما لم يمكنه أن يخلص الحركة في يؤرّقني أشمها وحمل أسمع عليه لأنه وإن كانت الحركة مشمّة فإنها في نيّة الإشباع..». ورد الرجز في: كتاب سيبويه ١/ ٤٥، حيث ورد أجراس المطي بدلًا من «أصوات المطي». المنصف لابن جنّي ٢/ ١٩١.

(٣) الدوّ: القفر.

ٱلْجُزْءينِ، لِأَنَّ قولَهُ: حُبِ قَوْمْ، في وَزْنِ قولِهِ: نَلْ عَوْمْ، وهٰذا يُشْبِهُ ما ٱدّعوهُ في قولِ ٱلْهَذَليِّ:

[الوافر]

أَبِيتُ عَلَى مَعَارِيَ فَاخِراتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ ٱلْعِبَاطِ[1]

يَزْعَمُ ٱلنَّحويُّونَ أَنَّ قَوْلَهُ: مَعَارِيَ، بِفتحِ ٱلياءِ، حَمَلَهُ عليهِ كَرَاهَةُ ٱلزِّحافِ، وهٰذا قولٌ يَنْتَقِضُ، لِأَنَّ في هٰذه ٱلطَّائِيةِ أبياتاً كثيرةً لا تخلو مِنْ زِحَافٍ، وَكُلُّ قَصِيدَةٍ لِلْعَرَبِ وَغيرِها على هٰذا ٱلقَرْيِ. وكذلك قولُه:

[الوافر]

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فَنِعَافِ عِرْقٍ عَلَامَاتٍ كَتَحْبِيرِ ٱلنِّماطِ[2]

فيهِ زَحافانِ من هٰذا ٱلجِنْسِ، ثُمَّ يَجِيءُ في كُلِّ ٱلأَبْيَاتِ إِلَّا أَنْ يندُرَ شيءٌ. وَقَدْ رُوِيَ عنِ ٱلأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ لَمْ يسمعِ ٱلعربَ تُنْشِدُ إِلَّا: أَبِيْتُ على مَعَارٍ، بِٱلتَّنْوِينِ، وهٰذا لا ينقضُ مذهبَ أَصحَابِ ٱلقِياسِ، إذا كانُوا يَروونَ عَنْ أَهلِ ٱلفصاحةِ خِلافَهُ.

وَيَهْكِرُ[3] أَزلفَهُ ٱللَّهُ مَعَ ٱلأبرارِ ٱلمُتَّقِينَ، لِمَا سَمِعَ مِنْ تلك ٱلحيَّةِ، فتقول هي: أَلَا تُقِيمُ عِنْدَنا بُرْهَةً مِنَ ٱلدَّهرِ! فَإِنِّي إِذَا شِئْتَ ٱنْتَفَضْتُ مِنْ إهابي[4] فَصِرْتُ مثلَ أحسنِ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٧/ ٣٤٧ مادة «عبط».
«عبط الذبيحة يعبطُها عَبْطاً واعْتَبَطَها اعْتِباطاً: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتيّة، وهو العَبَط، وناقة عَبِيطة ومُعْتَبطة ولحمها عَبِيط.. أنشد سيبويه:
أَبِيتُ عَلَى مَقَارِيَ واضِحاتٍ، بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ ٱلْعِبَاطِ
ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم: ٢/ ٥٨، الخصائص، لابن جنّي ١/ ٣٣٤؛ ٣/ ٦١، المنصف، لابن جني ٢/ ٦٧، ٧٥، ٧٦؛ ٣/ ٦٧، ديوان الهذليين ٢/ ٢٠.
وأورد لسان العرب ٧٤٦ مادة «العرب».
«وشيء مُلَوَّبٌ أي ملطّخ به. ولَوَّب الشيءَ: خلطه باللاب، قال المتنخل الهذلي:
أَبِيتُ عَلَى مَعَارِيَ واضِحاتٍ، بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ ٱلْعِبَاطِ»

(٢) ورد عجز البيت في: لسان العرب ٧/ ٤١٨ مادة نمط.
«والنمط: ضرب من البُسُط، والجمع أنماط.. قال ابن بري: يقال له نمط «والنمط: ضرب من البُسُط، والجمع أنماط.. قال ابن بري: يقال له نمط وأنماط ونِماط؛ قال المتنخّل:
عَلَامَاتٍ كَتَحْبِيرِ ٱلنِّماطِ

(٣) يهكر: يندهش.

(٤) الإهاب: الجلد.

غَوَانِي ٱلجَنَّةِ، لَوْ تَرَشَّفتَ رُضَابي لعَلِمْتَ أَنَّهُ أَفضلُ مِنَ ٱلدِّرْيَاقةِ[١] ٱلتي ذكرَها ٱبْنُ مُقْبِلٍ[٢] في قولِهِ:

[المتقارب]

سَقَتْني بِصَهْبَاءَ دِرْيَاقَةٍ مَتَى مَا تُلَيِّنُ عِظَامِي تَلِنْ[٣]

وَلَوْ تَنَفَّستُ في وَجْهِكَ لَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ صاحِبَةَ عنترةَ[٤] تَفِلَةٌ صَدُوفٌ، وَٱلصَّدُوفُ: ٱلكَرِيهةُ رائحةِ ٱلفَمِ، وإِنَّما تَعْنِي قولَه:

[الكامل]

وَكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَها إِلَيْكَ مِنَ ٱلفَمِ[٥]

وَلَوْ أَدْنَيْتَ وِسَادَكَ إلى وِسَادي، لَفَضَّلْتَنِي على ٱلَّتي يَقُولُ فِيها ٱلأَوَّلُ[٦]:

[البسيط]

بَاتَتْ رَقُوداً وَسَارَ ٱلرَّكْبُ مُدَّلِجاً[٧]، وَمَا ٱلأَوَانِسُ فِي فِكْرٍ لِسَارِينَا
كَأَنَّ رِيقَتَهَا مِسْكٌ عَلَى ضَرَبٍ[٨]، شِيبَتْ بِأَصْهَبَ[٩] مِنْ بَيْعِ ٱلشَّآمِينَا[١٠]

---

(١) الدرياقة، لغة في الترياق.
(٢) مرّت ترجمته.
(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١٠/ ٩٦ مادة «درق».
«. . ويقال للخمر درياقة على النسب؛ قال ابن مقبل:
سَقَتْني بِصَهْبَاءَ دِرْيَاقَةٍ، مَتَى مَا تُلَيِّنُ عِظَامِي تَلِنْ»
(٤) يقصد بها عبلة بنت مالك، ابنة عمّ عنترة.
(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٤٨٢ مادة «قسم»، ولم يعزه لقائله.
«وقال الليث: القسيمة المرأة الجميلة، وأما قول الشاعر:
وَكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَها إليكَ مِنَ ٱلفَمِ
فقيل: هي طلوع الفجر، وقيل: هو وقت تغير الأفواه، وذلك في وقت السحر. .».
«وربّما سُمّي المسك فأراً لأنه من الفار، يكون في قول بعضهم. وفأرة المسك: نافجته. فأرة المسك تكون بناحية تُبّت يصيدها الصياد فيعصب سُرّتها بعصاب شديد وسرّتها مُدلاة فيجتمع فيها دمها ثمّ تذبح، فإذا سكنت قوّر السرّة المعصّرة ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل الدم الجامد مسكاً ذكياً بعدما كان دماً لا يُرام نتناً». انظر: لسان العرب ٥/ ٤٢ مادة «فأر».
(٦) الأبيات الثلاثة لعمر بن أبي ربيعة وليست موجودة في ديوانه.
(٧) أدلج: سار ليلاً.
(٨) ضرب، بفتح الضاد والراء: العسل.
(٩) أصهب: خمرة.
(١٠) منسوبة إلى الشام.

يَـا رَبِّ، لَا تَـسْـلُبَنِّـي حُـبَّـهَـا أَبَـداً، وَيَـرْحَـمُ ٱلـلَّـهُ عَـبْـداً قَـالَ: آمِـيْـنَـا[١]

فَيَذْعَرُ مِنْها، جَعَلَ ٱللَّهُ أَمنَهُ مُتَّصِلًا، وَٱلطَّالِبَ شَأْوَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ مُنْتَصِلًا، ويذهبُ مُهَرْوِلًا في ٱلجنةِ ويقولُ في نفسِهِ: كيفَ يَرْكُنُ إلى حَيَّةٍ شَرَفُها ٱلسَّمُّ، وَلَهَا بِٱلفَتْكَةِ هَمٌّ، فَتُنَادِيهِ: هَلُمَّ إِنْ شِئْتَ ٱللَّذَّةَ، فَإِنِّي لَأَفْضَلُ مِنْ حَيَّةِ ٱبْنَةِ مَالِكٍ ٱلَّتي ذَكَرَهَا ٱلعَبْسِيُّ[٢] في قولِه:

[الطويل]

وَمَـا وَلَدَتْـنِـي حَـيَّـةُ ٱبْـنَـةُ مَـالِكٍ سِـفَـاحـاً، وَلَا قَـوْلِي أَحَـادِيْـثُ كَـاذِبِ

وَأَحْمَدُ عِشَاراً مِنْ حَيَّةِ ٱبْنَةِ أَزْهَرَ ٱلَّتي يَقُولُ فِيها ٱلقَائِلُ:

[الطويل]

إِذَا مَـا شَـرِبْـنَـا مَـاءَ مُـزْنٍ بِـقَـهْـوَةٍ ذَكَـرْنَـا عَـلَـيْـهَـا حَـيَّـةَ ٱبْـنَـةَ أَزْهَـرَا

وَلَوْ أَقَمْتَ عِنْدَنا إلى أَنْ تَخْبَرَ وِدَّنا وَإِنْصَافَنَا، لَنَدِمْتَ إِنْ كُنْتَ في الدَارِ العَاجِلَةِ قَتَلْتَ حَيَّةً أَوْ عُثْمَاناً[٣].

فيقول وُهو يسمعُ خِطَابَها ٱلرَّائِقَ: لَقَدْ ضَيَّقَ ٱللَّهُ عَلَيَّ مَرَاشِفَ ٱلحُورِ ٱلحِسَانِ، إِنْ رَضِيتُ بِتَرَشُّفِ هٰذا ٱلحَيَّةِ.

بَيْنَ كُثُبِ ٱلعنْبَرِ وَأَنْقَاءِ ٱلمِسْكِ

فَإِذا ضَرَبَ في غِيْطانِ[٤] الجَنَّةِ، لَقِيَتْهُ ٱلجَارِيَةُ ٱلَّتي خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ الثمرة فَتَقُولُ: إِنِّي لَأَنْتَظِرُكَ مُنْذُ حِينٍ فَمَا ٱلَّذِي شَجَنَكَ[٥] عن ٱلمَزارِ؟ مَا طَالَتِ ٱلإِقَامَةُ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٢٧ مادة «أمن».
«وقال عمر بن أبي ربيعة في لغة مَنْ مدَّ آمينَ:
يَـا رَبِّ لا تَـسْـلُبَـنِّـي حُـبَّـهَـا أَبَـداً، وَيَـرْحَـمُ ٱلـلَّـهُ عَـبْـداً قَـالَ: آمِـيـنَـا
قال: ومعناهما اللهمَّ استجبْ، وقيل: هو إيجابُ ربِّ افْعَلْ، قال: وهما موضوعان في موضع اسم الاستجابة..».
ورد البيت في: أمالي ابن الشجري: ٢٥٩، ٣٧٥، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٤/ ٣٤، شذور الذهب، لابن هشام: ١١٦، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ١٩٧. ولا يوجد في ديوان عمر بن أبي ربيعة ويوجد في ديوان المجنون: ٣٨٣.

(٢) يقصد عنترة. ولا يوجد البيت في: ديوانه.

(٣) العثمان: الحيّة، وقيل: فرخ الحيّة.

(٤) الغيطان، مفرده غوطة: هي موضع كثير الماء والشجر.

(٥) شجنك: حبسك.

مَعَكَ، فَأَمِلَّ بِٱلْمُحَاوَرَةِ مَسْمَعَكَ، قَدْ كَانَ يَحِقُّ لِي أَنْ أُوثَرَ لَدَيْكَ عَلَى حَسَبِ ما تَنْفَرِدُ بِهِ ٱلعَروسُ، يَخُصُّهَا ٱلرَّجُلُ بِشيءٍ دونَ ٱلأَزْوَاجِ.

فيقولُ: كانَتْ فِي نفسي مَآرِبُ مِنْ مُخَاطَبَةِ أَهْلِ ٱلنَّارِ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ ذَلِكَ وَطَراً عُدْتُ إِليكِ، فَٱتْبعِيني بَيْنَ كُثُبِ ٱلعَنْبَرِ وَأَنْقاءِ ٱلمِسْكِ.

فَيَتَخَلَّلُ بِها أَهَاضِيبَ ٱلفِرْدَوْسِ وَرِمالَ ٱلجِنانِ؛ فتقولُ: أَيُّها ٱلعَبْدُ ٱلمرحومُ، أَظُنُّكَ تَحْتَذِي[١] بِي فِعالَ ٱلكِنْدِيِّ[٢] في قولِه:

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي، تَجُرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[٣]

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ ٱلحَيِّ، وَٱنْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ[٤]

---

(١) تحتذي: تقلّد.

(٢) يقصد به امرأ القيس.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٢٤٦ مادة «نير».

«ونِيْرُ الثوب: هدْبُه؛ عن ابن كيسان؛ وأنشد بيت امرئ القيس:

فَقُمْتُ بِهَا نَمْشِي تجرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى أَثَرَيْنَا نِيْرَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ»

ويروى: «على أثرينا ذَيْلَ مِرْطٍ». و«المِرْط»: إزارُ خزٍّ مُعْلَمٌ. و«المُرَجَّل»: الذي فيه صورُ الرِّحال، من الوشي... ومعنى البيت أنها لمَّا قالت له: ما لك حيلة هنا، خرج بها إلى الخلوة، ومعنى جرِّها أذيالها أنها تفعل ذلك، لتعفّي أثرهما، لئلّا يُقتفى أثرُهما، فيعرف موضعُهما». انظر: شرح القصائد العشر ٣/ ٥٤٥.

ورد البيت في: شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٢٨٦، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ٣٨٧، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ٢٤٤، الدرر اللوامع ١/ ٢٠١.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٣٢٦ مادة «جوز».

«الأصمعي: جُزت الموضع سِرْتُ فيه، وأجزته خَلَّفته وقطعته، وأجزته: أنفذته: قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أجزنا ساحةَ ٱلحيِّ، وَٱنتحى ... بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

ويروى: ذي حِقاف».

«أجَزْنا» وجُزْنا بمعنى واحد، وقال الأصمعيُّ: «أجزنا»: قطعنا وخلَّفنا. وجُزْنا: سرنا فيه. و«الساحة» والباحة والفجوة.. فناء الدار.. و«انتحى»: اعترض. «الخبْتُ»: بطن من الأرض غامض. ويروى: «بطن حِقْفٍ» والحِقْفُ: ما اعوجَّ من الرمل وانثنى. وجمعه أحقاف. و«القُفُّ» ما ارتفع من الأرض، وغلظ، ولم يبلغ أن يكون جبلًا. ويروى: «ذي رُكام» والركام: ما يركب بعضه بعضاً، من كثرة «العقنقل»: المتعقِّد، الداخلُ بعضُه في بعض. وعقنقلُ الضَّبِّ: بطنه المتعقدُ، وهو كُشْيَتُهُ وبيضُهُ. والكُشْيَة: شَحمُه، من أصل حَلْقة إلى رُفْغِه». انظر شرح القصائد العشر: ٥٤.

ورد البيت في: الإنصاف، لابن الأنباري: ٤٥٧، خزانة الأدب، للبغدادي ٤/ ٤١٣، إعراب القرآن، للنحاس ٣/ ٨٠.

هَـصَـرْتُ بِـفَـوْدَيْ رَأْسِـهَـا، فَـتَـمَـايَـلَـتْ عَـلَيَّ هَـضِـيْـمَ ٱلْكَـشْـحِ رَيَّـا ٱلْمُـخَـلْـخَـلِ[١]

فَيَقُولُ: العَجَبُ لِقُدْرَةِ ٱللّٰهِ! لَقَدْ أَصَبْتِ مَا خَطَرَ في ٱلسُّوَيْدَاءِ[٢]، فَمِنْ أَيْنَ لَكِ عِلْمٌ بِٱلكِنْدِيِّ وَإِنَّمَا نَشَأْتِ في ثَمْرَةٍ تُبْعِدُكِ مِنْ جِنٍ وَأَنِيسٍ؟ فَتَقُولُ: إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ويَعْرِضُ لَهُ حَدِيثُ ٱمْرِئِ ٱلقَيْسِ في دَارَةِ جُلْجُلٍ، فَيُنْشِئُ ٱللّٰهُ، جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، حُوراً عِيناً يَتَمَايَلْنَ في نَهْرٍ مِنْ أَنهارِ ٱلجَنَّةِ، وَفِيهِنَّ مَنْ تَفْضُلُهُنَّ كَصَاحِبَةِ ٱمرئِ ٱلقَيْسِ، فَيَتَرَامَيْنَ بِٱلتُّرْمُدِ[٣]، وَإِنَّمَا هو كَأَجَلِّ طِيبِ ٱلجَنَّةِ، وَيَعْقِرُ لَهُنَّ ٱلرَّاحِلَةَ، فَيأْكُلُ وَيأْكُلْنَ مِنْ بَضِيعِها ما ليسَ تَقَعُ ٱلصِّفَةُ عليهِ مِنْ إِمْتَاعٍ وَلَذَاذَةٍ.

أبيات الجنة

وَيَمُرُّ بِأَبْيَاتٍ لَيْسَ لَهَا سُمُوقٌ[٤] أَبْيَاتِ ٱلجَنَّةِ، فَيَسْأَلُ عَنْها فَيُقَالُ: هٰذِهِ جَنَّةُ ٱلرَّجَزِ، يَكُونُ فيها: أغلبُ بَنِي عِجْلٍ وَٱلعَجَّاجُ[٥] وَرُؤْبَةُ[٦] وأَبو

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٦١٤ مادة «هضم»، صدر البيت برواية مخالفة لما ورد في ديوان امرئ القيس:
قال: وأما شاهد الهضيم اللطيفة الكشحين من النساء فقول امرئ القيس:
إذا قُلْتُ: هـاتـي نـوِّلـيـنـي، تَـمَـايَـلَـتْ عَـلَيَّ هَـضِـيـمَ الـكـشـحِ رَيَّـا ٱلْـمُـخَـلْـخَـلِ»
ويروى: «مددتُ بغُصْني دَوْمَةٍ». ودَوْمة: شجرة. و«الفَوْدان» جانبا الرأس. ومعنى «هصرت»: جذبت وثنيتُ، و«الكشح»: ما بين منقطع الأضلاع إلى الورِك. و«المُخَلْخَل»: موضع الخلخال. يصف دقة خصْرها، وعبالة ساقيها.
ومن روى «إذا قلت: هاتي نوِّليني» فمعنى التنويل: التقبيل وهو من النوال: العطية ومعنى البيت أنه إذا قالها: نَوِّليني، تمايلت عليه، بيديها، مُلتزمة له». انظر: شرح القصائد العشر: ٥٤ ـ ٥٦.
ورد البيت في: شذور الذهب، لابن هشام: ٢٢.

(٢) السويداء: القلب.

(٣) الترمد: ضرب من الحمض تسمو دون الذراع تتخذ من سوقها الأمشاط.

(٤) سموق: ارتفاع، علوّ.

(٥) هو: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء: راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها. ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٠هـ = نحو سنة ٧٠٨م. وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد. وكان لا يهجو. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٣٠، شرح شواهد المغني: ١٨.

(٦) هو: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجَحَّاف: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان =

ٱلنَّجْمِ[١] وَحُمَيْدٌ ٱلأَرْقَطُ[٢] وعُذَافِرُ[٣] بْنُ أَوْسٍ وَأَبو نُخَيْلَةَ[٤] وكُلُّ مَنْ غُفِرَ لَهُ مِنَ ٱلرُّجَّازِ، فيقولُ: تَبَارَكَ ٱلعَزِيزُ ٱلوَهَّابُ! لقد صَدَقَ ٱلحَدِيثُ ٱلمَرْوِيُّ: إنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ ٱلأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا[٥]؛ وإنَّ ٱلرَّجَزَ لَمِنْ سَفْسَافِ ٱلقَرِيضِ، قَصَّرْتُمْ أَيُّهَا ٱلنَّفَرُ فَقَصَرَ بِكُمْ.

وَيَعْرُضُ لَهُ رُؤْبَةُ فيقولُ: يا أَبا ٱلجَحَّافِ، مَا كَانَ أَكْلَفَكَ بِقَوافٍ لَيْسَتْ بِٱلمُعجبَةِ تَصْنَعُ رَجَزاً عَلَى ٱلغَيْنِ وَرَجَزاً عَلَى ٱلطَّاءِ وَعَلَى ٱلظَّاءِ، وَعَلَى غَيْرِ ذلك مِنَ ٱلحروفِ ٱلنَّافِرَةِ، وَلَمْ تَكُنْ صَاحِبَ مَثَلٍ مَذْكُورٍ، وَلَا لَفْظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ.

فَيَغْضَبُ رُؤْبَةُ وَيَقُولُ: إِلَيَّ تَقُولُ هٰذا وَعَنِّي أَخَذَ ٱلخَليلُ، وَكَذلِكَ أَبو عَمْرِو بْنُ ٱلعَلاءِ، وَقَدْ غَبَرْتَ[٦] في ٱلدَّارِ ٱلسَّالِفَةِ تَفْتَخِرُ بِٱللَّفْظَةِ تَقَعُ إِلَيْكَ مِمَّا نَقَلَهُ أُولٰئِكَ عَنِّي وَعَنْ أَشْبَاهِي؟

فَإِذَا رَأَى، لَا زَالَ خَصْمُهُ مُغَلَّباً، مَا فِي رُؤْبَةَ مِنَ ٱلانتِخَاءِ قالَ: لَوْ سُبِكَ رَجَزُكَ وَرَجَزُ أَبيكَ، لَمْ تَخرُجْ مِنْهُ قَصِيدَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَبا مُسْلِمٍ كَلَّمَكَ بِكَلامٍ فِيهِ ٱبْنُ ثَأْدَاءَ[٧]، فَلَمْ تَعرِفْها حَتَّى سَأَلْتَ عَنْهَا بِٱلحَيِّ، وَلَقَدْ كُنْتَ

= أهل اللغة. مات سنة ١٤٥هـ = سنة ٧٦٢م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٨٧، الشعر والشعراء: ٢٣٠.

(١) هو: الفضل بن قدامة العجلي، من بني بكر بن وائل: من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي. وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام، مات سنة ١٣٠هـ = سنة ٧٤٧م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ١٠/ ١٥٠، خزانة الأدب، للبغدادي: ٥٩ و٤٠٦.

(٢) هو: حميد بن ثور بن حزن الهلاليّ العامريّ، أبو المثنى شاعر مخضرم. عاش زمناً في الجاهلية، وشهد حنيناً مع المشركين. وأسلم ومثل بين يدي النبي ﷺ. مات نحو سنة ٣٠هـ ونحو سنة ٦٥٠م. انظر ترجمته في: الإصابة، ت ١٨٣٠، الأغاني، طبعة دار الكتب ٤/ ٣٥٦.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) هو أبو نُخَيْلَة (وهو اسمه: وكنيته أبو الجنيد) بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم، من بني حِمَّان من سعد بن زيد مناة بن تميم، الحِمَّاني السعدي التميمي: شاعر راجز. مات نحو سنة ١٤٥هـ = نحو سنة ٧٦٢م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٨/ ١٣٩ ـ ١٥٢، الشعر والشعراء. تحقيق أحمد شاكر: ٥٨٣.

(٥) سفساف الأمور: أتفه الأشياء.

(٦) غبرت: ظللت.

(٧) ثأداء: أمة.

تَأْخُذُ جَوَائِزَ ٱلْمُلُوكِ بِغيرِ ٱسْتِحْقَاقٍ، وَإِنَّ غَيرَكَ أَوْلَى بِالأَعْطِيَةِ وَٱلصِّلاتِ.

فَيَقُولُ رُؤْبَةُ: أَلَيْسَ رَئِيسُكُمْ فِي ٱلقَدِيمِ، وَٱلَّذِي ضَهَلَتْ[١] إِلَيْهِ ٱلمَقَايِيسُ، كَانَ يَسْتَشْهِدُ بِقَوْلِي وَيَجْعَلُنِي لَهُ كَالإِمامِ؟ فيقولُ، وهو بِٱلقَوْلِ مُنْطِقٌ: لَا فَخْرَ لَكَ إِنِ ٱسْتَشْهَدَ بِكَلَامِكَ، فَقَدْ وَجَدْنَاهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ بِكَلَامِ أَمَةٍ وَكْعَاءَ[٢] تَحْمِلُ ٱلقَطَلَ[٣] إِلى ٱلنَّارِ ٱلمُوْقَدَةِ فِي ٱلسَّبْرَةِ[٤] ٱلتي نَفَضَ عَلَيْهَا ٱلشَّبِمُ[٥] رِيْشَهُ، وَهَدَمَ لَهَا ٱلشَّيْخُ عَرِيشَهُ، تَأْخُذُ خَشَبَةً لِلْوَقُودِ، كَيْمَا يَصِلَ إِلى ٱلرُّقُودِ، وَأَجَلُّ أَيَّامِهَا أَنْ تَجْنِيَ عَسَاقِلَ[٦] وَمَغْرُوداً، وَتَتْلُوَ نِعَماً مَطْرُوداً، وَإِنَّ بَعْلَهَا في ٱلمِهْنَةِ لَسَيِّئُ ٱلعَذِيرِ[٧]، غَلُظَ عنِ ٱلفِطَنِ وَٱلتَّحْذِيرِ، وَكَمْ رَوَى ٱلنُّحَاةُ عَنْ طِفْلٍ، ما لَهُ في ٱلأَدَبِ مِنْ كِفْلٍ، وَعَنِ ٱمرأَةٍ، لَمْ تَعْدُ يَوْماً في ٱلدَّرْأَةِ[٨].

فيقولُ رُؤْبَةُ: أَجِئْتَ لِخِصَامِنَا في هٰذا ٱلمَنْزِلِ؟ فَٱمْضِ لِطَيَّتِكَ، فَقَدْ أَخَذْتَ بِكَلَامِنَا ما شَاءَ ٱللَّهُ. فيقولُ، أَسْكَتَ ٱللَّهُ مُجَادِلَهُ: أَقْسَمْتُ مَا يَصْلُحُ كَلَامُكُمْ لِلثَّنَاءِ، وَلَا يَفْضُلُ عَنِ ٱلهَنَاءِ، تَصُكُّونَ مَسَامِعَ ٱلمُمْتَدَحِ بِٱلجَنْدَلِ[٩]، وَإِنَّما يُطْرَبُ إِلى ٱلمَنْدَلِ[١٠]، وَمَتى خَرَجْتُمْ عَنْ صِفَةِ جَمَلٍ، تَرْثُونَ لَهُ مِنْ طُولِ ٱلعَمَلِ، إِلَى صِفَةِ فَرَسٍ سَابِحٍ، أَوْ كَلْبٍ لِلْقَنَصِ نَابِحٍ، فَإِنَّكُمْ غيرُ ٱلرَّاشِدِينَ. فيقولُ رُؤْبَةُ: إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٣]. وَإِنَّ كَلامَكَ لَمِنَ ٱللَّغْوِ، مَا أَنْتَ إِلَى ٱلنَّصَفَةِ بِذِي صَغْوٍ.

فَإِذَا طَالَتِ ٱلمُخَاطَبَةُ بَيْنَهُ وبَيْنَ رُؤْبَةَ، سَمِعَ ٱلعَجَّاجُ فَجَاءَ يَسْأَلُ ٱلمُحَاجَزَةَ[١١].

سُرُرُ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ

ويذكرُ، أَذْكَرَهُ ٱللَّهُ بِٱلصَّالِحَاتِ، مَا كَانَ يَلْحَقُ أَخَا ٱلنِّدَامِ، مِنْ فُتُورٍ في ٱلجَسَدِ

---

(١) ضهلت: آلت.
(٢) الوكعاء: هي التي في صدر قدمها ميلان نحو الخنصر.
(٣) القطل: ما وقع من الشجر.
(٤) السبرة: الغداة الباردة.
(٥) الشبم: البرد.
(٦) العساقل: القطع المتفرّقة من السحاب.
(٧) العذير: المساعد.
(٨) الدرأة: الطليعة، وتدارأ القوم: تدافعوا في الخصومة واختلفوا.
(٩) الجندل: الصخرة.
(١٠) المندل: عود ذو رائحة عطرة.
(١١) المحاجزة: المهادنة.

مِنَ ٱلمُدام، فَيَخْتَارُ أَنْ يَعْرُضَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْزِفَ لَهُ لُبٌّ، وَلَا يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ خِبٌّ(١)، فَإِذَا هو يَخالُ في ٱلعِظَامِ ٱلنَّاعِمَةِ دَبِيبَ نَمْلٍ، أَسْرَى في ٱلمُقْمِرَةِ، عَلَى رَمْلٍ، فَيَتَرَنَّمُ بِقَوْلِ إِياسِ بْنِ ٱلأَرَتِّ(٢):

[الوافر]

أَعَاذِلُ لَوْ شَرِبْتَ الخَمْرَ حَتَّى ... يَظَلَّ لِكُلِّ أُنْمُلَةٍ دَبِيبُ

إِذاً لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي ... لِمَا أَتْلَفْتُ مِنْ مَالِي مُصِيبُ

وَيَتَّكِئُ عَلَى مَفْرَشٍ مِنَ ٱلسُّنْدُسِ، وَيَأْمُرُ ٱلحُورَ ٱلعِينَ أَنْ يَحْمِلْنَ ذَلِكَ ٱلمَفْرَشَ فَيَضَعْنَهُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ سُرُرِ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ، وَإِنَّمَا هو زَبَرْجَدٌ(٣) أَوْ عَسْجَدٌ(٤)، وَيَكُونُ ٱلبَارِئُ فيهِ حَلَقاً مِنَ ٱلذَّهَبِ تَطِيفُ بِهِ مِنْ كُلِّ الأَشْرَاءِ(٥) حَتَّى يَأْخُذَ كُلُّ واحدٍ مِنَ ٱلغِلْمانِ، وَكُلُّ واحدةٍ مِنَ ٱلجَوَارِي ٱلمُشَبَّهَةِ بِٱلجُمَانِ(٦)، وَاحِدَةً مِنْ تلكَ ٱلحَلَقِ، فَيُحْمَلُ عَلَى تِلْكَ ٱلحالِ إِلى مَحَلِّهِ ٱلمُشَيَّدِ بِدارِ ٱلخُلُودِ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِشَجَرَةٍ نَضَخَتْهُ(٧) أَغْصَانُهَا بِمَاءِ ٱلوَرْدِ قَدْ خُلِطَ بِمَاءِ ٱلكَافُورِ، وَبِمِسْكٍ مَا جُنِيَ مِنْ دِماءِ ٱلفُورِ(٨)، بَلْ هو بِتَقْدِيرِ ٱللَّهِ ٱلكَرِيمِ.

وَتُنَادِيهِ ٱلثَّمَرَاتُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وهو مُسْتَلْقٍ عَلَى ٱلظَّهْرِ: هَلْ لَكَ يَا أَبا ٱلحَسَنِ، هَلْ لَكَ؟ فَإِذَا أَرَادَ عُنْقُوداً مِنَ ٱلعِنَبِ أَوْ غَيْرِهِ ٱنْقَضَبَ(٩) مِنَ ٱلشَّجَرَةِ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ، وَحَمَلَتْهُ ٱلقُدْرَةُ إِلى فِيهِ، وَأَهْلُ ٱلجَنَّةِ يَلْقَوْنَهُ بِأَصْنَافِ ٱلتَّحِيَّةِ ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يس: ١٠] لَا يَزَالُ كَذلِكَ أَبَداً سَرْمَداً، نَاعِماً في ٱلوَقْتِ ٱلمُتَطَاوِلِ مُنَعَّماً، لَا تَجِدُ ٱلغِيَرُ(١٠) فيهِ مَزْعَماً.

وَقَدْ أَطَلْتُ فِي هٰذا ٱلفَصْلِ، وَنَعُودُ ٱلآنَ إِلى ٱلإِجَابَةِ عَنِ ٱلرِّسَالَةِ.

---

(١) الخبّ: المخادع، المخاتل.
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣) الزبرجد والزبردج: الزمرّد.
(٤) العسجد: الذهب؛ وقيل: هو اسم جامع كله من الدرّ والياقوت. انظر: لسان العرب ٣/ ٢٩٠ مادة «عسجد».
(٥) الأشراء: الأنحاء.
(٦) الجُمان: نوع من الأحجار الكريمة.
(٧) نضخته: نفحته.
(٨) الفور: الظباء.
(٩) انقضب: انقطع.
(١٠) الغير: الأحداث والمصائب.

القِسْمُ ٱلثَّاني

فَهِمْتُ قَوْلَهُ: جَعَلَنِي ٱللَّهُ فِدَاءَهُ، لَا يَذْهَبُ بِهِ إِلى ٱلنِّفَاقِ، وَبَعُدَ ٱبْنُ آدمَ مِنَ ٱلوِفَاقِ؛ وهٰذه غَرِيزَةٌ خُصَّ بِهَا ٱلشَّيْخُ دُونَ غيرِهِ، وَتَعَايَشَ ٱلعالِمُ بِخِدَاعٍ، وَأَضْحَوْا مِنَ ٱلكَذِبِ في إِبْدَاعٍ. لَوْ قَالَتْ شِيرِينُ ٱلمَلِكَةُ لِكِسْرَى: جَعَلَنِي ٱللَّهُ فِدَاءَكَ فِي إِقَامَةٍ أَوْ سُرَى[١]، لَخَالَبَتْهُ[٢] في ذَلِكَ وَنَافَقَتْهُ[٣]، وَإِنْ رَاقَتْهُ بِٱلعُطْلِ[٤] وَوافَقَتْهُ، على أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنْ حَالٍ دَنِيَّةٍ، فَجعَلَهَا في ٱلنُّعْمَى ٱلسَّنِيَّةِ؛ وَعَتَبَهُ فِي ذلِكَ ٱلأَحِبَّاءُ، وَجَرَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قِصَصٌ وَأَنْبَاء، وَقِيلَ لَهُ فِيما ذُكِرَ، وَٱللَّهُ ٱلعَالِمُ بِمَنْ جَدَبَ[٥] أَوْ شَكَرَ: كَيْفَ تَطِيبُ نفسُ ٱلمَلِكِ لِهٰذِهِ ٱلمُومَسِ[٦] وَهِيَ ٱلوَالِجَةُ في ٱلمَغْمَسِ؟ فَضَرَبَ لَهُمُ ٱلمَثَلَ بِٱلقَدَحِ، وَإِذا حُظِيَتِ ٱلغَانِيَةُ فَلَيْسَتْ بِٱلمُفْتَقِرَةِ إِلَى ٱلصِّدَاحِ[٧]، جَعَلَ في ٱلإِنَاءِ ٱلشَّعْرَ وَٱلدَّمَ، وقالَ لِلْحَاضِرِ وَلَا نَدَمَ: أَتُجِيبُ نَفْسُكَ لِشُرْبِ ما فِيهِ؟ وَإِنَّما يَجْنَحُ إِلى تَلَافِيهِ. فقالَ: إِنَّهَا لَا تَطِيبُ، وَهِيَ بِٱلأَنْجَاسِ قَطِيبٌ.

فَأَرَاقَ ذَلِكَ ٱلشَّيْءَ وَغَسَلَهُ، وهَذَّبَ وِعَاءَهُ ثُمَّ عَسَلَهُ[٨]، وَجَعَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدُ مُدَاماً، وَعَرَضَهَا عَلَى ٱلنَّدَامَى، فَكُلُّهُمْ بَهِشٌ[٩] أَنْ يَشْرَبَ، وَمَنْ يَعَافُ ٱلعَاتِقَةَ وَٱلغَرْبَ؟ فَقَالَ: هٰذا مِثْلُ شِيرِينَ، فَلَا تَكُونُوا في ٱلسَّفَهِ مُسَيَّرِينَ.

كَمْ مِنْ شِبْلٍ نَافَقَ[١٠] أَسَداً، وَأَضْمَرَ لَهُ غِلّاً وَحَسداً! وَلَبُوءَةٍ تُدَاجِي هِرْمَاساً[١١]

(١) السُّرى: السير في الليل.
(٢) خالب: استحوذ على قلبه وعقله.
(٣) نافقته: كلمته بكاذب الكلام.
(٤) العطل: الخلو من الجواهر والحلي.
(٥) جَدَب: عابَ وذمّ.
(٦) المومس: العاهرة.
(٧) الصداح: خرزة يستعطف بها الرجال.
(٨) عسله: مزجه بالعسل.
(٩) البهش: الراضي.
(١٠) نافق: خاتل بإظهار الحبّ.
(١١) الهرماس: من أسماء الأسد.

تَنبِذُ إِلَيْهِ ٱلمَقَةَ[١] وَتُبغِضُ لَهُ لِمَاساً[٢]! وَضَيْغَمٍ[٣] نَقِمَ عَلَى فَرْهُودٍ[٤]، وَوَدَّ لَوْ دَفَنَهُ بِٱلوُهُودِ! وَٱلفَرْهُودُ وَلَدُ ٱلأَسَدِ بِلُغَةِ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَهو، آنس ٱللَّهُ ٱلإقليمَ بِقُرْبِهِ، أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ مثلَ ذَلِكَ، وَإِنَّما أفرقُ مِنْ وُقُوعِ هٰذه ٱلرِّسَالَةِ في يَدِ غُلَامٍ مُتَرَعْرِعٍ، ليسَ إلى ٱلفَهْمِ بِمُتَسَرِّعٍ، فَتُسْتَعْجَمُ عليهِ ٱللَّفْظَةُ، فَيَظَلُّ مَعَهَا في مثلِ ٱلقَيْدِ، لا يقدِرُ على ٱلعَجَلِ وَلَا ٱلرُّوَيْدِ[٥].

وَكَمْ حَالَبْتُ ٱلذِّئَابَ ٱلسِّلَقَ، وَفِي ٱلضَّمَائِرِ تُكَنُّ ٱلفِلَقُ، أَي ٱلدَّوَاهِي، ومنهُ قولُ خلَفٍ[٦].

[الرجز]

«مَـوْتُ ٱلإِمَـامِ فِـلْقَـةٌ مِـنَ ٱلـفِـلَقْ»

وَٱلسِّلَقُ: جَمْعُ سِلْقَةٍ، وهي أُنْثَى ٱلذِّئْبِ.

وَمَلِكٌ سَانَى مَلِكَةً، ثُمَّ صَنَعَتْ لَهُ مَهْلَكَةً! يقولُ ٱلقَائِلُ: بِأَبي أَنْتَ، جَادَ عَمَلُكَ وَأَتْقَنْتَ! وَلَوْ قَدِرَ لَبَتَّ[٧] ٱلوَدَجَ[٨]، وَإِنَّمَا جَامَلَ وَسَدَجَ[٩].

وَلَعَلَّ بعضَ ٱلعَتَارِفِ[١٠] يَلْفُظُ إلى ٱلبَائِضَةِ[١١] حَبَّةَ ٱلبُرِّ، وَيَأْنَسُ بِهَا في حَرٍّ وَقُرٍّ، وفي فُؤَادِهِ مِنَ ٱلضِّغْنِ أَعَاجِيبُ، وتكْثُرُ وتَقِلُّ ٱلمَنَاجِيبُ، وَٱلمَنَاجِيبُ هَهُنا تَحْتَمِلُ أَمْرَينِ: أَحَدُهُمَا مِنَ ٱلنَّجَابَةِ، وَآخَرُ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَنَاجِيبُ أَيْ ضِعَافٌ، مِنْ قَوْلِ ٱلهُذَلِيِّ:

[البسيط]

بَـعَـثْـتُـهُ فِـي سَـوَادِ ٱلـلَّـيْـلِ يَـرْقُـبُـنِـي   إِذْ آثَـرَ ٱلـنَّـوْمَ وَٱلـدِّفْءَ ٱلـمَـنَـاجِـيـبُ[١٢]

---

(١) المقة: المحبّة.
(٢) اللِّماس: الجماع.
(٣) الضيغم، من أسماء الأسد.
(٤) فَرهود: شبل.
(٥) الرويد: التمهُّل.
(٦) هو: خلف بن حيّان، أبو محرز: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة، أعتقهما بلال بن أبي موسى الأشعري. له ديوان شعر. ومن كتبه: «مقدمة في النحو». «جبال العرب». انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ٤/ ١٧٩، مراتب النحويين: ٤٦.
(٧) بتَّ: قطع.
(٨) الودج: عرق الرقبة.
(٩) سدج: جامل وظنّ.
(١٠) العتاريف، مفرده عتروف: الديكة.
(١١) البائضة: الدجاجة.
(١٢) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٧٤٨ مادة «نجب».
«والمِنْجابُ: الضعيف، وجمعه مناجيب: قال عروة بن مرّة الهذلي:
بَـعَـثْـتُـهُ فـي سَـوَادِ ٱلـلَّـيْـلِ يَـرْقُـبُـنِـي،   إِذْ آثَـرَ ٱلـنَّـوْمَ وَٱلـدِّفْءَ ٱلـمَـنَـاجِـيـبُ
ويروى المَنَاخِيبُ، وهي كالمناجيب..».

وَٱلْمَعْنى: إنَّ ٱلْمَناجِيبَ مِنَ ٱلنَّجابَةِ تَقِلُّ، وَالمَناجِيبُ مِنَ ٱلوَهْنِ تَكْثُرُ.

وَلَعَلَّ ذَلِكَ ٱلصَّاقِعَ يَرْقُبُ لِأُمِّ ٱلكِيكَةِ[١] حَماماً، وَلَا يَرْقُبُ لَهَا ذِماماً. يقولُ في ٱلنَّفسِ ٱلمُتَحدِّثَةِ: لَيْتَ ٱلذَّابحَ بَكَّرَ عَلَى ٱلمَنقَضَةِ، فَإنَّها عَيْنُ ٱلمَبْغَضَةِ. أَوْ يقولُ: لَوْ أنِّي جُعِلْتُ في قِدْرٍ، أو بعضِ ٱلوَطْسِ[٢] فَلَحِقْتُ بِٱلهَذْرِ[٣]، لَتَزَوَّجتْ هٰذه مِنَ ٱلدِّيكَةِ شَابًّا مُقْتَبِلاً، يُحْسِنُ لَهَا حُبًّا قُبُلاً.

وَأنا أُذاكِرُهُ بِٱلكَلِمَةِ ٱلعَارِضَةِ، إذْ كَانَ قَدْ بَدَأَ بِٱلإِينَاسِ، وَتَرَكَ مَكَايدَ ٱلنَّاسِ: أَلَا يَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ ٱلعَرَبِ: فِداءٌ لَكِ بِٱلكَسْرِ وَٱلتَّنوينِ كَمَا قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

وَيْـهـاً فِـدَاءٌ لَكِ يَـا فَـضَـالَهْ ... أَجِـرَّهُ ٱلـرُّمْـحُ، وَلَا تَـبَـالَهْ[٤]

وَيُروَى تَهَالَهْ.

وَذَكَرَ أَحمدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ ناصِحٍ[٥]، وهو ٱلمَعْروفُ بِأَبِي عَصِيدَةَ، أَنَّ قَوْلَهُمْ: فِداءٌ لَكِ بِٱلكَسْرِ، إذا كَانَ لَهَا مَرَافِعُ لَمْ يَجُزْ فِيها ٱلكَسْرُ وَٱلتنوينُ. وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَحْكِي ذلِكَ عَنِ ٱلعُلَمَاءِ ٱلكُوفِيِّينَ. وَعينُهُ في قَوْلِ ٱلنَّابِغَةِ:

[البسيط]

مَـهْـلًا فِـدَاءٌ لَكَ ٱلأَقْـوَامُ كُـلُّهُـمُ ... وَمَـا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مَـالٍ وَمِـنْ وَلَدِ[٦]

فَأَمَّا ٱلبَصْرِيُّونَ فقدْ رَوَوْا فِي هٰذا ٱلبيتِ: فِداءٌ لَكَ.

---

(١) الكِيكَة: البيضة. (٢) الوطس: الضرب الشديد بالخفّ وغيره.

(٣) الهدر: الرجل السافل.

(٤) ورد الرجز في: لسان العرب ١١/ ٧١١ مادة «هول».

«.. والهِيلة: الهَوْل. وهالني الأمر يَهُولُني هَوْلًا: أفزعني؛ وقوله:

وَيْـهـاً فِـدَاءٌ لَكِ يَـا فَـضَـالَهْ! ... أَجِـرَّهُ ٱلـرُّمْـحَ، ولا تُـهَـالَهْ

فتح اللام لسكون الهاء وسكون الألف قبلها، واختاروا الفتحة لأنها من جنس الألف التي قبلها، فلما تحرّكت اللام لم يلتق ساكنان فتحذف لالتقائهما..».

ورد الرجز في: النوادر لأبي زيد الأنصاري: ١٣، المقتضب ٣/١٦٨، شرح المفصّل، لابن يعيش الحلبي ٤/ ٧٢؛ ٩/ ٢٩، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ١٦٢، ٤٢٠.

(٥) هو: أحمد بن عبيد بن ناصح، أبو جعفر المعروف بأبي عصيدة: أديب، ديلمي الأصل، من موالي بني هاشم. تولى تأديب المعتز العباسي. مات سنة ٢٨٣هـ = سنة ٨٨٦م. من كتبه: «عيون الأخبار والأشعار» الزيادات في معاني الشعر لابن السكيت في إصلاحه. انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ١/ ٢٢١.

(٦) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٤/ ٧٠، ٧٣، خزانة الأدب، للبغدادي ٣/ ٣١٠٧، وانظر ديوان النابغة الذبياني: ٢٦.

وَكَيْفَ يَقولُ ٱلخليلُ[١] ٱلمُخْلِصُ، وَهْوَ عَنِ ٱلهُجْرانِ مُتَقَلِّصٌ: إنَّ حَنينَهُ حَنِينُ وَالِهٍ مِنَ ٱلنُّوقِ، وهِيَ ٱلذَّاهِلَةُ إنْ حُمِلَ عَلَيْهَا بعضُ ٱلوُسُوقِ[٢]، وَإِنَّمَا تَسْجَعُ[٣] ثَلاثاً أو أَرْبَعاً، ثُمَّ يَكُونُ سلوُها[٤] مُتَّبِعاً؟

فَأَمَّا ٱلحَمَامَةُ ٱلهَاتِفَةُ فقدْ رَزَقَها ٱلبَارِئُ صِيْتاً شَائِعاً، وَظَلَّ وَصْفُها بِٱلأَسَفِ ذائِعاً، تَنهَضُ إلى ٱلْتِقاطِ حَبٍّ، وَتَعودُ إلى جوْزٍ لَهَا ذَات أَبٍ[٥]، فَإِنْ هِيَ صَادَفَتْهُ أَكِيْلَ بَازٍ أَوْ سَوذانق[٦]، ليسَ مَنْ أَبْصَرَ أَثَرَهُ بِٱلآنِقِ، غَدا بِهِ ظُفْرُ شَاهِينٍ، وهِيَ ٱلبَائِسَةُ، مِنَ ٱللَّاهِينَ؛ فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ ٱلحَيَوانِ، تَمَلُّ حالَها فِي أَقْصَرِ أَوانٍ.

وَقَدْ زَعَمَ زاعِمٌ، لا يُصَدَّقُ، أَنَّ ٱلحَمَائِمَ في هٰذا ٱلعَصْرِ، يَبْكِينَ مَفْقَداً هَلَكَ فِي عَهْدِ نُوحٍ، أَبرَحَ لَهُ ٱلبارحُ[٧] أَنْ رُمِيَ بِٱلسُّنُوحِ[٨]، وَإِنَّ دَوَامَهَا على ذلكَ لَدِليلُ ٱلوَفَاءِ، وَمَا ٱلعِوَضُ عَنْ خَلِيلِ ٱلصَّفَاءِ؟ لا عِوَضَ ولا نَائِبَ إلَّا فِيهِ، وكيفَ يُعْتَبُ ٱلزَّمَنُ عَلَى تَجافِيهِ؟ وَإِنَّما حُشِيَ بِشَرٍّ وَغَدْرٍ، وَكُتِبَ لَهُ ٱلعِزُّ في ٱلقَدَرِ.

وَأَمَّا ٱلظَّبْيَةُ فَإِنَّها لا تُوصَفُ بِحَنِينٍ، وَلٰكِنْ تَبْتَقِلُ[٩] بِلُبٍّ مَنِينٍ[١٠]. وَمَنْ لَهَا بِٱليانِعِ مِنَ ٱلأَرَاكِ، وَلَا تَقولُ لِفارِسِ ٱلخَيْلِ ٱلشَّازِبَةِ[١١]: دَرَاكِ! وَمَنْ كَانَ وَجْدُهُ يَعْدِلُ عَنِ ٱلخُلْدِ، فَإِنَّهُ إذَا جَنَبَ إلى ٱلوَلَدِ، فَسَوْفَ تَذَرُهُ ٱلمَدَدُ نَاسِياً، كَأَنَّهُ مَا جزِعَ آسِياً. . .

وَمَا أَقَلَّ صِدْقَ ٱلأُلَّافِ، وَلَوْ بِيْعُوا مِنَ ٱلذَّهَبِ، لا ٱلوَرَقِ[١٢]، بِآلَافِ!

[الطويل]

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِٱلمَلُولِ، وَلَا ٱلَّذي ... إذَا غِبْتُ عَنْهُ، بَاعَنِي بِخَلِيلِ

---

(١) هو: الصاحب والصديق.

(٢) الوسوق: وقر النخلة.

(٣) «سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضُهُ بعضاً». انظر لسان العرب ٨/ ١٥٠ مادة «سجع».

(٤) السلوى عند العرب العسل.

(٥) الأب: العشب سواء أكان رطباً أم يابساً.

(٦) «السَّوْذَق، بالفتح: السِّوار». انظر لسان العرب ١٠/ ١٥٥ مادة «سذق».

(٧) البارح: الطائر عن اليمين، يتشاءم به العربي.

(٨) السانح: الطائر عن اليسار يتفاءل به العربي.

(٩) تبتقل: تسعى تطلب البقل.

(١٠) المنين: القوي والضعيف.

(١١) الشازبة: الضامرة.

(١٢) الورق: الفضة.

وَأَحْسَبُ كُثَيِّراً[(١)] تَفَوَّهَ بِهٰذِهِ ٱلمقالةِ على غِرَّةٍ، ما عَرَفَ مَكَانَ ٱلشِّرَّةِ[(٢)] فكيفَ يَقْدِرُ على إخاءِ ٱلمَلِكِ، أَمْ كَيْفَ يُرْتَقَعُ إلى ٱلفُلْكِ؟

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ حالي، غُطِّيَ شَخْصُهُ أَنْ يَلْحَظَ بِنَوَاظِرِ ٱلغَيْرِ وَمُتِّعَ مِنْ مَالٍ بحِير، أَيْ كَثِيرٍ، قالَ ٱلرَّاجِزُ:

يَــا رَبَّــنَــا مَــنْ سَــرَّهُ أَنْ يَــكْــبُــرَا فَــسُــقْ لَهُ يَــا رَبُّ مَــالًا حِــيَــرَا[(٣)]

فَطَالَمَا أُعْطِيَ ٱلوَثَنُ سُعُوداً، فَصَارَ حُضُورُهُ لِلْجَهَلَةِ مَوْعُوداً! فَإِنْ سُرِرْتَ بِٱلبَاطِلِ، فَشُهِرْتَ بِٱتِّخاذِ ٱلنَيَاطِلِ[(٤)] وَإِنَّ ٱلصَّابِرَ مَأْجُورٌ مَحْمُودٌ، وَلَا رَيْبَ أَنْ سَيُقْدَرُ لِمَنْ ظَعَنَ شُرْبٌ مَثْمُودٌ[(٥)].

وَأَحْلِف كَيَمِينِ ٱمرئِ ٱلقَيْسِ لَمَّا رَغِبَ في مُقَامِهِ عِنْدَ ٱلمَرمُوقَةِ، وَلَمْ يَفْرُقْ مِنَ ٱلرَّامِقَةِ وَلَا ٱلمَرْمُوقَةِ، فقالَ:

[الطويل]

فَــقُــلْتُ: يَــمِــيْــنَ ٱلــلَّهِ أَبْــرَحُ قَــاعِــداً وَلَوْ قَــطَّــعُــوا رَأْسِي لَدَيْــكِ وَأَوْصَالِي[(٦)]

---

(١) مرّت ترجمته.

(٢) الشِّرَّة، بكسر الشين، الشرّ والطيش.

(٣) ورد الرجز في: لسان العرب ٤/ ٢٢٥ مادة «حير».

قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت امرأة من حِميرَ تُرقص ابنها وتقول:

يــا ربَّــنــا مَــنْ سَــرَّهُ أَنْ يَــكْــبُــرَا، فَــهَــبْ لَهُ أهــلًا ومــالًا حِــيَــرَا!

وفي رواية: فَسُقْ إليه رَبِّ مالًا حِيرا. والحَيْرُ: الكثير من أهل ومال. . .».

(٤) النياطل، مفرده نيطل: وهو المكر والدّهاء.

(٥) المثمود: الذي كثر عليه السؤال حتى أنفذوا ما عنده.

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ١٣/ ٤٦٣ مادة «يمن».

«. . قال أبو عبيد: كانوا يحلفون باليمين، يقولون: يمينُ اللّهِ لا أفعل؛ وأنشد لامرئ القيس:

فــقــلــتُ: يــمــيــنُ الــلَّهِ أبــرحُ قــاعِــداً، ولــو قَــطَــعُــوا رأسي لَدَيْــكِ وأوْصَــالــي

أراد: لا أبرحُ، فحذف لا وهو يريده. . .».

ورد البيت في: كتاب سيبويه، وشرح شواهده، للأعلم ٢/ ١٤٧، المقتضب ٢/ ٣٢٦، الجمل، للزجاجي: ٨٥، المخصص، لابن جني ٢/ ٢٨٤، أمالي ابن الشجري ١/ ٣٦٩، شرح المفصل، لابن يعيش ٧/ ١١٠؛ ٨/ ٣٧؛ ٩/ ١٠٤، خزانة الأدب للبغدادي ٤/ ٢٠٩، ٢٣١، مغني اللبيب، وشرح شواهده، للسيوطي: ٦٣٧ (١١٨)، شرح شواهد الألفية للعيني ٢/ ١٣، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد ١/ ١٨٥، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٣٨، الدرر اللوامع ٢/ ٣٢، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٢٨، وانظر: ديوان امرئ القيس: ١٤١.

وَٱلأُخْرَى ٱلَّتي أَقْسَمَ بِهَا زُهَيْرٌ، إِذْ عَصَفَتْ بِٱلحَرْبِ ٱلقَائِمَةِ هَيْر[١]، أَعْني قَوْلَهُ:

[الطويل]

فَأَقْسَمْتُ بِٱلبَيْتِ ٱلَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنُوهُ، مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِيناً لَنِعْمَ ٱلسَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ[٢]

وَبِٱلحِذاءِ ٱلَّتي نَطَقَ بِهَا سَاعِدَةُ، وَٱلْمُهْجَةِ إِلى مَلِكِها صَاعِدَةٌ، فَقَالَ:

[الكامل]

حَلِفُ ٱمْرِئٍ بَرٍّ سَرِفْتِ يَمِينَهُ وَلَكُلُّ مَنْ سَاسَ ٱلأُمُورَ مُجَرِّبُ[٣]

وَأُولِيَ مَعَ ذلك أَلِيَّةُ ٱلفرزدقِ لَمَّا رَهِبَ وُقُوعَ ٱنتقامٍ، فَٱغْتَنَمَ ما بَيْنَ ٱلكَعْبَةِ وَٱلمَقَامِ، وَوَصَفَ ما صَنَعَ فَقَالَ:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَني عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِماً وَمُقَامِ[٤]

---

(١) الهير: الريح.

(٢) ورد عجز البيت الثاني في لسان العرب ١١/ ٣٢٧ مادة «سحل».
«السَّحْلُ والسَّحِيلُ: ثوب لا يبرم غزلُه أي لا يقبل طاقتين. سَحَلَهُ يَسْحَله سَحْلاً، يقال: سَحَلُوه أي لم يفتلوا سَدَاه؛ وقال زهير:
عَلى كُلِّ حالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ
وقيل: السحيل الغزل الذي لم يُبرمْ..».
«جرهم: حيٌّ من اليمن نزلوا مكة وتزوّج فيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهم أصهاره ثم ألحدوا في الحرم فأبادهم اللّه تعالى..». انظر: لسان العرب ١٢/ ٩٧ مادة «جرهم».
ورد البيتان في ديوان زهير: ٧٨ ـ ٧٩.
يقول: حلفت يميناً أي حلفت حلفاً نعم السيدان وجدتما على كل ضعيفة وحال قوية، لقد وجدتما كاملين مستوفيين لخلال الشرف في حال يحتاج فيها إلى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها إلى معاناة النوائب، وأراد بالسيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف، مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى.
ورد البيت الأول (وجرهم) في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٨/ ٣٣؛ ٩/ ٩٣.
ورد البيت الثاني (ومبرم) في: خزانة الأدب، للبغدادي ٤/ ١٠٥، ١٠٧، ٢٢٢، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٤٢، الدرر اللوامع ٢/ ٤٧.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ١٤٩ مادة «سرف».
«وَسَرِفْتُ يَمِينَه أي لم أعرفْها؛ قال ساعدة الهذلي:
حَلِفَ ٱمْرِئٍ بَرٍّ سَرِفْتُ يمينَهُ، وَلِكُلِّ ما قالَ ٱلنُّفوسُ مُجَرِّبُ
يقول: ما أخفيتَك وأظهرت فإنه سيظهر في التجربة. والسَّرف: الضراوة..».

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ٢/ ٢٧٩ مادة «رتج».
«الرَّتَج والرِّتاجُ: الباب العظيم؛ وقيل: هو الباب المغلق. وأنشد:
=

عَلَى حَلْفَةٍ، لَا أَشْتُمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِماً ... وَلَا خَارِجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلَامِ

إِنِّي لَمَكْذُوبٌ عليهِ كَمَا كَذَبَتِ ٱلعَرَبُ على ٱلغُولِ، وَإِنَّها عَمَّا يُؤْثَرُ لَفِي شُغُولٍ، وَكَمَا تَقَوَّلَتِ ٱلأَمْثَالَ ٱلسَّائِرَةَ على ٱلضَّبِّ، وَلَهُ بِٱلكَلَدَةِ[1] إِرْبَابُ ٱلصَّبِّ[2]. وَكَمَا تَكَلَّمَتْ عَلَى لِسَانِ ٱلضَّبُعِ وهيَ خَرْسَاءُ، ما أَطْلَقَ لِسَانَهَا ٱلوَضَحُ وَلَا ٱلمَسَاءُ.

يُظَنُّ أَنَّنِي مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ، وَمَا أنا لَهُ بِٱلصَّاحِبِ وَلَا ٱلخِلْمِ[3]. وتلك لَعَمْرِي بَلِيَّةٌ، تُفْتَقَدُ مَعَها ٱلجَلِيَّةُ. وَٱلعُلُومُ تَفْتَقِرُ إلى مِراسٍ[4]، وَدَارِسٍ لِلْكُتُبِ أَخي دِرَاسٍ.

وَيُقَالُ إِنَّنِي مِنْ أَهْلِ ٱلدِّينِ، وَلَوْ طَهَرَ ما وَرَاءَ ٱلسَّدَّيْنِ، ما ٱقْتَنَعَ لِي ٱلوَاصِفُ بِسَبٍّ، وَوَدَّ أَنْ يَسْقِيَنِي جَوْزَلاً[5] بِشَبٍّ[6]. وكيفَ يَدَّعِي لِلْعِلْجِ ٱلوَحْشِيِّ، وَإِنَّما أَبَدَ في ٱلرَّوْضِ ٱلحَبَشِيِّ، أَنَّ تَغْرِيدَهُ في ٱلسَّحَرِ أَشْعَارٌ مَوْزُونَةٌ، تَأْذَنُ لِنَظِيرِها ٱلمَخْزُونَةُ؟ وَهَلْ يُصَوَّرُ لِعاقِلٍ لَبِيبٍ[7]، أَنَّ ٱلغُرابَ ٱلنَّاعِبَ صَدَحَ بِتَشْبِيبٍ، وَأَنَّ ٱلعَصَافِيرَ ٱلطَّائِرَةَ بِأَجْنِحَةٍ، كَعَصَافِيرِ ٱلمُنْذِرِ ٱلكَائِنَةِ لِلتَّمْنِحَةِ؟ وكيفَ يَظُنُّ ٱلظَّانُّ أَنَّ لِلطَّائِرِ أَسَاجِيعَ حَمَامَةٍ، وَإِنَّهُ لَأَخْرَسُ مَعَ ٱلدَّمَامَةِ[8]؟ فبعدَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ ٱلحَجَرَ مُتَكَلِّمٌ، وَأَنَّهُ عِنْدَ ٱلضَّرْبِ مُتَأَلِّمٌ. وَمَنِ ٱلتَمَسَ مِنَ ٱللُّغامِ كُسْوَةً، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ إِسْوَةً.

وَلَوْ أَنِّي لَا أَشْعُرُ بِمَا يُقَالُ فِيَّ، لَأُرِحْتُ مِنْ إِنكَارِي وَتَلَافِيَّ، وَكُنْتُ كَٱلوَثَنِ: سَوَاءٌ عليهِ إِنْ وَقَرَ مِنَ ٱلوَقَارِ، وَإِنْ أُوقِرَ مِنَ ٱلأَوْقَارِ؛ وَكَٱلأَرْضِ ٱلسَّبْخَةِ[9] ما تَحْفِلُ إِنْ

= أَلَمْ تَرَنِي عاهَدْتُ رَبِّي، وإِنَّنِي ... لَبَيْنَ رِتَاجٍ مُقْفَلٍ ومَقَامِ

ورد البيتان في: كتاب سيبويه، وشرح شواهده، للأعلم ١/ ١٧٣، المقتضب ٣/ ٢٦٩؛ ٤/ ٣١٣، الكامل، للمبرد: ٦٩، المحتسب، لابن جنّي ١/ ٧٥، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٢/ ٥٩؛ ٦/ ٥٠، خزانة الأدب، للبغدادي: ١/ ١٠٨؛ ٢/ ٢٧٠، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٧٢، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٤٠٥، وانظر ديوان الفرزدق: ٧٦٩.

(١) الكلدة: الأرض الصلبة.
(٢) الصبّ: العاشق المتيّم.
(٣) الخلم: الصديق الصدوق.
(٤) المراس: التجربة.
(٥) جوزلًا: سمًّا.
(٦) الشّب: ملح أبيض قابض يستعمل في حال جرح المرء نفسه.
(٧) اللبيب: العاقل الراشد واللبّ.
(٨) الدمامة: البشاعة.
(٩) الأرض السبخة: الأرض التي تحتفظ بنسبة عالية بالأملاح ولا تصلح للزراعة.

قِيلَ: هِيَ مُرِيعَةٌ، أَوْ قِيلَ لَهَا: بِئْسَتِ ٱلذَّرِيعَةُ؛ وَكَٱلفَرِيرِ[١] ٱلمُغْتَبِطِ[٢]: مَا يَأْبَهُ لِقَوْلِ ٱلآكِلِ: إِنَّهُ لَسَاحٌ، وَلَا إِذا قُصِبَ: إِنَّهُ بِالدَّكَّةِ[٣] شَاحٌ[٤]. وَٱللَّهِ ٱلمُسْتَنْصِرِ عَلَى ٱلإِلَاقِيِّ، لَمْ تُوزَنِ الراكدةُ بِٱلأَوَاقِي، وَٱلإِلَاقِيُّ مَنْسُوبٌ إِلى ٱلإِلَاقِ وهو ٱلبَرْقُ ٱلكاذِبُ.

وكَيفَ أَغْتَبِطُ إِذا تَخرَّصَ عَلَيَّ، وَعُزِيَتِ ٱلمَعْرِفَةُ إِلَيَّ؟ وَلَسْتُ آمِناً في ٱلعَاقِبَةِ، فَضِيحَةَ غَيْرَ مُصَاقِبَةٍ؛ وَمَثَلي، إِنْ جَذِلْتُ[٥] بذلك، مَثَلُ مَنِ ٱتُّهِمَ بِمَالٍ، فَٱعْتَقَدَ أَنَّ مَا ذَاعَ مِنَ ٱلخَبَرِ يَأْتِيهِ بِجِمَالٍ، فَسَرَّهُ قَوْلُ ٱلجَهلَةِ: إِنَّهُ لَخَلْفُ ٱليَسَارِ. فَطَلَبَ مِنْهُ بعضُ ٱلسَّلَاطِينِ أَنْ يَحْمِلَ إِليهِ جُمْلَةً وَافِرَةً، فَصَادَفَ أُكْذُوبَةً زَافِرَةً، وَضَرَبَهُ كَيْ يُقِرَّ، وَقُتِلَ في العُقُوبَةِ ولم يُعْطِ ٱلبِرَّ.

وَقَدْ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنِّي أُجْذِلُ بِمَنْ عَابَنِي؛ لِأَنَّهُ صَدَقَ فِيمَنْ رَابَنِي؛ وَأَهْتَمُّ لِثَنَاءٍ مَكْذُوبٍ، يترُكني كَٱلطرِيدَةِ ٱلعَذُوبِ[٦]، ولو نطختُ بقرني ٱلجرادةِ، لامتنعتُ من كلِّ إرادةٍ، فَأَمَّا رَوْقُ ٱلوَعْلِ[٧]، فَأَعْوَزَهُ عِنْدِي نَطِيحٌ، لِأَنِّي بروقِ ٱلظَّبْيِ أَطِيحُ. فَغَفَرَ ٱللَّهُ لِمَنْ ظَنَّ حَسَناً بِٱلمُسِيءِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً في ٱلنَّسِيءِ[٨]. وَلَوْلَا كَرَاهَتِي حُضُوراً بينَ ٱلنَّاسِ، وَإِيثَارِي أَنْ أَمُوتَ مِيتَةَ عَلْهَبٍ[٩] فِي كِنَاسٍ[١٠]، فَٱجْتَمَعَ مَعِي أولئك ٱلخَائِلُونَ، لَصَحَّ أَنَّهُم عَنِ ٱلرُّشْدِ حَائِلونَ، وَأَنَارَ لَهُمُ ٱلحَقُّ ٱلطَّامِسُ، وَقَبَضَ ٱلقَتَادُ[١١] ٱللَّامِسُ.

في حَلَب

وَأَمَّا وَرُودُهُ حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، فَلَوْ كَانَتْ تَعْقِلُ لَفَرِحَتْ بِهِ فَرَحَ ٱلشَّمْطَاءِ ٱلمُنْهَبِلَةِ، لَيْسَتْ بِٱلآبِلَةِ[١٢] وَلا ٱلمُؤْتَبِلَةِ[١٣]، شَحَطَ سَلِيلُهَا ٱلوَاحِدُ، وَمَا هُوَ لِحَقِّهَا

---

(١) الفرير: السخل. (٢) المغتبط: المسرور.
(٣) الدكة: الدسم والسُّمنة. (٤) الشحّ: البخل.
(٥) جذلت: سررت.
(٦) الطريدة العذوب: المتوقفة عن تناول الطعام لشدَّة عطشها.
(٧) الوعل: القرن.
(٨) النسيء: التأخير.
(٩) العلهب: الذكر من الظباء.
(١٠) الكناس: بيت الظبي.
(١١) القتاد: الشوك.
(١٢) الآبلة؛ التي تكثر فيها الإبل.
(١٣) المؤتبلة: القيّم على رعاية الإبل بإتقان.

جَاحِدُ، وَقَدِمَ بَعْدَ أَعْوَام، فَنَقَعَتْ بِهِ فَرْطَ أُوَام[١]، وَكَانَتْ مَعَهُ كَالْخَنْسَاءِ ذَاتِ الْبَرْغَزِ[٢]، رَتَعَتْ بِهِ فِي الْأَصِيلِ، وليسَ هو لِحَتْفٍ بِوَصِيلٍ؛ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَكَانَ آمِناً، ولم تَخْشَ لِلسَّرَاحِ الْخَمْعَ[٣] كامِناً، انْبَسَطَتْ في الْمُرَادِ الْوَاسِعِ وَخَلَّفَتْهُ، يُحَاوِلُ أُنُفاً تَكَلَّفَتْهُ، لِتَجُرَّ لِذلِكَ الْوَلَدِ مَا فِي الْأَخْلَافِ، وَلَا تُلَافِي بُعَيْدَ التَّلَافِ؛ فَعَادَتِ الْمِسْكِينَةُ فَلَمْ تُصِبْهُ، فَقَالَتْ لِلصَّمَدِ: لَا تَنْصُبْهُ، إِنْ كَانَ وَقَعَ في مَخَالِبِ الذِّيبِ، ومُنِيَ بِبَعْضِ التَّعْذِيبِ، فَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى تَعْوِيضِ الْأَطْفَالِ، وَالْعَالِمُ بِعُقْبى الطِّيَرَةِ وَالْفَالِ. فبينَا هِيَ تُرَدِّدُ بينَ الْعِلَهِ[٤] وَالْوَلَهِ، بَغِمَ[٥] لَهَا الْفَقِيدُ مِنْ حِقْفٍ اتَّخَذَ فيهِ مَرْبِضاً، ولَمْ يَرَ مِنَ الرُّمَاةِ مُنْبِضاً، هَكَعَ[٦] لِمَا شَبِعَ، فَمَا سَاءَهُ الْقَدَرُ وَلَا سَبِعَ[٧] فَغَمَرَ فُؤَادَها ابْتِهَاجٌ، مِنْ بَعْدِ مَا وَضَحَ لَهَا الْمِنْهَاجُ.

وَلَوْ رَجَعَ الْقَارِظُ إلى عَنَزَةٍ، مَا بَانَ فِيها الطَّرَبُ لِلرَّجْعَةِ، وَمَا قَدِرَ مِنْ زَوَالِ الْفَجْعَةِ، إِلَّا دُونَ مَا أَنَا مُضْمِرٌ مُجِنٌّ، مِنَ الْمَسَرَّةِ بدُنُوِّ الدِّيَارِ، وَإِلْقَائِهِ عَصَا التَّسْيَارِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أعادَ الْبَارِقَ إلى الْغَمَامِ الْوَسْمِيِّ[٨]، وَأَتَى الْمُوْمِضَ[٩] بِحُلِيِّ السُّمِيِّ، وَإِنَّ حَلَبَ الْمَنْصُورةَ لَتَخْتَلُّ إلى مَنْ يَعْرِفُ قَلِيلًا مِنْ عِلْمٍ فِي أَيَّامِ الْمُحَارَبَةِ وَالسِّلْمِ، فَمَا بَالُهُ شَيَّدَ اللَّهُ الْآدابَ بِأَنْ يَزِيدَهُ في الْمُدَّةِ، فَإِنَّما هو لِغرابِها كَالْعُدَّةِ.

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ تَمَالُؤِ جَمَاعَةٍ، عَلَى أَمْرٍ لَيسَ بِالْحَسَنِ وَلَا الطَّاعَةِ، وَلَا ثَبَتَ لَهُ يَقِينٌ، فَيَشُوفُهُ[١٠] الصُّنْعُ أو يَقِينٌ! قَدْ كِذْتُ أَلْحَقُ بِرَهْطِ الْعَدَمِ، مِنْ غَيْرِ الْأَسَفِ وَلَا النَّدمِ، ولكِنَّما أَرْهَبُ قُدُومي على الجبارِ، وَلَمْ أُصْلِحْ نَخْلِي بِإِبارِ[١١]. وقِيلَ لِبعضِ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ فُلاناً تَلَطَّفَ حَتَّى قَتَلَ نفسَهُ، وَلَمْ يُطِقْ في الدَّارِ الْخَالِيَةِ عَسْفَهُ[١٢]، وَكَرِهَ

---

(١) الأوام: العطش.
(٢) البرغز: ولد البقرة الوحشية.
(٣) الخمع: الذئب.
(٤) العلة: الأسى.
(٥) بغم: صوّت.
(٦) هكع: سكن واطمأن.
(٧) سَبَعَ: افترسه السبع.
(٨) «الوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات». انظر لسان العرب ٦٣٦/١٢ مادة «وسم».
(٩) المومض: المشعّ.
(١٠) يشوفه: يصقله.
(١١) الإبار: عملية تلقيح النخيل.
(١٢) العسف، بتسكين السين: الظلم والجور.

أَنْ يُمَارِسَ بَدَائِعَ ٱلشُّرُورِ، وَأَحبَّ النُّقْلَةَ إلى مَنَازِلِ ٱلسُّرُورِ، فَقَالَ ٱلحَكِيمُ قَوْلًا مَعْناه؟ أَخْطَأَ ذلك ٱلشَّابُّ ٱلمُقْتَبِلُ، لَهُ وَلأُمِّهِ يَحِقُّ ٱلهُبَلُ، هَلَّا صَبرَ عَلَى صُرُوفِ ٱلزَّمَانِ، حَتَّى يَمْنُوَ لَهُ ٱلقَدَرَ مانٍ؟ فَإِنَّهُ لا يشعرُ عَلامَ يَقْدُمُ، وَلِكُلِّ بَيْتٍ هَدمٌ وَلَوْلا حِكْمَةُ ٱللَّهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَإِنَّهُ حَجزَ ٱلرَّجُلَ عَنِ ٱلمَوْتِ، بِٱلخَوْفِ مِنَ ٱلعِلزِ[1] وَٱلفَوْتِ، لَرَغِبَ كُلُّ مَنِ ٱحْتَدَمَ غَضَبُهُ، وَكُلٌّ عَنْ ضَرِيبَةٍ مَقْضَبُهُ، أَنْ تُتْرَعَ لَهُ مِنَ ٱلمَوْتِ كُؤُوسٌ، وَٱللَّهُ ٱلعَالِمُ بِمَا يَؤُوس.

أَبو ٱلقَطِرانِ ٱلأَسَدِيُّ[2]

وَأَمَّا أَبُو ٱلقَطِرَانِ ٱلأَسَدِيُّ، وَأَيُّ ٱلبَشَرِ مِنَ ٱلخُطُوبِ مَفْدِيٌّ، فَصَاحِبُ غَزَلٍ وَتَبطُّلٍ، وَتَوَفَّرَ عَلَى ٱلخُرَّدِ[3] وَتَعَطَّلَ، وَمَا أَشُكُّ أَنَّ ٱلشَّيْخَ، أَقَرَّ ٱللَّهُ عَيْنَ ٱلأَدَبِ بِٱلزِّيَادَةِ في عمرِهِ، أَشَدُّ شَوْقاً إِلى أَحمدَ بْنِ يحيى[4] مَعَ صَمَمِهِ، وَأَبي ٱلحَسَنِ ٱلأَثْرَمِ[5] مَعَ ثَرَمِهِ، مِنَ ٱلمَرَارِ بْنِ سَعِيدٍ عِندَ رَجاءِ ٱلعِدَّةِ وَخَوْفِ ٱلوَعِيدِ، وهو ذلك ٱلمُتَّهَمُ إلى وَحْشِيَّةٍ، وَإِنْ فَقَدَ لُبَيْنَهَا ٱلحَشِيَّةَ؛ وَٱدَّكَرَ ثَغراً كَٱلإِغرِيضِ[6]، وَخَدًّا يَعْدِلُ بِلَونِ ٱلإِخرِيضِ[7]. وَإِنَّمَا وَدُّ ٱلغَانِيَةِ خَلابٌ وَخِدَاعٌ، وَلِلْكَمَدِ في هَوَاهُ ٱبْتِدَاعٌ. وَلَوْ هَلَكَتْ تلك ٱلمَرْأَةُ وَٱلمَرارُ يَعِيشُ، لَعُدَّ أَنَّهُ بِتَلَفِهَا نَعِيشٌ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ ٱلسِّنِّ ٱلعَالِيَةِ، وَقُوَّةِ ٱلنَّفْسِ ٱلآلِيَةِ[8] وَلَعَلَّ أَبا ٱلقَطِرانِ لَوْ مُتِّعَ بِهٰذِهِ ٱلمَذْكُورَةِ ما يكونُ قَدْرُهُ مائةَ حِقْبَةٍ، عَلَى غَيْرِ ٱلجَزَعِ وَٱلرِّقْبَةِ، لَجازَ أَنْ يُغْرِضَ مِنَ ٱلوِصَالِ، إذا عَلِمَ أَنَّ حَبْلَهُ في ٱتِّصَالٍ. وَلَوْ نَزَلَ بِهَا شَيْءٌ تَتَغيَّرُ بِهِ عَنِ ٱلعَهْدِ، لَتَمَنَّى أَنْ تُقْذَفَ إِلى غَيْرِ ٱلمَهْدِ، لِأَنَّ ٱبْنَ آدَمَ بَخِيلٌ مَلُولٌ، تَسْرِي بِهِ إِلى ٱلمَنِيَّةِ أَمُونٌ[9] ذَلُولٌ[10]. وَلَوْ أَصَابَهَا ٱلعَوَرُ، بَعْدَ أَنْ سَكَنَ

---

(١) العلز: الخوف من الموت ساعة الاحتضار.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الخُرَّد، بضم الخاء وتشديد الراء بالفتح: العذارى.

(٤) هو: ثعلب، رأس المدرسة الكوفية في عصره.

(٥) هو: علي بن المغيرة، أبو الحسن، الملقب بالأثرم: عالم بالعربية والحديث. كان مقيماً ببغداد. اشتغل نساخاً في أول أمره. مات سنة ٢٣٢هـ = سنة ٨٤٦م. من كتبه: «النوادر»، «غريب الحديث». انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ٥/ ٤٢١، نزهة الألبا: ٢١٨.

(٦) الإغريض: ما كان أبيض اللون طري الملمس.

(٧) الإحريض: ما يوقد على الأشنان والجص.

(٨) الآلية: البطيئة.

(٩) الأمون: الناقة المأمونة العثار.

(١٠) الذلول: السهلة القياد.

عَيْنَها ٱلحَوَرُ، لَظَنَ أَنَّ ذلك نَبأٌ لَا يُغْفَرُ وَلَا يُكْفَرُ، فَكَيْفَ يَعْتِبُ عَلَى ٱلفَاهِينَ[١]، وَيَنْتَقِمُ مِنَ ٱلقَوْمِ ٱلسَّاهِينَ؟ وَٱللَّهُ، سُبْحَانَهُ، قَدْ رَفَعَ ذلك عَنْ سَاهٍ ما عَلِمَ، وَنَائِمٍ إذا أَحَسَّ بِٱلمُؤْلِمِ أَلِمَ.

وَمِنْ أَيْنَ لِذلِكَ ٱلشَّخْصِ ٱلأَسَدِيِّ، مَا وَهَبَهُ ٱللَّهُ لِلشَّيْخِ مِنْ وَفَاءٍ لَوْ عَلِمَ بِهِ ٱلسَّمَوْأَلُ[٢] لَٱعْتَرَفَ أَنَّهُ مِنَ ٱلغَادِرِينَ، أَوِ ٱلحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ[٣] لَشَهِدَ أَنَّهُ مِنَ ٱلسَّادِرِينَ[٤]؟!

مِنْ قَوْلِهِمْ فَعَلَ كَذَا وكَذا، سَادِراً أَيْ لَا يَهْتَمُّ لِشَيْءٍ، وَإِنَّما عَاشَرَ أَبُو ٱلقَطِرانِ أَعْبُداً في ٱلإِبِلِ وآمِياً[٥]، وَنَظَرَ إِلى عَقِبِهِ دَامِياً، مِمَّا يَطَأُ على هِراسٍ[٦]، وَمَنْ لَهُ في ٱلمُكْلَأَةِ بِٱلفِرَاسِ؟ وَهُوَ ٱلتَّمْرُ ٱلأَسْوَدُ، وَمِنْ أَبياتِ ٱلمَعَانِي:

[الوافر]

إِذَا أَكَلُوا ٱلفِرَاسَ رَأَيْتَ شَاماً ... عَلَى ٱلأَنْبَاثِ مِنْهُمْ وَٱلغُيُوبِ[٧]

فَمَا تَنْفَكُّ تَسْمَعُ قَاصِفَاتٍ ... كَصَوْتِ ٱلرَّعْدِ في ٱلعَامِ ٱلخَصِيبِ

وَلَعَلَّهُ لَوْ صَادَفَ غَانِيَةً تَزِيدُ عَلَى وَحْشِيَّةٍ بِشِقِّ ٱلأَبلمَةِ[٨] لَسَلَاهَا غَيْرَ ٱلمُؤْلِمَةِ،

---

(١) الفاهون: الساهون.

(٢) هو: السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي: شاعر جاهلي حكيم. من سكان خيبر (في شمالي المدينة: كان ينتقل بينها وبين حصن له سمّاه «الأبلق» تنسب القصيدة اللامية له ولعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي. مات نحو سنة ٦٥ ق هـ = نحو سنة ٥٦٠م. انظر ترجمته في: معاهد التنصيص ١/ ٣٨٨، سمط اللآلي: ٥٩٥.

(٣) هو: الحارث بن ظالم بن غيظ المرّي، أبو ليلى: أشهر فتاك العرب في الجاهلية. نشأ يتيماً، قتل أبوه وهو طفل، وشبَّ وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه، فقتله وعاش مشرداً، ينتقل من جوار قبيلة إلى أخرى، ومن حماية إنسان إلى آخر، حتى قتل نحو سنة ٢٢ ق.هـ = نحو سنة ٦٠٠م في حوران. انظر ترجمته في: أمثال الميداني ٢/ ٢٤، المحبر: ١٩٢.

(٤) السادرين: الحائرين الموغلين في حيرتهم.

(٥) الآمي: المملوك. (٦) الهراس: الشوك.

(٧) ورد البيت في: لسان العرب ٦/ ١٦٢ مادة «فرس». ولم يعزه لقائله. ابن الأعرابي: الفراس تمر أسود وليس بالشهريز، وأنشد:

إِذَا أَكَلُوا ٱلفَرَاسَ رأيت شاماً ... على ٱلأَنْثالِ منهم وٱلغُيُوبِ

قال: والأنثال التلال.

«نبث التراب ينبثُه نَبْثاً، فهو مَنْبوث ونبيث: استخرجه من بئر أو نهر». انظر لسان العرب ٢/ ١٩٣ مادة «نبث».

(٨) الأبلمة: الخوصة.

وَإِنَّمَا دَيْدَنُ(١) ذلك ٱلرَّجُلِ وَنُظَرَائِهِ صِفَةُ نَاقَةٍ أَوْ ربع، وما شَجَرُهُ ٱلمُغْتَرِسُ بِٱلنَّبْعِ(٢) إذا جَنَى ٱلكَمْأَةَ بَجِحَ(٣)، وَخَالَ أنه قد نَجَحَ! وَلَوْ حَصَرَ أَخْوِنَةَ حَضَرَهَا ٱلشَّيْخُ لَعَادَ كَمَا ٱلقَائِلُ:

[الطويل]

فَلَوْ كُنْتَ عُذْرِيَّ ٱلعَلَاقَةِ لَمْ تَبِتْ بَطِيناً، وَأَنْسَاكَ ٱلهَوَى كَثْرَةَ ٱلأَكْلِ

وهو، قَدَّرَ ٱللَّهُ، ما أُحِبُّ، قَدْ جَالَسَ مُلُوكَ مِصْرَ ٱلَّتي قالَ فيها فِرْعَوْن: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟ [الزخرف: ٥١] وَقَدْ أَقَامَ بِٱلعِرَاقِ زَمَناً طَوِيْلاً، وَأَدَامَ عَلَى ٱلأَدَبِ تَعْويلاً، وَبِٱلعِرَاقِ مَمْلَكَةُ فَارِس، وَهُمْ أَهْلُ ٱلشَّرَفِ وَٱلظَّرْفِ، يُوفِي صَرْفُهُمْ(٤) فِي ٱلأَطْعِمَةِ عَلَى كُلِّ صَرْفٍ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ قَدْ جَالَسَ بَقَايَاهُمْ، وَٱخْتَبَرَ في ٱلمُعَاشَرَةِ سَجَايَاهُمْ، وَعَاطَوْهُ ٱلأَكْؤُسَ أُلاتِ ٱلتَّصَاوِيرِ، عَلَى عَادَةِ ٱلمَرَازِبَةِ وَٱلأَسَاوِرِ، كَمَا قَالَ ٱلحَكَمِيُّ(٥):

[الطويل]

تَدُورُ عَلَيْنَا ٱلكَأْسُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ(٦) حَبَتْهَا(٧) بِأَنْوَاعِ ٱلتَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتُهَا كِسْرَى، وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهاً(٨) تَدَّرِيهَا(٩) بِٱلقِسِيِّ ٱلفَوَارِسُ

وَأَبُو ٱلقَطِرانِ كانَ يَسْتَقِي ٱلنُّطْفَةَ بِخَلَبَةٍ(١٠)، وَيَجْعَلُهَا في ٱلغَمْرِ أو ٱلعَلَبَةِ، وَإِذَا طَعِمَ فَمَنْ لَهُ بِٱللَّهِيْدَةِ(١١)، وَإِنْ أَخْصَبَ شَرَعَ فِي ٱلنَّهِيْدَةِ(١٢). وَمَا أَشُكُّ أَنَّهُ، أَمْتَعَ ٱللَّهُ ٱلآدَابَ بِبَقَائِهِ، لَوْ رُزِقَ مُجَاوَرَةَ أَبي ٱلأَسْوَدِ عَلَى عَرَجِهِ، وَبُخْلِهِ ٱلمُتَنَادِرِ، وَجَرْجِهِ(١٣)

---

(١) الديدن: العادة.
(٢) النبع: ضرب من الشجر العملاق.
(٣) بجح: سُرَّ.
(٤) الصرف: الصنيع.
(٥) هو أبو نواس الحسن بن هانئ.
(٦) العسجدية: يقصد بأن الكأس مصنوع من العسجد.
(٧) حبتها: أعطتها.
(٨) المها: الظباء.
(٩) تدريها: تصطادها.
(١٠) الخلبة: الخداع.
(١١) اللهيدة: الرخوة من العصائد.
(١٢) النهيدة: الزبدة الكثيفة.
(١٣) الجرج: ما وعر من الأرض وغلظ.

لَكَانَتْ مِقَتُهُ لَهُ أَبْلَغَ مِنْ مِقَةِ مَهْدِيٍّ لَيْلاَهُ، وَلَا أَقُولُ رُؤْبَةُ أُبَيْلَاهُ. وَلَو أَدْرَكَ مُحَاضَرَةَ أَبي الْخَطَّابِ لَكَانَ بِدَوَشِ[1] عَيْنَيْهِ أَشَدَّ شَغَفاً مِنَ الْحَادِرَةِ[2] بِسُمَيَّةَ، وَمِنْ غَيْلَانَ[3] بِمَيَّةَ لِأَنَّهُ قَالَ[4]:

[الطويل]

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ: كُونَا، فَكَانَتَا، فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ[5]

هو بِجَلَعِ[6] أَبِي الْحَسَنِ سَعِيدِ بْنِ مَسْعَدَةَ[7]، أَعْجَبُ مِنْ كُثَيِّرٍ[8] بِشَنَبِ[9] عَزَّةَ، وَالْعُذْرِيِّ بِلَمَى[10] بُثَيْنَةَ. وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ[11] أَذْفَرَ الْفَمِ[12]، لَمَا أَمِنْتُ مَعَ كَلَفِهِ[13] بِالْأَخْبَارِ، أَنْ يَقْبَلَهُ شِقُّ الْبَلَسَةِ[14] بِلَا اسْتِكْبَارٍ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عائِشَةَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُقَبِّلُنِي شِقَّ الثَّنِيَّةِ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ: شِقَّ التَّمْرَةِ. وذلك أَنْ يَأْخُذَ الشَّفَةَ الْعُلْيَا بِيَدِهِ، وَالسُّفْلَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَيُقَبِّلَ مَا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ.

---

(١) بدوش عينيه: ضعف بصره.

(٢) هو: قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني: شاعر جاهلي مقلّ. يلقب بالحادرة (الضخم) أو الحويدرة. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة الدار ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٥، طبقات فحول الشعراء: ١٤٣.

(٣) هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرُّمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. عشق «مَيّة» المنقرية واشتهر بها. مات سنة ١١٧هـ = سنة ٧٣٥م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٤، الموشح: ١٧٠ ـ ١٨٥.

(٤) هو: ذو الرُّمة.

(٥) ورد البيت في: مجالس العلماء، للزجاجي: ٨٥، الخصائص؛ لابن جني ٣/ ٣٠٢، الإنصاف، لابن الأنباري: ١٥، ٦١١. وانظر ديوان ذي الرُّمة: ٢١٣.

(٦) جلع: انفتاح الشفتين.

(٧) هو الأخفش الأوسط.

(٨) مرّت ترجمته.

(٩) «الشنب: ماء ورقّة يجري على الثغر؛ وقيل: رقّة وبَرْد وعذوبة في الأسنان..» انظر لسان العرب ١/ ٥٠٦ مادة «شنب».

(١٠) اللمى: سمرة في باطن الشفة يستحسن.

(١١) هو معمر بن المثنى.

(١٢) أذفر الفم: خبيث الرائحة.

(١٣) كلفه: حبّه.

(١٤) البلسة: ثمر التين.

رَمْسُ[1] ٱلهَالِكِ بَيْتُ ٱلحَقِّ

وَأَمَّا مَنْ فَقَدَهُ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ لَمَّا دَخَلَ حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، فَتِلْكَ عادَةُ ٱلزَّمَنِ، لَيْسَ عَلَى ٱلسَّالِمِ بِمُؤْتَمَنٍ، يُبَدِّلُ مِنَ ٱلأَبْيَاتِ ٱلمَسْكُونَةِ قُبوراً، وَلَا يُلْحِقُ بَعْثَرَةٍ جُبُوراً. وَإِنَّ رَمْسَ ٱلهَالِكِ لَبَيْتُ ٱلحَقِّ، وَإِنْ طَرَقَ بِٱلْمُلِمِّ ٱلأَشَقِّ. عَلَى أَنَّهُ يُغْنِي ٱلثَّاوِي[2] بِهِ بَعْدَ عَدَمٍ، وَيَكْفِيهِ ٱلمَؤُونَةَ مَعَ ٱلقِدَمِ. وَإِنَّ ٱلجَسَدَ لَمِنْ شَرِّ خَبِيءٍ، يَبْعُدُ مِنْ سَبْيٍ وَسَبِيءٍ[3]. قالَ ٱلضَّبِّيُّ:

[الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي[4] حُفْرَةٌ ... مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا عَدَمْ

فَأَزُورُ بَيْتَ ٱلحَقِّ زَوْرَةَ مَاكِثٍ ... فَعَلَامَ أَحْفِلُ مَا تَقَوَّضَ وَٱنْهَدَمْ؟

وَمَا زَالَتِ ٱلعَرَبُ تُسَمِّي ٱلقَبْرَ بَيْتاً، وَإِنْ كَانَ ٱلمُنْتَقِلُ إِلِيهِ مَيْتاً، قالَ ٱلرَّاجِزُ:

ٱلْيَوْمَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ ... يَا رُبَّ بَيْتِ حَسَبٍ بَنَيْتُهُ

وَمِعْصَمٍ ذِي بُرَّةٍ[5] لَوَيْتُهُ ... لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

أَوْ كَانَ قِرْنِي[6] وَاحِداً كَفَيْتُهُ

فَأَمَّا ٱلفَصْلُ ٱلَّذي ذُكِرَ فيهِ ٱلخَليلُ، فَقَدْ سَقَطَ مِنْهُ ٱسْمُ ٱلذي غلَا فِيَّ، وَقَرَنَ بِٱلنُّجُومِ ٱلصَّلَافِيَّ[7]، وَمَنْ كَانَ، فَغَفَرَ ٱللَّهُ جَرَائِمَهُ، وَحَفِظَ لَهُ في ٱلأَبَدِ كَرَائِمَهُ، فَقَدْ أَخْطَأَ عَلَى نَفْسِهِ فِيما زَعَمَ وَعَلَيَّ، وَنَسَبَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُ إِلَيَّ. وَكَمْ أَعْتَذِرُ وَأَتَنَصَّلُ، مِنْ ذَنْبٍ لَيْسَ يَتَحَصَّلُ!؟ وَإِنِّي لَأَكْرَهُ بِشَهَادَةِ ٱللَّهِ تِلْكَ ٱلدَّعْوَى ٱلمُبْطِلَةَ، كَرَاهَةَ ٱلمسيحِ مَنْ جَعَلَهُ رَبَّ ٱلعِزَّةِ، فَمَا تَرَكَ لِلْفِتَنِ مِنْ مَهْزَةٍ[8] بِدَليلِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) الرمس: القبر.

(٢) الثاوي: المدفون.

(٣) السبيء: من سبأ الجلد بالنار: أحرقه، وقيل: سلخه.

(٤) استعمل القصر تصديقاً لقول النبي ﷺ بأن قبر المؤمن روضة من رياض الجنة.

(٥) البرّة: الحاجز.

(٦) القرن: الرفيق.

(٧) الصلافي: قليلة الخير.

(٨) مهزة: منفذ.

أَبُو ٱلفَرَجِ ٱلزَّهْرَجِيُّ[١]

وَأَمَّا أَبُو ٱلفَرَجِ ٱلزَّهْرَجِيُّ فَمَعْرِفَتُهُ بِٱلشَّيْخِ تُقْسِمُ أَنَّهُ لِلأَدَبِ حَلِيفٌ، وَلِلطَّبْعِ ٱلخَيِّرِ أَلِيفٌ.

وَوَدِدْتُ أَنَّ ٱلرِّسَالَةَ وَصَلَتْ إِلَيَّ، وَلٰكِنْ مَا عَدَلَ ذلك ٱلعَدِيلُ، فَبَعْدَما تَغَنَّى هَدِيلٌ، هَلَّا ٱقْتَنَعَ بِنَفَقَةٍ أَوْ ثَوْبٍ، وَتَرَكَ ٱلصُّحُفَ عَنْ نَوْبٍ[٢]!؟ فَأَرَبَ[٣] مِنْ يَدَيْهِ، وَلَا ٱهْتَدَى في ٱللَّيْلَةِ بِفَرْقَدَيْهِ. لَوْ أَنَّهُ أَحَدُ لُصُوصِ ٱلعَرَبِ ٱلَّذِينَ رُوِيَتْ لَهُمُ ٱلأَمْثَالُ ٱلسَّائِرَةُ، وَتَحَدَّثَتْ بِهِمُ ٱلمُنْجِدَةُ[٤] وَٱلغَائِرَةُ[٥]، لَمَا ٱغْتَفَرْتُ مَا صَنَعَ بِمَا نَظَمَ، لِأَنَّهُ أَفْرَطَ وَأَعْظَمَ، أَيْ أَتَى عَظِيمَةً، وَبَتَكَ[٦] مِنَ ٱلقَلَائِدِ نَظِيمَةً.

وَقَدْ وُفِّقَ أَبُوٱلفَرَجِ وَوَلَدُهُ، وَصَارَ كَٱللُّجَّةِ ثَمَدُهُ[٧]، لَمَّا دَرَسَ عليهِ ٱلكُتُبَ، وَحَفِظَ عَنْهُ ما يَكُونُ ٱلتَّرَتُّبُ، فَسَلَّمَ ٱلعَاتِكَةَ[٨] إِلَى ٱلقَارِي، وَٱلنَّافِجَةَ[٩] إِلى ٱلمَرْءِ ٱلدَّارِي، وَٱلرُّمْحَ ٱلأَطْوَلَ إِلى ٱبْنِ ٱلطُّفَيْلِ، وَٱلأَعِنَّةَ إِلى أَحْلَاسِ[١٠] ٱلخَيْلِ.

وَإِنْ كَانَ ٱلشَّيْخُ مَارَسَ مِنَ ٱلتَّعَبِ أُمَّ ٱلرُّبَيْقِ[١١]، فَقَدْ جَدَّدَ عَهْدَهُ ٱلأَوَّلَ بِقُوَيْقٍ[١٢] وَإِنَّهُ لَنِعْمَ ٱلنَّهْرُ، لَا يَغْرَقُ ٱلسَّابِحُ وَلَا يَبْهَرُ، وَبَنَاتُهُ ٱلمَخْطُوبَاتُ صِغارٌ، يُؤْخَذْنَ مِنْهُ في ٱلغَفْلَةِ وَلَا يَغارُ. يُغولُهُنَّ، وَٱلقَدَرُ يُغولُهُنَّ، سَتَرْنَ ٱلأَنْفُسَ فَمَا تَبَرَّجْنَ، وَلكنْ بِٱلرَّغْمِ خَرَجْنَ. خُدُورُهُنَّ مِنْ ماءٍ، زارَتْهُنَّ ٱلمَمْلُوءَةُ بِٱلإِلْمَاءِ[١٣] وَٱلمَمْلُوءَةُ ٱلشَّبَكَةُ، يُقَالُ: أَلْمَأَ عَلَى ٱلشَّيْءِ إِذَا أَخَذَهُ كُلَّهُ: مَا يَشْعُرُ قُوَيْقٌ ٱلمِسْكِينُ، أَعَرَبٌ سَبَت مِنْ وَلَد أم رُوم،

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.
(٢) نَوْب: نزول الحوادث والمصائب.
(٣) أرب: سقط.
(٤) المنجدة: المتجهة جهة نجد، وهو مرتفع من الأرض في جزيرة العرب.
(٥) الغائرة: المتجهة نحو الغور، وهو منخفض من الأرض.
(٦) بتك: قطع.
(٧) الثمد: الماء القليل.
(٨) العاتكة: الكريمة الخالصة من كل شيء.
(٩) النافجة: قارورة الطيب.
(١٠) الأحلاس، واحده حلس: وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.
(١١) أم الربيق: من أسماء الداهية.
(١٢) قويق: نهر في مدينة حلب.
(١٣) الإلماء: ذهب به خفية.

وَلَا يَحْفِلُ بِمَا تَرُومُ. وَلَقَدْ ذَكَرَهُ ٱلْبُحْتُرِيُّ[١]، وَنَعَتَهُ ٱلصَّنَوْبَرِيُّ[٢]، وَإِخَالُ أَنَّ ٱلشَّيْخَ أَفْسَدَتْهُ عليهِ دِجْلَةُ وَصَرَاتُها، وَأَعانَها على ذَلِكَ فُراتُها.

حَلَبُ، ٱلأُمُّ ٱلبَرَّةُ

وَأَمَّا حَلَبُ، حَمَاهَا ٱللَّهُ، فَإِنَّهَا ٱلأُمُّ ٱلبَرَّةُ، تُعْقَدُ بِهَا ٱلمَسَرَّةُ. وَمَا أَحْسَبُهَا، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، تُظَاهِرُ بِذَمِيمِ ٱلعُقُوقِ، وَلَا تُغْفِلُ ٱلمُفْتَرَضَ مِنَ ٱلحُقُوقِ.

وَوَحْشِيَّةٌ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ، آنَسَ ٱللَّهُ ٱلآدَابَ بِبَقَائِهِ، جَعَلَهَا نَائِبَةَ عَمَّنْ فَقَدَهُ ٱلإِخْوانُ، ٱلَّذِينَ عُدِمَ نَظِيرُهُمْ في ٱلأَوَانِ. وكَذٰلِكَ تَمْشِي أَمْثَالُ ٱلعَرَبِ: يَكْنُونَ بِهَا بِٱلاسْمِ عَنْ جميعِ ٱلأَسْمَاءِ، مِثالُ ذلكَ أَنْ يقولَ ٱلقائِلُ:

[الوافر]

فَـلا تُـشْـلَلْ يَـدٌ فَـتَـكَـتْ بِـعَـمْـرٍو، فَـإِنَّـكَ لَنْ تُـذَلَّ وَلَنْ تُـضَـامَـا[٣]

يَجُوزُ أَنْ يَرَى ٱلرَّجُلُ رَجُلاً قَدْ فَتَكَ بِمَنِ ٱسْمُهُ حَسَّانٌ أَوْ عُطَارِدُ أَوْ غيرُ ذَلِكَ، فَيتمثَّلُ بِهٰذا ٱلبيتِ، فيكونُ عَمْرٌو فيهِ واقِعاً على جميعِ مَنْ يَتَمثَّلُ لَهُ بِهِ.
وكذلك قولُ ٱلرَّاجِزِ:

[الخفيف]

«أَوْرَدَهَـا سَـعْـدٌ وَسَـعْـدٌ مُـشْـتَـمِـلْ»

[باقة من الأمثال]

صار ذَلِكَ مَثَلاً لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَمْ يُحْكِمْهُ، فَيَجوزُ أَنْ يُقال لِمَنِ ٱسْمُهُ خَالِدٌ أَوْ بَكْرٌ أَوْ مَا شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلأَسْماءِ. وَيَضعُونَ في هٰذا ٱلبابِ ٱلمُؤَنَّثَ مَوْضِعَ ٱلمُذَكَّرِ، وَٱلمُذَكَّرَ مَوْضِعَ ٱلمُؤَنَّثِ، فَيَقُولُونَ لِلرَّجُلِ: أَطِّري فَإِنَّك نَاعِلَةٌ[٤]، وَ[في] ٱلصَّيْفِ ضَيَّعْتِ ٱللَّبَنَ[٥]، وَمُحْسِنَةٌ فَهِيلي، وَأَبْدَئِيهِنَّ بِعِفالٍ سُبَيْتٌ. وَإِذا أَرادُوا أَنْ يُخْبِروا بِأَنَّ ٱلمَرْأَةَ

---

(١) مرّت ترجمته.

(٢) مرّت ترجمته.

(٣) البيت لرجل من بني بكر بن وائل. ورد في نوادر أبي زيد الأنصاري: ٧، أمالي ابن الشجري ٢/٢٦٦، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٤٧ (٢١٦).

(٤) أراد أدلّي على المشي فإنّكِ غليظة القدمين غير محتاجة إلى النعلين.

(٥) معناه: طلبت الشيء في غير وقته، وذلك أن الألبان تكثر في الصيف فيضرك مثلًا لترك الشيء وهو ممكن وطلبه وهو متعذر.

كَانَتْ تَفعَلُ ٱلخَيْرَ ثُمَّ هَلَكَتْ فَٱنْقَطَعَ مَا كَانَتْ تَفعَلُهُ، جَازَ أَنْ يَقُولُوا: ذَهَبَ ٱلخَيْرُ مَعَ عَمرِو بْنِ حَممةَ. وجائِزٌ أَنْ يَقولُوا لِمَنْ يُحَذِّرُونَهُ مِنْ قُرْبِ ٱلنِّسَاءِ: لا تَبِتْ مِنْ بَكْرِيٍّ قَرِيباً؛ وَٱلبَكْرِيُّ أَخُوكَ فَلا تَأْمَنْهُ. ومِثْلُ هٰذا كَثِيرٌ.

ٱلثَّكْلَى تُعِينُ ٱلثَّكْلَى

وَأَمَّا شَكْوَاهُ إِلَيَّ، وَإِيَّاهُ لَكَمَا قِيلَ فِي ٱلمَثَلِ: ٱلثَّكْلَى تُعِينُ ٱلثَّكْلَى[١]، وَعَلَى ذٰلِكَ حَمَلَ ٱلأَصْمَعِيُّ قَوْلَ أَبِي دَاوُدَ[٢]:

[مجزوء الكامل]

وَيَصِيخُ أَحْيَاناً كَمَا ٱسْـ ... ـتَمَعَ ٱلمُضِلُّ دُعَاءَ نَاشِدِ[٣]

كِلَانَا بِحَمْدِ ٱللَّهِ مُضِلٌّ، فَعَلَى مَنْ نَحْمِلُ وَعَلَى مَنْ نُدِلُّ؟ أَمَّا ٱلمَطِيَّةُ فَآلِيَةٌ، وَأَمَّا ٱلمَزَادَةُ فَخَالِيَةٌ، وَٱلرَّكْبُ يَفْتَقِرُ إِلَى ٱلحَصَاةِ، وَكُلُّهُمْ بَهْشٌ[٤] لِلْوَصَاةِ[٥].

[الرجز]

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ ٱلسُّرَى ... صَبْرٌ جَمِيلٌ، فَكِلَانَا مُبْتَلَى[٦]

إِنِ ٱشْتَكَتِ ٱلسَّمُرَةُ سُفُنَ ٱلعَاضِدِ إِلَى ٱلسَّيَالَةِ[٧]، فَإِنَّهَا تَشْكُو ٱلنَّازِلَةَ إِلَى شَاكٍ وَٱلصِّدْقُ أَفضلُ مِنَ ٱلابْتِشَاكِ[٨]، وَلَا أَرْتَابُ أَنَّهُ يحفظُ قولَ ٱلفَزَارِيِّ منذُ خمسينَ حَجَّةً أَوْ أَكثَرَ:

[الكامل]

أَعُيَيْنُ هَلَّا إِذْ بُلِيتَ بِحُبِّهَا ... كُنْتَ ٱسْتَعَنْتَ بِفَارِغِ ٱلعَقْلِ

---

(١) الثكلى: هي التي فقدت عزيزاً عليها. ويقصد من المثل المشاركة الوجدانية من قبل من أصيب بفقد حبيب وعزيز لديه لمن نزلت به نفس النازلة.

(٢) هو: جارية بن الحجاج الإيادي: شاعر جاهلي. كان من وُصّاف الخيل المجيدين. له ديوان شعر. انظر ترجمته في: سمط اللآلي: ٨٧٩، الأعلام للزركلي ٢/ ١٠٦.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٣٥ مادة «صيخ».
«أصاخ له يُصِيخُ إصاخة: استمع وأنصت لصوت؛ قال أبو داود:
ويصيخ أحياناً، كما اسـ ... ـتمع ٱلمُضِلُّ لِصَوْتِ ناشدِ»

(٤) البهش: الذي يمدّ يده ليتناول الشيء.

(٥) الوصاة: جريدة النخل.

(٦) ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ١٦٢، أمالي المرتضى ١/ ١٠٧، أسرار البلاغة، للجرجاني: ٢٦٣، شروح سقط الزند: ٦٢٠، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١/ ٢٢٧، حاشية الدمنهوري على متن الكافي: ١٠٤.

(٧) السَّمُرة والسيالة: ضرب من النباتات الشوكية.

(٨) الابتشاك: الارتجال.

أَقْبَلْتَ تَبْغي ٱلغَوْثَ مِنْ رَجُلٍ وَٱلمُسْتَغَاثُ إِلَيْهِ في شُغُلِ!

وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ ٱلأَدَبِ يَشْكُونَ ٱلغَيْرَ في كُلِّ جِيْلٍ، وَيَخُصُّونَ مِنَ ٱلعَجَائِبِ بِسِجِلٍّ سَجِيْلٍ. وهو يَعْرِفُ ٱلحِكَايَةَ أَنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ عبدِ ٱلملكِ[١] أَوْصَى لِأَهْلِ ٱلأَدَبِ بِجُزْءٍ مِنْ مَالِهِ؛ وقال: إِنَّهُمْ أَهْلُ صِنَاعَةٍ مَجْفُوَّةٍ وَأَحْسَبُ أَنَّهُمْ وَٱلحِرْفَةَ خُلِقَا تَوْأَمَيْنِ، وَإِنَّمَا يَنْجَحُ بَعْضُهُمْ في ذَاتِ الزَّمِينِ، ثُمَّ لا تَلْبَثُ أَنْ تَزِلَّ قَدَمُهُ، ويَتَفَرَّى[٢] بِالقَذْرِ أَدَمُهُ. وَقَدْ سَمِعَ فِي مِصْرَ بِقِصَّةِ أَبِي ٱلفَضْلِ وَسَعِيدٍ وَمَا كَانَ أَحَدُهُمَا مِنَ ٱلآخَرِ بِبَعِيدٍ وَإِذا كَانَ ٱلأَدَبُ على عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةَ يُقْصَدُ أَهلُهُ بِٱلجَفْوَةِ، فكيفَ يَسْلَمُونَ مِنْ بَاسٍ، عِنْدَ مَمْلَكَةِ بَنِي ٱلعَبَّاسِ؟ وَإِذَا أَصَابَتْهُمُ ٱلمِحَنُ في عَدَّانِ ٱلرَّشِيدِ فكيفَ يُطْمَعُ لَهُمْ بِٱلحَظِّ ٱلمَشِيدِ؟ أَلَيْسَ أَبُو عُبَيْدَة قَدِمَ مَعَ ٱلأَصْمَعِيِّ وَكِلَاهُمَا يُرِيدُ ٱلنُّجْعَةَ[٣]، وَلَا يَلْتَمِسُ إِلى ٱلبَصْرَةِ رَجْعَةً، فَتُشُبِّثَ بِعَبْدِ ٱلمَلِكِ، وَرُدَّ مَعْمَرٌ، وَمَنْ يعلمُ بِمَا يَجُنُّ ٱلخَمْرُ؟

وَمَنْ بَغَى أَنْ يَتَكَسَّبَ بِهٰذَا ٱلفَنِّ، فَقَدْ أَوْدَعَ شَرَابَهُ في شَنٍّ[٤] غَيْرَ ثِقَةٍ عَلَى ٱلوَدِيعَةِ، بَلْ هي مِنْهُ في صاحِبِ خَدِيْعَةٍ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سيبويهِ لَمَّا ٱخْتُبِرَ شَأْنُهُ وَرَازَ[٥]، رَغِبَ في رِوَايَةِ ٱلمَظَالِمِ بِشِيْرَازَ[٦]، وَأَنَّ ٱلكِسَائِيَّ تَحَوَّبَ مِمَّا صَنَعَ بِهِ، فَأَعَانَهُ كَيْ يَشْحَطَ[٧] عَلَى مَطْلَبِهِ.

فَأَمَّا حَبِيْبُ بْنُ أَوْسٍ فَهَلَكَ وهو بِٱلمَوْصِلِ عَلَى ٱلبَرِيدِ، وَصَاحِبُ ٱلأَدَبِ حَلِيفُ ٱلتَّصْرِيدِ[٨].

أَبُو ٱلطَّيِّبِ ٱلمُتَنَبِّي

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ذَكَرَهُمْ مِنَ ٱلمُصَحِّفِينَ، فَغَيْرُ ٱلبَرَرَةِ وَلَا ٱلمُنْصِفِينَ. وَمَا زَالَ ٱلتَّتْفُلُ[٩]

---

(١) هو: مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد. من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة. مات بالشام سنة ١٢٠هـ = سنة ٧٣٨م. انظر ترجمته في: المرزباني: ٣٧٢، نسب قريش: ١٦٥.

(٢) يتفرّى: يتشقّق.

(٣) النجعة: الأمل وطلب الشيء في موضعه.

(٤) الشنّ: القربة الصغيرة.

(٥) راز شأنه: وزنه ليعرف ثقله، أو ليعرف قدره.

(٦) شيراز: بلد عظيم، وهو قصبة بلاد فارس. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

(٧) يشحط: يبعد.

(٨) التصريد في العطاء: تقليله.

(٩) التتفل: ولد الثعلب.

يعرُض لأذاةِ ٱلأَسَدِ، وَمَا أَحْسَبُهُ يَشْعُرُ بِمَكَانِ ٱلحَسَدِ، فَإِذَا أَدْلَجَ وَرْدٌ[١] هَمُوسٌ، تَشْقَى بِهِ ٱلتَّامِكَةُ[٢]، أَوِ ٱللَّمُوسُ، فَثُعَالَةُ بِهِ مُنْذِرٌ، كَأَنَّهُ لِلْمُفْتَرِسِ مُحَذِّرٌ، وَلَا يَرَاهُ ٱلضَّيْغَمُ[٣] مَوْضِعاً لِلْعِتَابِ، وَيَجْعَلُ أَمْرَهُ فِيمَا يُحْتَمَلُ مِنَ ٱلخَطْبِ ٱلمُنْتَابِ. وَكَمْ مِنْ أَغْلَبِ مَثَارٍ، يُسَهَّدُ لِغِنَاءِ ٱلطَّيْثَارِ[٤]، وَإِذَا هُوَ بِلَيْلٍ تَغَنَّى فَٱلقَسْوَرُ[٥] بِهِ مُعَنًّى:

[الرمل]

ـ مَا يَضُرُّ ٱلبَحْرَ أَمْسَى زاخِراً أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ

[الكامل]

ـ أَوَ كُلَّمَا طَنَّ ٱلذُّبَابُ أَرُوعُهُ؟ إِنَّ ٱلذُّبَابَ إِذاً عَلَيَّ كَرِيمُ!

وَمَا زَالَ الهَمَجُ يقولُونَ، وَيُقَصِّرُونَ عنِ ٱلمَكْرُمَةِ فَلَا يُطَوِّلُونَ، وَإِنَّهُمْ عَمَّا أَثَّلَ[٦] مُتَثَاقِلُونَ، وَطُلَّابُ ٱلأَدَبِ فِي جِبَالِهِ واقِلُونَ[٧].

مَنِ ٱنْفَرَدَ بِفَضِيلَةٍ أَثِيرَةٍ، فَإِنَّهُ يَتَقَدَّمُ بِمَنَاقِبَ كَثِيرَةٍ؛ وَإِنَّ حُسَّادَ ٱلبَارِعِ لَكَمَا قَالَ الفرزدق:

[الطويل]

فَإِنْ تَهْجُ آلَ ٱلزِّبْرِقَانِ، فَإِنَّمَا هَجَوْتَ ٱلطِّوَالَ ٱلشُّمَّ مِنْ آلِ يَذْبُلِ
وَقَدْ يَنْبَحُ ٱلكَلْبُ ٱلنُّجُومَ وَدُونَهَا فَرَاسِخُ تُقْصِي نَاظِرَ ٱلمُتَأَمِّلِ

يَغْدُو عَلَى ٱلحَاسِدِ حَسَدُهُ، وَيَذُوبُ مِنْ كَبْتٍ جَسَدُهُ:

[الطويل]

فَهَلْ ضَرْبَةُ ٱلرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَباً عَنْ كُلَيْبٍ، أَوْ أَباً مِثْلَ دَارِمِ؟

ما ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ أَبي ٱلطَّيِّبِ: «أَذُمُّ إِلَى هٰذا ٱلزَّمَانِ أُهَيْلَهُ».

فَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مُولَعاً بِٱلتَّصْغِيرِ، لَا يَقْنَعُ مِنْ ذَلِكَ بِخِلْسَةِ ٱلمُغِيرِ؛ كَقَوْلِهِ:

[الرجز]

مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي أَنْ يَحْسَبَ ٱلهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلُ[٨]؟

وقولُه: «حَبِيْبَتَا قَلْبِي، فُؤَادِي هَيَّا جمل».

---

(١) الورد، بتسكين الواو: الأسد.
(٢) التامكة: السنام العظيم.
(٣) الضيغم: من أسماء الأسد.
(٤) الطيثار: البعوض.
(٥) القسور: من أسماء الأسد.
(٦) أثل: عمرَ وابتنى.
(٧) الواقلون: الذين يرفعون رجلًا ويثبتون أخرى في الأرض.
(٨) باقل: اسم رجل يضرب به المثل في العِيّ، وهو رجل من ربيعة كان عيًّا فدماً.

وقولُه: «مَقَالي لِلأُحَيْمِقِ يا حَلِيمُ».

وقولُه: «ونَامَ ٱلخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنا».

وقولُه: «أفي كُلِّ يومٍ تحتَ ضِبْني[1] شُوَيْعِرٌ».

وَغَيْرُ ذلك مِمَّا هو موجودٌ فِي دِيوانِهِ، ولا مَلَامَةَ عليهِ، إنَّما هي عادةٌ صَارَتْ كَٱلطَّبْعِ، فَمَا حَسُنَ بِهَا مَألوفُ ٱلرَّبْعِ، ولٰكِنَّها تُغْتَفَرُ مَعَ ٱلمَحَاسِنِ، وَٱلشَّام قَدْ يظهرُ على ٱلمَرَاسِنِ.

وهٰذا ٱلبيتُ ٱلذي أولُه: «أَذُمُّ إِلَى هٰذا ٱلزَّمَانِ أُهَيْلَهُ».

إِنَّما قَالَهُ فِي عليِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارِ بْنِ مُكَرَّم بِأَنْطَاكِيَةَ قبلَ أَنْ يمدحَ سيفَ ٱلدَّوْلَة عليَّ ابْنَ عبدِ ٱللّهِ بْنِ حَمْدَانَ، وَٱلشُّعَراء مُطْلَقٌ لَهُمْ ذلكَ، لِأَنَّ ٱلآيَةَ شَهِدَتْ عليهم بِٱلتَّخْرِيصِ[2] وقولِ ٱلأَبَاطِيلِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾؟[الشعراء: ٢٢٥].

وَأَهْلُ كلمةٍ أَصْلُ وضعِها لِلْجَمَاعةِ، فَيُقَالُ: ٱرْتَحَلَ أَهْلُ ٱلدَّارِ، فَيَعْلَمُ ٱلسَّامِعُ أَنَّ ٱلمُتَكَلِّمَ لا يقصِدُ واحداً بِمَا قال؛ إِلَّا أَنَّ هٰذه ٱلكلمةَ قَدِ ٱسْتُعْمِلَتْ لِلآحَادِ، فقيل: فُلانٌ أَهْلُ ٱلخيْرِ وَأَهْلُ ٱلإحسانِ؛ قالَ حاتمٌ ٱلطَّائِيُّ[3].

[البسيط]

ظَلَّتْ تَلُومُ عَلَى بِكْرٍ سَمَحْتُ بِهِ	إِنَّ ٱلرَّزِيئَةَ[4] فِي ٱلدُّنْيَا ٱبْنُ مَسْعُودِ
غَادَرَهُ ٱلقَوْمُ بِٱلمِعْزاءِ[5] مُجَنْدِلًا[6]	وَكَانَ أَهْلَ ٱلنَّدَى وَٱلحَزْمِ وَٱلجُودِ[7]

وَكَأَنَّ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةَ أَصْلُها أَنْ تَكُونَ لِلْجَمْعِ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلى ٱلوَاحِدِ، كَمَا أَنَّ صَدِيقاً وأَمِيْراً ونحوَهُما إِنَّما وُضِعْنَ في ٱلأَصْلِ لِلأَفْرادِ ثُمَّ نُقِلْنَ إِلى ٱلجَمْعِ عَلَى سَبِيلِ ٱلتَّشْبِيهِ. وَكَذلِكَ قولُهم: بنو فلانٍ أَخٌ لَنَا. ويُقَالُ: أَهْلٌ وَأَهْلَةٌ، وأَهَلَاتٌ في ٱلجَمْعِ، قال الشاعِرُ:

[الطويل]

فَهُمْ أَهَلَاتٌ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ[8]	إِذَا أَدْلَجُوا بِٱللَّيْلِ، يُدْعَوْنَ كَوْثَرَا

---

(١) الضبن، بكسر الضاد: الإبط وما يليه.
(٢) التخريص: النفاق.
(٣) لم يرد البيتان المذكوران في ديوان حاتم.
(٤) الرزيئة: المصيبة.
(٥) المعزاء: الأرض الصلبة.
(٦) المجندل: المرمي في الأرض.
(٧) الجود: الكرم.
(٨) هو: قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو علي: أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً، اشتهر وساد في الجاهلية مثل بين يدي النبي ﷺ، فأسلم، واستعمله الرسول ﷺ على صدقات قومه. توفي في البصرة نحو سنة ٢٠هـ = نحو سنة ٦٤٠م. انظر ترجمته في: الإصابة ت ٧١٩٤، المرزباني: ٣٢٤.

وَقالَ بعضُ ٱلنَّحويِّين في تَصْغِيرِ آلِ ٱلرَّجُلِ: يَجوزُ أُوَيْلٌ وَأُهَيلٌ كَأَنَّهُ يَذهَبُ إلى أنَّ ٱلهَاءَ في أَهْلٍ أُبدِلَتْ منها همزةٌ، فَلَمَّا ٱجْتَمَعَتِ ٱلهَمْزَتَانِ جُعِلَتِ ٱلثَّانِيَةُ أَلِفاً، ومثل هذا لا يَثْبُتُ. وَٱلأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ آلُ ٱلرَّجُلِ، مَأْخُوذاً مِنَ آلَ يَؤُولُ، إذا رَجَعَ، كَأَنَّهُمْ يرجعون إليهِ أو يَرجِعُ إليهِمْ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ من حكايةِ ٱلقُطْرُبُلِيِّ وَٱبْنِ أَبِي ٱلأَزْهَر فَقَدْ يجوزُ مثلُهُ، وما وَضُحَ أَنَّ ذلك ٱلرجلَ[1] حُبِسَ بِٱلعِراقِ، فَأَمَّا بِٱلشَّامِ فَحَبْسُهُ مَشْهُورٌ.

وَحُدِّثْتُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ هٰذا ٱللَّقَبِ، قالَ: هُو مِنَ ٱلنَّبْوَةِ، أَيِ ٱلمُرْتَفَعُ مِنَ ٱلأَرْض. وَكَانَ قد طَمِعَ في شيءٍ قد طَمِعَ فيهِ مَنْ هو دُونَهُ. وَإِنَّما هي مقاديرُ، يُدِيرُها في ٱلعَلْوِ مُدِيرٌ، يَظْفَرُ مَنْ وُفِّقَ، ولا يُراعُ بِٱلمُجْتَهِدِ أَنْ يُخْفِقَ.

وقد دَلَّتْ أَشياءُ في دِيوانِهِ أَنَّهُ كَانَ مُتَأَلِّهاً، ومثلَ غيرِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ مُتَدَلِّهاً، فَمِنْ ذلكَ قولُه:

[الطويل]

وَلَا قَـابِـلًا إِلَّا لِخَـالِقِـهِ حُـكْـمَـا

وقولُه:

[البسيط]

مَـا أَقْـدر ٱلـلّهُ أَنْ يُـخْـزِي بَـرِيَّـتَـهُ[2] وَلَا يُـصَـدِّقَ قَـوْمـاً فِـي ٱلَّذِي زَعَـمُـوا

وَإِذَا رَجِعَ إلى ٱلحَقَائِقِ، فَنُطْقُ ٱللِّسَانِ لا يُنْبِي عَنِ ٱعْتِقَادِ ٱلإِنْسَانِ، لِأَنَّ ٱلعَالَمَ مَجْبُولٌ عَلَى ٱلكَذِبِ وَٱلنِّفَاقِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُظْهِرَ ٱلرَّجُلُ بِٱلقَوْلِ تَدَيُّناً، وَإِنَّما يَجْعَلُ ذلك تَزَيُّناً، يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ بِهِ إِلى ثَنَاءٍ، أَوْ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ ٱلخَالِبَةِ أُمِّ ٱلفِنَاءِ[3]، وَلَعَلَّهُ قَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ هُمْ فِي ٱلظَّاهِرِ مُتَعَبِّدون، وَفِيما بَطَنَ مُلحِدُون.

دِعْبَلُ بْنُ عَلِيّ[4]

وَمَا يَلْحَقُنِي ٱلشَّكُّ في أَنَّ دِعْبَلَ بْنَ عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ دِينٌ، وَكَانَ يَتَظَاهَرُ بِٱلتَّشَيُّعِ،

---

(١) يقصد بذلك المتنبي.
(٢) البرية: الخلق.
(٣) أم الفناء: الدنيا الفانية.
(٤) هو: دعبل بن عليّ بن رزين الخزاعي، أبو علي. شاعر هجّاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. توفي سنة ٢٤٦هـ = سنة ٨٦٠م. صنف كتاباً في «طبقات الشعراء». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٧٨، تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢.

وَإِنَّما غَرَضُهُ ٱلتَّكَسُّبُ، وَكَمْ أَثْبَتَ نَسَباً بِتَنَسُّبٍ وَلَا أَرْتَابُ أَنْ دِعْبِلًا كَانَ على رَأْيِ ٱلحَكَمِيِّ[١] وَطَبَقَتِهِ، وَٱلزَّنْدَقَةُ فِيهِمْ فَاشِيَةٌ، وَمِنْ دِيارِهِمْ نَاشِيَةٌ.

وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي أَبِي نُواسٍ: ٱدُّعِيَ لَهُ ٱلتَّأَلُّهُ وَأَنَّهُ كَانَ يَقْضِي صَلَواتِ نَهارِهِ في ليلِهِ، وَٱلصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ على مَذْهَبِ غيرِهِ مِنْ أَهْلِ زَمانِهِ.

وَذلِكَ أَنَّ ٱلعَرَبَ جاءَهَا ٱلنَّبِيُّ، ﷺ، وهي تَرْغَبُ إلى ٱلقَصِيدِ، وتَقْصُرُ هِمَمُها عنِ ٱلفَصِيدِ[٢]، فَٱتَّبَعَهُ منها مُتَّبِعُون، وَٱللَّهُ أعلمُ بِمَا يُوعُونَ، فَلَمَّا ضَرَبَ ٱلإِسْلامُ بِجِرَانِهِ[٣]، وَٱتَّسَقَ مُلْكُهُ عَلَى أَرْكَانِهِ، مازَجَ ٱلعَرَبُ غَيْرَهُمْ مِنَ ٱلطَّوائِفِ، وَسَمِعُوا كَلَامَ ٱلأَطِبَّاءِ وَأَصْحَابِ ٱلهَيْئَةِ وَأَهْلِ ٱلمَنطِق، فَمَالَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ.

وَلَمْ يَزَلِ ٱلإِلْحَادُ في بني آدمَ على ممرِّ ٱلدُّهورِ، حتَّى إِنَّ أصحابَ ٱلسِّيَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ آدَمَ، عليه السلام، بُعِثَ إِلى أَوْلَادِهِ فأنذرَهُمْ بِٱلآخِرَةِ، وخوَّفَهُم مِنَ ٱلعَذَابِ، فكذَّبُوهُ وردُّوا قولَه. ثُمَّ على ذلك المِنهاجِ إلى ٱليوم.

وبَعْضُ ٱلعُلَماءِ يقولُ: إِنَّ ساداتِ قريشٍ كانُوا زنادقةً. وما أَجدَرَهُم بذلك! وقالَ شاعرُهم يرثي قَتْلَى بَدْرٍ، وَتُرْوَى لِشدادِ بْنِ ٱلأَسْوَدِ ٱللَّيْثِيِّ[٤]:

[الوافر]

أَلَمَّتْ بِٱلتَّحِيَّةِ أُمُّ بَكْرٍ	فَحَيُّوا أُمَّ بَكْرٍ بِٱلسَّلَامِ
وَكَائِنْ بِٱلطَّوِيِّ[٥] طَوِيِّ بَدْرٍ	مِنَ ٱلأَحْسَابِ وَٱلقَوْمِ ٱلكِرَامِ
وَكَائِنْ بِٱلطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ	مِنَ ٱلشِّيزَى تُكَلَّلُ بِٱلسَّنَامِ[٦]
أَلَا يَا أُمَّ بَكْرٍ لا تُكَرِّي	عَلَيَّ ٱلكَأْسَ بَعْدَ أَخِي هِشَامِ
وَبَعْدَ أَخِي أَبِيهِ، وَكَانَ قِرْماً[٧]	مِنَ ٱلأَقْوَامِ شُرَّابِ ٱلمُدَامِ[٨]

---

(١) يقصد أبا نواس.

(٢) الفصيد: الدم الموضوع في معًى يشوى.

(٣) ضرب بجرانه: ثبت واستقرّ.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) الطّويّ: البئر.

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٣٦٣ مادة «شيز».
«أبو عبيد في باب فِعْلى: الشِّيزى شجرة. أبو عمرو: الشِّيزى يقال له الآبنوس ويقال السّاسم؛ وفي حديث بدر في شعر ابن سوادة:
فماذا بِٱلقَليبِ قليبِ بَدْرٍ، مِنَ ٱلشِّيزى، يُزَيَّنُ بِٱلسَّنَامِ
الشِّيزى: شجر تتخذ منه الجفان، وأراد بالجفان أربابها الذين كانوا يُطعِمون فيها وقُتِلوا ببدر وأُلقوا في القليب، فهو يرثيهم، وسمّى الجفان شيزَى باسم أصلها...».

(٧) القرم، بكسر القاف: السيد الكريم.

(٨) المدام: الخمرة.

أَلَا مَـنْ مُـبْـلِغُ ٱلـرَّحْـمٰـنِ عَـنِّـي بِـأَنِّـي تَـارِكٌ شَـهْـرَ ٱلـصِّـيَـامِ؟
إِذَا مَـا ٱلـرَّأْسُ زَايَـلَ مَـنْـكِـبَـيْـهِ، فَـقَـدْ شَـبِـعَ ٱلأَنِـيْـسُ مِـنَ ٱلـطَّـعَـامِ
أَيُـوعِـدُنـا ٱبْـنُ كَـبْـشَـةَ[1] أَنْ سَـنَـحْـيَـا؟ وَكَـيْـفَ حَـيَـاةُ أَصْـدَاءٍ وَهَـامِ؟
أَتَـتْـرُكُ أَنْ تَـرُدَّ ٱلْـمَـوْتَ عَـنِّـي، وَتُـحْـيِـيَـنِـي إِذَا بَـلِـيَـتْ عِـظَـامِـي؟

ولا يدَّعِي مثلَ هٰذه ٱلدَّعَاوَى إِلَّا مَنْ يَسْتَبْسِلُ وَرَاءَها لِلحِمامِ[2]، وَلَا يَأْسَفُ لَهُ عِنْدَ ٱلإِلْمَامِ.

ٱلْمُتَنَبِّي وَمُعْجِزَاتُهُ

وَحُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ أَيامَ كَانَ إِقطاعُهُ بِصَفٍ[3]، رُئِيَ يُصَلِّي بِمَوْضِعٍ بِمَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ يُقالُ لَهُ كنيسةُ ٱلأَعْرَابِ وَأَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وذلك في وقتِ ٱلعَصْرِ، فيجوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَى أَنَّهُ عَلى سفرٍ، وَأَنَّ ٱلقَصْرَ لَهُ جائِزٌ.

وَحَدَّثَنِي ٱلثِّقَةُ عَنْهُ حَدِيثاً مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ فِي بَنِي عَدِيٍّ وَحَاوَلَ أَنْ يَخْرُجَ فِيهِم، قَالُوا لَهُ وَقَدْ تبيَّنُوا دَعْواهُ: هٰهُنَا نَاقَةٌ صَعْبَةٌ، فَإِنْ قَدِرْتَ عَلَى رُكُوبِها أَقْرَرْنَا أَنَّكَ مُرْسَلٌ. وَأَنَّهُ مَضَى إِلى تِلْكَ ٱلنَّاقَةِ وَهِيَ رَائِحَةٌ فِي ٱلإِبِلِ، فَتَحَيَّلَ حَتَّى وَثَبَ على ظهرِها، فنفرَتْ سَاعَةً وتنكَّرَتْ بُرهةً، ثُمَّ سَكَنَ نِفَارُها وَمَشَتْ مَشْيَ ٱلمُسَمَّحَةِ، وَأَنَّهُ وَرَدَ بِها ٱلحِلَّةَ[4] وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا، فَعَجِبُوا لَهُ كُلَّ ٱلعَجَبِ، وَصَارَ ذٰلِكَ مِنْ دَلَائِلِهِ عِنْدَهُم.

وَحُدِّثْتُ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ فِي دِيْوَانِ ٱللَّاذِقِيَّةِ، وَأَنَّ بَعْضَ ٱلكُتَّابِ ٱنقلبَتْ عَلى يَدِهِ سِكِّيْنُ ٱلأَقْلَامِ فَجَرَحَتْهُ جُرْحاً مُفْرِطاً، وَأَنَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ تَفَلَ عَلَيْها، مِنْ رِيقِهِ، وَشَدَّها غَيْرَ مُنْتَظِرٍ لِوَقْتِهِ، وَقَالَ لِلْمَجْروحِ: لا تحلّهَا فِي يَوْمِكَ. وَعَدَّ لَهُ أَيَّاماً وَليالِيَ، وأَنَّ ذٰلِكَ ٱلكَاتِبَ قَبِلَ مِنْهُ، فَبَرِئَ ٱلجُرْحُ، فصاروا يَعْتَقِدُونَ فِي أَبِي ٱلطَّيِّبِ أَعظَمَ ٱعْتِقَادٍ، وَيَقُوْلُوْنَ: هُوَ كَمُحْيِي ٱلأَمْوَاتِ.

وَحَدَّثَ رَجُلٌ، كَانَ أَبُوْ ٱلطَّيِّبِ قَدِ ٱسْتَخْفَى عِنْدَهُ فِي ٱللَّاذِقِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنَ

---

(١) يقصد أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

(٢) الحِمام، بكسر الحاء: الموت.

(٣) صف، ضيعة بالمعرّة كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ومنها هرب إلى دمشق ومنها إلى مصر. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤١٣.

(٤) الحلّة: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد: انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤.

ٱلسَّوَاحِلِ، أَنَّهُ أَرادَ ٱلانتِقَالَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ، فَخَرَجَ بِٱللَّيْلِ وَمَعَهُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ، وَلَقِيَهُمَا كَلْبٌ أَلحَّ عَلَيْهِمَا في ٱلنُّبَاحِ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ. فَقَالَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ وَهُوَ عَائِدٌ: إِنَّكَ سَتَجِدُ ذٰلِكَ ٱلكَلْبَ قَدْ مَاتَ. فَلَمَّا عَادَ ٱلرَّجُلُ أَلْفَى ٱلأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ. وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُوْنَ أَعدَّ لَهُ شَيْئاً مِنَ ٱلمَطَاعِمِ مَسْمُوماً وَأَلْقَاهُ لَهُ وَهُوَ يُخْفِي على صَاحِبِهِ مَا فَعَلَ وَٱلخَرْبَقُ سُمُّ ٱلكِلَابِ مَعْرُوْف.

وَأَمَّا ٱلقُطْرُبُّلِيُّ وَٱبْنُ أَبِي ٱلأَزْهَرِ فَمِنَ ٱلزَّوْلِ[١] ٱجْتِمَاعُهُما على تَأْلِيفِ كِتَابٍ، وَقَلَّ مَا يُعْرَفُ مِثْلُ ذٰلِكَ. ونحوٌ مِنْهُ قِصَّةُ ٱلخَالِدِيَّيْنِ[٢] ٱللَّذَيْنَ كَانَا فِي ٱلمَوْصِلِ وَهُمَا شَاعِرَانِ، وَقَدْ كَانَا عِنْدَ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ وَٱنْصَرَفَا على حَدِّ مُغَاضَبَةٍ، وَلَهُمَا دِيْوَانٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِمَا لا يَنفَرِدُ فِيهِ أَحَدُهُما بِشَيْءٍ دُوْنَ ٱلآخَرِ إِلَّا فِي أَشْيَاءَ قَلِيْلَةٍ، وهٰذَا مُتَعَذِّرٌ فِي وَلَدِ آدَمَ إِذْ كَانَتِ ٱلجِبِلَّةُ[٣] على ٱلخِلَافِ وَقِلَّةِ ٱلمُوَافَقَةِ. فَأَمَّا أَنْ يَعْمَلَ ٱلرَّجُلُ شَيْئاً مِنْ كِتَابٍ، ثُمَّ يُتِمَّهُ ٱلآخَرُ، فَهُوَ أَسْوَغُ فِي ٱلمَعْقُولِ مِنْ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلَانِ. وَٱلبَغْدَادِيُّونَ يَحْكُونَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ ٱلسِّيرافِيَّ عَمِلَ في كِتَابِهِ ٱلمَعْرُوْفِ بِٱلمُقْنِعِ أَوِ ٱلإِقْنَاعِ إِلى بابِ ٱلتَّصْغِيرِ، ثُمَّ تُوفِّي وَأَتَمَّهُ بَعْدَهُ ولدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ. قَدْ يَجُوزُ هٰذَا، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ رَيْبٌ. وَحَكَى لِيَ ٱلثِّقَةُ أَنَّ أَبَا عليٍّ ٱلفَارِسيَّ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ ٱلسَّرَّاجِ[٤] عَمِلَ مِنَ ٱلمُوجَزِ ٱلنِّصْفَ ٱلأَوْلَ لِرجلٍ بَزَّازٍ[٥]، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلى أَبِي عَلِيٍّ بِإِتْمَامِهِ، وهٰذَا لَا يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَلِيٍّ لِأَنَّ ٱلمَوْضُوعَ مِنَ ٱلمُوْجَزِ هُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ ٱبْنِ ٱلسَّرَّاجِ فِي «ٱلأُصُولِ» وفِي «ٱلجُمَلِ»، فَكَأَنَّ أَبَا عَلِيٍّ جَاءَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ ٱلنَّسْخِ، لا أَنَّهُ ٱبْتَدَعَ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ.

وَٱلَّذِينَ رَوَوْا دِيْوَانَ أَبِي ٱلطَّيِّبِ يَحْكُونَ عَنْهُ أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ثلاثٍ وثَلاثِمِائَةٍ. وَكَانَ

---

(١) الزول: الاستحالة.

(٢) هما: سعيد بن هشام بن وَعْلَة بن عُرام، من بني عبد القيس، أبو عثمان اشتهر هو وأخوه «محمد». كانا آية في الحفظ والبديهة. اشتركا في تصنيف كتب، منها «الأشباه والنظائر، من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين»، يعرف بحماسة المحدثين أو «حماسة الخالديين». مات سعيد سنة ٣٥٦هـ. ومات محمد سنة ٣٨٠هـ. انظر ترجمتهما في: فهرست ابن النديم: ٢٤٠.

(٣) الجبلة: الطبيعة التي جبل عليها المرء.

(٤) هو: محمد بن السري بن سهل: أحد أئمة الأدب والعربية. من أهل بغداد. مات شاباً سنة ٣١٦هـ. سنة ٩٢٩م. كان عارفاً بالموسيقى. من كتبه: «الأصول» في النحو، «شرح كتاب سيبويه» انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٤٤٠. وفيات الأعيان ١/ ٥٠٣.

(٥) البزّاز: بائع البزّ وهو الكتان المنسوج.

طُلُوعُهُ إلى ٱلشَّام سَنَةَ إِحْدى وعِشْرِينَ، فَأَقَامَ فِيْهِ بُرْهَةً ثُمَّ عادَ إِلَى ٱلعِراقِ ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ هُنَالِكَ. وَٱلدَّلِيْلُ على صِحَّةِ هٰذا ٱلخَبَرِ أَنَّ مَدَائِحَهُ فِي صِبَاهُ إِنَّمَا هِي فِي أَهْلِ ٱلشَّامِ إِلَّا قَوْلَهُ:

[الكامل]

«كُـفِّـي أَرَانِـي وَيْـكِ لَوْمَـكِ أَلْوَمَـا(١)»

وَأَمَا شِكَايَتُهُ أَهلَ ٱلزَّمَانِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ سَلَكَ مِنْهَاجَ ٱلمُتَقَدِّمِيْنَ، وَقَدْ كَثُرَ ٱلمَقَالُ فِي ذَمِّ ٱلدَّهْرِ حَتَّى جَاءَ فِي ٱلحَدِيثِ: لَا تَسُبُّوا ٱلدَّهْرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ الدَّهرُ. وَقَدْ عَرَفَ مَعْنَى هٰذا ٱلكَلَامِ، وَأَنَّ بَاطِنَهُ لَيْسَ كَظَاهِرِهِ، إِذْ كَانَ ٱلأَنْبِيَاءُ، عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلى أَنَّ ٱلدَّهرَ هُوَ ٱلخَالِقُ، وَلَا ٱلمَعْبُودُ. وَقَدْ جَاءَ فِي ٱلكِتَابِ ٱلكَرِيم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وَقَوْلُ بَعْضِ ٱلنَّاسِ: ٱلزَّمَانُ حَرَكَةُ ٱلفَلَكِ، لَفظٌ لَا حَقِيْقَةَ لَهُ. وَفِي كِتَابِ سِيْبَوَيْهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱلزَّمَانَ عِنْدَهُ: مُضِيُّ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهارِ. وَقَدْ تَعَلَّقَ عَلَيْهِ في هٰذِهِ ٱلعِبَارَةِ.

وَقَدْ حَدَّدْتُهُ حَدًّا مَا أَجدَرَهُ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ، وَهُوَ أَنْ يُقَالُ: ٱلزَّمَانُ شَيْءٌ أَقَلُّ جُزْءٍ مِنْهُ يَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيْعِ ٱلمُدْرَكَاتِ، وَهُوَ فِي ذٰلِكَ ضِدُّ ٱلمَكَانِ، لِأَنَّ أَقَلَّ جُزْءٍ مِنْهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَى شَيْءٍ كَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ٱلظُّرُوْفُ، فَأَمَّا ٱلكَوْنُ فَلَا بُدَّ مِنْ تَشَبُّثِهِ بِمَا قَلَّ وَكَثُرَ.

وَٱلَّذِينَ قَالُوا: «وَمَا يُهلِكُنا إِلَّا ٱلدَّهرُ» وغَيْرَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلمَقَالِ، مِثْلَ ٱلبَيْتِ ٱلمَنْسُوبِ إِلى ٱلأَخْطَلِ، وذَكَرَهُ حَبِيْبُ بْنُ أَوْسٍ لِشَمْعَلَةَ ٱلتَّغْلِبِيِّ، وَهُوَ:

[الطويل]

فَإِنَّ أَمِيْرَ ٱلمُؤْمِنِيْنَ وَفِعْلَهُ ... لَكَٱلدَّهْرِ. لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ ٱلدَّهْرُ(٢)

وَقَوْلَ ٱلآخرِ:

[الكامل]

ٱلدَّهْرُ لَاءَمَ بَيْنَ أُلْفَتِنَا، ... وَكَذاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا ٱلدَّهْرُ

---

(١) وعجز البيت: همٌّ أقامَ عَلَى فُؤادٍ أنجما.
ويك: أصله ويلك. يخاطب العاذلة: دعي عذلي، فقد أراني الهم المقيم على فؤاد الراحل مع الحبيب، فلومك أشدّ تأثيراً عليّ. ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢/ ٧، وانظر: ديوان المتنبي ٢/ ٢٩٥.

(٢) ورد البيت في: ديوان المعاني ١/ ٢١، المصون، لأبي أحمد العسكري: ٦٩، ٩٩، ولا يوجد البيت في: ديوان الأخطل.

وَقَوْلَ أَبِي صَخْرٍ[(١)]:

[الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا ٱنْقَضَى مَا بَيْنَنَا، سَكَنَ ٱلدَّهْرُ

لَمْ يُدَّعَ أَنَّ أَحداً مِنْهُمْ كَانَ يُقَرِّبُ لِلأَفْلَاكِ ٱلْقَرَابِيْنَ، وَلَا يُزْعَمُ أَنَّهَا تَعْقِلُ، وَإِنَّمَا ذٰلِكَ شَيْءٌ يَتَوارَثُهُ ٱلأُمَمُ فِي زَمَانٍ بَعْدَ زَمَانٍ. وَكَانَ فِي عَبْدِ ٱلْقَيْسِ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ: شَاتِمُ ٱلدَّهْرِ، وَهْوَ ٱلقَائِلُ:

[الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلدَّهْرَ وَعْراً سَبِيلُهُ، وَأَبْدَى لَنَا وَجْهاً أَزَبَّ[(٢)] مُجَدَّعَا[(٣)]

وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كَالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً، وَأَنْفاً، وَلَوَّى بِالْعَثَانِيْنِ[(٤)] أَخْدَعَا

ذَكَرْتُ ٱلْكِرَامَ ٱلذَّاهِبِينَ أُولِي ٱلنَّدَى وَقُلْتُ لِعَمْرٍو وَٱلْحُسَامِ: أَلَا دَعَا

وَأَمَّا غَيْظُهُ عَلَى ٱلزَّنَادِقَةِ وَٱلْمُلْحِدِينَ فَأَجْرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ، كَمَا أَجْرَهُ عَلَى ٱلظَّمَإِ فِي طَرِيْقِ مَكَّةَ، وَٱصْطِلَاءِ ٱلشَّمْسِ بِعَرَفَةَ[(٥)]، وَمَبِيْتِهِ بِٱلْمُزْدَلِفَةِ[(٦)]. وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ ٱبْتَهَلَ إِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، فِي ٱلأَيَّامِ ٱلْمَعْدُودَاتِ وَٱلْمَعْلُومَاتِ، أَنْ يُثْبِتَ هِضَابَ ٱلإِسْلَامِ، وَيُقِيْمَ لِمَنِ ٱتَّبَعَهُ ٱلنَّيِّرَ مِنَ ٱلأَعْلَامِ. وَلٰكِنَّ ٱلزندقَةَ داءٌ، قَدِيمٌ، طَالَمَا حَلُمَ بِهَا ٱلأَدِيمُ. وَقَدْ رَأَى بَعْضُ ٱلْفُقَهَاءِ أَنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا ظَهَرَتْ زَنْدَقَتُهُ ثُمَّ تَابَ فَزَعاً مِنَ ٱلْقَتْلِ، لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ. وَلَيْسَ كَذٰلِكَ مِنَ ٱلْكُفَّارِ، لِأَنَّ ٱلْمُرْتَدَّ إِذَا رَجَعَ قُبِلَ مِنْهُ ٱلرُّجُوعُ.

وَلَا مِلَّةَ إِلَّا وَلَهَا قَوْمٌ مُلْحِدُوْنَ، يَرَوْنَ أَصْحَابَ شَرْعِهِمْ أَنَّهُمْ مُوَالِفُونَ وَهمْ فِيْمَا بَطَنَ مُخَالِفُونَ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنهَتِكَ[(٧)] مُخَادِعٌ، وَتَبْدُوَ مِنَ ٱلشَّرِّ جَنَادِعُ[(٨)].

---

(١) هو: عبد الله بن سلمة، من بني هذيل بن مدركة: شاعر، من الفصحاء. كان في العصر الأموي، موالياً لبني مروان متعصّباً لهم. وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. مات نحو سنة ٨٠هـ = نحو سنة ٧٠٠م. انظر ترجمته في: الأغاني: طبعة الدار ٥/ ١٨٥، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥٥٥.

(٢) أزبّ: ذميم.

(٣) «الجَدْع: القطع، وقيل: هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها...» انظر: لسان العرب ٨/ ٤١ مادة «جدع».

(٤) العثانين، مفرده عُثنون: اللحيَة.

(٥) عَرَفة وعرفات أيضاً، من أركان الحج الوقوف بعرفة ليلة التاسع من ذي الحجة.

(٦) المزدلفة: سهل واسع، ينفر الحجيج من عرفات إلى المزدلفة حيث يبيتون ليلتهم فيصلّون المغرب والعشاء جمع تأخير ويجمعون الحصيات.

(٧) ينهتك: ينفضح، ينكشف.

(٨) الجنادع: الأوائل.

وَقَدْ كَانَتْ مُلُوكُ فَارِسَ تَقْتُلُ عَلَى ٱلزَّنْدَقَةِ، وَٱلزَّنَادِقَةُ هُمُ ٱلَّذِينَ يُسَمَّونَ ٱلدَّهْرِيَّةَ، لَا يَقُولُونَ بِنُبُوَّةٍ وَلَا كِتَابٍ.

بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ(١)

وَبَشَّارٌ إِنَّمَا أَخَذَ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وُجِدَ فِي كُتُبِهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَهْجُوَ فُلَانَ ٱبْنَ فُلَانٍ ٱلْهَاشِمِيَّ، فَصَفَحْتُ عَنْهُ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ، ﷺ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يُشَارُّ سِيبَوَيْهِ(٢)، وَأَنَّهُ حَضَرَ يَوْماً حَلْقَةَ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ(٣) فَقَالَ: هَلْ هُنَا مَنْ يرفَعُ خَبَراً؟ فَقَالُوا: لا. فَأَنْشَدَهُمْ:

[البسيط]

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا مِنْ رُقَادِكُمْ ... إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدِ

لَيْسَ ٱلْخَلِيفَةُ بِٱلْمَوْجُودِ فَٱلْتَمِسُوا ... خَلِيفَةَ ٱللَّهِ بَيْنَ ٱلنَّايِ وَٱلْعُودِ

وَكَانَ فِي ٱلْحَلْقَةِ سِيبَوَيْهِ، فَيَدَّعِي بَعْضُ ٱلنَّاسِ أَنَّهُ وَشَى بِهِ. وَسِيبَوَيْهِ، فِيمَا أَحْسَبُ، كَانَ أَجَلَّ مَوْضِعاً مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِي هٰذِهِ ٱلدَّنِيَّاتِ، بَلْ يَعْمَدُ لِأُمُورٍ سَنِيَّاتٍ(٤).

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ غَابَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:

[الطويل]

عَلَى ٱلْغَزْلَى مِنِّي ٱلسَّلَامُ، فَطَالَ مَا ... لَهَوْتُ بِهَا فِي ظِلِّ مُخْضَرَّةٍ زُهْرِ

فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: لَمْ تَسْتَعْمِلِ ٱلعَرَبُ ٱلْغَزْلَى، فَقَالَ بَشَّارٌ: هٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ ٱلْبَشْكَى(٥) وَٱلْجَمزَى(٦) ونحوِ ذٰلِكَ.

وَجَاءَ بَشَّارٌ فِي شِعْرِهِ بِٱلنَّيَانِ، جَمْعَ نُونٍ مِنَ ٱلسَّمَكِ. فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ، وهٰذِهِ أَخْبَارٌ لَا تَثْبُتُ. وَفِيمَا رُوِيَ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ أَنَّ ٱلنُّونَ يُجْمَعُ عَلَى نِينَانٍ، فَهٰذَا نَقْضٌ لِلْخَبَرِ.

---

(١) مرّت ترجمته.

(٢) يُشارّ سيبويه: يخاصمه.

(٣) هو: يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي: علّامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. أعجمي الأصل. أخذ عنه سيبويه والفرّاء.. مات سنة ١٨٢هـ = سنة ٧٩٨م. من كتبه: «معاني القرآن»، «النوادر». انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ٧/ ٣١٠، فهرست ابن النديم: ٤٤.

(٤) سنيّات: عالية.

(٥) البشكى: الناقة السريعة.

(٦) الجَمزى: ضرب من السير.

وَذَكَرَ مَنْ نَقَلَ أَخْبَارَ بَشَّارٍ أَنَّهُ تَوَعَّدَ سِيبَوَيْهِ ٱلْهِجَاءَ، وَأَنَّهُ تَلافَاهُ وَٱسْتَشْهَدَ بِشِعْرِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱسْتِشْهَادُهُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا يَذْكُرُهُ ٱلْمُتَذَاكِرُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ وَمَجَامِعِ ٱلْقَوْمِ. وَأَصْحَابُ بَشَّارٍ يَرْوُونَ لَهُ هٰذَا ٱلْبَيْتَ:

[الطويل]

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ، وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ[١]

وَفِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ نِصْفُ هٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلآخِرِ، وَهُوَ فِي بَابِ ٱلإِدْغَامِ لَمْ يُسَمِّ قَائِلَهُ. وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّهُ لِأَبِي ٱلأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيِّ.

وَيُقَالُ: إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ وَزِيرَ ٱلْمَهْدِيِّ تَحَامَلَ على بَشَّارٍ حَتَّى قُتِلَ، وَٱخْتُلِفَ فِي سِنِّهِ: فَقِيلَ يَوْمَئِذٍ ٱبْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَقِيلَ أَكْثَرُ، وَٱللَّهُ ٱلعَالِمُ بِحَقِيقَةِ ٱلأَمْرِ.

وَلَا أَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ ما ذَكَرْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ لِأَنَّ مَشِيئَةَ ٱللَّهِ، وَإِنَّ ٱللَّهَ لَحَلِيمٌ وَهَّابٌ.

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ ٱلْوَرَقَةِ[٢]، جَمَاعَةً مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ فِي طَبَقَةِ أَبِي نُوَاسٍ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَوَصَفَهُمْ بِٱلزَّنْدَقَةِ، وَسَرَائِرُ ٱلنَّاسِ مُغَيَّبَةٌ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ بِهَا عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْحَالُ تُكْتَمُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ خَوْفاً مِنَ ٱلسَّيْفِ، فَٱلآنَ ظَهَرَ نَجِيثُ[٣] ٱلْقَوْمِ، وَٱنْقَاضَتِ ٱلتَّرِيكَةُ عَنْ أَخْبَثِ رَأْلٍ[٤].

وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلعَصْرِ رَجُلٌ لَهُ أَصْدِقَاءُ مِن ٱلشِّيعةِ وَصَدِيقٌ زِنْدِيقٌ،

---

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي، ورد في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ٢/ ٤٠٩ بدون نسبة، الحيوان، للجاحظ ٥/ ٦٠١، المؤتلف: ١٥١، الأغاني، للأصفهاني ١١/ ١٠٥، العمدة ٢/ ٥، مغني اللبيب: وشرح شواهده، للسيوطي: ١٩٨ (١٨٤) همع الهوامع، شرح جمع الجوامع ٢/ ٩٥، الدرر اللوامع ٢/ ١٢٨، وانظر: ديوان أبي الأسود: ٩٩.

(٢) هو: أبو عبد اللّه محمد بن داود الجراح: أديب، من علماء الكتاب. من أهل بغداد. كان صديقاً لعبد اللّه بن المعتز ووزر له يوم خلافته. قتل ببغداد سنة ٢٩٦هـ = ٩٠٩م. من كتبه: «الورقة»، «كتاب الوزراء». انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٥، الفهرست لابن النديم ١٢٨/١.

(٣) نجيث القوم: هدفهم وسرّهم الذي أبطنوه.

(٤) انقاضت التريكة عن أخبث رأل: أراد انشقت البيضة فأظهرت صغير نعام خبيث، وذلك كناية عن تكشف اللؤم رغم إخفائه زمناً.

فَدَعَا ٱلْمُتَشَيِّعَةَ فِي بَعْضِ ٱلأيَّامِ، فَجَاءَ ٱلزِّنْدِيقُ فَقَرَعَ حَلْقَةَ ٱلبابِ وقَالَ:

[الكامل]

أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلَابِلِ ٱلصَّدْرِ[١]، مُتَقَسَّمَ ٱلأَشْجَانِ[٢] وَٱلفِكْرِ

فَقَالُوا: وَيْحَكَ! مِمَّ ذَا؟ فَقَالَ:

مِمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنٍ عُمَرُ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرِ

وَٱنْصَرَفَ. فَفَرِحَ ٱلشِّيْعَةُ بِذٰلِكَ، وَلَقِيَهُ صَاحِبُ ٱلمَنزلِ فَقَالَ: جُزِيْتَ عَنِّي خَيْراً، فَقَدْ خَلَّصْتَنِي مِنَ ٱلشُّبْهَةِ!

وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ ٱلبَصْرَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ زِنْدِيقٌ لَهُ سَيْفَانِ، قَدْ سَمَّى أَحَدَهُمَا ٱلخَيْرَ، وَٱلآخَرَ ٱلفَلَحَ[٣]، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ ٱلمُسْلِمِينَ قَالَ:

«صَبَّحَكَ ٱلخَيْرُ وَمَسَّاكَ ٱلفَلَحْ»

ثُمَّ يَلْتَفِتُ لِأَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا مَكَانَ ٱلسَّيْفَيْنِ فَيَقُولُ:

«سَيْفَانِ كَٱلبَرْقِ إِذَا ٱلبَرْقُ لَمَحْ»

فَأَمَّا قَوْلُ ٱلحَكَمِيِّ:

«تِيـهُ مُغَنٍّ وَظَرْفُ زِنْدِيقِ»

فَقَدْ عِيبَ عَلَيْهِ هٰذَا ٱلمَعْنى، وَقِيْلَ: إِنَّهُ أَرَادَ رَجُلاً مِنْ بَنِي ٱلحَارِثِ كَانَ مَعْرُوفاً بِٱلزَّنْدَقَةِ وَٱلظَّرْفِ، وَكَانَ لَهُ مَوْضِعٌ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ في صَدْرِ هٰذا ٱلبَيْتِ:

«نَدِيمُ قَيْلٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ»

فَهوَ نَحْوٌ مِنْ قَوْلِ ٱمرئِ ٱلقَيْسِ:

فَٱليَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ، إِثْماً مِنَ ٱللَّهِ وَلَا وَاغِلِ[٤]

---

(١) بلابل الصدر: مشاغله وهمومه.

(٢) «الشجن: الغم والحزن، والجمع أشجان وشجون». انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٣٢ مادة «شجن».

(٣) الفلح: النجاح.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٣٢٥ مادة «حقب».

«واحتقب خيراً أو شرًا، واستحقبه: ادّخره، على المثل، لأنّ الإنسان حامل لعمله ومُدّخر له. =

وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَى قَوْلِ مَنْ وَقَفَ عَلَى ٱلْهَاءِ كَمَا قَالَ:

يَا بَيْدَرَهْ، يَا بَيْدَرَهْ، يَا بَيْدَرَهْ

وَكَمَا قَالَ ٱلآخَرُ:

[الرجز]

يَا رُبَّ أَبَّازٍ مِنَ ٱلْعُصْمِ صَدَعْ ... تَقَبَّضَ ٱلظِّلُّ عَلَيْهِ فَٱجْتَمَعْ[1]

لَمَّا رَأَى أَلَا دَعَهْ وَلَا شَبَعْ ... مَالَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَٱضْطَجَعْ

لِأَنَّ هٰذَا حَسَنٌ فِيهِ إِظْهَارُ ٱلْهَاءِ، إِذْ كَانَ ٱلْكَلَامُ تَامًّا يَحْسُنُ عَلَيْهِ ٱلسُّكُوتُ، وقَوْلُهُ: «مُحَدِّثُهُ مَلَك»، مُضَافٌ ومُضَافٌ إِلَيْهِ، فَلَا يَحْسُنُ فِيهِ مِثْلُ ذٰلِكَ، إِذْ كَانَ ٱلاسْمَانِ كَٱسْمٍ وَاحِدٍ.

= واحتقب فلان الإثم: كأنه جمعه واحتقبه من خلفه، قال امرؤ القيس:

فاليومَ أُسْقى غيرَ مُسْتَحقِبٍ ... إثماً، مِنَ ٱللّهِ، ولا واغِلِ

واحتقبه واستحقبه، بمعنًى، أي احتمله».

(١) ورد الرجز في لسان العرب ٨/ ١٩٦ مادة «صدع». والبيتان لمنظور بن مرثد «ورجل صَدْعٌ، بالتسكين وقد يحرّك: وهو الضرب الخفيف اللحم. والصَّدَع والصَّدْع! الفَتِيُّ الشاب القوي من الأوعال والظباء والإبل والحُمُر. وقيل: هو الوسط منها؛ قال الأزهري: الصَّدْع الوَعْلُ بين الواعِلينَ: قال:

يا رُبَّ أَبَّازٍ مِنَ ٱلْعُفْرِ صَدَعْ، ... تَقَبَّضَ ٱلذِّئبُ إِلَيْهِ وَٱجْتَمَعْ»

وأورد لسان العرب ٥/ ٣٠٤ مادة «أبز» البيت أيضاً.

«أبز الظبيُ يأبِز أبْزاً وأبُوزاً: وثب وقفز في عدوه، وقيل تطلّق في عدوه... والأباذ الوثّاب؛ قال الشاعر:

يا رُبَّ أَبَّازٍ مِنَ ٱلْعُفْرِ صَدَعْ، ... تَقَبَّضَ ٱلذِّئبُ إليه، فَٱجْتَمَعْ

لَمَّا رأى أنْ لا دَعَهْ ولا شِبَعْ، ... مَالَ إلى أرطاةِ حَقْفٍ فَٱضْطَجَعْ

قال ابن السكيت: الأبّاز: القفّاز. قال ابن برّي: وصف ظبياً» والعُفْر من الظباء التي يعلو بياضها حمرة. وتقبّض: جمع قوائمه ليثب على الظبي فلما رأى الذئبُ أنه لا دَعَةَ له ولا يشبَع لكونه لا يصل إلى الظبي فيأكله مال إلى أرطاةِ حِقْفٍ، والأرطاة: واحدة الأرطى، وهو شجر يدبغ بورقه. والحِقْف: المُعوجّ من الرمل». ورد البيتان في: الخصائص، لابن جني ٢/ ٣٥٠، المنصف، لابن جني ٢/ ٣٢٩، المحتسب، لابن جني ١/ ١٠٧، المخصص ٨/ ٢٤؛ ١٥/ ٢٨، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤/ ٤٥٨.

زنـادقـة

وَأَمَّا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ[1] فَقَدْ شُهِرَ بِٱلزَّنْدَقَةِ، وَلَمْ يُقْتَلْ، وَلِلَّهِ ٱلْعِلْمُ، حَتَّى ظَهَرَتْ عَنْهُ مَقَالَاتٌ تُوْجِبُ ذٰلِكَ، وَيُرْوَى لِأَبِيْهِ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ:

[السريع]

كَـمْ أَهْـلَكَـتْ مَـكَّـةُ مِـنْ زَائِرِ   خَـرَّبَـهَـا ٱلـلَّهُ وَأَبْـيَـاتَـهَـا
لَا رَزَقَ ٱلـرَّحْـمٰـنُ أَحْـيَـاءَهَـا   وَأَشْـوَتِ[2] ٱلـرَّحْـمَـةُ أَمْـوَاتَـهَـا

وَقَدْ كَانَ لِصَالِحٍ وَلَدٌ حُبِسَ عَلَى ٱلزَّنْدَقَةِ حَبْساً طَوِيْلَاً، وهو ٱلَّذي يُرْوَى لَهُ:

[الطويل]

خَـرَجْـنَـا مِـنَ ٱلـدُّنْـيَـا وَنَـحْـنُ مِـنْ أَهْـلِـهَـا   فَـمَـا نَـحْـنُ بِـٱلأَحْـيَـاءِ فِـيْـهَـا وَلَا ٱلْـمَـوْتَـى
إِذَا مَـا أَتَـانَـا زَائِرٌ مُـتَـفَـقِّـدٌ   فَـرِحْـنَـا، وَقُـلْـنَـا: جَـاءَ هٰـذا مِـنَ ٱلـدُّنْـيَـا

وَأَمَّا رُجُوعُهُ عَنِ ٱلزَّنْدَقَةِ لَمَّا أَحسَّ بِٱلْقَتْلِ، فَإِنَّمَا ذٰلِكَ عَلَى سَبِيْلِ ٱلْخَتْلِ[3]. فَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بُعِثْتُ بِٱلسَّيْفِ، وَٱلْخَيْرُ فِي ٱلسَّيْفِ، وَٱلْخَيْرُ بِٱلسَّيْفِ. وَفِي حَدِيْثٍ آخرَ: لَا تَزَالُ أُمَّتي بِخَيْرٍ مَا حَمَلَتِ ٱلسُّيُوفَ. وَٱلسَّيْفُ حَمَلَ صَالِحاً عَلَى ٱلتَّصْدِيقِ، وَرَدَّهُ عَنْ رَأْيِ ٱلزِّنْدِيقِ، وَتِلْكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ إِذَا هِيَ ظَهَرَتْ لِلنَّفْسِ ٱلكَافِرَةِ، فَقَدْ فَنِيَ، لَا رَيْبَ، زَمَانُهَا، ولا يُقْبَلُ هُنَاكَ إِيْمَانُهَا: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَلِلسَّفَهِ طلٌّ[4] وَوَبَلٌ[5].

وَأَمَّا ٱلْقَصَارَ فَجَهْلٌ يَجْمَعُ وَيَصَارُ، وَلَوْ تَبعَ حَقًّا مَقْرُوباً، لَكُفِيَ سُمًّا مَشْرُوباً. وَلٰكِنَّ ٱلْغَرَائِزَ أَعَادٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ ٱلْمِيْعَادِ.

وَأَمَّا ٱلْمَنْسُوبُ إِلى ٱلصَّنَادِيقِ، فَإِنَّهُ يُحْسَبُ مِنَ ٱلزَّنَادِيقِ. وَأَحْسَبُهُ ٱلَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِٱلْمَنْصُورِ، ظَهَرَ سَنَةَ سَبْعِيْنَ وَمِائَتَيْنِ، وَأَقَامَ بُرْهَةً بِٱلْيَمَنِ، وَفِي زَمَانِهِ كَانَتِ ٱلْقِيَانُ تَلْعَبُ بِٱلدُّفِّ وَتَقُولُ:

[المتقارب]

خُـذِي ٱلـدَّفَّ يَـا هٰـذِهِ وَٱلْعَـبِـي   وَبُـثِّـي فَـضَـائِلَ هٰـذَا ٱلـنَّـبِـي
تَـوَلَّى نَـبِـيُّ بَـنِـي هَـاشِـمٍ   وَقَـامَ نَـبِـيُّ بَـنِـي يَـعْـرُبِ

---

(١) مرّت ترجمته.
(٢) أشوت: أخطأت.
(٣) الختل: المراوغة والخداع.
(٤) الطلّ: المطر الخفيف.
(٥) الوبل: المطر الغزير.

فَمَا نَبْتَغِي ٱلسَّعْيَ عِنْدَ ٱلصَّفَا، وَلَا زَوْرَةَ ٱلْقَبْرِ فِي يَثْرِبِ
إِذَا ٱلْقَوْمُ صَلَّوا فَلَا تَنْهَضِي، وَإِن صَوَّمُوا، فَكُلِي وَٱشْرَبِي
وَلَا تَحْرِمِي نَفْسَكِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَقْرَبِينَ وَمِنْ أَجْنَبِي
فَكَيْفَ حَلَلْتِ لِذَاكَ ٱلْغَرِيبِ وَصِرْتِ مُحَرَّمَةً لِلْأَبِ؟
أَلَيْسَ ٱلْغِرَاسُ لِمَنْ رَبَّهُ وَرَوَّاهُ فِي عَامِهِ ٱلْمُجْدِبِ؟
وَمَا ٱلْخَمْرُ إِلَّا كَمَاءِ ٱلسَّحَابِ طَلْقٌ، فَقَدَّسْتِ مِنْ مَذْهَبِ

فَعَلَى مُعْتَقِدِ هٰذِهِ ٱلمَقَالَةِ بَهْلَةُ ٱلْمُبْتَهِلِينَ.

وَهٰذِهِ ٱلطَّبَقَةُ، لَعَنَهَا ٱللَّهُ، تَسْتَعْبِدُ ٱلطَّغَامَ بِأَصْنَافٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَإِذَا طَمِعَتْ فِي دَعوى ٱلرُّبُوبِيَّةِ لَمْ تُتْئِبْ[1] فِي ٱلدَّعْوَى، وَلَا لَهَا عَمَّا قَبُحَ رَعْوَى[2] وَإِذَا عَلِمَتْ أَنَّ في ٱلإِنْسَانِ تَمَيُّزاً، أَرَتْهُ إِلَى مَا يَحْسُنُ تَحَيُّزاً.

«ٱلإِلٰه» ٱلبَشَرِيُّ

وَقَد كَانَ بِٱلْيَمَنِ رَجُلٌ يَحْتَجِبُ في حِصْنٍ لَهُ، وَيَكُونُ ٱلْوَاسِطَةُ بَيْنَهُ وبينَ ٱلنَّاسِ خَادِماً لَهُ أَسودَ قَدْ سَمَّاهُ جِبْرِيلَ، فَقَتَلَهُ ٱلْخَادِمُ في بَعْضِ ٱلأَيَّامِ وَٱنْصَرَفَ. فَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُجَّانِ:

تَبَارَكَ ٱللَّهُ فِي عُلَاهُ فَرَّ مِنَ ٱلْفِسْقِ جَبْرَئِيلُ
وَظَلَّ مَنْ تَزْعُمُونَ رَبًّا وَهْوَ عَلَى عَرْشِهِ قَتِيلُ

وَيُقَالُ: إِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذٰلِكَ مَا كَانَ يُكَلِّفُهُ مِنَ ٱلفِسْقِ.

وَإِذَا طَمِعَ بَعْضُ هٰؤُلاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتَنِعُ بِٱلإِمَامَةِ، وَلَا ٱلنُّبُوَّةِ، ولٰكِنَّهُ يَرْتَفِعُ صُعُداً فِي ٱلكَذِبِ، ويَكُوْنُ شُرْبُهُ مِنْ تَحْتِ ٱلعَذْبِ، أَيِ ٱلطُّحْلُبِ.

وَلَمْ تَكُنِ ٱلعَرَبُ في ٱلجَاهِلِيَّةِ تُقْدِمُ عَلَى هٰذِهِ ٱلعَظَائِمِ، وَٱلأُمُورِ غَيْرِ ٱلنَّظَائِمِ. بَلْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ تَجْنَحُ إِلى رَأْيِ ٱلْحُكَمَاءِ، وَمَا سَلَفَ مِنْ كُتُبِ ٱلْقُدَمَاءِ. إِذْ كَانَ أَكْثَرُ ٱلْفَلاسِفَةِ لا يَقُوْلُونَ بِنَبِيٍّ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ زَعَمَ ذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلْغَبِيِّ.

---

(١) تتئب: تخجل.

(٢) الرعوى: الطيش والجهل والحمق.

رَبِيْعَةُ وَأَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ

وَكَانَ رَبِيْعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ٱلْجُمَحِيُّ(١) جَرَى لَهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيْقِ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ، خَطْبٌ، فَلَحِقَ بِٱلرُّومِ، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ:

[الطويل]

لَحِقْتُ بِأَرْضِ ٱلرُّومِ غَيْرَ مُفَكِّرٍ ... بِتَرْكِ صَلَاةٍ مِنْ عِشَاءٍ وَلَا ظُهْرِ

فَلَا تَتْرُكُونِي مِنْ صَبُوحٍ(٢) مُدَامَةٍ ... فَمَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ٱلسُّلَافَ(٣) مِنَ ٱلْخَمْرِ

إِذَا أَمَرَتْ تَيْمُ بْنُ مُرَّةَ فِيْكُمُ ... فَلَا خَيْرَ فِي أَرْضِ ٱلْحِجَازِ وَلَا مِصْرِ

فَإِنْ يَكُ إِسْلَامِي هُوَ ٱلْحَقَّ وَٱلْهُدَى ... فَإِنِّي قَدْ خَلَّيْتُهُ لِأَبِي بَكْرِ

وَٱفْتَتَنَ ٱلنَّاسُ فِي ٱلضَّلَالَةِ حَتَّى ٱسْتَجَازُوا دَعْوَى ٱلرُّبُوبِيَّةِ، فَكَانَ ذٰلِكَ تَنَطُّساً(٤) فِي ٱلْكُفْرِ، وَجَمْعاً لِلْمَعْصِيَةِ فِي ٱلْمَزَادِ ٱلوفرِ. وَإِنَّمَا كَانَ أَهْلُ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَدْفَعُونَ ٱلنُّبُوَّةَ وَلَا يُجَاوِزُونَ ذٰلِكَ إِلَى سِوَاهُ.

وَلَمَّا أَجْلَى عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ، رَحمةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ، أَهْلَ ٱلذِّمَّةِ عَنْ جَزِيْرَةِ ٱلْعَرَبِ، شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى ٱلْجَالِيْنَ، فَيُقَالُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ يَهُوْدِ خَيْبَرَ يُعْرَفُ بِسُمَير بْنِ أَدْكَنَ قَالَ فِي ذٰلِكَ:

[الطويل]

يَصُوْلُ أَبُوْ حَفْصٍ(٥) عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ ... رُوَيْدَكَ إِنَّ ٱلْمَرْءَ يَطْفُو وَيَرْسُبُ

كَأَنَّكَ لَمْ تَتْبَعْ حُمُولَةَ مَاقِطٍ(٦) ... لِتَشْبَعَ، إِنَّ ٱلزَّادَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ

فَلَوْ كَانَ مُوسَى صَادِقاً مَا ظَهَرْتُمُ ... عَلَيْنَا وَلٰكِنْ دَوْلَةٌ ثُمَّ تَذْهَبُ

وَنَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ إِلَى ٱلْمَيْنِ(٧) فَٱعْرِفُوا ... لَنَا رُتْبَةَ ٱلْبَادِي ٱلَّذِي هُوَ أَكْذَبُ

مَشَيْتُمْ عَلَى آثَارِنَا فِي طَرِيقِنَا ... وَبُغْيَتُكُمْ فِي أَنْ تَسُودُوا وَتُرْهَبُوا

وَمَا زَالَ ٱلْيَمَنُ مُنْذُ كَانَ، مَعْدِناً لِلْمُتَكَسِّبِيْنَ بِٱلتَّدَيُّنِ، وَٱلْمُحْتَالِيْنَ عَلَى ٱلسُّحْتِ(٨)

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) الصبوح: ما شرب في الصباح.

(٣) السلاف: من أسماء الخمر.

(٤) التنطّس: التأنق والتفنن.

(٥) أبو حفص: كنية سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

(٦) الماقِط: رشاء الدلو.

(٧) المين: الكذب والنفاق.

(٨) السحت: المكسب الحرام.

بِٱلتَّزَيُّنِ. وَحَدَّثَنِي مَنْ سَافَرَ إِلَى تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ؛ أَنَّ بِهِ ٱلْيَوْمَ جماعَةً، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ ٱلْقَائِمُ ٱلْمُنْتَظَرُ، فَلَا يَعْدِمُ جِبَايَةً مِنْ مَالٍ، يَصِلُ بِهَا إِلَى خَسِيسِ ٱلآمَالِ.

ٱلْقَرَامِطَةُ

وَحُكِيَ لِي أَنَّ لِلْقَرَامِطَةِ بِٱلأَحْسَاءِ[١] بَيْتاً يَزْعُمُونَ أَنَّ إِمَامَهُمْ يَخْرُجُ مِنْهُ، وَيُقِيمُونَ عَلَى بَابِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ فَرَساً بِسَرْجٍ وَلِجَامٍ، ويَقُولُونَ لِلْهَمَجِ وَٱلطَّغَامِ: هٰذا ٱلْفَرَسُ لِرِكَابِ ٱلْمَهْدِيِّ، يَرْكَبُهُ مَتَى ظَهَرَ بِحَقٍّ بَدِيٍّ[٢] وَإِنَّما غَرَضُهُمْ بِذٰلِكَ خَدْعٌ وَتَعْلِيلٌ، وَتَوَصُّلٌ إِلَى ٱلْمَمْلَكَةِ وَتَضْلِيلٌ.

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا سَمِعْتُ أَنَّ بَعضَ رُؤساءِ ٱلْقَرَامِطَةِ فِي ٱلدَّهْرِ ٱلْقَدِيمِ، لَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُمْ لَمَّا أَحسَّ بِٱلْمَوْتِ: إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلى ٱلنُّقْلَةِ، وَقَدْ كَفَرَ أَعْظَمَ ٱلكُفْرِ، فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ فِيهَا ٱلكَافِرُ، وَيَؤُوبَ إِلى آخِرَتِهِ ٱلْمُسَافِرُ.

عَقْلُ «ٱلْوَلِيدِ» عَقْلُ وَلِيدٍ

وَأَمَّا ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ[٣] فَكَانَ عَقْلُهُ عَقْلَ وَلِيدٍ، وقَدْ بَلَغَ سِنَّ ٱلْكَهْلِ ٱلْجَلِيدِ، ما أَغْنَتْهُ نِيَّةٌ سَابِجَةٌ[٤]، وَلَا نَفَعَتِ ٱلْبُنَابِجَةُ[٥]. وَشُغِلَ عَنِ ٱلْبَاطِيَةِ[٦]، بِجَرِيرَةِ ٱلنَّفْسِ ٱلْخَاطِيَةِ. دَحَاهُ إِلى سَقَرَ دَاحٍ[٧]، فَمَا يَغْتَرِفُ بِٱلأَقْدَاحِ. وَقَدْ رُوِيَتْ لَهُ أَشْعَارٌ، يَلْحَقُ بِهِ مِنْهَا ٱلعَارُ، كَقَوْلِهِ:

[مجزوء الرمل]

أَدْنِـيَـا مِـنِّـي خَـلِـيْـلَـيَّ عَـبْـدَلَا دُونَ ٱلإِزَارِ
فَـلَـقَـدْ أَيْـقَـنْـتُ أَنِّـي غَـيْـرُ مَـبْـعُـوثٍ لِنَـارِ

فَٱلْعَجَبُ لِزَمَانٍ صَيَّرَ مِثْلَهُ إِمَاماً، وَأَوْرَدَهُ مِنَ ٱلْمَمْلَكَةِ جُمَاماً[٨]. وَلَعَلَّ غَيْرَهُ مِمَّنْ

---

(١) الأحساء: مدينة في البحرين. انظر: معجم البلدان ١/١١١، ١١٢.
(٢) الحقّ البدي: البيّن الواضح.
(٣) هو: الوليد بن يزيد.
(٤) السابجة: الساذجة.
(٥) البنابجة: ادّعاء الانتماء إلى الأصل الكريم.
(٦) الباطية: قارورة الخمرة من الزجاج.
(٧) دحاه إلى سقر: دفعه إلى أسفل النار.
(٨) الجُمام، بضم الجيم: وهو ما علا رأسه فوق طفافه.

مَلَكَ يَعْتَقِدُ مِثْلَهُ أَوْ قَرِيباً، ولٰكِنْ يُسَاتِرُ وَيَخَافُ تَثْرِيباً[١]. ومِمَّا يُرْوَى لَهُ:

أَنَا ٱلإِمَامُ ٱلوَلِيدُ مُفْتَخِراً ... أَجُرُّ بُرْدِي، وَأَسْمَعُ ٱلغَزَلَا

أَسْحَبُ ذَيْلِي إِلى مَنَازِلِهَا، ... وَلَا أُبَالِي مَنْ لَامَ أَوْ عَذَلَا

مَا ٱلعَيْشُ إِلَّا سَمَاعُ مُحْسِنَةٍ ... وَقَهْوَةٌ تَتْرُكُ ٱلفَتَى ثَمِلَا

لَا أَرْتَجِي ٱلحُورَ فِي ٱلخُلُودِ وَهَلْ ... يَأْمَلُ حُورَ ٱلجِنَانِ مَنْ عَقَلَا؟

إِذَا حَبَتْكَ ٱلوِصَالَ غَانِيَةٌ ... فَجَازِهَا بَذْلَهَا كَمَنْ وَصَلَا

وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا أُحِيطَ بِهِ، دَخَلَ ٱلقَصْرَ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ:

[الطويل]

دَعُوا لِي هِنْداً وَٱلرَّبَابَ وَفَرْتَنَى ... وَمُسْمِعَةً، حَسْبِي بِذٰلِكَ مَالَا

خُذُوا مُلْكَكُمْ، لَا ثَبَّتَ ٱللَّهُ مُلْكَكُمْ ... فَلَيْسَ يُسَاوِي بَعْدَ ذَاكَ عِقَالَا

وَخَلُّوا سَبِيلِي قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى، ... وَلَا تَحْسُدُونِي أَنْ أَمُوتَ هُزَالَا

فَأَلِبَ[٢] عَنْ تِلْكَ ٱلمَنْزِلَةِ أَيَّ أَلْبٍ، وَرُئِيَ رَأْسُهُ فِي فَمِ كَلْبٍ. كَذٰلِكَ نَقَلَ بَعْضُ ٱلرُّوَاةِ، وَٱللَّهُ ٱلقَائِمُ بِجَزَاءِ ٱلغُوَاةِ. وَلَا حِيلَةَ لِلْبَشَرِ فِي أُمِّ دَفْرٍ[٣]، أَعْيَتْ كُلَّ حَضَرٍ وَسَفَرٍ. كَانَ حَقُّ ٱلخِلَافَةِ أَنْ تُفْضِيَ إِلى مَنْ هُوَ بِنُسُكٍ مَعْرُوفٍ، لَا تَصْرِفُهُ عَنِ ٱلرُّشْدِ صُرُوفٌ، ولٰكِنَّ ٱلبَلِيَّةَ خُلِقَتْ مَعَ ٱلشَّمْسِ، فَهَلْ يَخْلُصُ مَنْ سَكَنَ فِي رَمْسٍ[٤]؟

لَا نَاشِدَ وَلَا نَشِيدَ

وَأَمَّا أَبُو عِيسَى بْنُ ٱلرَّشِيدِ، فَلَيْسَ بِٱلنَّاشِدِ وَلَا ٱلنَّشِيدِ. وَإِنْ صَحَّ ما رُوِيَ عَنْهُ فَقَدْ بَايَنَ بِذٰلِكَ أَسْلَافَهُ، وَأَظْهَرَ لِأَهْلِ ٱلدِّيَانَةِ خِلَافَهُ.

وَمَا يَحْفَلُ رَبُّهُ بِٱلعَبِيدِ صَائِمِينَ لِلْخِيفَةِ وَلَا مُفْطِرِينَ، وَلٰكِنَّ ٱلإِنْسَ غَدَوْا مُحْظَرِينَ. وَرُبَّما كَانَ ٱلجَاهِلُ أَوِ ٱلمُتَجَاهِلُ، يَنْطِقُ بِٱلكَلِمَةِ وَخَلَدُهُ[٥] بِضِدِّها آهِلٌ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ ذٰلِكَ رَاجِياً أَنَّ أَبا عِيسى وَنُظَرَاءَهُ، لَمْ يَتَّبِعُوا فِي ٱلغَيِّ ٱمْرَأَةً، وَأَنَّهُمْ على سِوَى مَا عَلِنَ يُبَيِّتُونَ، لَقَدْ وَعَظَهُمُ ٱلمَيِّتُونَ.

---

(١) التثريب: اللوم.

(٢) ألِب: ترك.

(٣) أم دفر: الدنيا، وهي أيضاً من أسماء الدّواهي.

(٤) الرمس: القبر.

(٥) خلده: عقله، فكره.

وَرَأَى بَعْضُهُمْ عَبْدَ ٱلسَّلَامِ بْنَ رَغْبَانَ[١]، ٱلْمَعْرُوفَ بِدِيكِ ٱلْجِنِّ، فِي ٱلنَّوْمِ وهو بِحُسْنِ حَالٍ، فَذَكَرَ لَهُ ٱلْأَبْيَاتَ ٱلْفَائِيَّةَ ٱلَّتِي فِيهَا:

[الوافر]

هِيَ ٱلدُّنْيَا، وَقَدْ نَعِمُوا بِأُخْرَى، وَتَسْوِيفُ ٱلظُّنُونِ مِنَ ٱلسَّوَافِ

أَيِ ٱلْهَلَاكُ. فَقَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ أَتَلَاعَبُ بِذٰلِكَ وَلَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُهُ. وَلَعَلَّ كَثِيراً مِمَّنْ شُهِرَ بِهٰذِهِ ٱلْجَهَالَاتِ تَكُونُ طَوِيَّتُهُ إِقَامَةَ ٱلشَّرِيعَةِ، وَٱلْإِرْتَاعَ بِرِيَاضِهَا ٱلْمَرِيعَةِ. فَإِنَّ ٱللِّسَانَ طَمَّاحٌ، وَلَهُ بِٱلْفَنَدِ[٢] إِسْمَاحٌ. وَكَانَ أَبُو عِيسَى ٱلْمَذْكُورُ يُسْتَحْسَنُ شِعْرُهُ فِي ٱلْبَيْتَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةِ، وَأَنْشَدَ لَهُ ٱلصُّولِيُّ[٣] فِي نَوَادِرِهِ:

[المتقارب]

لِسَانِي كَتُومٌ لِأَسْرَارِهِ، وَدَمْعِي نَمُومٌ بِسِرِّي مُذِيعُ
وَلَوْلَا دُمُوعِي، كَتَمْتُ ٱلْهَوَى، وَلَوْلَا ٱلْهَوَى، لَمْ يَكُنْ لِي دُمُوعُ

فَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ، فَلَعَلَّهُ يَقَعُ فِي تَعْذِيبِ ٱلدَّهْرِ، و﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَأَمَّا ٱلْجَنَابِيُّ[٤] فَلَوْ عُوقِبَ بَلَدٌ بِمَنْ يَسْكُنُهُ، لَجَازَ أَنْ تُؤْخَذَ بِهِ «جَنَابَةُ»، وَلَا يُقْبَلُ لَهَا إِنَابَةٌ. وَلٰكِنَّ حُكْمَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُنَزَّلِ أَجْدَرُ وَأَحْرَى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨].

وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي حَدِيثِ ٱلرُّكْنِ مَعَهُ: فَزَعَمَ مَنْ يَدَّعِي ٱلْخِبْرَةَ بِهِ أَنَّهُ أَخَذَهُ لِيَعْبُدَهُ وَيُعَظِّمَهُ، لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يَدُ ٱلصَّنَمِ ٱلَّذِي جُعِلَ عَلَى خَلْقِ زُحَلَ. وَقِيلَ: جَعَلَهُ مَوْطِئاً فِي مُرْتَفَقٍ، وهٰذَا

---

(١) هو: عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي: شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي. ولد في حمص سنة ١٦١هـ = سنة ٧٧٨م وفيها توفي سنة ٢٣٥هـ = سنة ٨٥٠م ولم يفارق بلاد الشام. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٩٣.

(٢) الفند: الكذب.

(٣) هو: محمد بن يحيى بن عبد الله، وقد يعرف بالشطرنجي: نديم، من أكابر علماء الأدب: نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس. مات في البصرة مستتراً سنة ٣٣٥هـ = سنة ٩٤٦م. من كتبه: «الأوراق»، «أخبار أبي تمام». انظر ترجمته في: ١/ ٥٠٨، تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٧.

(٤) هو: الحسن بهرام الجنَّابي، أبو سعيد: كبير القرامطة ومعلن مذهبهم. كان دقاقاً، من أهل جنَّابه (بفارس) ونفي، فأقام في البحرين تاجراً، وجعل يدعو العرب إلى نحلته فعظم أمره. قتله خادم صقلبي في الحمام، بهجر سنة ٣٠١هـ = سنة ٩١٤م. انظر ترجمته في: مرآة الجنان ٢/ ٢٣٨. ابن الأثير ٨/ ٢٨٧ وما قبلها.

تَنَاقُضٌ فِي ٱلحَدِيثِ. وَأَيَّ ذٰلِكَ كَانَ، فَعَلَيْهِ ٱللَّعْنَةُ ما رَسَا ثَبِيرٌ(١)، وَهَمَى صَبِيرٌ(٢).

وَأَمَّا ٱلعَلَوِيُّ ٱلبَصْرِيُّ فَذَكَرَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ خُرُوجِهِ يَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ عبدِ ٱلقَيْسِ ثُمَّ مِنْ أَنْمار. وَكَانَ ٱسْمُهُ أَحْمَدَ، فَلَمَّا خَرَجَ تَسَمَّى عَلِيًّا. وَٱلكَذِبُ جَمٌّ، كَأَنَّهُ فِي ٱلنَظَرِ طَوْدٌ(٣) أَشَمُّ؛ وَٱلصِّدْقُ لَدَيْهِ كَٱلحَصَاةِ، تُوْطَأُ بِأَقْدَامِ عُصَاةٍ. وتِلك ٱلأَبْيَاتُ ٱلمَنْسُوبَةُ إليهِ مَشْهُورةٌ وهِيَ:

[الطويل]

أَيَا حِرْفَةَ ٱلزَّمْنَى(٤) أَلَمَّ بِكِ ٱلرَّدَى، أَمَا لِي خَلَاصٌ مِنْكِ وَٱلشَّمْلُ جَامِعُ؟
لَئِنْ قَنِعَتْ نَفْسِي بِتَعْلِيمِ صِبْيَةٍ يَدَ ٱلدَّهْرِ، إِنِّي بِٱلمَذَلَّةِ قَانِعُ
وَهَلْ يَرْضَيَنْ حُرٌّ بِتَعْلِيمِ صِبْيَةٍ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ ٱلرِّزْقَ فِي ٱلأَرْضِ وَاسِعُ؟

وَمَا أَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ حَمَلَهُ حُبُّ ٱلحُطَام، عَلَى أَنْ غَرِقَ فِي بَحْرٍ طَام، يَسْبَحُ فِيهِ ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. وَقَدْ رُوِيَتْ لَهُ أَبْيَاتٌ تَدُلُّ عَلى تَأَلُّهٍ(٥)، وَمَا أَدْفَعُ أَنْ تَكُونَ قِيلَتْ عَلَى لِسَانِهِ، لِأَنَّ مَنْ خَبِرَ هٰذَا ٱلعِلْمَ حَكَمَ عَلَيْهِ بِفُجُورٍ وَمَيْنٍ(٦)، وَأَخْلَاقٍ تَبْعُدُ مِنَ ٱلزَّيْنِ. وَٱلأَبْيَاتُ:

قَتَلْتُ ٱلنَّاسَ إِشْفَاقاً عَلَى نَفْسِي كَيْ تَبْقَى
وَحُزْتُ ٱلمَالَ بِٱلسَّيْفِ لِكَيْ أَنْعَمَ لَا أَشْقَى
فَمَنْ أَبْصَرَ مَثْوَايَ، فَلَا يَظْلِمُ إِذاً خَلْقَا
فَوَا وَيْلِي إِذَا مَا مِتُّ عِنْدَ ٱللَّهِ مَا أَلْقَى
أَخُلْداً فِي جِوَارِ ٱللَّـ ـهِ أَمْ فِي نَارِهِ أُلْقَى؟

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُم أَبْيَاتاً قَافِيَةَ طَوِيْلَةَ ٱلوَزْنِ، وَقَافِيَتُهَا مِثْلُ هٰذِهِ ٱلقَافِيَةِ، قَدْ نُسِبَتْ إِلى عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ(٧). وَقِيلَ: إِنَّهُ أَفَاقَ فِي بَعْضِ ٱلأَيَّامِ، فَكَتَبَهَا على جِدَارِ ٱلمَوْضِعِ

---

(١) ثبير: جبل في مكة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٧٢، ٧٣.
(٢) الصبير: السحاب.
(٣) الطود: الجبل.
(٤) حرفة الزمنى: يقصد بذلك حرفة التعليم.
(٥) تأله: ادّعاء الربوبية.
(٦) المين: الكذب.
(٧) هو: فنّاخسرو، ابن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمي، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية في العراق. هو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة. أنشأ ببغداد البيمارستان العضدي توفي في بغداد سنة ٣٧٢هـ = سنة ٩٨٣م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر: ٢٠٢، بغية الوعاة: ٣٧٤.

ٱلَّذِي كَانَ فِيْهِ، وَقَدْ نُحِيَ بِهَا نحو أَبْيَاتِ ٱلْبَصْرِيِّ. وَأَشْهَدُ أَنَّها مُتَكَلَّفَةٌ، صَنَعَهَا رَقِيعٌ[١] مِنَ ٱلْقَوْمِ، وَأَنَّ عَضُدَ ٱلدَّوْلَةِ مَا سَمِعَ بِهَا قَطُّ.

أَصْحَابُ ٱلحديثِ

وَأَمَّا ٱلحِكَايَةُ عَنْ أَصْحَابِ ٱلحَدِيثِ أَنَّهُمْ صَحَّفُوا رَخْمَةً فَقَالُوا: رَحْمَةٌ، فَلَا أُصَدِّقُ بِمَا يَجْرِي مَجْرَاها، وَٱلكَذِبُ غَالِبٌ ظَاهِرٌ، وَٱلصِّدْقُ خَفِيٌّ مُتَضَائِلٌ، فَإنا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَكَذٰلِكَ ٱدِّعَاءُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ عَلِيًّا، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قَالَ: تَهْلِكُ ٱلبَصْرَةُ بِٱلزَّنْجِ؛ فَصَحَّفَها أَهْلُ ٱلحَدِيثِ: مِمَّنْ يُكْشَفُ لَهُ عِلْمُ ٱلغَيْبِ، وفي ٱلكِتَابِ ٱلعَزِيزِ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وفي ٱلحديثِ ٱلمَأْثُورِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَوَارِيَ يُغَنِّينَ في عُرْسٍ وَيَقُلْنَ:

وَأَهْدِي لَنَا أَكْبُشَا[٢] تُبَحْبِحُ[٣] فِي ٱلمِرْبَدِ[٤]
وَزَوْجُكِ فِي ٱلنَّادِي وَيَعْلَمُ مَا فِي غَدِ

فَقَالَ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا ٱللَّهُ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُخْبِرَ مُخْبِرٌ مُنْذُ مائةِ سَنَةٍ أَنَّ أَميرَ حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، فِي سَنَةِ أربعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعْمَائَةٍ ٱسْمُهُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وصِفَتُهُ كَذَا؛ فَإِنِ ٱدَّعَى ذٰلِكَ مُدَّعٍ فَإِنَّمَا هو مُتَخَرِّصٌ كَاذِبٌ.

وَأَمَّا ٱلنُّجُومُ فَإِنَّما لَهَا تَلْوِيحٌ لَا تَصْرِيحٌ، وَحُكِيَ أَنَّ ٱلفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ[٥] كَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيراً بِقَوْلِ ٱلرَّاجِزِ:

لَئِنْ نَجَوْتُ وَنَجَتْ رَكَائِبِي مِنْ غَالِبٍ وَمِنْ لَفِيفِ غَالِبِ
إِنِّي لَنَجَّاءٌ مِنَ ٱلكَرَائِبِ[٦]

---

(١) الرقيع: الأحمق.
(٢) الأكبُش، مفرده كبش: الخراف.
(٣) تبحبح: تتسع في المقام والحلول.
(٤) المربد، بكسر الميم: الحظيرة.
(٥) هو: الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة (١٩٠هـ) وكان مجوسياً. لقب بذي الرياستين لأن المأمون ولّاه الوزارة وقيادة الجيش. قتله جماعة في سرخس بخراسان سنة ٢٠٢هـ = سنة ٨١٨م. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٤١٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٩.
(٦) الكرائب: الدّواهي.

وَإِنَّ غَالِباً كَانَ فِيمَنْ قَتَلَهُ، فَهٰذَا يَتَّفِقُ مِثْلُهُ. وَأَجْدِرْ بِهٰذِهِ ٱلحِكَايَةِ أَنْ تَكُونَ مَصْنُوعَةً. فَأَمَّا تَمَثُّلُهُ بِٱلشِّعْرِ فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ، وَرُبَّمَا ٱتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ في ٱلوَقْتِ جَمَاعَةٌ يُسَمَّوْنَ بِهٰذَا ٱلاسْمِ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَقْتَرِنَ مَعنى بِلَفْظٍ، على أَنَّ فِي ٱلأَيَامِ عَجَائِبَ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ.

وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ إِيَاسَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ٱلقَاضِي[١] كَانَ يَظُنّ ٱلأَشْيَاءَ فَتَكُونُ كَمَا ظَنَّ، وَلِهٰذِهِ ٱلعِلَّةِ قَالُوا: رَجُلٌ نَقَّابٌ[٢] وَأَلْمَعِيٌّ، قَالَ أَوْسٌ:

ٱلأَلْمَعِيُّ ٱلَّذِي يَظُنُّ بِكَ ٱلظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وَقَالَ: نَقَّابٌ يُحدِّثُ بِٱلغَائِبِ.

ٱلحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ (ٱلحَلَّاجُ)

فَأَمَّا ٱلحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُور[٣] فَلَيْسَ جَهْلُهُ بِٱلمَخْصُورِ. وَإِذَا كَانَتِ ٱلأُمَّةُ رُبَّما عَبَدَتِ ٱلحَجَرَ، فَكيفَ يَأْمَنُ ٱلحَصِيفُ[٤] ٱلبَجَرَ[٥]؟ أَرَادَ أَنْ يُدِيرَ ٱلضَّلَالَةَ عَلَى ٱلقُطْبِ، فَٱنْتَقَلَ عَنْ تَدْبِيرِ ٱلعَطَبِ، وَلَوِ ٱنْصَرَفَ إلى عِلَاجِ ٱلبِرْسِ[٦]، ما بَقِيَ ذِكْرٌ عَنْهُ فِي طِرْسٍ[٧]، وَلٰكِنَّها مَقَادِيرُ، تَغْشَى ٱلنَّاظِرَ بِهَا سَمَادِيرُ[٨] فَكَوْنُ ٱبنِ آدَمَ حَصَاةً أَوْ صَخْرَةً، أَجْمَلُ بِهِ أَنْ يُجْعَلَ سُخْرَةً. وَٱلنَّاسُ إلى ٱلبَاطِلِ سِرَاعٌ، وَلَهُمْ إِلى ٱلفِتَنِ إِشْرَاعٌ.

وَكَم ٱفْتُرِيَ لِلْحَلَّاجِ، وَٱلكَذِبُ كَثِيرُ ٱلخِلَاجِ[٩]، وَجَمِيعُ ما يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِمَّا لَمْ تَجْرِ ٱلعَادَةُ بِمِثْلِهِ، فَإِنَّ ٱلمَيْنَ ٱلحَنْبَرِيتَ[١٠]، لا أُصَدِّقُ بِهِ وَلَوْ كَرِيتٌ[١١]. وَمِمَّا يُفْتَعَلُ

---

(١) هو: إيَاس بن معاوية بن مرّة المزني، أبو واثلة: قاضي البصرة، أحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. توفي بواسط سنة ١٢٢هـ = سنة ٧٤٠م انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٨١، حلية الأولياء ٣/ ١٢٣.

(٢) النقّاب: العالم الذي يُكثر التنقيب.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) الحصيف: ذو الرأي السديد.

(٥) البجر: العيوب.

(٦) البرس: ضرب من القطن.

(٧) الطرس: الكتاب.

(٨) السمادير: التخيُّلات.

(٩) الخلاج: الفساد يخامر قلب الإنسان وعقله.

(١٠) الحنبريت: الصافي.

(١١) الكريت: التام.

عَلَيْهِ، أَنَّهُ قالَ لِلَّذِينَ قَتَلُوهُ: أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ إِيَّايَ تَقْتُلُونَ؟ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ بَغْلَةَ ٱلْمَادَرَانِيِّ، وَإِنَّ ٱلبَغْلَةَ وُجِدَتْ في إِصْطَبْلِهَا مَقْتُولَةً.

وَفِي ٱلصُّوفِيَةِ إِلى ٱلْيَوْمِ مَنْ يَرْفَعُ شَأْنَهُ، وَيَجْعَلُ مَعَ ٱلنَّجْمِ مَكَانَهُ. وَبَلَغَنِي أَنَّ بِبَغْدَادَ قَوْماً يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ، وَأَنَّهُمْ يَقِفُونَ بِحَيْثُ صُلِبَ على دِجْلَةَ يَتَوَقَّعُونَ ظُهُورَهُ. وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِبِدَعٍ مِنْ جَهْلِ ٱلنَّاسِ، وَلَوْ عَبَدَ عَابِدٌ ظَبيَ كِنَاسٍ[١].

فَقَدْ نَزَلَ حَظٌّ عَلَى قِرْدٍ، فَظَفَرَ بِأَكْرَمِ ٱلوِرْدِ. وَقَالَتِ ٱلعَامَّةُ: اسْجُدْ لِلْقِرْدِ فِي زَمَانِهِ. وَأَنا أَتَحَوَّبُ مِنْ ذِكْرِ ٱلقِرْدِ ٱلَّذِي يُقَالُ: إِنَّ القُوَّادَ فِي زَمَنِ زُبَيْدَةَ كَانُوا يَدْخُلُونَ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَزْيَدَ ٱلشَّيْبَانِيَّ[٢] دَخَلَ فِي جُمْلَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَقَبَّلَهُ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ كَانَ لَهُ قِرْدٌ يحملُهُ على أَتَانٍ وَحْشِيَّةٍ وَيُرْسِلُهَا مَعَ ٱلخَيْلِ فِي ٱلحَلْبَةِ.

وَأَمَّا ٱلأَبْيَاتُ ٱلَّتِي عَلَى ٱليَاءِ:

[مخلع البسيط]

يَا سِرَّ سِرٍّ يَدُقُّ حَتَّى ... يَجِلَّ[٣] عَنْ وَصْفِ كُلِّ حَيِّ

وَظَاهِراً بَاطِناً تَبَدَّى[٤] ... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيِّ

يَا جُمْلَةَ ٱلكُلِّ، لَسْتَ غَيْرِي ... فَمَا ٱعْتِذَارِي إِذاً إِلَيِّ؟

فَلا بَأْسَ بِنَظْمِهَا فِي ٱلقُوَّةِ، ولٰكِنَّ قَوْلَهُ: إليَّ، عَاهَةٌ فِي ٱلأَبْيَاتِ: إِنْ قَيَّدَ فَٱلتَّقْيِيدُ لِمِثْلِ هٰذَا ٱلوَزْنِ لا يَجُوزُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلنَّاسِ، وَإِنْ كَسَرَ ٱليَاءَ مِنْ «إِلَيِّ» فَذٰلِكَ رَدِيءٌ قَبِيحٌ.

وَأَصْحَابُ ٱلعَرَبِيَّةِ مُجْمِعُونَ عَلى كَرَاهَةِ قِراءةِ حَمْزَةَ[٥]: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] بِكَسْرِ ٱليَاءِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبا عمرو بْنَ ٱلعَلاءِ سُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُ لَحَسَنٌ، تَارَةً إِلى فَوْقُ، وَتَارَةً إِلى أَسْفَلَ، يَعْنِي فَتْحَ ٱليَاءِ في مُصْرِخِيَّ وكَسْرَها،

---

(١) الكِناس: بيت الظبي.

(٢) هو: يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان. كان والياً بأرمينية وأذربيجان. وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده فقتل ابن طريف. توفي ببردعة (من بلاد أذربيجان) سنة ١٨٥هـ = سنة ٨٠١م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٣، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٤.

(٣) يجلّ: يعظم.

(٤) تبدّى: ظهر وبان.

(٥) مرّت ترجمته.

وَٱلَّذِينَ نَقَلُوا هٰذِهِ ٱلحِكَايَةَ يَحْتَجُّونَ بِهَا لِحَمْزَةَ ويَذْهَبُونَ إِلى أَنَّ أَبَا عَمْرٍو أَجازَ ٱلكَسْرَ لالْتِقَاءِ ٱلسَّاكِنَيْنِ. وَإِنْ صَحَّتِ ٱلحِكَايَةُ عَنْهُ، فَمَا قَالَهَا إِلَّا مُتَهَزِّئاً عَلَى مَعْنَى ٱلعَكْسِ، كَمَا قَالَ ٱلغَنَوِيُّ وَهُوَ سَهْلُ بْنُ حَنْظَلَةَ(١):

[البسيط]

لَا يَمْنَعُ ٱلنَّاسَ مِنِّي مَا أَرَدْتُ، وَلَا ... أُعْطِيهِمُ مَا أَرَادُوا، حُسْنُ ذَا أَدَبَا

أَيْ لَيْسَ ذٰلِكَ بِحَسَنٍ. وَهٰذَا كَمَا يَقُوْلُ ٱلرَّجُلُ لِوَلَدِهِ إِذَا رَآهُ قَدْ فَعَلَ فِعْلًا قَبِيْحاً: مَا أَحْسَنَ هٰذا! وهو يُرِيدُ ضِدَّ ٱلحَسَنِ. ولم يأتِ كسرُ هٰذِهِ ٱليَاءِ فِي شِعْرٍ فَصِيحٍ. وَقَدْ طَعَنَ ٱلفَرَّاءُ عَلَى ٱلبَيْتِ ٱلَّذِي أَنْشَدَهُ:

[الرجز]

قَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ يَا تَافِيِّ؟ ... قَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بِٱلمَرْضِيِّ

وَقَدْ سَمِعْتُ فِي أَشْعَارِ ٱلمُحْدَثِيْنَ: إِلَيِّ وَعَلَيِّ، وَنَحْوَ ذٰلِكَ، وَهُوَ دَلِيْلٌ عَلَى ضَعْفِ ٱلمِنَّةِ(٢) وَرَكَاكَةِ ٱلغَرِيزَةِ.

وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ: ٱلكُلّ، فَإِنَّ إِدْخَالَهُ ٱلأَلِفَ وَٱللَّامَ مَكْرُوهٌ. وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ يُجِيْزُهُ وَيَدَّعِي إِجَازَتَهُ عَلَى سِيبَوَيْهِ، فَأَمَّا ٱلكَلَامُ ٱلقَدِيمُ فَيُفْتَقَدُ فِيهِ ٱلكُلُّ وَٱلبَعْضُ، وَقَدْ أَنْشَدُوا بَيْتاً لِسُحَيْمٍ(٣):

[الطويل]

رَأَيْتُ ٱلغَنِيَّ وَٱلفَقِيرَ كِلَيْهِمَا ... إِلَى ٱلمَوْتِ يَأْتِي ٱلمَوْتُ لِلْكُلِّ مُعَمَّدَا

وَيُنْشِدُ لِفَتًى كَانَ فِي زَمَنِ ٱلحَلَّاجِ:

[الخفيف]

إِنْ يَكُنْ مَذْهَبُ ٱلحُلُولِ صَحِيحاً ... فَإِلٰهِي فِي حُرْمَةِ ٱلزَّجَّاجِ

عَرَضَتْ فِي غِلالَةٍ بِطِرازٍ ... بَيْنَ دَارِ ٱلعَطَّارِ وَٱلثَّلَّاجِ

زَعَمُوا لِي أَمْراً وَمَا صَحَّ لٰكِنْ ... هُوَ مِنْ إِفْكِ(٤) شَيْخِنَا ٱلحَلَّاجِ

وَهٰذِهِ ٱلمَذَاهِبُ قَدِيمَةٌ، تَنْتَقِلُ فِي عَصْرٍ بَعْدَ عَصْرٍ، وَيُقَالُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ ٱلحُلُولِيَّةِ، فَلِذٰلِكَ ٱدَّعَى أَنَّهُ رَبُّ ٱلعِزَّةِ.

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) المِنَّة: المتانة.

(٣) مرّت ترجمته.

(٤) إفك: كذب.

وَحُكِيَ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ فِي تَسْبِيحِهِ: سُبْحَانَكَ سُبْحَانِي، غُفْرَانَكَ غُفْرَانِي. وهٰذَا هُوَ ٱلْجُنُونُ ٱلغَالِبُ. إِنَّ مَنْ يَقُوْلُ هٰذَا ٱلقَوْلَ مَعْدُودٌ فِي ٱلأَنْعَامِ، مَا عَرَفَ كُنْهَ ٱلإِنْعَامِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

[المتدارك]

أَنَا أَنْتَ بِلَا شَكٍّ فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانِي
وَإِسْخَاطُكَ إِسْخَاطِي وَغُفْرَانُكَ غُفْرَانِي
وَلِمَ أُجْلَدُ يَا رَبِّي، إِذَا قِيلَ هُوَ ٱلزَّانِي

وَبَنُو آدَمَ بِلَا عُقُوْلٍ، وهٰذَا أَمرٌ يَلْقَنُهُ صَغِيرٌ عَنْ كَبِيرٍ، فَيَكُوْنُ بِٱلهَلَكَةِ أَوْ فِي صَبِيْرٍ[١]: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وَيُرْوَى لِبَعْضِ أَهْلِ هٰذِهِ ٱلنِّحْلَةِ:

[المنسرح]

رَأَيْتُ رَبِّي يَمْشِي بِلَا لَكَّةٍ[٢] فِي سُوْقِ يَحْيَى[٣] فَكِدْتُ أَنْفَطِرُ[٤]
فَقُلْتُ: هَلْ فِي ٱتِّصَالِنَا طَمَعٌ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ[٥]! يَمْنَعُ ٱلحَذَرُ
وَلَوْ قَضَى ٱللَّهُ أُلْفَةً بِهَوًى لَمْ يَكُ إِلَّا ٱلسُّجُودُ وَٱلنَّظَرُ

مَذْهَبُ ٱلتَّنَاسُخِ

وَتُؤَدِّي هٰذِهِ ٱلنِّحْلَةُ إِلى ٱلتَّنَاسُخِ، وَهُوَ مَذْهَبٌ عَتِيْقٌ يَقُوْلُ بِهِ أَهْلُ ٱلهِنْدِ، وَقَدْ كَثُرَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلشِّيْعَةِ، نَسْأَلُ ٱللَّهَ ٱلتَّوْفِيقَ وَٱلكِفَايَةَ.

وَيُنْشَدُ لِرَجُلٍ مِنَ ٱلنُّصَيْرِيَّةِ[٦]:

[الخفيف]

إِعْجَبِي أُمَّنَا لِصَرْفِ ٱللَّيَالِي[٧] جُعِلَتْ أُخْتُنَا سَكِيْنَةُ فَارَهْ

---

(١) الصبير: مقدّم القوم في أمورهم.
(٢) اللكة: الشدّة.
(٣) سوق يحيى: من أحياء بغداد.
(٤) انفطر: انشق.
(٥) هيهات: اسم فعل ماض، بمعنى بعد.
(٦) النصيرية: فرقة قالت بألوهيّة سيدنا علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه.
(٧) صرف الليالي: مصائبها.

فَأَزْجُرِي[١] هٰذِهِ ٱلسَّنَانِيرَ[٢] عَنْهَا وَٱتْرُكِيهَا وَمَا تَضُمُّ ٱلْغَرَارَهْ[٣]

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ:

[المنسرح]

تَبَارَكَ ٱللَّهُ كَاشِفُ ٱلْمِحَنِ[٤] فَقَدْ أَرَانَا عَجَائِبَ ٱلزَّمَنِ

حِمَارُ شَيْبَانَ شَيْخُ بَلْدَتِنَا صُيِّرَهُ جَارُنَا أَبُو ٱلسَّكَنِ

بَدَّلَ مِنْ مَشْيِهِ بِحُلَّتِهِ مِشْيَتَهُ فِي ٱلْحِزَامِ وَٱلرَّسَنِ

وَيُصَوِّرُ لَهُمُ ٱلرَّأْيَ ٱلفَاسِدَ أَبَاجِيرَ[٥] وَمُشْبَهَاتٍ، فَيَسْلُكُونَ فِي تَغَلُّسٍ[٦] وفي ٱلتُّرُهَاتِ.

وَحُكِيَ لِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ، وَكَانَ شَابًّا حَسَناً، أَنَّهُ جُدِّرَ فَنَظَرَ إِلى وَجْهِهِ فِي ٱلْمِرْآةِ وَقَدْ تَغَيَّرَ، فَأَحْرقَ نَفْسَهُ وَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَنِي إِلى صُورَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هٰذِهِ».

وَحَدَّثَنِي قَوْمٌ مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ، ما هُمْ فِي ٱلْحِكَايَةِ بِكَاذِبِينَ، وَلَا فِي أَسْبَابِ ٱلنَّحْلِ[٧] جَاذِبِينَ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي بِلَادِ مَحْمُودٍ[٨] وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْهِنْدِ قَدْ وَثِقَ بِصَفَائِهِمْ، يُفِيضُ عَلَيْهِمُ ٱلأَعْطِيَةَ لِوَفَائِهِمْ، وَيَكُونُونَ أَقْرَبَ ٱلْجُنْدِ إِلَيْهِ إِذَا حَلَّ وَإِذَا ٱرْتَحَلَ، وإِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ سَافَرَ فِي جَيْشٍ جَهَّزَهُ مَحْمُودٌ، فَجَاءَ خَبَرُهُ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ بِمَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ، فَجَمَعَتِ ٱمْرَأَتُهُ لَهَا حَطَباً كَثِيراً وَأَوْقَدَتْ نَاراً عَظِيمَةً وَٱقْتَحَمَتْهَا وَٱلنَّاسُ يَنْظُرونَ، وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْخَبَرُ بَاطِلًا، فَلَمَّا قَدِمَ ٱلزَّوْجُ أَوْقَدَ لَهُ نَاراً جَاحِمَةً[٩] لِيُحْرِقَ نَفْسَهُ حَتَّى يَلْحَقَ بِصَاحِبَتِهِ؛ فَٱجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ مِنَ ٱلْهِنْدِ كَانُوا يَجِيئُونَ إِلَيْهِ فَيُوصُونَهُ بِأَشْيَاءَ إِلى أَمْوَاتِهِمْ: هٰذَا إِلى أَبِيهِ وهٰذَا إِلى أَخِيْهِ. وَجَاءَهُ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ بِوَرْدَةٍ وَقَالَ: أَعْطِ هٰذِهِ فُلَاناً، يَعْنِي مَيْتاً لَهُ. وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ ٱلنَّارِ.

---

(١) فازجري: فاردعي.

(٢) السنانير: القطط.

(٣) الغرارة: الجوالق.

(٤) المحن: المصائب.

(٥) الأباجير: الدواهي.

(٦) التغلس: الفجور.

(٧) النّحل: هو أن ينسب عمل لغير فاعله.

(٨) محمود: اسم الفيل الوارد ذكره في القرآن الكريم.

(٩) الجاحمة: الملتهبة.

وَحدَّثَ مَنْ شَاهَدَ إِحْرَاقَهُمْ نُفُوسَهُم أَنَّهُمْ إِذا لَذَعَتْهُمُ ٱلنَّارُ أَرَادُوا ٱلخُرُوجَ فَيْدَفَعُهُمْ مَنْ حَضَرَ إِلَيْهَا بِٱلعِصِيِّ وَٱلخَشَبِ. فَلَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩]. .

وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَظَاهَرُ بِٱلْمَذْهَبِ وَلَا يَعْتَقِدُهُ، يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى ٱلدُّنْيَا ٱلفَانِيَةِ، وَهِيَ أَغْدَرُ مِنَ ٱلوَرْهاءِ[١] ٱلزَّانِيَةِ.

وَكَانَ لَهُمْ فِي ٱلمَغْرِبِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِٱبْنِ هَانِئٍ[٢] وَكَانَ مِنْ شُعَرَائِهِمُ ٱلمُجِيْدِينَ، فَكَانَ يَغْلُو فِي مَدْحِ ٱلمُعِزِّ أَبِي تَمِيمِ مَعَدٍّ، غُلُوًّا عَظِيماً حَتَّى قَالَ يُخَاطِبُ صَاحِبَ ٱلمِظَلَّةِ:

[الكامل]

أَمُدِيْرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَشَدَّ مَا ... زَاحَمْتَ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا

وَقَالَ فِيْهِ وَقَدْ نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ رَقَّادَةَ:

حَلَّ بِرَقَّادَةَ[٣] ٱلمَسِيْحُ ... حَلَّ بِهَا آدَمٌ وَنُوحُ

حَلَّ بِهَا ٱللَّهُ ذُو ٱلمَعَالِي، ... وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحُ

وَحَضَرَ شَاعِرٌ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلقَاضِي بَيْنَ يَدَي ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ ٱلأَنْدَلُسِ فَأَنْشَدَهُ قَصِيْدَةً أَوَّلُها:

مَا شِئْتَ، لَا مَا شَاءَتِ ٱلأَقْدَارُ ... فَٱحْكُمْ، فَأَنْتَ ٱلوَاحِدُ ٱلقَهَّارُ

وَيَقُوْلُ فِيْها أَشْيَاءَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ٱبْنُ عَامِرٍ[٤]، وَأَمَرَ بِجَلْدِهِ وَنَفْيِهِ.

---

(١) الورهاء: الخرقاء.

(٢) هو: محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة: أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق. وكانا متعاصرين. ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦هـ = سنة ٩٣٨م. وفي شعره نزعة إسماعيلية بارزة. رحل إلى إفريقية. قتل في برقة غيلة سنة ٣٦٢هـ = ٩٧٣م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٤، شذرات الذهب ٣/ ٤١.

(٣) رقادة: بلدة كانت بأفريقيا بينها وبين القيروان أربعة أيام. انظر: معجم البلدان ٣/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر: أمير الأندلس، في دولة المؤيد الأموي. وأحد الشجعان الدّهاة. عهد إليه بوكالة السيدة «صبح» أم هشام المؤيّد فعظمت مكانته، مات في إحدى الغزوات بمدينة سالم سنة ٣٩٢هـ = سنة ١٠٠٢م انظر ترجمته: بغية الملتمس ١٠٥، تاريخ قضاة الأندلس: ٨٠.

وَأَدَلُّ رُتَبِ ٱلحَلَّاجِ أَنْ يَكُونَ شَعْوَذِيًا[١] لا ثَاقِبَ ٱلفَهْمِ وَلا أَحْوَذِيًا[٢]، عَلَى أَنَّ ٱلصُّوفِيَّةَ تُعَظِّمُهُ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، مَا هِيَ لِأَمْرِهِ شَائِفَةٌ[٣].

وَأَمَّا ٱبْنُ أَبِي عَوْنٍ فَإِنَّهُ أَخَذَ فِي لَوْنٍ بَعْدَ لَوْنٍ، غَرَّ ٱلبَائِسَ بِأَبِي جَعْفَرَةَ، فَمَا جَعَلَ رَسْلَهُ[٤] فِي أَوْفَرِهِ؛ وَقَدْ تَجِدُ ٱلرَّجُلَ حَاذِقاً فِي ٱلصِّنَاعَةِ، بَلِيْغاً فِي ٱلنَّظَرِ وَٱلحُجَّةِ؛ فَإِذَا رَجَعَ إِلَى ٱلدِّيَانَةِ أُلْفِيَ كَأَنَّهُ عَيْرٌ[٥] مُقْتَادٌ، وَإِنَّما يَتْبَعُ مَا يُعْتَادُ.

وَٱلتَّأَلُّهُ مَوْجُودٌ فِي ٱلغَرَائِزِ، يُحْسَبُ مِنَ ٱلإِلْجَاءِ ٱلحَرَائِزِ، وَيُلَقَّنُ ٱلطِّفْلُ ٱلنَّاشِئُ ما سَمِعَهُ مِنَ ٱلأَكَابِرِ، فَيَلْبَثُ مَعَهُ فِي ٱلدَّهْرِ ٱلغَابِرِ. وَٱلَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي ٱلصَّوَامِعِ، وَٱلمُتَعَبِّدُونَ فِي ٱلجَوَامِعِ، يَأْخُذُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ كَنَقْلِ ٱلخَبَرِ عَنِ ٱلمُخْبِرِ، لا يُمَيِّزُوْنَ ٱلصِّدْقَ مِنَ ٱلكَذِبِ لَدَى ٱلمُعَبِّرِ، فَلَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَلْفَى ٱلأُسْرَةَ مِنَ ٱلمَجُوسِ لَخرَجَ مَجُوسِيًّا، أَوْ مِنَ ٱلصَابِئَةِ[٦] لَأَصْبَحَ لَهُمْ قَرِيناً سِيًّا[٧]. وَإِذَا ٱلمُجْتَهِدُ نَكَبَ عَنِ ٱلتَّقَالِيدِ، فَمَا يَظْفَرُ بِغَيْرِ ٱلتَّبْلِيدِ. وَإِذَا ٱلمَعْقُولُ جُعِلَ هَادِياً، نَقَعَ بِرِيِّهِ صَادِياً[٨]، وَلٰكِنْ أَيْنَ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى أَحْكَامِ ٱلعَقْلِ، وَيَصْقُلُ فَهْمَهُ أَبْلَغَ صَقْلٍ؟ هَيْهَاتَ! عَدِمَ ذٰلِكَ فِي مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ، وَمَنْ ضَمِنَهُ فِي ٱلرَّمَمِ[٩] رَمْسٌ[١٠]، إلا أَنْ يَشِذَّ رَجُلٌ فِي ٱلأُمَمِ، يُخَصُّ مِنْ فَضْلٍ بِعَمَمٍ[١١].

رُبَّما لَقِيْنَا مَنْ نَظَرَ فِي كُتُبِ ٱلحُكَمَاءِ، وَتَبِعَ بَعْضَ آثَارِ ٱلقُدَمَاءِ، فَأَلْفَيْنَاهُ يَسْتَحْسِنُ قَبِيحَ ٱلأُمُورِ، وَيَبْتَكِرُ بِلُبٍّ مَغْمُورٍ، إنْ قَدِرَ عَلَى فَظِيْعٍ رَكِبَهِ، وَإِنْ عَرَفَ وَاجِباً نَكَبَهُ، كَأَنَّ ٱلعَالَمَ سَعَوْا لَهُ فِي إِفْقَادٍ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ شَرَّ ٱعْتِقَادٍ؛ وَإِنْ أُودِعَ وَدِيْعَةً خَانَ، وَإِنْ سُئِلَ عَنْ شَهَادَةٍ مَانَ[١٢]، وَإِنْ وَصَفَ لِعَلِيلٍ صِفَةً فَمَا يَحْفَلُ أَقْتَلَهُ بِمَا

(١) شعوذياً: سريعاً خفيف اليد كالساحر يُري شيئاً بغير ما عليه حقيقة.
(٢) أحوذياً: حاذقاً.
(٣) الشائفة: المبغضة.
(٤) رسْله، بسكون السين: سهولة سيره.
(٥) العير، بفتح العين وكسرها: حمار الوحش.
(٦) الصابئة: فرقة وجدت في حرّان قامت على عبادة الكواكب والنجوم.
(٧) السي: المشابه.
(٨) الصادي: الظمآن.
(٩) الرمم: ما يلي من العظام.
(١٠) الرمس: القبر.
(١١) العمم: تمام الخير.
(١٢) مان: كذب.

قَالَ، أَمْ ضَاعَفَ عَلَيْهِ ٱلأَثْقَالَ؛ بَلْ غَرَضُهُ فِيمَا يَكْتَسِبُ، وَهُوَ إِلى ٱلحِكْمَةِ مُنْتَسِبٌ.

وَرُبَّ زَارٍ بِٱلجَهَالَةِ عَلَى أَهْلِ مِلَّةٍ، وَعِلَّتُهُ ٱلبَاطِنَةُ أَدْهَى عِلَّةٍ، وَإِنَّ ٱلبَشَرَ لَكَمَا جَاءَ فِي ٱلكِتَابِ ٱلعَزِيزِ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وَٱلإِمَامِيَّةُ تَقَرَّبُوا بِٱلتَّغْفِيرِ[١]، فَعَدَّهُ بَعْضُ ٱلمُتَدَيِّنَةِ ذَنْباً لَيْسَ بِغَفِيرٍ، وَيَحْضُرُ ٱلمَجَالِسَ أُنَاسٌ طَاغُونَ، كَأَنَّهُمْ لِلرُّشْدِ بَاغُونَ، وَأُولٰئِكَ، عَلِمَ ٱللَّهُ، أَصْحَابُ ٱلبِدَعِ وَٱلمَكْرِ، وَمَنْ لَكَ بِزُنْجٍ فِي دَكَرٍ[٢].

كَمْ مُتَظَاهِرٍ بِٱعْتِزَالٍ، وَهُوَ مَعَ ٱلمُخَالِفِ فِي نِزَالٍ! يَزْعُمُ أَنَّ رَبَّهُ عَلَى ٱلذَّرَّةِ يُخْلِدُ فِي ٱلنَّارِ، بَلْهَ ٱلدِّرْهَمَ وَبَلْهَ ٱلدِّينَارَ، وَمَا يَنْفَكُّ يَحْتَقِبُ مِنَ ٱلمَآثِمِ عَظَائِمَ، وَيَقَعُ بِهَا فِي أَطَائِمَ[٣]. يَنْهَمِكُ عَلَى ٱلعِهَارِ وَٱلفِسْقِ، وَيَظْعَنُ مِنَ ٱلأَوْزَارِ ٱلمُوبِقَةِ بِأَوْفَى وَسْقٍ، يَقْنَتُ عَلَى رَهْطِ ٱلإِجْبَارِ. يُطِيلُ ٱلدَّأْبَ فِي ٱلنَّهَارِ وَٱللَّيْلِ، وَيُضْمِرُ أَنَّ شَيْخَ ٱلمُعْتَزِلَةِ غَيْرُ طَاهِرِ ٱلرَّدَنِ[٤] وَلَا ٱلذَّيْلِ، فَقَدْ صَيَّرَ ٱلجَدَلَ مَصْيَدَةً، يَنظِمُ بِهِ ٱلغَيَّ قَصِيدَةً.

وَحُدِّثْتُ عَنْ إِمَامٍ لَهُمْ يُوَقَّرُ وَيُتَّبَعُ، كَأَنَّهُ مِنَ ٱلجَهْلِ رُبَعٌ[٥]، أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي ٱلشَّرْبِ[٦]، وَدَارَتْ عَلَيْهِمُ ٱلمُسْكِرَةُ ذَاتُ ٱلغَرْبِ[٧]، وَجَاءَهُ ٱلقَدَحُ شَرِبَهُ فَٱسْتَوْفَاهُ، وَأَشْهَدَ مَنْ حَضَرَهُ عَلَى ٱلتَّوْبَةِ لِمَا ٱقْتَفَاهُ.

وَٱلأَشْعَرِيُّ[٨] إِذَا كَشَفَ ظَهْرَ نُمَيٍّ[٩]، تَلْعَنُهُ ٱلأَرْضُ ٱلرَّاكِدَةُ وَٱلسُّمِيُّ[١٠]، إِنَّمَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَاعٍ حُطَمَةٍ، يَخْبِطُ فِي ٱلدَّهْمَاءِ ٱلمُظْلِمَةِ، لا يَحْفَلُ عَلَامَ هَجَمَ بِٱلغَنَمِ، وَإِنْ يَقَعْ بِهَا فِي ٱليَنَمِ[١١]، وَمَا أَجْدَرَهُ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا سَرَاحِينُ، تَضْمَنُ لِجَمِيعِهَا أَنْ يَحِينَ!

---

(١) التعفير: القوّة.
(٢) الدكر: ضرب من لعب الزنوج والأحباش.
(٣) الأطائم: مواقد النار.
(٤) الردن: طرف الكم الواسع.
(٥) الرُّبع: الذي يوسّع خطوه إذا عدا.
(٦) الشَّرب، بفتح الشين: جماعة الشَّاربين.
(٧) الغَرب، بفتح الغين: الخمرة.
(٨) هو: أبو الحسن الأشعري. رأس الأشاعرة.
(٩) النميّ: المعيب.
(١٠) السميّ: السماء.
(١١) الينم: ضرب من النبات تأكله الإبل.

فَمَنْ لَهُ أَيْسَرُ حِجًى، كَأَنَّمَا وُضِعَ فِي دُجًى، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ ٱللَّهُ بِٱتِّبَاعِ ٱلسَّلَفِ، وَتَحَمَّلَ مَا يُشْرَعُ مِنَ ٱلكَلَفِ:

[الطويل]

وَإِنَّـــا، وَلَا كُـــفْـــرَانَ لِلَّهِ رَبِّـــنَـــا، لَكَالبُدْنِ[1]، لَا تَدْرِي مَتَى حَتْفُهَا ٱلبُدْنُ

إِنْ شَعُرَ قَلَّدَ ٱلمِسْكِينُ سِوَاهُ، فَإِنَّمَا وَثِقَ بِمَنْ أَغْوَاهُ، وَإِنْ بَحَثَ عَنِ ٱلسِّرِّ وَتَبَصَّرَ، أَقْصَرَ عَنِ ٱلخَبَرِ وَقَصَّرَ.

وَٱلشِّيْعَةُ يَزْعَمُونَ أَنَّ عَبْدَ ٱللَّهِ بْنَ مَيْمُونٍ ٱلقَدَّاحَ[2]، وَهُوَ مِنْ بَاهِلَةَ، كَانَ مِنْ عِلْيَةِ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَرَوَى عَنْهُ شَيْئاً كَثِيراً، ثُمَّ ٱرْتَدَّ بَعْدَ ذٰلِكَ، فَحَدَّثَنِي بَعْضُ شُيُوخِهِمْ أَنَّهُمْ يَرْوُونَ عَنْهُ وَيَقُولُونَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ ٱلقَدَّاحُ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ، أَيْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ، وَيَرْوُونَ لَهُ:

هَـاتِ ٱسْـقِـنِـي ٱلـخَـمْـرَةَ يَـا سَـنْـبَـرُ[3] فَـلَـيْـسَ عِـنْـدِي أَنَّـنِـي أُنْـشَـرُ

أَمَـا تَـرَى ٱلـشِّـيْـعَـةَ فِـي فِـتْـنَـةٍ يَـغُـرُّهَـا مِـنْ دِيْـنِـهَـا جَـعْـفَـرُ؟

قَـدْ كُـنْـتُ مَـغْـرُوراً بِـهِ بُـرْهَـةً ثُـمَّ بَـدَا لِي خَـبَـرٌ يُـسْـتَـرُ

وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ:

[المتقارب]

مَـشَـيْـتُ إِلَى جَـعْـفَـرٍ حِـقْـبَـةً فَـأَلْفَـيْـتُـهُ خَـادِعـاً يَـخْـلُـبُ

يَـجُـرُّ ٱلـعَـلَاءَ إِلَى نَـفْـسِـهِ وَكُـلٌّ إِلَى حَـبْـلِـهِ يُـجْـذَبُ

فَـلَـوْ كَـانَ أَمْـرُكُـمْ صَـادِقـاً لَمَـا ظَـلَّ مَـقْـتُـولُكُـمْ يُـسْـحَـبُ

وَلَا غَـضَّ مِـنْـكُـمْ عَـتِـيْـقٌ وَلَا سَـمَـا عُـمَـرٌ فَـوْقَـكُـمْ يَـخْـطُـبُ

تَشَابُهُ ٱلحُلُولِيَّةِ وَٱلتَّنَاسُخ

وَٱلحُلُولِيَّةُ قَرِيْبَةٌ مِنْ مَذْهَبِ ٱلتَّنَاسُخِ، وَحُدِّثْتُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ رُؤَسَاءِ ٱلمُنَجِّمِينَ مِنْ

---

(١) البدن، بضم الباء جمع بدنة: الإبل والأبقار المسمنة.

(٢) هو: عبد الله بن ميمون بن داود المخزومي بالولاء، المعروف بابن القدّاح: فقيه إمامي، من رجال الحديث من أهل مكة، واهي الحديث عند علماء السنة وهو من الثقات عند الشيعة، مات سنة ١٨٠هـ = سنة ٧٩٦م، من كتبه: «إفادة البصير»، «مبعث النبي ﷺ ومبعثه» انظر ترجمته في: منهج المقال: ٢١٢، اللباب ٢/ ٢٤٥.

(٣) سنبر: ساقي الخمرة.

أَهْلِ حَرَّان[١] أَقَامَ في بَلَدِنا زَمَاناً، فَخَرَجَ مَرَّةً مَعَ قَوْمٍ يَتَنَزَّهُونَ، فَمَرُّوْا بِثَوْرٍ يَكْرُبُ[٢]، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا أَشُكُّ فِي أَنَّ هٰذَا ٱلثَّوْرَ رَجُلٌ كَانَ يُعْرَفُ بِخَلَفٍ بِحَرَّانَ، وَجَعَلَ يَصِيحُ بِهِ: يَا خَلَفُ، فَيَتَّفِقُ أَنْ يَخُور ذٰلِكَ ٱلثَّوْرُ، فَيَقُوْلُ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلى صِحَّةِ مَا خَبَّرْتُكُمْ بِهِ؟

وَحُكِيَ لِي عَنْ رَجُلٍ آخرَ مِمَّنْ يَقُوْلُ بِٱلتَّنَاسُخِ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَبِي وَهْوَ يَقُوْلُ لي: يا بُنَيَّ، إِنَّ رُوْحِي قَدْ نُقِلَتْ إِلى جَمَلٍ أَعْوَرَ فِي قِطَارِ فُلَانٍ، وَإِنِّي قَدِ ٱشْتَهَيْتُ بَطِّيْخَةً. قَالَ: فَأَخَذْتُ بَطِّيخةً وَسَأَلْتُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلقِطَارِ فَوَجَدْتُ فِيْهِ جَمَلًا أَعْوَرَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ بِٱلبَطِّيْخَةِ، فَأَخَذَها أَخْذَ مُرِيدٍ مُشْتَهٍ!

أَفَلا يَرَى مَوْلَايَ ٱلشَّيْخُ إِلى ما رَمَى بِهِ هٰذَا ٱلبَشَرَ مِنْ سُوءِ ٱلتَّمْيِيزِ، وَتَحيُّزِهُمْ إِلى ما يَمْتَنِعُ مِنَ ٱلتَّحْيِيزِ؟

وَأَمَّا ٱبْنُ ٱلرَّاوَنْدِيِّ[٣] فَلَمْ يَكُنْ إِلى ٱلمَصْلَحَةِ بِمَهْدِيٍّ، وأَمَّا تَاجُهُ فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَعْلًا، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ عَذابٍ وَغْلًا، أَيْ مَلْجأً، قَال ذُوْ ٱلرُّمَّةِ[٤]:

[البسيط]

حَتَّى إِذَا لَمْ يَجِدْ وَغْلًا وَنَجْنَجَهَا مَخَافَةَ ٱلرَّمْيِ حَتَّى كُلُّها هِيْمُ[٥]

وَيَجُوزُ أَنْ يَنْظُمَ تَاجَهُ عَقَارِبَ، فَمَا كَانَ ٱلمُحْسِنَ وَلَا ٱلمُقَارِبَ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا تَوَّجَ شَبَواتٍ[٦]، أَلَيْسَ يَمِينُهُ عَنْ تِلْكَ ٱلصَّبَوَاتِ[٧]؟ وَهَلْ تَاجُهُ إِلَّا كَمَا قَالَتِ ٱلكَاهِنَةُ: أُفٌّ وَتُفٌّ، وَجَوْرَبٌ وَخُفٌّ!؟ قِيلَ: وَمَا جَوْرَبٌ وَخُفٌّ؟ قَالَتْ: وَادِيانِ بِجَهَنَّمَ.

---

(١) حرّان: موطن الصابئة. مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٣٥.

(٢) يكرب: يقلب الأرض ويفلحها.

(٣) هو: أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى «راوند» من قرى أصبهان. مات سنة ٢٩٨هـ = ٩١٠م. من كتبه «التاج»، «الزمرد». انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٧، لسان الميزان ١/ ٣٢٣.

(٤) هو: غيلان بن عقبة، مرّت ترجمته.

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٣٧٥ مادة «نجج».
«ونَجْنَجَ أَمْرَه إذا ردَّدَ أمرَه ولم يُنفِذه، وقال ذو الرمة:
حتّى إذا لم يَجِدْ وَغْلاً، وَنَجْنَجَها مَخَافَةَ ٱلرَّمْيِ، حتّى كُلُّها هِيمُ
والنجنجة: التحريك والتقليب . . .».

(٦) الشبوات، مفرده شباة: وهي العقرب حين تبيضها أمها.

(٧) الصبوات: الميل إلى الجهل والفتوّة.

ما تَاجُهُ بتَاجِ مَلِكٍ، ولٰكِنْ دُعِيَ بِٱلْمُهْلِكِ، وَلَا ٱتُّخِذَ مِنَ ٱلذَّهَبِ، وسَوْفَ يُصَوَّرُ مِنَ ٱللَّهَبِ، وَلَا نُظِمَ مِنْ دُرٍّ، بَلْ وَقَعَ مِنْ عَنَاءٍ بِقُرٍّ، يُقَالُ: صَابَتْ بِقُرّ، إِذَا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعِها؛ وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ ذٰلِكَ فِي ٱلشَّرِّ. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

تُـرَجِّـيْـهَـا وَقَـدْ صَـابَـتْ بِـقُـرٍّ كَـمَـا تَـرْجُـو أَصَـاغِـرَهَـا عَـتِـيْـبُ[١]

مَا تُوِّجَ مِنَ ٱلفِضَّةِ، وَلَا يَقْنَعُ لَهُ بِٱلقِضَّةِ[٢]؛ مَا هُوَ كَتَاجِ كِسْرَى، لٰكِنْ طَرَقَ بِسُوءِ ٱلمَسْرَى؛ وَلَا تاجِ ٱلمَلِكِ أَنُوشِرْوَانَ، وَلٰكِنْ أَثْقَلُ وَجَرُّ ٱلهَوَانِ؛ ذٰلِكَ تَاجُ فَرَسٍ عَنَقاً[٣]، فَظَنَّ عَلَى مَنْ تُوِّجَ بِهِ مُخْنِقاً. لَيْسَ هُوَ كَتَاجِ ٱلمُنْذِرِ[٤] ولٰكِنْ مَنْدِيَةُ غَوِيٍّ حَذِرٍ؛ وَلَا هو كَخَرَزَاتِ ٱلنُّعْمَانِ، بَلْ شَيْنٌ يُدَّخَرُ في ٱلأَزْمَانِ. وَمَا يَفْقَرُ مِثْلُهُ إِلى أَنْ يَنْقُضَ، مِنْهُ وَبِهِ تَقَوَّضَ.

وَأَمَّا ٱلدَّامِغُ[٥] فَمَا إِخَالُهُ دَمَغَ إِلَّا مَنْ أَلَّفَهُ، وَبِسُوءِ ٱلخِلَافَةِ خَلَفَهُ. وَفِي ٱلعَرَبِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بَدَمِيغِ ٱلشَّيْطَانِ، وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ كَدَاوِي ٱلحِيْطَانِ. وَإِنَّما ٱلمُنْكَرُ، أَنَّهُ فِي ٱلآوِنَةِ يُذْكَرُ. دَلَّ مِمَّنْ وَضَعَهُ عَلَى ضَعْفِ دِمَاغٍ، فَهَلْ يُؤْذَنُ لِصَوْتِ ماغٍ[٦]؟ مِنْ قَوْلِهِمْ مَغَتِ ٱلهِرَّةُ إِذَا صَاحَتْ:

[الطويل]

رَمَـانِـي بِـأَمْـرٍ كُـنْـتُ مِـنْـهُ وَوَالِدِي بَـرِيْـئـاً وَمِـنْ جُـوْلِ ٱلـطَّـوِيِّ رَمَـانِـي[٧]

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٥٧٩ مادة «عتب».
«وعتيبٌ: قبيلة. وفي أمثال العرب: أوْدى كما أودى عَتِيبٌ؛ عَتِيبٌ: أبو حيٍّ من اليمن، وهو عتيب بن أسلم بن مالك بن شنوءة بن تَديل، وهم حيٌّ كانوا في دِينِ مالك، أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال وأَسَرَهم واستعبدهم، فكانوا يقولون: إذا كبِرَ صِبيانُنا. لم يتركونا حتى يفتكُّونا، فما ذالوا كذلك حتى هلكوا، فضربت بهم العربُ مثلًا لمن ماتَ وهو مغلوب، وقالت: أودى عَتيبٌ، ومنه قول عديّ بن زيد:
تُـرَجِّـيـهـا، وقـد وَقَـعَـتْ بِـقُـرٍّ، كـمـا تـرجـو أصـاغِـرَهـا عـتـيـبُ»
(٢) القضة: العيب.
(٣) العنق: السير السريع.
(٤) هو: المنذر بن النعمان، ملك من ملوك الحيرة في العراق.
(٥) الدامغ: كتاب للراوندي عرَض فيه بالقرآن الكريم.
(٦) الماغي: المصوّت.
(٧) ورد البيت في: لسان العرب ١١/ ١٣٢ مادة «جول».
«والجُول، بالضمّ، جدار البئر؛ قال أبو عبيد: وهو كل ناحية من نواحي البئر إلى أعلاها من أسفلها؛ وأنشد:
رَمَـانـي بِـأَمْـرٍ كُـنْـتُ مـنـه وَوَالِـدي بَـرِيًّـا، ومِـن جُـول ٱلـطَّـوِيِّ رَمَـانـي =

رَجَعَ عَلَيْهِ حَجَرُهُ، وَطَالَ فِي ٱلآخِرَةِ بُجْرُهُ[١]. بِئْسَ مَا نُسِبَ إِلى رَاوَنْدِ فَهَلْ قَدَحَ فِي دَبَاوَنْدِ؟ إِنَّما هَتَكَ قَمِيصَهُ، وَأَبَانَ لِلنَّاظِرِ خَمِيْصَهُ.

[وصف القرآن الكريم]

وَأَجْمَعَ مُلْحِدٌ وَمُهْتَدٍ، وَنَاكِبٌ عَنِ ٱلمُحجَّةِ وَمُقْتَدٍ، أَنَّ هَذا ٱلكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، ﷺ، كِتَابٌ بَهَرَ بِٱلإِعْجَازِ، وَلَقِيَ عَدُوَّهُ بِٱلأَرْجَازِ[٢]. مَا حُذِيَ عَلَى مِثَالٍ، وَلَا أَشْبَهَ غَرِيْبَ ٱلأَمْثَالِ. مَا هُوَ مِنَ ٱلقَصِيدِ ٱلمَوْزُونِ، وَلَا ٱلرَّجَزِ مِنْ سَهْلٍ وَحُزُونٍ[٣]. وَلَا شَاكَلَ خِطَابَةَ ٱلعَرَبِ، وَلَا سَجْعَ ٱلكَهَنَةِ ذَوِي ٱلأَرَبِ. وَجَاءَ كَٱلشَّمْسِ ٱللَّائِحَةِ، نُوراً لِلْمَسَرَّةِ وَٱلبَائِحَةِ[٤]؛ لَوْ فَهِمَهُ ٱلهَضْبُ ٱلرَّاكِدُ لَتَصَدَّعَ، أَوِ ٱلوُعُولُ ٱلمُعْصِمَةُ لَرَاقَ ٱلفَادِرَةَ[٥] وَٱلصَّدَعَ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وَإِنَّ ٱلآيَةَ مِنْهُ أَوْ بَعْضَ ٱلآيَةِ، لَتَعْتَرِضُ فِي أَفْصَحِ كَلِمٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ٱلمَخْلُوقُونَ، فَتَكُوْنُ فِيْهِ كَٱلشِّهَابِ ٱلمُتَلَألِئِ فِي جُنْحِ[٦] غَسقٍ، وَٱلزُّهَرَةِ ٱلبَادِيَةِ فِي جُدُوبٍ ذَاتِ نَسَقٍ؛ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلخَالِقِينَ.

وَأَمَّا ٱلقَضِيْبُ فَمَنْ عَمِلَهُ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ قَضِيبٍ. وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ إِنْشَائِهِ، لَوْ رَكِبَ قَضِيْباً عِنْدَ عَشَائِهِ، فَقَذَفَتْ بِهِ عَلَى قَتَادٍ، وَنَزَعَتِ ٱلمَفَاصِلَ كَنَزْعِ ٱلأَوْتَادِ:

[البسيط]

إِنَّ ٱلطِّرِمَّاحَ[٧] يَهْجُونِي لِأَشْتُمَهُ ... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، عِيلَتْ دُونَهُ ٱلقُضُبُ

= قال ابن بري: البيت لابن أحمر؛ قال: وقيل هو للأزرق بن طرفة بن العمرّد الفَراصِيّ، أي رماني بأمر عاد عليه قبحه لأن الذي يَرمي من جُول البئر يعود ما رمى به عليه، ويروى: ومن أجْل الطَّويّ قال: وهو الصحيح لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة في بئر فقال خصمه: إنه لصّ ابن لص، فقال هذه القصيدة؛ وبعد البيت:

دَعَانِيَ لِصًّا في لُصُوص، وما دَعَا ... بِهَا والدي، فيما مضى، رجلانِ»

ورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح شواهده، للأعلم ١/ ٣٨، الدرر اللوامع ١/ ٨٥، المصون، لأبي أحمد العسكري ٨٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١١٦.

(١) بُجْره، بضم الباء وتسكين الجيم: الشرّ والأمر العظيم.
دباوند: كورة من كور الريّ بينها وبين طبرستان. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٣٦.

(٢) الأرجاز: العذاب.

(٣) الحزون: ما غلظ من الأرض وخلافه السهل.

(٤) البائحة: الجليّة، الظاهرة.

(٥) الفادرة: أنثى الوعل.

(٦) جنح: عتمة.

(٧) مرّت ترجمته.

كَيْفَ لِلنَّاطِقِ بِهِ أَنْ يَكُونَ ٱقْتُضِبَ وَهُوَ يَافِعٌ، إِذْ مَا لَهُ فِي ٱلعَاقِبَةِ شَافِعٌ. وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ قَضَبَهُ، أَوْ تَلْتَئِمُ عَلَيْهِ ٱلهَضَبَةُ. وَقَدْ صُدَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ٱلقَائِلِ:

[الطويل]

وَرَوْحَةُ دُنْيَا بَيْنَ حَيَّيْنِ رُحْتُهَا   أَسِيرُ عَرُوضاً، أَوْ قَضِيباً أَرُوضُهَا

وَقَضِيبٌ وَادٍ كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ فِي ٱلجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ بَنِي ٱلحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَكَيْفَ لِهٰذَا ٱلمَائِقِ[1] أَنْ يَكُوْنَ قُتِلَ فِي قَضِيْبٍ، وَسَقَطَ فِي إِهَابِهِ ٱلخَضِيبِ[2]. فَهُوَ عَلَيْهِ شَرٌّ مِنْ قَضِيْبِ ٱلشَّجَرَةِ عَلَى ٱلسَّاعِيَةِ، وَمَنْ لَهُ أَنْ يَظْفَرَ بِمَنْطِقِ ٱلنَّاعِيَةِ؟ وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُجَدَّعَ بِقَضِيْبٍ هِنْدِيٍّ، ويَلبَسُ مِمَّا لَفَظَ بِهِ ثَوْبَ ٱلمُفَدِّي؟ لَقَدْ أَنزَلَ ٱللّٰهُ بِهِ مِنَ ٱلنَّكَالِ، مَا لَا يُدْفَعُ بِحَمْلِ ٱلأَنْكَالِ[3] فَهُوَ كَمَا قَالَ ٱلأَوَّلُ:

[الطويل]

فَلَمْ أَرَ مَغْلُوبَيْنِ يَفْرِي[4] فَرِيَّنَا،   وَلَا وَقْعَ ذَاكَ ٱلسَّيْفُ وَقْعَ قَضِيْبِ

وَهٰذَا ٱلبَيْتُ يُسْتَشْهَدُ بِهِ، كَمَا عُلِمَ، لِأَنَّهُ قَالَ: مَغْلُوبَيْنِ يَفْرِي، وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يُقَالَ: يَفْرِيَانِ، ولَكِنَّهُ أَجْرى ٱلاثْنَيْنِ مَجْرَى ٱلجَمْعِ. ومِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

«مِثْلُ ٱلفِرَاخِ نُتِقَتْ حَوَاصِلُهْ»[5]

وَأَمَّا ٱلفَرِيدُ فَأَفْرَدَهُ مِنْ كُلِّ خَلِيْلٍ، وَأَلْبَسَهُ فِي ٱلأَبَدِ بُرْدَ ٱلذَّلِيْلِ. وَفِي كِنْدَةَ حَيٌّ يُعْرَفُوْنَ بِٱلحَيِّ ٱلفَرِيدِ، وَهُمْ بَنُو ٱلحَرْثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ رَبِيْعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ٱلأَكْبَرِ بْنِ ٱلحَرْثِ ٱلأَصْغَرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ٱلحَرْثِ ٱلأَكْبَرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ مُرْتِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ وَهُوَ كِنْدَةُ؛ وَأَصْحَابُ ٱلنَّسَبِ يَقُوْلُوْنَ: كِنْدِيُّ بْنُ عُفَيْرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ ٱلحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدِ بْنِ زَيْد بن يَشْجُبَ بْنِ عُرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ، وَإِنَّمَا قِيْلَ لَهُمُ ٱلحَيُّ ٱلفَرِيدُ، لِأَنَّ بَنِي وَهْبٍ حَالَفُوا بَنِي أَبِي كَرِبٍ وَبَنِي ٱلمَثَلِ وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهم بَنُو ٱلحَارِثِ وَلَا مَعَ بَنِي عَدِيٍّ، فَقِيْلَ لَهُمْ: ٱلحَيُّ ٱلفَرِيدُ.

وَمَنِ ٱنْفَرَدَ بِعِزَّةٍ لِوَقَارَتِهِ، فَإِنَّ «فَرِيْد» ذٰلِكَ ٱلجَاحِدَ يَنْفَرِدُ لِحَقَارَتِهِ، كَأَنَّهُ ٱلأَجْرَبُ

---

(١) المائق: الجاهل.

(٢) الأخضيب والخضيب، بمعنى واحد. وهو كل لون غيّر لونه حُمرة.

(٣) الأنكال: القيود والأغلال.

(٤) يفري: يعمل.

(٥) الحواصل، جمع حوصلة: وهي من الطائر كالمعدة للإنسان.

إِذَا طُلِيَ بِٱلعَنِيَّةِ[١]، فَرَّ مِنْ دُنُوهِ مَنْ يَرْغَبُ عَنِ ٱلدَّنِيَّةِ. وَإِذَا جُدِلَتِ ٱلغَانِيَةُ بِفَرِيدِ ٱلنِّظَامِ، فَهْوَ قِلَادَةُ مَآثِمَ عِظَامٍ. وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ فِي ظَهْرِ ٱلفَرَسِ فَقَارَةً يُقَالُ لَهَا ٱلفَرِيدَةُ، وَهِيَ أَعظَمُ ٱلفِقَارِ. فَلَوْ حُمِلَ «فَرِيْد» ذٰلِكَ ٱلمُتَمَرِّدُ عَلَى جَوَادٍ لَحَطَّمَ فَرِيدَتَهُ أَوْ زَيَّنَ بِهِ ٱلمُحِبُّ ٱلغَانِيَةَ لَأَهْلَكَ خَرِيْدَتَهُ[٢].

وَأَمَّا ٱلمَرْجَانُ فَإِذَا قِيلَ: إِنَّهُ صِغَارُ ٱللُّؤْلُؤِ، فَمَعَاذَ ٱللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَرْجَانُهُ صِغَارَ حَصًى، بَلْ أَخَسُّ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ فَيُنْتَصَى[٣]. وَإِذَا قِيلَ: إِنَّهُ هٰذا ٱلشيءُ ٱلأَحْمَرُ ٱلَّذِي يَجِيءُ مِنَ ٱلمَغْرِبِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ لَهُ قِيمَةٌ، وَخَسَارَةُ كِتَابِهِ مُقِيمَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مَرْجَانٌ، مِنْ مَرَجْتَ ٱلخَيْلَ بَعْضَهَا مَعَ بَعْضٍ، وَتَرَكْتَهَا كَٱلمُهْمَلَةِ فِي ٱلأَرْضِ؛ أَوْ لَعَلَّهُ مُرَّجَان مِنْ جَنَى ٱلشَّجَرَةِ، أَوْ مُرَّجَان مِنَ ٱلشَّيَاطِيْنِ ٱلفَجَرَةِ، أَوْ جَانٌّ مِنَ ٱلحَيَّاتِ ٱلمَقْتُولَةِ بِأَيْسَرِ ٱلأَمْرِ، وَٱلمُبَغَّضَةِ إِلَى ٱلمُنْفَرِدِ وَٱلعَمْرِ، أَي ٱلجَمَاعَةِ مِنَ ٱلنَّاسِ.

ابنُ ٱلرُّومي

وَأَمَّا ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ فهو أَحَدُ مَنْ يُقَالُ: إِنَّ أَدَبَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ، وَكَانَ يَتَعَاطَى عِلْمَ ٱلفَلْسَفَةِ، وَٱسْتَعَارَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلسَّرَّاجِ كِتَاباً فَتَقَاضَاهُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ: لَوْ كَانَ ٱلمُشْتَرِي حَدَثاً لَكَانَ عَجُولاً.

وَٱلبَغْدَادِيُّونَ يَدَّعُونَ أَنَّهُ مُتَشَيِّعٌ، وَيَسْتَشهِدُونَ عَلَى ذٰلِكَ بِقَصِيْدَتِهِ ٱلجِيْمِيَّةِ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ.

وَمَنْ أُوْلَعَ بِٱلطِّيَرَةِ[٤]، لَمْ يَرَ فِيهَا مِنْ خِيَرَةٍ، وَإِنَّما هِيَ شَرٌّ مُتَعَجَّلٌ، ولِلأَنْفُسِ أَجَلٌ مُؤَجَّلٌ، وَكُلُّ ذٰلِكَ حَذَرٌ مِنَ ٱلمَوْتِ ٱلَّذِي رَبَقَ[٥] فِي أَعْنَاقِ ٱلحَيَوَانِ، حَكَمَ لِقَاؤُهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ. وفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ ٱلشَّيْءَ إِذَا قِيلَ جَازَ أَنْ يَقَعَ، وَلِذٰلِكَ قَالَتِ ٱلعَامَّةُ: ٱلإِرْجَافُ[٦] أَوَّلُ ٱلكَوْنِ. وَيُقَالُ: إِنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ تَمَثَّلَ بِهٰذَا ٱلبَيْتِ وَلَمْ يُتِمَّه.

[الطويل]

تَفَاءَلْ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ، فَلَقَلَّمَا يُقَالُ لِشَيْءٍ: كَانَ، إِلَّا تَحَقَّقَا

---

(١) العنية: شيء مثل القطران تطلى به الإبل.

(٢) الخريدة: الفتاة البكر الحييّة.

(٣) ينتصى: ينتفى.

(٤) الطيرة: التشاؤم.

(٥) الربق: جبل فيه عدة عرى كلّ واحدة تدعى ربقة.

(٦) الإرجاف: الإشاعات المغرضة.

وَمَهْمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ٱللَّبِيبُ، فَٱلخَيْرُ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ جِدًّا، وَٱلشَّرُّ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِأَجْزَاءٍ لَيْسَتْ بِٱلمُحْصَاةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَوِي ٱلتُّقَى بِٱلعُصَاةِ، كُلُّهُمْ إِلى ٱلتَّلَفِ يُسَاقُونَ، يَلْقَوْنَ مَا كُرِهَ وَلَا يُعَاقُونَ، وَلَعَلَّ ٱللَّهَ، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، يُمَيِّزُهُمْ فِي ٱلمُنْقَلَبِ، وَيُسْعِفُ بِمُرَادِهِ أَخا ٱلطَّلَبِ.

وَقَالَ عَلْقَمَةُ:

[البسيط]

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلامَتِهِ لا بُدَّ مَشْؤُومُ

وَكَانَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ مَعْرُوفاً بِٱلتَّطَيُّرِ، وَمَنِ ٱلَّذِي أُجْرِيَ عَلَى ٱلتَّخَيُّرِ؟! وَقَدْ جَاءَتْ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَرَاهَةِ ٱلاسْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ بِحَسَنٍ، مِثْلِ مُرَّةَ وَشِهَابٍ وَٱلحُبَابِ لِأَنَّهُ يَتَأَوَّلُهُ فِي مَعْنَى ٱلحَيَّةِ.

وَنَحْوٌ مِنْ حِكَايَةِ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ ٱلَّتِي حَكَاهَا ٱلنَّاجِمُ مَا حُكِيَ عَنِ ٱمْرَأَةٍ مِنَ ٱلعَرَبِ أَنَّها قَالَتْ لِلأُخْرَى: سَمَّانِي أَبِي غَاضِبَةَ، وَإِنَّمَا تِلْكَ نَارٌ ذَاتُ غَضَى، فَٱلحَمْدُ لِرَبِّي عَلى مَا قَضَى؛ وَتَزَوَّجْتُ مِنْ بَنِي جَمْرَةَ رَجُلًا أَحْرَقَ، وَمَا أَمْرَقَ، أَيْ لَمْ يَكْثُرْ مَرَقُهُ، وَكَانَ ٱسْمُهُ تَوْرَباً وَإِنَّما ذٰلِكَ تُرَابٌ، فَشَمَتَتْ بِيَ ٱلأَتْرَابُ؛ وَكَانَ أَبُوهُ يُدْعَى جَنْدَلَةَ فَعَضَضْتُ عِنْدَهُ بِٱلجَنْدَلِ[1]، وَمَا شَمَمْتُ رَائِحَةَ مَنْدَلٍ[2]؛ وَكَانَ ٱسْمُ أُمِّهِ سَوَّارَةَ فَلَمْ تَزَلْ تُسَاوِرُنِي فِي ٱلخِصَامِ، ولا تنفعُني بِعِصَامٍ.

فَقَالَتِ ٱلأُخْرَى: لكِنْ سَمَّانِي أَبِي صَافِيَةَ، فَصَفَوْتُ مِنْ كُلِّ قَذًى، وَجَنَبْتُ مَوَاقِعَ ٱلأَذَى؛ وَزَوَّجَنِي فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَبَكَّرَ عَلَيَّ ٱلسَّعْدُ، وَأَنْجَزَ لِيَ ٱلوَعْدَ. وَٱسْمُ زَوْجِي مَحَاسِنٌ، جُزِيَ ٱلصَّالِحَةَ، فَقَدْ حَاسَنَ وَمَا لَاسَنَ، وَٱسْمُ أَبِيهِ وَقَّافٌ، رَعَاهُ ٱللَّهُ، فَقَدْ وَقَفَ عَلَيَّ خَيْرَهُ، وَأَكْثَرَ لَدَيَّ مَيْرَهُ[3]، وَٱسْمُ أُمِّهِ رَاضِيَةُ، رَضِيَتْ أَخْلَاقِي، وَلَمْ تَجْنَحْ إِلَى طَلَاقِي.

وَإِذَا كَانَ ٱلرَّجُلُ خَتَارِماً[4]، لَمْ يَزَلْ فِي ٱلكَثْكَثِ[5] آرِماً[6]: إِنْ رَأَى سَمَامَةً[7]

---

(١) الجندل: الصخر الصلب.

(٢) المندل: عود طيب الرائحة.

(٣) المير: الطعام.

(٤) الختارم: الرجل المتطير.

(٥) الكثكث: دقاق التراب والحجارة.

(٦) الآرام: الذي ينصب العلم.

(٧) السمامة: الدويبة عامة.

مِنَ ٱلطَّيْرِ، حَسِبَها مِنَ ٱلسَّمَامِ، أَوَ حَمامَةً، فَرِقَ مِنَ ٱلحِمَامِ، كَمَا قَالَ ٱلطَّائِيُّ:

[الكامل]

هُنَّ ٱلحَمَامُ، فَإِنْ كَسَرْتَ، عِيَافَةً، مِنْ حَائِهِنَّ، فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ[١]

وَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ خَنساءُ مِنَ ٱلبَشَرِ، فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنَ ٱلشَّرِّ، يَقُولُ: أَخَافُ مِنْ رَفِيْقٍ يَخْنَسُ[٢]، وَأَمْرٍ يُدْنِسُ. وَإِنْ كَانَتِ ٱلخَنْسَاءُ مِنَ ٱلوُحُوشِ، نَفَرَ قَلْبُهُ مِنَ ٱلحُوْشِ[٣]، إِنْ رَآهَا سَانِحَةً، هَزَّتْ مِنْ رُعْبِهِ جَانِحَةً. يَقُوْلُ: قَدْ ذَهَبَ أَهْلُ عَقْلٍ وَافِرٍ، مِنْ أَرْبَابِ ٱلمَنَاسِمِ، وَصَحْبُ ٱلحَافِرِ، يَتَطَيَّرُونَ بِٱلسَّنِيحِ[٤]، وَيَرْهَبُونَ مَعَهُ ذَهَابَ ٱلمَنِيْحِ[٥]. وَإِنْ أَتَتْهُ بِقَدْرٍ بَارِحَةٍ، عَايَنَ بِهَا ٱلنَّجْلَاءَ[٦] ٱلجَارِحَةَ، يَقُولُ: أَلَمْ يَكُ ذَوُو خَيْلٍ وَسُرُوجٍ، يَخْشَوْنَ ٱلغَائِلَةَ مِنَ ٱلبُرُوجِ؟ وَإِنْ لَقِيَ رَجُلًا يُدْعى أَخْنَسَ، فَكَأَنَّمَا لَقِيَ هِزَبْراً تَبَهْنَسَ[٧]. يَقُوْلُ: ما يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ كَأَخْنَسِ بَنِي زُهْرَةَ فَرَّ بِحَلْفَائِهِ عَنْ وَفْرٍ، وَطُرِحَتِ ٱلقَتْلَى في ٱلجَفْرِ؟ وَإِنِ ٱسْتَقْبَلَ مَنْ يُوْلَعُ بِذٰلِكَ أَعْفَرَ، فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُعَفَّرَ؛ وَإِنْ بَصُرَ بِٱلأَدْمَاءِ، أَيْقَنَ بِسَفْكِ ٱلدِّمَاءِ، وَإِنْ جَبَهَهُ ذِيَالٌ، فَكَأَنَّهُ ٱلهَصُورُ ٱلعَيَّالُ؛ يَقُولُ: مَا أَقْرَبَنِي مِنْ إِذَالَةٍ[٨]، تُبْطِلُ كَلَامَ ٱلعَذَالَةِ؟! وَإِنْ آنَسَ نَعَامَةً بِقَفْرٍ، وَهْوَ مَعَ ٱلرَّكْبِ ٱلسَّفْرِ، فَمَا يَأْخُذُهَا مِنَ ٱلنَّعِيمِ، وَيَجْعَلُهَا بِٱلهَلَكَةِ مِثْلَ ٱلزَّعِيمِ. يَقُوْلُ، مِنَ ٱلفَنَدِ[٩] وَٱلعِيِّ[١٠]: أَوَّلُها نَعْيٌ وَإِنَّمَا ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّعِيِّ. وَإِنْ عَنَّ لَهُ فِي ٱلحَرَقِ ظَلِيمٌ، فَذٰلِكَ ٱلعَذَابُ ٱلأَلِيْمُ. يَقُولُ: لَيْتَ شِعْرِي مَنِ ٱلَّذِي يَظْلِمُنِي؟

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، ورد البيت في: مجالس ثعلب: ٦٣، ٣٤٦، ٤٣٧، الخصائص، لابن جني ١/ ٧٤؛ ٢/ ٣١٧، ٣٤١، المحتسب لابن جني ١/ ١١١، شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٤١٥.

(٢) يخنس: يتأخر أنفه عن وجهه، وقيل: يستخفي.

(٣) «الحُوش: بلاد الجن من وراء رَمْلِ يبرين لا يمرّ بها أحد الناس، وقيل: هم (حيّ من الجنّ. .» انظر: لسان العرب ٦/ ٢٩٠ مادة «حوش».

(٤) السنيح كالسانح. قال ابن بري: العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح.

(٥) المنيح: القدح المستعار، وقيل: هو الثامن من قداح الميسر.

(٦) النجلاء: الطعنة الواسعة.

(٧) تبهنس: سار بخيلاء.

(٨) الإذالة: بسط الذيل.

(٩) الفند: الكذب.

(١٠) العي: العجز.

أَيَأْخُذُ نَشْبِي[١] أَمْ يُكَلِّمُنِي؟ وَإِنْ نَظَرَ إِلى عُصْفُورٍ، قَالَ: عَصَفَ مِنَ ٱلحَوَادِثِ بِوُفُورٍ؛ فَهُوَ طُولَ أَبَدِهِ في عَنَاءٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلفَنَاءِ.

وَلِهٰذِهِ ٱلطَّوِيَّةِ جَعَلَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ جَعْفَراً مِنَ ٱلجُوعِ وَٱلفِرَارِ، وَلَوْ هُدِيَ صَرَفَهُ إِلَى ٱلنَّهْرِ ٱلجَرَّارِ، لِأَنَّ ٱلجَعْفَرَ ٱلنهرُ ٱلكَثِيرُ ٱلمَاءِ؛ وَلٰكِنَّ إِخْوَانَ هٰذه ٱلخَلِيقَةِ، لَا يَحْمِلُونَ ٱلأَشْيَاءَ ٱلوَارِدَةَ على ٱلحَقِيقَةِ.

وَأَرَادَ بَعْضُهُمُ ٱلسَّفَرَ في أَوَّلِ ٱلسَّنَةِ فقالَ: إِنْ سَافَرْتُ في ٱلمُحَرَّمِ، كُنْتُ جَدِيراً أَنْ أُحْرَمَ، وَإِنْ رَحَلْتُ في صَفَرَ، خَشِيتُ على يَدِي أَنْ تصفرَ؛ فَأَخَّرَ سَفَرَهُ إِلى شَهْرِ ربيعٍ، فَلَمَّا سافَرَ مَرِضَ وَلَمْ يَحْظَ بِطَائِلٍ، فقالَ: ظَنَنْتُهُ مِنْ رَبِيعِ ٱلرِّيَاضِ، فَإِذا هُوَ مِنْ ربعِ ٱلأَمْرَاضِ.

وَأَمَّا إِعْدَادُهُ ٱلمَاءَ ٱلمَثْلُوجَ فَتَعِلَّةٌ، وَمَا تَنْفَعُ بِٱلحِيَلِ غُلَّةٌ، وَتَقْرِيبُهُ ٱلخَنْجَرَ تَحَرُّزٌ مِنْ جَبَانٍ، وتُنْقَضُ ٱلأَقْضِيَةُ وَمَا بَنَى ٱلبَانِ؛ وَرُبَّ رَجُلٍ يَحْتَفِرُ لَهُ قَبْراً بِٱلشَّامِ، ثُمَّ يُجَشِّمُهُ ٱلقَدَرُ بَعِيدَ ٱلإِجْشَامِ، فَيَمُوتُ بِٱليَمَنِ أَوْ بِٱلهِنْدِ، وَٱلحَتْفُ بِٱلغَائِرَةِ وَٱلفِنْدِ[٢]: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَكَمَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ جَهِلَتْ مَدْفِنَ عِظَامِهَا، فَهِيَ ٱلجَاهِلَةُ بِٱلقَاطِعِ لِنِظَامِهَا. كَمْ ظَنَّ أَنَّهُ يَهْلَكُ بِسَيْفٍ، فَهَلَكَ بِحَجَرٍ مِنْ خَيْفٍ[٣]. وَمُوقِنٌ أَنَّ شَجَبَهُ يَقْدِرُ عَلَى مِهَادٍ، فَأَلِفَتْهُ ٱلأَسَلُ[٤] بِبَعْضِ ٱلوِهَادِ.

وَٱلبَيْتَانِ ٱللَّذَانِ رَوَاهُمَا ٱلنَّاجِمُ عَنِ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ مُقَيَّدَانِ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ جَاءَ عَنِ ٱلفُصَحَاءِ هٰذا ٱلوَزْنُ مُقَيَّداً، إِلَّا في بيتٍ واحِدٍ يَتَدَاوَلُهُ رُوَاةُ ٱللُّغَةِ، وَٱلبَيْت:

[الوافر]

كَأَنَّ ٱلقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ، فَهُمْ نَعِجُونَ[٥] قَدْ مَالَتْ طِلَاهُمْ

وهٰذا ٱلبيتُ مُؤَسَّسٌ، وَٱلَّذي قال ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ بِغَيْرِ تَأْسِيسٍ.

وَمَا يَدْرِي ٱلنَّاجِمُ، وَلَعَلَّهُ بِٱلفِكْرِ رَاجِمٌ[٦]، أَفِي ٱلجَنَّةِ حَصَّلَ ذلكَ ٱلشَّيْخُ أَمْ فِي ٱلسَّعِيرِ، وَمَا أَثقلَ وُسُوقَ ٱلعَيرِ!

---

(١) النشب: المال.

(٢) الفند: الغصن.

(٣) الخيف: ضرب من الحجارة الخفيفة.

(٤) الأسل: نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الرماح.

(٥) الناعجون: الخالصو البياض.

(٦) الراجم: المتهم على الظن، والذي يدّعي علم الغيب.

أَبُو تَمَّام وَٱلدِّيْنُ

وَأَمَّا أَبُو تَمَّام، فَمَا أَمْسَكَ مِنَ ٱلدِّينِ بِزِمَام، وَٱلحِكَايَةُ عَنِ ٱبنِ رَجَاءٍ مَشْهُورَةٌ، وَٱلمُهْجَةُ بِعَيْبِهَا مَبْهُورَةٌ. فَإِنْ قُذِفَ في ٱلنَّارِ حَبِيبٌ[١]، فَمَا تُغْنِي ٱلمِدَحُ وَلَا ٱلتَّشْبِيبُ، وَلَوْ أَنَّ ٱلقَصَائِدَ لَهَا عَلَمٌ، وَتَأَسَّفٌ لِمَا يَشْكُو ٱلخِلْمُ[٢]، لأَقَامَتْ عليهِ ٱلمَمْدُودَتَانِ ٱللَّتَانِ في أَوَّلِ دِيْوَانِهِ، مَأْتماً يَعْجَبُ لِأَسْوَانِهِ فَنَاحَتَا عليهِ كَٱبْنَتَيْ لَبِيْدٍ، وَجَرَّعَتَاهُمَا مِنَ ٱلثُّكْلِ نَظِيرَ ٱلهَبِيْدِ[٣]، وقَالَتَا ما زَعَمَهُ ٱلكِلَابِيُّ في قولِهِ:

[الطويل]

وَقُولَا: هُوَ ٱلمَيْتُ ٱلَّذِي لَا حَرِيمَهُ ... أَضَاعَ، وَلَا خَانَ ٱلصَّدِيقَ وَلَا غَدَرْ

إِلَى ٱلحَوْلِ، ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلَامِ عَلَيْكُمَا، ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا، فَقَدِ ٱعْتَذَرْ[٤]

وَكَأَنِّي بِهِمَا لَوْ قُضِيَ ذلك، لَٱجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمَا ٱلمَمْدُودَاتُ، كَمَا تَجْتَمِعُ نِسَاءٌ مَعْدُودَاتٌ. فَيَجِئْنَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَيَتَوَاعَدْنَ ٱلمَحْفِلَ عَلَى نُوَبٍ.

وَلَوْ فَعَلْنَ ذلك لَبَارَتْهُنَّ ٱلبَائِيَاتُ بِمَأْتَمٍ أَعْظَمَ رَنِيناً، وَأَشَدَّ فِي ٱلحَنْدَسِ[٥] حَنِيناً، كَمَا قَالَ ٱلعَبْسِيُّ:

[الوافر]

يُجَاوِبْنَ ٱلكِلَابَ بِكُلِّ فَجْرٍ ... فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ ٱلنَّوْحِ ٱلحُلُوقُ[٦]

وَإِذَا كَانَ مَأْتَمُ ٱلمَمْدُودَاتِ في مائةٍ مِمَّنْ يُسْعِدُهُنَّ وَيُظَاهِرُ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَأْتَمُ ٱلبَائِيَّاتِ في آلافٍ تُعْلِنُ وَتُجَاهِرُ، لِأَنَّ ٱلبَاءَ طَرِيقٌ رُكُوبٍ، وَٱلمَدَّ فِي ٱلقَصَائِدِ سَبِيلٌ مَنْكُوبٌ.

وَمَا نَظَمَهُ عَلَى ٱلتَّاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُعْجِزُ عَنِ ٱلإِيْتَاءِ.

---

(١) حبيب اسم أبي تمام الشاعر.

(٢) الخِلم: الرفيق.

(٣) الهبيد: الحنظل أو حبّه.

(٤) ورد البيت في: أمالي الزجاجي: ٦٣، الخصائص، لابن جني: ٣/ ٢٩، المنصف، لابن جني ٣/ ١٣٥، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٣/ ١٤، المقرّب: ٤٥، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ٢١٧، شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٣/ ٣٧٥، همع الهوامع، وشرح جمع الجوامع، للسيوطي ٢/ ٤٩، ١٥٨، الدرر اللوامع ٢/ ٥٨، ٢٢٢، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ٢٤٣، وانظر: ديوان لبيد بن ربيعة: ٢١٤.

(٥) الحندس: الظلمة.

(٦) صحلت الحلوق: جفّ ماؤها.

وَتَجِيءُ ٱلثَّائِيَتَانِ وَكِلْتَاهُمَا كَٱبْنَةِ ٱلجَوْنِ، تَبْتَدِرُ في حَالِكِ ٱللَّوْنِ. وَلَوْ صُوِّرَتَا مِنَ ٱلآدَمِيَّاتِ، لَزَادَتا عَلَى قَيْنَتَي ٱبنِ خَطَلٍ في ٱلمَرْئِيَاتِ، وَإِنَّ ٱلثَّاءَ لَقَلِيلَةٌ في شِعْرِ ٱلعَرَبِ إِلَّا أَنَّهُمَا تَسْتَعِينانِ كَلِمَةَ كُثَيِّرٍ.

[الوافر]

حِبَالُ سَلَامَةٍ أَضْحَتْ رِثَاثاً[١] فَسُقْيَاهَا جِدَاداً أَوْ رِمَاثَا[٢]

وَبِأَرَاجِيزِ رُؤْبَةَ وَمَا كَانَ نَحوها مِنَ ٱلقَوافِي ٱلمُتَكَلَّفَةِ، وَٱلأَشْعَارِ ٱلمُتَعَسَّفَةِ، وَلَهُمَا فِيما نَظَمَ ٱبنُ دُرَيْدٍ، أَعْوَانٌ بِٱلعَجَلِ وَٱلرُّوَيْدِ.

فَأَمَّا ٱلدَّالِيَاتُ وَٱلرَّائِيَاتُ وَمَا بُنِيَ عَلَى ٱلحُرُوفِ ٱلذُّلَلِ: كَٱلْمِيمِ وَٱلْعَيْنِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُنَّ، فَلَوِ ٱجْتَمَعَ كُلُّ حَيِّزٍ مِنهُنَّ وهو حُرادٌ[٣]، لَضَاقَ عَنْهُنَّ ٱلصَّدْرُ وَٱلإِيرَادُ، وَزِدْنَ عَلَى مَا ذُكِرَ أَنَّهُ ٱجْتَمَعَ في جِنَازَةِ أَحمدَ بْنِ حَنْبَلٍ[٤] مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ، ويُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ في ٱلجَاهِلِيَّةِ وَلَا ٱلإِسْلَامِ جَمْعٌ أَكْثَرُ مِمَّا ٱجْتَمَعَ في مَوْتِ أَحْمَدَ، حُزِرَ ٱلرِّجَالُ بِأَلْفِ أَلْفٍ، وَٱلنِّسَاءُ بِسِتِّمَائَةِ أَلفٍ، وَٱللَّهُ ٱلعَالِمُ بِيَقِينِ ٱلأَشْيَاءِ.

وَإِنْ كَانَ حبيبٌ ضَيَّعَ صَلَواتِهِ، فَإِنَّهُ لَضَالٌّ بِفَلَواتِهِ، لَا يَبْلُغُ فِيهِ كَيْدُ ٱلعُدَاةِ، ما بَلَغَ إِهْمَالُ غُدَاةٍ. كَمْ ضِدٍ نَكَصَ عَنْهُ ذَا بُهْرٍ[٥]، وَلَيْسَ كَذَلِكَ صَلَاةُ ٱلظُّهْرِ، إِنْ تَرَكَهَا فَإِنَّهَا شَاهِدَةٌ، وَفِي ٱلشَّكِيَّةِ لَهُ جَاهِدَةٌ. وكَمْ مِنْ قَصْرٍ، يُشَيَّدُ في ٱلجَنَّةِ بِصَلَاةِ ٱلعَصْرِ، وَمِسْكٌ فِي ٱلجَنَّةِ مُتَأَرِّجٌ، لِمُصَلِّي ٱلمَغْرِبِ لَيْسَ بِٱلحَرَجِ، وَحُورٍ أُنْشِئْنَ بِبَدِيعِ ٱلإِنْشَاءِ، لِمَنْ حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ ٱلعِشَاءِ، وَقَدْ جَاءَ في ٱلحَدِيثِ ٱلنَّهْيُ أَنْ تُسَمَّى ٱلعَتَمَةَ. وَرُوِيَ: لَا تُخْدَعُوا عَنِ ٱسْمِ صَلَاتِكُمْ فَإِنَّمَا يَعْتِمُ بِحَلَّابِ ٱلإِبِلِ. وفي حديثٍ آخَرَ: إِنَّ ٱلعَتَمَةَ ٱسمُ بِنْتِ ٱلشَّيْطَانِ.

---

(١) الرثاث: البالية.

(٢) الرماث: الحبل الرّث البالي.

(٣) الحراد، مفرده حرد: وهو المفرد.

(٤) هو: الإمام، أحد الأئمة الأربعة عند السنة: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ = سنة ٧٨٠م، سافر في سبيل طلب العلم. توفي الإمام في عهد المتوكل سنة ٢٤١هـ = سنة ٨٥٥م. له «المسند» ستة أجزاء. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، حلية الأولياء ٩/ ١٦١.

(٥) ذو بهر: الذي يصيبه ضيق النفس من جراء التعب.

وَإِنَّ مَنْ يَعْجزُ عَنْ أَدَاءِ تلكَ ٱلرَّكعاتِ، لَيَشْتَمِلُ على نِيَّةٍ عاتٍ. فَلَيْتَ حَبِيْباً قَرَنَ بَيْنَ ٱلصَّلاتَيْنِ، فَجَعَلَهُمَا كَهاتَيْنِ، كَمَا قَالَ ٱلقَائِلُ:

[الرمل]

قَـرَنَ ٱلـظُّـهْـرَ إِلَى ٱلـعَـصْـرِ كَـمَـا تُـقْـرَنُ ٱلـحَـقَّـةُ بِـٱلـحَـقِّ[١] ٱلـذَّكَـرِ

وَإِنِّي لَأَضِنُّ بِتِلْكَ ٱلأَوْصَالِ، أَنْ يَظَلَّ جَسَدُهَا وهو بِالمُوْقَدَةِ صَالٌ، لِأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ طريقةٍ مُبْتَدَعَةٍ، وَمَعَانٍ كَٱللُّؤْلُؤِ مُتَتَبَّعَةٍ، يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ غَامِضِ بِحَارٍ، وَيَفُضُّ عَنها ٱلمُسْتَغْلِقَ مِنَ ٱلمَحَارِ[٢].

وَإِنِ ٱبْتَدَرَتْهُ مِهْنَةُ مَالِكٍ، فَقَدْ نُبِذَ في ٱلمَهَالِكِ، فَلَيْتَهُ كَٱلجَعْدِيِّ[٣]، أَوْ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ عَدِيٍّ، أَوْ كَانَ مُذْهَبُهُ مَذْهَبَ حَاتِمٍ فَقَدْ كَانَ مُتَأَلِّهاً، وَمِنَ ٱلخَشْيَةِ مُتَوَلِّهاً، وَقَالَ:

[الطويل]

وَإِنِّـي لَمَـجْـزِيٌّ بِـمَـا أَنَـا عَـامِـلٌ وَيَـضْـطُـمُـنِـي مَـاوِيَّ بَـيْـتٌ مُـسَـقَّـفُ[٤]

أَوْ لَيْتَهُ لَحِقَ يزيدَ بْنَ مُهَلْهِلٍ، فَقَدْ وَفَدَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ، ﷺ، وَطَرَحَ عَنْهُ ثَوْبَ ٱلغَبِيِّ.

لَعنَ ٱلمازِيَار

وَأَمَّا ٱلمازِيَارُ[٥]، فَحَلَّالٌ بِٱلسَّفَهِ سَيَّارٌ، وَحَسْبُهُ مَا يَتَجَرَّعُ مِنَ ٱلحَمِيمِ، وَيَحْتَمِلُ مِنَ ٱلمَقَامِ ٱلذَّمِيمِ، وَقَدْ خَلَّدَ لَهُ في ٱلكُتُبِ مَا يُوْجِبُ لَعْنَهُ إِلى يومِ ٱلدِّينِ، وأَنَّى لَهُ أَنْ يُجْعَلَ كَأَدِيمٍ وَدِينٍ[٦]!

وَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱبْنَ أَبِي دُؤَادٍ، فَلَقَدْ شَفَى ٱلأَنْفُسَ مِنَ ٱلجَوَادِ، وَكَشَفَ حَالَ ٱلأَفْشِينِ[٧]، فَعَلِمَ أَنَّهُ آلَفُ شَيْنٍ، مُخَالِفُ رَشَادٍ وَزَيْنٍ.

---

(١) الحقة والحق: الإبل التي يقرن بعضها ببعض.

(٢) المحار: الصدف.

(٣) هو النابغة الجعدي. مرّت ترجمته.

(٤) يضطمني: يضمني.

(٥) المازيار: آخر سلاطين بني قارن (طبرستان) ثار على المعتصم الخليفة العباسي ودعا الفلاحين إلى الثورة على أسيادهم. اتهمه البعض بالزندقة. مات جلداً وعرضت جثته على أبواب سامراء.

(٦) الودين: المنقوع.

(٧) مرت ترجمته.

«وَبَابَكَ» فَتَحَ بابَ ٱلطُّغْيَانِ، وَوَجَدَ مِنْ شِرَارِ ٱلرُّعْيَانِ، وَأَظُنُّ جِهَادَهُ، عَلَيْهِ ٱلتَّبَارُ[1]، أَفْضَلُ جِهَادٍ عُرِفَ، وَذَنْبُهُ أَكبرُ ذَنْبٍ ٱقْتُرِفَ. وَلَعلَّهُ يَوَدُّ في ٱلآخِرَةِ أَنَّهُ ذُبِحَ عَنْ كُلِّ مَنْ قُتِلَ في عَدَّانِهِ[2]، مائة مَرَّةٍ في نَهَلِ مَدَّانِهِ[3]، ثُمَّ خَلَصَ مِنَ ٱلعَذَابِ ٱلمُطْبِقِ، وَٱسْتَنْقَذَ عُنُقَهُ مِنَ ٱلرِّبَقِ.

وَٱلعَجَبُ لِأَبِي مُسْلِمٍ[4]، خَبَطَ في ٱلجَنَانِ ٱلمُظْلِمِ، وَظَنَّ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ، فَكَانَ كَٱلمُعْتَمِدِ على ٱلفَيْءِ، حَطَبٌ لِنَارٍ أَكَلَتْهُ، وَقُتِلَ في طَاعَةِ وُلَاةٍ قَتَلَتْهُ. وَلَيْسَ بِأَوَّلِ مَنْ دَأَبَ لِسِوَاهُ، وَأَغْوَاهُ ٱلطَّمَعُ فِيمَنْ أَغْوَاهُ. وَإِنَّما سَهِرَ لأُمِّ دَفْرٍ[5]، وَتَبِعَ سَرَاباً في قَفْرٍ، فَوَجَدَ ذَنْبَهُ غيرَ ٱلمُغْتَفَرِ، عِنْدَ صَاحِبِ ٱلدَّوْلَةِ أَبي جَعْفَرٍ.

وَكُلُّ سَاعٍ لِلْفانيةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلنَّدَمِ، في أَوانِ ٱلفُرقَةِ، وَحِينَ ٱلعَدَمِ، فَذَمُّنَا لَهَا يُحْسَبُ مِنَ ٱلضَّلَالِ، كَمَا تَمَنَّى ٱلقَنِعُ أَخُو ٱلإِقْلَالِ، وهٰذه زِيَادَةٌ في ٱلنَّصَبِ، وَفَازَ في ٱلسَّبْقِ حَائِزُ ٱلقَصَبِ. نَذُمُّها عَلَى غَيْرِ جِنَايَةٍ، وَلَمْ تَخُصَّ أَحَداً بِٱلعِنَايَةِ، بَلْ أَبْنَاؤُها في ٱلمِحَنِ سَوَاءٌ، لَا تُسَاعِفُهُمُ ٱلأَهْوَاءُ؛ فَرُبَّ حَامِلِ حَزْمَةِ عَضِيدٍ[6]، لَيْسَ رَثُدُهُ بِٱلنَّضِيدِ[7]، يَعْجِزُ ثَمَنُهَا عنِ ٱلقُوتِ، وَيُكَابِدُ شَظَفَ عَيْشٍ مَمْقُوتٍ، يَلِجُ سَلَاءٌ[8] في قَدَمِهِ، وَيُخَضِّبُهُ ٱلشَّائِكُ بِدَمِهِ، وهو أَقَلُّ أَشْجَاناً مِنَ ٱلوَاثِبِ عَلَى ٱلسَّرِيرِ، يَنْعَمُ بِرَشَإٍ غَرِيرٍ، يَجْمَعُ لَهُ ٱلذَّهَبَ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ، بِإِعْنَاتِ ٱلأُمَمِ وَإِسْخَاطِ ٱلإِلِّ، وَإِذا مَلأَ بَطْنَهُ مِنْ طَعَامٍ، وَسَبَحَ فِي بَحْرٍ مِنَ ٱلتَّرَفِ عَامٍ، فتلكَ ٱلنِّعَمُ وَلَذَّاتُهُ، تَحْدُثُ لِأَجْلِهَا أَذَاتُهُ؛ يَخْتَلِجُهُ ٱلقَدَرُ عَلَى غُفُولٍ، وَغَايَةُ ٱلسَّفْرِ إِلى قُفُولٍ.

وَمَا يَدْرِي ٱلعَاقِلُ، إِذَا ٱفْتَكَرَ، أَيُّ ٱلشَّخْصَيْنِ أَفْضَلُ: أَرَبِيبُ عُقِدَ عليهِ إِكْلِيلٌ، أَمْ

---

(١) التبار: الهلكة.

(٢) العدان: الأوان.

(٣) المدان: الماء المالح الأجاج.

(٤) هو: عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد في ماه البصرة سنة ١٠٠هـ = سنة ٧١٨م. اتّصل بإبراهيم بن الإمام محمد (من بني العباس) فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها، وقضى على واليها ثم توجّه لمقاتلة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين. قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ = ٧٧٥م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٨٠، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٧.

(٥) أم دفر: الداهية والمصيبة.

(٦) العضيد: الصف من النخل.

(٧) النضيد: المنظم.

(٨) السلاء: أشواك النخيل.

أَرْقَشُ ظِلُّهُ في ٱلمَكِّ[1] ظَلِيلٌ؟ كِلاهُما بَلَغَ آراباً، وَأَحَدُهُما يأْكُلُ تُراباً، وَٱلآخَرُ يُعِلُّ بِٱلرَّاحِ، ويُجْتَهَدُ لَهُ في ٱلأَفْراحِ.

وَمَا عَلِمْنَا ٱلنُّسُكَ مُوْقِياً، وَلَا في ٱلأَسْبَابِ ٱلرَّافِعَةِ مُرْقِياً، وَٱلعَالَمُ بِقَدَرٍ عَامِلُونَ، أَخْطَأَهُمْ مَا هُمْ آمِلُونَ، وَمَا آمَنُ أَنْ تَكُونَ ٱلآخِرَةُ بِأَرْزَاقٍ، فَتَغْدُو ٱلرَّاجِحَةُ إِلى ٱلمِهْرَاقِ، عَلَى أَنَّ ٱلسِّرَّ مُغَيَّبٌ، وَكُلُّنا في ٱلمُلْتَمَسِ مُخَيَّبٌ، وَٱلجَاهِلُ وفَوْقَ ٱلجَاهِلِ، مَنِ ٱدَّعَى ٱلمَعْرِفَةَ بِغِبِّ ٱلمَنَاهِلِ، وَٱللَّعْنَةُ عَلَى ٱلكَاذِبِينَ.

ضَلالَةٌ قَدِيْمَةٌ

أَمَّا ٱلَّذِينَ يدَّعونَ في عَلِيٍّ، عليهِ ٱلسَّلامُ، ما يدَّعونُ، فَتِلْكَ ضَلَالَةٌ قَدِيْمَةٌ، وَدِيْمَةٌ مِنَ ٱلغِوَايَةِ تَتَّصِلُ بِهَا دِيْمَةٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ حَرَقَ عبدَ ٱللّهِ بْنِ سَبأ[2] لَمَّا جاهَرَ بذلك ٱلنَّبَأ.

وَٱعْتِقادُ ٱلكَيْسانِيَّةِ[3] في مُحَمَّدِ بْنِ ٱلحَنَفِيَّةِ عَجِيْبٌ، لَا يُصَدِّقُ بِمِثْلِهِ نَجِيبٌ، وقد رُوِيَ أَنَّ أَبا جعفرِ ٱلمَنْصُورَ رُفِعَتْ لَهُ نَارٌ في طريقِ مَكَّةَ في ٱللَّيلةِ ٱلَّتي مَاتَ فيها، فقال: قاتَلَ ٱللّهُ ٱلحِمْيَرِيَ، لَوْ رَأَى هٰذه ٱلنارَ لَظَنَّ أَنَّها نارُ محمدِ بْنِ ٱلحَنَفِيَّةِ!

وعليٌّ لَهُ سابِقَةٌ، ومَحَاسِنُ كثيرَةٌ رَائِقَةٌ، وكَذلك جعفرُ بْنُ محمدٍ ليسَ شَرَفُهُ بِٱلثَّمَدِ.

وقدْ بَلَغَني أَنَّ رَجُلاً بِٱلبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِشَابَاسٍ، تَزْعَمَ جماعَةٌ كَثيرةٌ أَنَّهُ رَبُّ ٱلعِزَّةِ، وتُجْبَى إليهِ ٱلأَمْوَالُ ٱلجَمَّةُ، ويَحْمِلُ إلى ٱلسُّلْطَانِ منها قِسْماً وَافِراً، لِيَكُونَ بِمَا طَلَبَ ظَافِراً، وهو إذا كُشِفَ، ساقِطٌ لاقِطٌ، يَبُذُّهُ إلى ٱلفَضْلِ ٱلمَاقِطُ، وَٱلمَاقِطُ ٱلَّذي يَكْرِي مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، وحُدِّثْتُ أَنَّ ٱمْرَأَةً بِٱلكُوفَةِ يُدْعَى لَهَا مِثْلُ ذلك.

وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يُخْبِرُ أَنَّ لِٱبْنِ ٱلرَّاوَنْدِيِّ مَعَاشِرَ تَذْكُرُ أَنَّ ٱللاهُوتَ سَكَنَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ عِلْمٍ مَكَّنَهُ، وَيَخْتَرِصُونَ لَهُ فَضَائِلَ يَشْهَدُ ٱلخَالِقُ وَأَهْلُ ٱلمَعْقُولِ، أَنَّ كَذِبَهَا غيرُ

---

(١) المك: الهلاك.

(٢) هو: عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. كان يقال له: «ابن السوداء». يقول بالتناسخ، أحرقه علي بالنار. انظر ترجمته في: البدء والتاريخ ١٢٩/٥، لسان الميزان ٣/ ٢٨٩.

(٣) الكيسانية: فرقة تتشيع تقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد استشهاد أخيه الحسين عليه السلام.

مَصْقُولٍ، وهو في هٰذا أَحَدُ ٱلكَفَرَةِ، لا يُحْسَبُ مِنَ ٱلكِرَامِ ٱلبَرَرَةِ، وَقَدْ أَنْشَدَ لَهُ مُنْشِدٌ، وغيرُهُ ٱلتَّقِيُّ ٱلمُرْشَدُ:

[المنسرح]

قَسَمْتَ بَيْنَ ٱلوَرَى مَعِيشَتَهُمْ ... قِسْمَةَ سَكْرَانَ بَيِّنَ ٱلغَلَطِ

لَوْ قَسَمَ ٱلرِّزْقَ هٰكَذا رَجُلٌ ... قُلْنَا لَهُ: قَدْ جُنِنْتَ فَٱسْتَعْطِ(١)

وَلَوْ تَمَثَّلَ هٰذانِ ٱلبيتانِ لَكَانَا في ٱلإِصْرِ(٢)، يَطُولَانِ أَرَمِي(٣) مِصْرَ، فَلَوْ مَاتَ ٱلفَطِنُ كَمَداً لَما عُتِبَ، فَأَينَ مهربُ ٱلعاقِلِ مِنْ شَقَاءِ رُتَبٍ؟ أَكُلَّمَا خَدَعَ خَادِعٌ، أُرْسِلَتْ مِنَ ٱلكُفْرِ مَصَادِعُ؟ وَٱلمَصَادِعُ: ٱلسِّهَامُ، وما حَسَّنَتِ ٱلسَّوْدَاءُ ٱلغالِبَةُ بِسَفِيهٍ دَعْوَاهُ، إِلَّا وَافَقَ جَهُولًا عَوَاهُ، أَيِ عَطَفَهُ.

مُدَّعِي ٱلنُّبُوَّةِ

وَقَدْ ظَهَرَ في ٱلضَّيْعَةِ ٱلمَعْرُوفَةِ بِٱلنَّيْرَبِ(٤) ٱلمُقَارِبَةِ لِسَرْمِينَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِأَبِي جَوْفٍ، لا يَسْتَتِرُ مِنَ ٱلجَهْلِ بِحَوْفٍ؛ وَٱلحَوْفُ أُزَيْرٌ مِنْ أَدَم مُشَقَّقِ ٱلأَطْرَافِ ٱلسَّافِلَةِ تَتَّزِرُ بِهِ ٱلجَارِيَةُ وهي صَغِيرةٌ، وكانَ يَدَّعِي ٱلنُّبُوَّةَ، وَيُخبِرُ بِأَخْبارٍ مُضْحِكَةٍ، وَتَثْبُتُ نِيَّتُهُ عَلَى ذلك ثَباتَ ٱلمَحِكَّةِ(٥)؛ وكَانَ لَهُ قُطْنٌ في بَيْتٍ فَقَالَ: إِنَّ قُطْني لَا يَحْتَرِقُ! وَأَمَرَ ٱبْنَهُ أَنْ يُدْنِيَ سِرَاجاً إِليهِ، فَأَخَذَ في ٱلعَطَبِ(٦)، وَصَرَخَتِ ٱلنِّسَاءُ، وَٱجْتَمَعَتِ ٱلجِيْرَةُ، وإِنَّمَا ٱلغَرَضُ إِطْفَاءٌ! وَحَدَّثَني مَنْ شاهَدَ، أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ ٱلضَّحِكَ بِغَيْرِ مُوْجِبٍ، وَلَا عِنْدَ حَدَثٍ مُعْجِبٍ، فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ كَلاماً معناهُ: إِنَّ ٱلإِنْسَانَ لَيَفْرَحُ بِهَيِّنٍ قليلٍ، فكيفَ مَنْ وَصَلَ إِلى ٱلعَطَاءِ ٱلجَلِيلِ؟ وَكَانَ بَيِّنَ ٱلجُنُونِ، ليس خَبَلُهُ بِٱلمَكْنُونِ، فَٱتَّبَعَهُ ٱلأَغْبِياءُ، وَكَذَّبَ ما يَقُولُهُ ٱلأَنْبياءُ، حتَّى قَتَلَهُ وَالي حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللّٰهُ، وذلك بعدَ مَقْتَلِ ٱلبِطْرِيقِ ٱلمَعْروفِ بِٱلدَّوْقَسِ في بَلَدِ أَفَامِيَةَ(٧)، وَكَانَ ٱلَّذِي حَثَّ على قتلِهِ جيشَ بْنَ محمدِ بْنِ صَمْصَامَةَ لِأَنَّ خبرَهُ رَقِيَ إِليهِ، فَأَرْسَلَ إِلى سُلْطَانِ حَلَبَ، حَرَسَها

---

(١) استعطى: سأل العطاء.

(٢) الإصر: الذنب.

(٣) الأرمي: الهرم.

(٤) النيرب: قرية مشهورة بدمشق. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٣٠.

(٥) المحكة: المجادلة بلجاج.

(٦) العطب: الهلاك.

(٧) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام، وكورة من كور حمص. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٢٣.

ٱللَّهُ، يقولُ: اقتلْهُ وَإِلَّا أَنفَذتُ إليهِ مَنْ يقتلُهُ؛ وكانَ ٱلسلطانُ يَتَهاوَنُ بِهِ لِأَنَّهُ حَقِيرٌ، وَرُبَّ شَاةٍ نَتَجَ مِنْهَا ٱلوَقِيرُ، أَيْ قَطِيعُ ٱلغَنَمِ.

وبعضُ ٱلشيعةِ يُحَدِّثُ أَنَّ سلمانَ ٱلفارِسِيَّ في نفرٍ مَعَهُ جاءوا يطلبون عليَّ بْنَ أبي طالبٍ، سَلَامُ ٱللَّهِ عليهِ، فلم يَجِدُوهُ في منزلِهِ، فبينا هم كذلك جاءَتْ بَارِقَةٌ تَتْبَعُهَا راعِدَةٌ، وإذا عليٌّ قَدْ نَزَلَ على إجَّارِ ٱلبَيْتِ(١)، في يدِهِ سيفٌ مَخْضُوبٌ بِٱلدَّمِ، فقال: وَقَعَ [تناحر] بينَ فئتينِ مِنَ ٱلمَلَائِكَةِ، فَصَعَدْتُ إِلى ٱلسَّماءِ لِأُصْلِحَ بينَهُما!

وَٱلَّذِينَ يقولون هٰذه ٱلمَقَالَةَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱلحَسَنَ وَٱلحُسَيْنَ لَيْسَا مِنْ وَلَدِهِ، فحاق بِهِمُ ٱلعَذَابُ ٱلأَلِيمُ.

أَفَلَا يُرَى إِلى هٰذه ٱلأُمَّةِ كيفَ ٱفْتَتَنَتْ في ٱلضَّلَالَةِ، كَٱفْتِتَانِ ٱلرُّبِيعِ في إِخراجِ ٱلأَكْلَاءِ، وَٱلوَحْشِ ٱلرَّاتِعَةِ في تَرْبِيبِ(٢) ٱلأَطْلَاءِ!؟ وَلِلْكَذِبِ سُوقٌ لَيْسَتْ لِلصِّدْقِ، تَجْعَلُ ٱلأَسَدَ مِنْ أبناءِ ٱلفِرْقِ.

بُلُوغُ ٱلسِّنِّ

وَأَمَّا ٱلَّذِي ذكرَهُ مِنْ بُلُوغِ ٱلسِّنِّ، فَإِنَّ ٱللَّهَ، سُبْحَانَهُ، خَلَقَ مُقِراً وشُهْداً، وَرَغْبَةً في ٱلعاجِلَةِ وَزُهْداً وإذا ٱللَّبِيبُ أَنعَمَ ٱلنَّظَرَ، لَمْ يرَ ٱلحَيَاةَ إِلَّا تَجذُبُهُ إِلى ٱلضَّيْرِ، وَتَحُثُّ جَسَدَهُ على ٱلسَّيْرِ؛ فَٱلمُقِيمُ كَأَخي ٱرْتِحَالٍ، لَا تَثْبُتُ ٱلأَقْضِيَةُ بِهِ على حَالٍ؛ صُبْحٌ يَبْتَسِمُ وَإِمْسَاءٌ، لا يلبَثُ مَعَهُما ٱلنَّساءُ(٣) كَأَنَّهُمَا سِيْدا(٤) ضِرَاءٍ، وَٱلعُمْرُ ثُلَّةٌ في ٱفْتِرَاءٍ، وَهُما عَلَى ٱلسَّارِحِ يُغيرانِ، فَيَنْفِيانِ ٱلسَّائِمَةَ(٥) وَيَبِيرانِ(٦).

وَإِنْ كَانَ، مَكَّنَ ٱللَّهُ وَطْأَةَ ٱلأَدَبِ بِبَقَائِهِ، قَدْ أَمَاطَ ٱلشَّبِيْبَةَ فَإِنَّمَا أَنفَقَها في طَلَبِ عُلُومٍ وآدابٍ، صَيَّرَ طِلَابَهَا أَلْزَمَ دَأْبٍ، وَلَوْ كَانَ لَهَا على ٱلحَيِّ تَلَبُّثٌ، كَانَ لَهَا بِنَفْسِهِ ٱلنفيسةِ تَشَبُّثٌ، ولكنَّها بعضُ ٱلأَعْرَاضِ، لَا تُشْعِرُ بِحياةٍ وَٱنْقِرَاضٍ.

وَإِذا كُنَّا عَلَى ذَمِّ هٰذه ٱلمَنْزِلَةِ مُجْمِعِينَ، وَلِفِرَاقِها مُزْمِعِينَ، فَلِمَ نَأْسَفُ عَلَى نَأْيِ

---

(١) إجار البيت: سطحه.
(٢) التربيب: التربية والرعاية.
(٣) النساء: طول العمر.
(٤) السيد؛ بكسر السين: الذئب.
(٥) السائمة: الإبل الراعية.
(٦) يبيران، من بار الفحلُ الناقة: جعل يتشممها ليعرف ألاقح هي أم حائل.

ٱلخَوانَةِ؟ إنَّ ٱلأَشَاءَةَ لَمِنَ ٱلعَوَانَةِ، وَٱلأَشَاءَةُ ٱلنَّخْلَةُ ٱلصَّغِيرَةُ، وَٱلعَوَانَةُ ٱلنَّخْلَةُ ٱلطَّوِيلَةُ. وَمَتى أَخْلَصَ قَرِينُ ٱلغَفْلَةِ تَوْبَةً، فَإِنَّها لَا تَتْرُكُ حَوْبَةً[١]، تَغْسِلُ ذُنُوبَهُ غَسْلَ ٱلنَّاسِكَةِ جَزيزَ[٢] الفُرارِ[٣]، في مُتَدَفِّقٍ سَحَابٍ مِدْرارٍ، كَثُرَ فِيهِ ٱلقَهْلُ[٤] وَٱلدَّنَسُ، فَأَحَبَّ رَحْضَةَ[٥] ٱلأُنسِ؛ وَكَانَ قَدْ أُخِذَ عَنْ أَثْباجِ[٦] غَنَمٍ بِيْضٍ، تَفُوقُ مَا يَرْتَعُ مِنَ ٱلرَّبِيْضِ[٧]، فَعَادَ وَكَأَنَّهُ كَافورُ ٱلطِّيبِ، أَوْ مَا ضَحِكَ مِنْ كَافُورٍ رَطِيبٍ؛ وَٱلكَافُورُ: ٱلطَّلْعُ، وَقِيلَ: هو وِعَاءُ ٱلطَّلْعَةِ.

بعد السبعين

فَأَمَّا ٱلغَانِيَاتُ بَعْدَ ٱلسَّبْعِينَ، فَٱلأَشْيَبُ لَدَيْهِنَّ كَٱلعَاسِلِ يُبَاكِرُ ٱلعَيْنَ. وقد حُكِيَ أَنَّ أَبا عَمْرو بْنَ ٱلعَلَاءِ كَانَ يَخْضِبُ، فَٱشْتَكَى في بعضِ ٱلأيامِ، فعادَهُ بعضُ أَصْحَابِهِ، فقال: تَقُومُ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالى مِنْ عِلَّتِكَ. فقال: ما آمَلُ بَعْدَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ. وعَادَ إِليهِ وقد تَمَاثَلَ فَقالَ: لَا تُحَدِّثْ بِمَا قُلْتُ لَكَ. وهٰذا مِنْ ظَرِيفِ ما رُوِيَ، رَغِبَ في تَمْوِيهِ بِٱلخِضَابِ، وَكَتَمَ سِنَّهُ عَنْ كُلِّ ٱلأَصْحَابِ.

وَقَدْ تَحَدَّثَ بعضُ طُلَّابِ ٱلأَدَبِ أَنَّهُ، أَدامَ ٱللَّهُ تَزْيِينَ ٱلمَحَافِلِ بِحُضُورِهِ، ذُكِرَ ٱلتَّزْوِيجُ يُرِيدُ ٱلخِدْمَةَ، فَسَرَّني ذلك، لِأَنَّهُ دَلَّ على إِقامَةٍ بِٱلوَطَنِ، وفي قُرْبِهِ ٱلفَرْحَةُ لِذَوِي ٱلفِطَنِ. إِذْ كَانَ كَٱلشَّجَرَةِ ٱلوَارِفِ ظِلَالُهَا في ٱلهَوَاجِرِ، وَٱلبَارِدِ هَواؤُها في نَاجِرٍ[٨]، وَٱلطَّيِّبِ ثمرُها لِلذَّائِقِ، وَٱلأَرِجِ نَسِيمُها لِلنَّاشِقِ.

وهو يعرفُ حِكَايَةَ ٱلخَليلِ عَنِ ٱلعَرَبِ: إِذَا بَلَغَ ٱلرَّجُلُ ٱلسِّتِّينَ فَإِيَّاهُ وإِيَّا ٱلشَّوَابَّ[٩]؛ وَلَا خَيْرَ عِنْدَ ٱلتَّوابِّ، ولكنَّ ٱلنَّصَفَ، مِمَّنْ يُوصَفُ: ﴿لَا

---

(١) الحوبة: الذنب.

(٢) الجزيز: المجزوزُ من الصوف.

(٣) الفرار: حمل النعجة وسخل العنزة.

(٤) القهل: الدنس.

(٥) رحضة: الاغتسال.

(٦) الأثباج، واحده ثبج: وهو ظهر الشيء.

(٧) «الربيض: الغنم برُعاتها المجتمعة في مربضها..» انظر: لسان العرب ٧/ ١٤٩ مادة «ربض».

(٨) الناجر: كل شهر من أشهر الصيف.

(٩) الشواب: الأقذار والأدناس.

فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨]:

[البسيط]

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أُتِيتَ بِهَا وَٱخْلَعْ ثِيَابَكَ عَنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا[١]

وَإِنْ أَتَوْكَ وَقَالُوا: إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا ٱلَّذِي ذَهَبَا[٢]

وَلِعِلَّةٍ تُقَدَّرُ لَهُ كَصَاحِبَةِ أَبِي ٱلأَسْوَدِ أُمِّ عَمْرٍو، وَرُبَّ خَيْرٍ تَحْتَ ٱلْخَمْرِ:

[الطويل]

كَثَوْبِ ٱلْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقْعَتُهُ مَا شِئْتَ فِي ٱلْعَيْنِ وَٱلْيَدِ

أَو كَمَا قَالَ ٱلآخَرُ:

[الطويل]

ضِنَاكٌ[٣] عَلَى تَيْرَيْنِ أَمْسَتْ لِدَاتُهَا[٤] بَلِينَ بِلَى ٱلرَّيْطَاتِ[٥] وَهْيَ جَدِيدُ

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى ٱلأَصْمَعِيِّ شِعْرَ حسانِ بْنِ ثابتٍ، فَلَمَّا ٱنتهى إلى قولِهِ:

[الخفيف]

لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ ٱلنَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ ٱلشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ[٦]

قَالَ ٱلأَصْمَعِيُّ: وَصَفَهَا وَٱللهِ بِٱلكِبَرِ، وَقَدْ يَجُوزُ ما قَالَ؛ وَٱلأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ قَالَ هٰذا وهي شَابَّةٌ، عَلَى سَبِيلِ ٱلتَّأَسُّفِ، أَيْ أَنَّ ٱلأَشْيَاءَ لا بَقَاءَ لَهَا، كَمَا قَالَ ٱلآخَرُ:

[الخفيف]

أَنْتَ نِعْمَ ٱلْمَتَاعُ، لَوْ كُنْتَ تَبْقَى، غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلإِنْسَانِ

---

(١) ورد البيتان في اللسان ٩/ ٣٣١ مادة «نصف» بروي الراء المفتوحة.
«والنصف: الكهل كأنه بلغ نصف عُمُره. وقوم أنصاف ونَصَفُون، والأنثى نصَف ونصفة كذلك أيضاً: كأنَّ نِصْفَ عمرها ذهب، وقد بين ذلك الشاعر في قوله [وهو ابن أحمر]:

لا تنكِحَنْ عَجوزاً أو مُطَلَّقَةً، ولا يَسُوقَنَّها في حبلِكَ ٱلقَدَرُ

وَإِنْ أَتَوْكَ فقالوا: إنها نَصَفٌ فَإِنَّ أطيبَ نِصْفِها الذي غَبَرَا

يلاحظ أن في البيت الثاني: إقواءً».

(٢) ورد البيت في: شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٤/ ٣٧، خزانة الأدب، للبغدادي ٣/ ٣٦.

(٣) الضناك: الضيق.

(٤) لداتها: أترابها اللواتي ولدن معها.

(٥) الريطات، واحده ريطة: الملاءة.

(٦) ورد البيت في: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري صفحة: ٢٢٥.
«لَمْ تَفُتْها شمسُ ٱلنَّهارِ بِشيءٍ، غيرَ أنَّ ٱلشَّبابَ ليسَ يدومُ

وَلَوْ نَشَطَ لِهٰذه ٱلمَأْرُبَةِ، لَتَنافَسَتْ فِيه ٱلعُجُزُ وَٱلمُكْتَهِلاتُ، وَعَلَتْ خِطْبَةُ ٱلمُنْهَبِلَاتِ، لِأَنَّ ٱلعَاقِلَةَ ذَاتَ ٱلإِحْصَافِ[1]، تَجنُبُ إِلى مُعَاشَرَةِ حَلِيْفِ ٱلإِنْصَافِ.

وَهَلْ هو إِلَّا كَمَا قالَ ٱلأولُ؟:

[البسيط]

يَـا عَـزُّ هَـلْ لَكِ فِـي شَـيْـخٍ فَـتًـى أَبَـداً وَقَـدْ يَـكُـونُ شَـبَـابٌ غَـيْـرَ فِـتْـيَـانِ؟

فليسَ بِأَوَّلَ مَنْ طَلَبَ نُجوزاً[2]، فتزوَّجَ على ٱلسِّنِّ عَجُوزاً، كَمَا قالَ:

[الوافر]

إِذَا مَـا أَعْـرَضَ ٱلـفَـتَـيَـاتُ عَـنِّـي فَـمَـنْ لِي أَنْ تُـسَـاعِـفَـنِـي عَـجُـوزُ

كَـأَنَّ مَـجَـامِـعَ ٱلـلَّـحْـيَـيْـنِ مِـنْـهَـا إِذَا حَـسَـرَتْ عَـنِ ٱلـعِـرْنِـيـنِ[3] كُـوزُ

وَيُرْوَى لِلْحارِثِ بْنِ حِلِّزَةَ، ولم أجِدْهُ في دِيَوانِهِ:

[الوافر]

وَقَـالُوا: مَـا نَـكَـحْـتَ؟ فَـقُـلْـتُ: خَـيْـراً عَـجُـوزاً مِـنْ عُـرَيـنَـةَ ذَاتَ مَـالِ

نَـكَـحْـتُ كَـبِـيْـرَةً، وَغُـرِمْـتُ مَـالًا، كَـذَاكَ ٱلـبَـيْـعُ: مُـرْتَـخِـصٌ وَغَـالِ

وَأَعُوذُ بِٱللَّهِ مِمَّا قالَ ٱلآخَرُ:

[الطويل]

عَـجُـوزاً لَوَ أَنَّ ٱلـمَـاءَ يَـسْـقِـي بِـكَـفِّـهَـا لَـمَـا تَـرَكَـتْـنَـا بِـٱلـمِـيَـاهِ نَـجُـوزُ!

وَمَا زَالَتِ ٱلعَرَبُ تَحمَدُ ٱلحَيْزبونَ وَٱلشَّهْلَةَ[4]، وَلَا تَكْرَهُ مَعَ ٱلشَّرْخِ ٱلكَهْلَةَ. وَقَدْ تَزوَّجَ ٱلنَّبِيُّ، ﷺ، خَديجةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وهو شَابٌّ، وهي طاعِنَةٌ في ٱلسِّنِّ. وقالَتْ أُمُّ سلمةَ ٱبْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ: يا رسولَ ٱللَّهِ، إِنِّي ٱمرأَةٌ كَبِرْتُ ومَا أُطِيقُ ٱلغَيْرَة. فقالَ: أَمَّا قَوْلُكِ: قَدْ كَبِرْتُ، فَأَنا أَكْبرُ مِنْكِ، وَأَمَّا ٱلغَيْرَةُ، فَإِنِّي سَوْفَ أَدْعُو ٱللَّهَ أَنْ يُزِيلَهَا عَنْكِ. وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

فَـمَـا أَنـا بِـٱبْـنِ رُهْـمٍ[5] قَـدْ عَـلِـمْـتُـمْ وَلَا ٱبْـنُ ٱلـعَـامِـلِـيَّـةِ فَـٱحْـذَرُونِـي

---

(١) الإحصاف: الرزانة والتعقل.

(٢) النجوز: إتمام العمل والعمل على إنهائه.

(٣) العِرنين: الأنف.

(٤) الحيزبون: الشهلة: المرأة المسنة العجوز.

(٥) الرُّهم، بضم الراء وسكون الهاء: المرأة.

وَلٰكِنَّنِي وُلِدْتُ بِنَجْمِ شَكْسٍ[١] لِشَمْطَاءِ[٢] ٱلذَّوَائِبِ حَيْزَبُونِ

وَلَا أَشُكُّ أَنَّهُ قَدِ ٱسْتَخْدَمَ في مِصْرَ أَصْنَافَ جَوارٍ، وَهُنَّ لِلْمَآرِبِ مُوارٍ، وَلَوْلَا أَنَّ أَخَا ٱلبكرةِ يَفْتَقِرُ إلى مُعِينٍ، لَكَانَتِ ٱلحزامَةُ أَنْ يَقْتَنِعَ بِوِرْدِ ٱلمَعِينِ[٣]، فهو يعرِفُ قَوْلَ ٱلقائل:

[الرجز]

مَا ٱلعَيْشُ إِلَّا ٱلقِفْلُ وَٱلمِفْتَاحْ وَغُرْفَةٌ تَخْرُقُهَا ٱلرِّيَاحْ
لَا صَخَبٌ فِيهَا وَلَا صِيَاحْ

وَحَدَّثَنِي ٱبنُ ٱلقِنَسْرِيِّ ٱلمُقْرِئُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ عَنْ غُلَامٍ لِلْخِدْمَةِ، وَرُبَّما كَانَ ٱسْتِخْدامُ ٱلأَحْرَارِ، يَمْنَعُ مِنَ ٱلقَرارِ، فقدْ قالَ أَبُو عُبَادَةَ[٤]:

[الخفيف]

أَنَا مِنْ يَاسِرٍ وَيُسْرٍ وَنُجْحٍ لَسْتُ مِنْ عَامِرٍ ولَا عَمَّارِ!
مَا بِأَرْضِ ٱلعِرَاقِ يَا قَوْمُ حُرٌّ يَفْتَدِينِي مِنْ خِدْمَةِ ٱلأَحْرَارِ؟

وَأَنْ يَخْدُمَ نفسَهُ ٱلوحِيدُ، خيرٌ مِنْ أَنْ يَلِجَ بيتَهُ ٱلعَبِيدُ؛ فَطَالَمَا أَحْوَجُوا ٱلمَالِكَ إلى ضَرْبٍ، وَأَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِٱلعَرَبِ.

وَرُبَّ نازِلٍ مِنْ أهلِ ٱلأَدَبِ في خَانٍ، ليسَ بِٱلخَائِنِ وَلَا ٱلمُسْتَخَانِ، يخدُمُه صَبِيٌّ مِنَ ٱلرِّقِّ حُرٌّ، وفي خِدْمَتِهِ ٱلسَّرَقُ وٱلضُّرُّ، إذا أَرْسَلَهُ بِٱلبَتَكِ[٥]، بنَاتِ ٱلدِّرْهَمِ، لِيَأْتِيَهُ بِٱلطَّبِيخَةِ، حينَ يكْثُرُ ٱلطَّبِيخُ وَيَتِيحُ[٦]، سِعْرُهُ ٱلمُشْتَعِلُ مَتِيحٌ، سَرَقَ في ٱلسَّبِيلِ القِطَعَ، وَٱنْتَهَى في ٱلخِيَانَةِ وَتَنَطَّعَ[٧]، ثُمَّ وَقَفَ بِٱلبَائِعِ، فَغَبَنَهُ غَبْنَ ٱلرَّائِعِ، فَأَخَذَ صَغِيرَةً مِنْ بَطِّيخٍ، لَا تُلْقِي ٱلنَّاظِرَ بِمِثْلِ ٱلوَرْسِ[٨] ٱللَّطِيخِ.

ثُمَّ ٱنْصَرَفَ بِهَا لَاعِباً، كَأَنَّمَا هَدَى كَاعِباً[٩] فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَقَّفُ بِهَا في ٱلطَّرِيقِ، حَتَّى

---

(١) الشكس: المحاق.
(٢) الشمطاء: المرأة التي خالط سواد شعرها بياض.
(٣) المعين: مورد الماء.
(٤) البحتري.
(٥) البتك: القطع أو الطائفة من الشيء.
(٦) يتيح: يتهيأ.
(٧) تنطّع: تفصّح وتعمّق في الكلام.
(٨) الورس: ضرب من النبات زهره أصفر اللون يستعمل في الصباغ.
(٩) الكاعب: الفتاة الناهد.

كَسرَهَا بينَ فريقٍ، فَٱخْتَلَطَ حَبُّها بِٱلحَصْبَاءِ، وَزَهِدَ في قُرْبِهَا كُلُّ ٱلأَربَّاءِ. ويجوزُ أَنْ يَحْمِلَهَا فِي حَالِ ٱلسَّلاَمَةِ، وَيَمْضيَ لِيَسْبَحَ مَعَ ٱلفِتْيَانِ، فَإذا نَزَلَ في ٱلمَاءِ، ٱخْتَطَفَهَا بعضُ ٱلعَرَمَةِ مِنَ ٱلصِّبْيَانِ، فَأَكَلَهَا وهو يَرَاهُ، لا يحفَلُ بِأَدِيمِها إِذْ فَرَاهُ. وَقَدْ يُرْسِلُهُ بِٱلغَضَارَةِ[١] يَلْتَمِسُ لَبَناً، فَيُقابِلُ مِنْ سُوءِ ٱلرَّأْيِ غُبْناً[٢]، فَإِذا حَصَلَ فِيها ٱلهُدَبِدُ[٣]، عَثَرَ فَإِذا هو على ٱلصَّحْراءِ مُتَلَبِّدٌ، وَصَارَتِ ٱلفُخَّارَةُ خَزَفاً لا يُرَادُ، يُلْغِيهِ ٱلنَّسَكَةُ وَٱلمُرَّادُ[٤]، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَذْهَبُ مَذْهَبَ ٱبنِ ٱلرُّومِيِّ عدَّ أَنَّ تَحَطُّمَ ٱلغَضَارَةِ، فَنَاءُ عَيْشِهِ ذي ٱلغَضَارَةِ؛ فدَعَا بِٱلحَرْبِ، وَشَدَّهُ عَنْ فَوَاتِ ٱلأَرَبِ[٥]، وما يَصْنَعُ بِذلك ٱلمُضْمَقِرُ[٦]، وقَدْ حَانَ ٱلمُرتَحِلُ إلى ٱلمَقَرِّ؟

وَكَانَ في بَلَدِنا غلامٌ لِبَعْضِ ٱلجُنْدِ يَزْعُمُ، وَيُصَدَّقُ فِيمَا يَزْعُمُ، أَنَّهُ كَانَ مَمْلُوكاً لِأَبي أُسَامَةَ جُنَادَةَ بْنِ محمدٍ ٱلهَرَوِيِّ[٧] بِمِصْرَ، وَكَانَ يأسَفُ لِفِراقِهِ، وَيَعْجَبُ مِنَ جميلِ أَخْلَاقِهِ، ويقولُ: إِنَّهُ بَاعَهُ مِنْ أَجْلِ ٱلعَوْمِ[٨]، فَمَا أَوْقَعَ غَلَاءً في ٱلسَّوْمِ[٩].

وَإِنَّما ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ، عَرَّفَ ٱللَّهُ ٱلوَقْتَ بِحَيَاتِهِ، أَيْ طَيَّبَهُ، مِمَّنْ قَدْ عَرَفَ جَنَادَةَ وَجَرَّبَهُ.

أَهْلُ بَلَدِي

وَأَمَّا أَهْلُ بَلَدِي، حَرَسَهُمُ ٱللَّهُ، فَإِذَا كَانَ ٱلحَظُّ قَدْ أَعْطَانِي حُسْنَ ظَنِّ ٱلغُرَبَاءِ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُعْطِيَنِي تِلْكَ ٱلمَنْزِلَةَ مِنَ ٱلرَّهْطِ ٱلقُرَبَاءِ. ولكِنَّهُمْ كَطُلَّابِ ٱلخُطْبَةِ مِنَ ٱلأَخْرَسِ، وَحَرٌّ ناجِرٍ مِنْ شَهْرِ ٱلقَرَسِ.

وَسَيِّدي ٱلشيخُ أبو ٱلعَبَّاسِ ٱلمُمَتَّعُ: في ٱلسِّنِّ وَلَدٌ، وَفِي ٱلمَوَدَّةِ أَخٌ، وَفي فَضْلِهِ جَدٌّ أو أَبٌ. وَإِنَّه في دَأْبِهِ، لَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل: ١٩].

---

(١) الغضارة: النعمة.

(٢) الغبن: التنقص من قيمته، نتيجة الظلم.

(٣) الهدبد: اللبن.

(٤) المرّاد، مفرده مارد: الجبار.

(٥) الأرب: المطلوب.

(٦) المصمقر: اللبن الحامض.

(٧) هو: جُنادة بن محمد الهروي الأزدي، أبو أسامة: عالم باللغة من أهل هراة. قتله الحاكم صاحب مصر سنة ٣٩٩هـ = سنة ١٠٠٩م انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/١١٧.

(٨) العوم: السباحة.

(٩) السَّوْم: المجادلة في الشراء والبيع.

إِشْفَاقُ ٱلشَّيْخِ

وَأَمَّا إِشْفَاقُ ٱلشَّيْخِ، عَمَرَ ٱللَّهُ خَلَدَهُ بِٱلجَذْلِ، وَأَرَاحَ سَمْعَهُ مِنْ كُلِّ عَذْلٍ، فَتِلْكَ سَجِيَّةُ ٱلأَنِيسِ، لا يَخْتَصُّ بِها أَخُو ٱلجُبْنِ عَنِ ٱلشُّجاعِ ٱلبَئِيسِ. وَمِنَ ٱلقُسُوطِ(1)، تَعَرُّضٌ بِٱلنُّوطِ. ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

كَمْ مِنْ أَدَيْبٍ شَرِبَ وَطَرِبَ ثُمَّ تَابَ وَأَجَابَ العِتَابَ. فَقَدْ يَضِلُّ ٱلدَّلِيلُ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ، ثُمَّ يَهْدِيهِ ٱللَّهُ بِأَحَدِ ٱلأَمْرِ، وَكَم ٱسْتَنْقَذَ مِنَ ٱللُّجِّ غَرِيقٌ، فَسَلِمَ وَلَهُ تَشْرِيقٌ(2).

وَقَدْ كَانَ ٱلفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ(3) يَسِيمُ في أَوْبَلِ رِيَاضٍ، ثُمَّ حُسِبَ في ٱلزُّهَّادِ، وَجُعِلَ مِنْ أَهْلِ ٱلاجْتِهَادِ.

وَرُبَّ خَلِيعٍ وهو فتًى، تَصَدَّرَ لِمَا كَبُرَ وَأَفْتَى، وَمُغَنٍّ بِطَنْبُورٍ أَوْ عُودٍ، قُدِّرَ لَهُ تَوَلِّي ٱلسُّعُودِ، فَرَقِيَ مِنْبراً لِلْعِظَاتِ، مِنْ بَعْدِ إِرْسَالِ ٱللَّحَظَاتِ.

وَلَعَلَّهُ قَدْ نَظَرَ في طَبَقَاتِ ٱلمُغَنِّينَ فَرَأَى فِيهِمْ عُمَرَ بْنَ عبدِ ٱلعَزِيزِ(4)، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ(5)، هٰكذَا ذَكَرَ ٱبْنُ خُرْداذْبه(6)، فَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ.

وَٱلحِكَايَةُ معروفةٌ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ يُشَارِبُ حَمَّادَ عَجْرَدَ وَيُنَادِمُهُ، فَنَسَكَ أَبُو

---

(١) القسوط: الجور والظلم.

(٢) التشريق: الأيام الثلاثة من عيد الأضحى، تبدأ من صباح يوم العيد، وتنتهي عصر اليوم الثالث. يكبر المسلمون بعد كل صلاة فيها.

(٣) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث. توفي في مكة سنة ١٨٧هـ = سنة ٨٠٣م. انظر ترجمته في: صفة الصفوة ٢/ ١٣٤، وفيات الأعيان ١/ ٤١٥.

(٤) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل. ولد سنة ٦١هـ = سنة ٦٨١م في المدينة، وولي إمارتها للوليد. بويع بالخلافة سنة ٩٩هـ. دسّ له السمّ فمات سنة ١٠١هـ = سنة ٧٢٠م. انظر ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ٩/ ٢٥٤، المسعودي ٢/ ١٣١ ـ ١٣٧.

(٥) هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد اللّه: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. مولده في المدينة ووفاته فيها سنة ١٧٩هـ = سنة ٧٩٥م صنف «الموطأ»، «المسائل». انظر ترجمته في: الديباج المذهب ١٧ ـ ٣٠، وفيات الأعيان ١/ ٤٣٩.

(٦) هو: عبيد اللّه بن أحمد بن خُرْداذْبُهْ، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جدّه خُرْداذْبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة. من تصانيفه: «المسالك والممالك» و«الشراب» توفي نحو سنة ٢٠٥هـ = نحو سنة ٨٢٠م انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم: ١٤٩، كشف الظنون: ١٦٦٥.

حنيفةَ وَأَقامَ حَمَّادٌ في ٱلغَيِّ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَبا[١] حَنيفة يَذُمُّهُ وَيَعِيبُهُ، فَكَتَبَ إليهِ حَمَّادٌ.

[مجزوء الكامل]

إنْ كَانَ نُسْكُكَ لَا يَتِمُّ ... بِغَيْرِ شَتْمِي وَٱنْتِقَاصِي

فَاقْعُدْ وَقُمْ بِي كَيْفَ شِئْـ ... ـتَ مَعَ ٱلأدانِي وَٱلأَقَاصِي

فَلَطَالَمَا زَكَّيْتَنِي، ... وَأَنَا ٱلمُقِيمُ عَلَى ٱلمَعَاصِي

أَيَّامَ تُعْطِينِي وَتَأْ ... خُذُ فِي أَبَارِيقِ ٱلرَّصَاصِي

أَلَيْسَ ٱلصَّحَابَةُ، عليهِمْ رِضوانُ ٱللَّهِ، كُلُّهُمْ كانَ على ضَلَالٍ، ثُمَّ تَدارَكَهُ ٱلْمُقْتَدِرُ ذُو ٱلجَلَالِ؟ وفي بعضِ ٱلرِّواياتِ أَنَّ عمرَ بْنَ ٱلخطَّابِ خَرَجَ مِنْ بيتِهِ يُرِيدُ مُجمَّعاً كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فيهِ لِلْقِمارِ، فلم يَجِدْ فيهِ أَحَداً فقالَ: لَأَذْهَبَنَّ إلى ٱلخَمَّارِ، لَعَلِّي أَجِدُ عِنْدَهُ خَمْراً. فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ شيئاً. فقالَ: لَأَذْهَبَنَّ وَلَأُسْلِمَنَّ.

وَٱلتَّوْفِيقُ يَجِيءُ مِنَ ٱللَّهِ، سبحانَهُ وَتَعالَى، بِإِجْبَارٍ، وَفِيما خُوطِبَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ، ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٩].

وَذَكَرَ أَبُو مَعْشرٍ ٱلمَدَنِيُّ[٢] في كتابِ ٱلمَبْعَثِ حَدِيثاً معناهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، ذَبَحَ ذبيحةً لِلأَصْنَام فَأَخَذَ شَيئاً منها فَطُبِخَ لَهُ، وَحَمَلَهُ زيدُ بْنُ حارِثَةَ[٣] وَمَضَيَا لِيَأْكُلَاهُ في بعضِ ٱلشِّعَابِ، فَلَقِيَهُما زيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ[٤]، وَكَانَ مِنَ ٱلمُتَأَلِّهِينَ في ٱلجَاهِلِيَّةِ،

---

(١) هو: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة. مات في محبسه سنة ١٥٠هـ = سنة ٧٦٧م. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣ ـ ٤٢٣، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٧.

(٢) هو: نجيح بن عبد الرحمن السندي، أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتاريخ. أصله من السند. أقام في المدينة اصطحبه المهدي العباسي معه إلى العراق. مات في بغداد سنة ١٧٠هـ = ٧٨٧م. له كتاب «المغازي» انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٧.

(٣) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي: صحابي. اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد إلى النبي ﷺ حين تزوّجها، فتبنّاه قبل الإسلام ـ وأعتقه وزوجه بنت عمته. واستمرّ الناس يسمونه زيد بن محمد حتى نزلت سورة الأحزاب فمنع التبني. استشهد في غزوة مؤته سنة ٨هـ = سنة ٦٢٩م. انظر ترجمته في: الإصابة ١/ ٥٦٣، صفة الصفوة ١/ ١٤٧.

(٤) هو: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. كان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. كان يعبد اللّه على دين إبراهيم. كان عدوًّا لوأد البنات. توفي سنة ١٧ق.هـ = سنة ٦٠٦م انظر ترجمته في: الأغاني ٣/ ١٥، خزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٩٩.

فَدَعَاهُ ٱلنَّبِيُّ، ﷺ، لِيَأْكُلَ مِنَ ٱلطَّعَامِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ فَقَالَ: هو من شيءٍ ذَبَحْنَاهُ لِآلِهتِنَا. فقال زَيدُ بْنُ عَمْرو إِنِّي لَا آكُلُ مِنْ شَيءٍ ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَإِنِّي عَلَى دينِ إبراهيمَ صلَّى ٱللَّهُ عليهِ، فَأَمَرَ ٱلنَّبِيُّ، ﷺ زيدَ بْنَ حارثَةَ بِإِلْقَاءِ ما مَعَهُ.

وفي حديثٍ آخرَ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ بِإِسْنَادٍ: أَنَّ تَمِيمَ بْنَ أَوْسٍ ٱلدَّارِيَّ[١]، وٱلدَّارُ قبيلةٌ مِنْ لَخْمٍ، كَانَ يَهْدِي إِلى ٱلنَّبِيِّ، ﷺ، في كُلِّ سنةٍ رِوَايَةً مِنْ خَمْرٍ، فَجَاءَ بِهَا في بعضِ ٱلسنينَ، وَقَدْ حُرِجَتِ[٢] الخَمْرُ، فَأَرَاقَهَا، وبعضُ أَهْلِ ٱللُّغَةِ يقولُ: فَبَعَّها[٣].

وَٱلْمَطْبُوخُ إِنْ أَسْكَرَ فهو جَارٍ مَجْرَى ٱلخَمْرِ، عَلَى أَنَّ كثيراً مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ قَدْ شَرِبُوا ٱلجُمْهُورِيَّ[٤] وَٱلبَخْتَجَ[٥] وَٱلْمُنَصِّفَ[٦]، وَذُكِرَ، عِنْدَ أحمدَ بْنِ يحيى ثعلبٍ[٧]، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ[٨]، وَإِنْ كَانَ شَرِبَ ٱلنَّبِيذَ قَطُّ؟ وَٱلنَّبِيذُ عِنْدَ ٱلفُقَهَاءِ غيرُ ٱلخَمْرِ، فَقَالَ ثعلبٌ: أنا سَقَيْتُهُ بِيَدِي في خِتَانَةٍ كَانَتْ لِخَلَفِ بْنِ هِشَامٍ ٱلبَزَّازِ[٩].

فَأَمَّا ٱلطِّلَاءُ[١٠] فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلخَطَّابِ، عليهِ ٱلسَّلَامُ، رَتَّبَهُ على نَصَارَى ٱلشَّامِ لِجُنُودِ ٱلمُسْلِمِينَ، وَٱلمَثَلُ ٱلسَّائِرُ:

[المتقارب]

هِيَ ٱلخَمْرُ تُكْنَى ٱلطِّلَاءَ ... كَمَا ٱلذِّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةْ[١١]

---

(١) هو: تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي. أسلم سنة ٩هـ. وهو أول من أسرج السراج بالمسجد. وكان راهب عصره. روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً. استوطن فلسطين ومات في الخليل سنة ٤٠هـ = سنة٦٦٠م. انظر ترجمته في: صفة الصفوة ١/ ٣١، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٣٤٤.

(٢) حرجت: حرّمت.

(٣) بعّها: أراقها.

(٤) الجمهوري: العصير المطبوخ الحلال.

(٥) البختج: العصير المطبوخ.

(٦) المنصف: الذي يطبخ حتى يذهب نصفه.

(٧) مرّت ترجمته.

(٨) مرّت ترجمته.

(٩) هو: خلف بن هشام البزار، الأسدي، أبو محمد: أحد القراء العشرة كان عالماً عابداً ثقة. أصله من فم الصِّلح (بكسر الصاد) قرب واسط، واشتهر في بغداد وتوفي فيها مختفياً سنة ٢٢٩هـ = سنة ٨٤٤م. زمن الجهمية. انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٢٢.

(١٠) الطلاء: من أسماء الخمر.

(١١) ورد البيت في: لسان العرب ١٥/ ١١ مادة «طلا».

«والطلاء: ما طُبِخَ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وتسميه العجم المَيْبُختج، وبعض العرب يسمي الخمر، الطِّلاء يريد بذلك تحسين اسمها إلّا أنها الطِّلاء بعينها، قال عبيد بن الأبرص للمنذر حين أراد قتله:

هِيَ ٱلخَمْرُ، يكنونها بِٱلطِّلا، ... كَمَا ٱلذِّئْبُ يكنى أبا جَعْدَةْ =

وَهٰذا ٱلبيتُ يُرْوَى نَاقِصاً كَمَا عُلِمَ، وهو يُنْسَبُ إلى عَبِيْدِ بْنِ ٱلأَبْرَصِ، وَرُبَّمَا وُجِدَ في ٱلنُّسْخَةِ مِنْ دِيْوَانِهِ، وليسَ في كُلِّ ٱلنُّسْخِ. وَٱلَّذي أذهبُ إليهِ أَنَّ هَذا ٱلبَيْتَ قِيلَ في ٱلإِسْلَامِ بَعْدَمَا حُرِّمَتِ ٱلخَمْرُ.

لَذَّةُ ٱلشُّرْبِ

وَإِنَّما لَذَّةُ ٱلشُّرْبِ فيما يَعْرِضُ لَهُمْ مِنَ ٱلسُّكْرِ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَكَانَ غَيْرُهَا مِنَ ٱلأَشْرِبَةِ أعذبَ وَأَدْفأَ، وقال ٱلتَّغْلِبِيُّ[١]:

[الخفيف]

عَــلَّلَانِــي بِــشُــرْبَــةٍ مِــنْ طِــلَاءٍ   نَعِمَتِ ٱلنِّيمُ[٢] في شَبَا[٣] ٱلزَّمْهَرِيْرِ[٤]

ويُرْوَى لِدِعْبَلٍ[٥]:

[الرمل]

عَــلِّلانِــي بِــسَــمَــاعٍ وَطِــلَا،   وَبِـضَـيْـفٍ جَـائِعٍ يَـبْـغِـي ٱلـقِـرَى

وَهٰذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱلطِّلَا يُسْكِرُ، ويُرْوَى لِلْهُذَلِيِّ:

[الوافر]

إِذَا مَـا شِـئْـتُ بَـاكَـرَنِـي غَـرِيْـضٌ[٦]   وَزِقٌّ فِـيْـهِ نَـيٌّ أَوْ نَـضِـيْـجُ

وقالَ آخرُ:

[البسيط]

لَا تَـسْـقِـنِـي ٱلـخَـمْـرَ إِلَّا نَـيْـئَةً قُـدِمَـتْ   تَـحْتَ الـخَـتَامِ، فَشَرُّ ٱلـخَـمْـرِ مَا طُبِـخَا

= واستشهد به ابن سيده على الطِّلاء خاثِر المنصَّفِ يُشبه به، وضربه عبيد مثلاً أي تظهر لي الإكرام، وأنت تريد قتلي، كما أن الذئب وإن كانت كنيته حسنة فإن عمله ليس بحسن، وكذلك الخمر وإن سميت طِلاءً وحسُن اسمها فإنّ عملها قبيح؛ وروى ابن قتيبة بيت عبيد:
هي الخمرُ تُكنَّى الطِّلا.
وعروضه على هذا، تنقص جزءاً، فإذاً هذه الرواية خطأ».

(١) هو: الأخطل. مرّت ترجمته.
(٢) «النيم: الفرْو، وقيل: الفَرْو القصير إلى الصدر، وقيل له نِيمٌ أي نصف فرو، بالفارسية». انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٩٩ مادة «نوم».
(٣) «شباةُ كُلِّ شيء: حدّ طرفه، وقيل حَدُّه.. والجمع شبوات وشباً..». انظر: لسان العرب ١٤/ ٤١٩ مادة «شبا».
(٤) الزمهرير: شِدّة البرد.
(٥) مرّت ترجمته.
(٦) «الغريض: الطّريُّ من اللحم والماء واللبن والتمر..» انظر: لسان العرب ٧/ ١٩٥ مادة «غرض».

وَإنْ كَانَ، هَيَّأَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْمُحابَّ، قَدْ شَرِبَ نَيًّا، وَقَالَ لَهُ ٱلنَّدْمَانُ: هَنِيًّا، فَلَهُ أُسْوَةٌ بِشَيْخِ ٱلأَزْدِ محمدِ بْنِ ٱلحَسَنِ إِذْ قالَ:

[الرجز]

بَـلْ رُبَّ لَيْـلٍ جَـمَـعَـتْ قُـطْـرَيْـهِ لِي ... بِـنْـتُ ثَـمَـانِـيْـنَ عَـرُوسٌ تُـجْـتَـلَى

ثُمَّ قَالَ في آخِرِ ٱلقَصِيْدَةِ:

فَـإِنْ أَمُـتْ فَـقَـدْ تَـنَـاهَـتْ لَذَّتِـي ... وَكُـلُّ شَـيْءٍ بَـلَـغَ ٱلـحَـدَّ ٱنْـتَـهَـى

وَمَا أَخْتَارُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِ ٱلحَكَمِيِّ:

[الكامل]

قَـالُوا: كَبِرْتَ، فَقُلْتُ: مَا كَبِرَتْ يَدِي ... عَـنْ أَنْ تَـسِـيْـرَ إِلَى فَـمِـي بِـٱلـكَـاسِ

وهو يَعْرِفُ ٱلبيتَ:

[الطويل]

وَمَـا طَـبَـخُـوهَـا، غَـيْـرَ أَنَّ غُـلَامَـهُـمْ ... سَـعَـى لَيْـلَةً فِـي كَـرْمِـهَـا بِـسِـرَاجِ

وقولِ عبدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلمُعْتَزِّ[1]:

[الخفيف]

ذَكَـرَ ٱلـعِـلْجُ[2] أَنَّـهُـمْ طَـبَـخُـوهَـا، ... فَـرَضِـيْـنَـا وَلَوْ بِـعُـودِ خِـلَالِ

وَقِدَماً طَلَبَ ٱلنَّدَامَى مَطْبُوخاً، شُبَّاناً في ٱلعُمْرِ وَشُيُوخاً، يُنَافِقُونَ بِٱلصِّفَةِ وَيُوارُونَ، وَعَنِ ٱلصَّهْبَاءِ ٱلعَاتِقَةِ يُدارُونَ، وَأَبْيَاتُ ٱلحُسَينِ بْنِ ٱلضَّحَاكِ ٱلخَلِيعِ[3] ٱلَّتي تُنْسَبُ إلى أَبي نُوَاسٍ مَعْرُوفَةٌ:

وَشَـاطِـرِيِّ ٱلـلِّسَـانِ مُـخْـتَـلَقُ ٱلتَّـ ... ـكْـرِيَـةِ، شَـابَ ٱلـمُـجُـونَ بِـٱلـنُّـسُـكِ

بَـاتَ بِـغُـمِّـي يَـرْتَـادُ صَـالِـيَـةَ ٱلـ ... ـنَّـارِ وَيُـكَـنِّـي عَـنِ ٱبْـنَـةِ ٱلـمَـلِكِ

دَسَّـسْـتُ[4] حَـمْـرَاءَ كَـٱلـشِّـهَـابِ لَهُ ... مِـنْ كَـفِّ خَـمَّـارِ حَـانَـةٍ أَفِـكِ[5]

---

(١) مرّت ترجمته.

(٢) العِلْج: الكافر من اليهود والنصارى.

(٣) هو: الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، من مواليهم أو هو منهم، أبو علي: شاعر من ندماء الخلفاء. ولد في البصرة سنة ١٦٢هـ = سنة ٧٧٩م وتوفي في بغداد سنة ٢٥٠هـ = سنة ٨٦٤م. أبو نواس متهم بأخذ معانيه في الخمر. يلقب بالخليع. انظر ترجمته في: الأغاني ٦/ ١٦٥ ـ ١٠٥، وفيات الأعيان ١/ ١٥٤.

(٤) دسست: أدخلت خفية.

(٥) الأفك: الأبله.

يَخْلِفُ عَنْ طَبْخِهَا بِخَالِقِهِ، وَرَبُّ مُوسَى وَمُنْشِئِ ٱلْفَلَكِ
كَأَنَّمَا نَصَبَ كَأْسَهَا قَمَرٌ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ ٱلْفَلَكِ

ومِنَ ٱلنِّفَاقِ أَنْ يُظْهِرَ ٱلإِنْسَانُ شُرْبَ ما أَجَازَ شُرْبَهُ بعضُ ٱلْفُقَهَاءِ، وَيَعْمَدَ إِلى ذاتِ ٱلإِقْهَاءِ[1]، فَقَدْ أَحْسَنَ ٱلْحَكَمِيُّ في قولِهِ:

فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ ٱلْغِوَايَةِ، فَلْيَكُنْ لِلَّهِ ذَاكَ ٱلنَّزْعُ، لَا لِلنَّاسِ

وَقَدْ آنَ لِمَوْلَايَ ٱلشيخِ أَنْ يَزْهَدَ في شِيْمَةِ حَمِيدٍ، وَيَنْصَرِفَ عَنْ مَذْهَبِ أَبي زبيدٍ، وَإِنَّما عَنَيْتُ حَمِيداً ٱلأَمْجِيَّ[2] قائلَ هٰذه ٱلأبياتِ:

[المتقارب]

شَرِبْتُ ٱلْمُدَامَ، فَلَمْ أُقْلِعِ وَعُوتِبْتُ فِيهَا فَلَمْ أَرْجِعِ
حَمِيدُ ٱلَّذِي أَمَجٌ دَارُهُ، أَخُو ٱلْخَمْرِ ذُو ٱلشَّيْبَةِ ٱلأَصْلَعِ
عَلَاهُ ٱلْمَشِيبُ عَلَى حُبِّهَا، وَكَانَ كَرِيماً فَلَمْ يَنْزِعِ

وقالَ آخرُ:

[الطويل]

تُعَاتِبُنِي فِي ٱلرَّاحِ أُمُّ كَبِيرَةٍ وَمَا قَوْلُهَا، فِيمَا أَرَاهُ، مُصِيبُ
تَقُولُ: أَلَا تَجْفُو ٱلْمُدَامَ فَعِنْدَنَا مِنَ ٱلرِّزْقِ تَمْرٌ مُكَثَّبٌ[3] وَزَبِيبُ؟
فَقُلْتُ: رُوَيْداً مَا ٱلزَّبِيبُ مُفَرِّجِي، وَلَيْسَ لِتَمْرٍ فِي ٱلْعِظَامِ دَبِيبُ
فَإِنَّ حَمِيداً عَلَّهَا فِي شَبَابِهِ، وَلَمْ يَصْحُ مِنْهَا حِينَ لَاحَ مَشِيبُ

وَإِذَا تَسَامَعَتِ ٱلْمَحَافِلُ بِتَوْبَتِهِ، ٱجْتَمَعَ عليهِ ٱلشُّبَّانُ ٱلْمُقْتَبِلُونَ، وَٱلأُدَبَاءُ ٱلْمُتَكَهِّلُونَ[4]، وَكُلُّ أَشْيَبَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ، كَمَا ٱجْتَمَعَ لِسَمَرٍ أَصْنَافُ ٱلسُّمَّارِ، فَيَقْتَبِسُونَ مِنْ آدابِهِ، وَيُصْغُونَ ٱلْمَسَامِعَ لِخِطَابِهِ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي بَعْضِ ٱلْمَسَاجِدِ بِحَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، فَإِنَّها مِنْ بَعْدِ أَبي عبدِ ٱللَّهِ بْنِ خَالَوَيْهِ عُطِّلَتْ مِنْ خَلْخَالٍ وَسِوَارٍ، وَنَارَتْ[5] مِنَ ٱلأَدَبِ أَشَدَّ ٱلنَّوَارِ[6].

---

(١) الإقهاء: إبعاد شارب الخمرة عن الأكل اكتفاءاً بها.
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣) مُكثَّب: متراكم بعضه فوق بعض.
(٤) المتكهلون: البالغو مرحلة الكهولة.
(٥) نارت: خلت.
(٦) النوار: البعد أماكن الريب.

وَإِذَا كَانَ ذلك بِتَفَضُّلِ ٱللَّهِ، أَعَدَّ مَعَهُ خِنجَراً كَخِنْجَرِ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ، أَوِ ٱلَّذي عَنَاهُ ٱبْنُ هَرْمَةَ(١) في قولِهِ:

[المنسرح]

لا أُمْتِعُ ٱلعُوذَ(٢) بِٱلفِصَالِ وَلَا ... أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ ٱلأَجَلِ

لَا غَنَمِي فِي ٱلحَيَاةِ مَدَّ لَهَا ... إِلَّا دِراكُ ٱلقِرَى، وَلَا إِبِلِي

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأْتُ(٣) مَنحَرَهَا، ... بِمُسْتَهِلِّ ٱلشُّؤْبُوبِ(٤)، أَوْ جَمَلِ

فَإِذا جَلَسَ في مَجْلِسِهِ ٱلَّذي يَلْتَقِطُ أَهْلُهُ زَهَرَ أَسْحَارٍ، بَلْ لُؤْلُؤَ بِحَارٍ، فَيَكُونُ ذلك ٱلخِنْجَرُ قَرِيباً مِنْهُ، فَإِذا قُضِيَ أَنْ يَمُرّ بِبَابِ ٱلمَسْجِدِ ٱلكَهْلُ ٱلمُرَقَّبُ ٱلَّذي أَرَادَهُ ٱلقَائِلُ بِقَوْلِهِ:

[الوافر]

إِذَا ٱلكَهْلُ ٱلمُرَقَّبُ غَاضَ(٥) أُلْنَا(٦) ... إِلَى سِيٍّ(٧) لَهُ فِي ٱلقِرْوِ(٨) ثَانِ

كَأَنَّ ٱلذِّراعَ ٱلمَغْلُولَ مِنْهَا ... سَلِيبٌ مِنْ رِجَالِ ٱلدَّيْبَلَانِ(٩)

وَثَبَ إِليهِ وَثْبَةَ نَمِرٍ، إِلى مُتَخَلِّفَةٍ وَقِيْرٍ أَمَرَ. أَوْ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِٱلوُثُوبِ إِلَيْهِ، فَوَجَأَهُ إِليهِ، فَوَجَأَهُ بِذَلِكَ ٱلخِنْجَرِ وَجْأَةً فَٱنْبَعَثَ بِمِثْلِ ٱلدَّمِ، أَوِ ٱلخَالِصِ مِنَ ٱلخَالِصِ مِنَ ٱلعَنْدَمِ(١٠)، وَقَرَأَ هٰذه ٱلآيَة: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

فَإِذَا مَضَى صَاحِبُهُ مُسْتَعْدِياً إِلى ٱلسُّلْطَانِ فقالَ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكَ؟» فَسَمَّاهُ لَهُ،

---

(١) هو: إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هَرْمة الكناني القرشي، أبو إسحاق: شاعر غزل من سكان المدينة. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مدح الوليد بن يزيد ثم مدح المنصور العباسي. مات سنة ١٣٨هـ = ٧٦٢م. انظر ترجمته في: الأغاني ٤/١٠١ طبعة الساسي، تاريخ بغداد ٦/١٢٧.

(٢) «العائذ من الإبل: الحديثة النتاج إلى خمس عشرة أو نحوها».

(٣) وجأ: نحر.

(٤) الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٥) غاض: ابتلع ماءه ونضب.

(٦) أُلنا، من آل يؤول، أي رجع.

(٧) السيّ: المثل.

(٨) القرو، من القرى: الضيافة.

(٩) الديبلان: نوع من القصب ينبت في بلاد السند.

(١٠) العندم: خشب نبات يصبغ به للونه الأحمر القاني، ويقال له دم الأخوين.

قَالَ ٱلسُّلْطَانُ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ: لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ، مَا أَصْنَعُ بِجَنْثِ[1] ٱلأَدَبِ وَبَقِيَّةِ أَهْلِهِ؟ وَوَطَنُهَا تحت قَدَمِهِ، وَحَسِبَها مِنْ زَعَانِفِ أَدَمِهِ[2]. ما ذلك مَرَّةً أَوِ ٱثنتينِ، إِلَّا وحَمَلَةُ ٱلذَّوارِعِ قَدِ ٱجْتُنِبَتْ تلك ٱلنَّاحِيَةُ، كَمَا ٱجْتَنَبَ أبو سفيانَ بْنُ حَرْبٍ طريقَهُ مِنْ خَوْفِ ٱلنَّبِيِّ، ﷺ. فقالَ حَسَّانٌ:

[الطويل]

إِذَا أَخَـذَتْ حَـوْرَانَ مِـنْ رَمْـلِ عَـالِجٍ ... فَـقُـولَا لَهَـا: لَيْسَ ٱلـطَّـرِيْـقُ هُـنَـالِكِ[3]

وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ ٱلْمُعَدُّ مَشْمَلًا[4] يُشْتَمَلُ عليهِ في ٱلكُمِّ، فَإِذَا ضُرِبَ بِهِ ذِرَاعُ ٱلخَمْرِ. ذَكَرَ مَنْ نَظَرَ في ٱلْمُبتدإِ حَدِيثَ طَالُوتَ لَمَّا أَمَرَ ٱبْنَتَهُ وهيَ ٱمرأةُ داودَ، صَلَّى ٱللَّهُ عليهِ، أَنْ تُدْخِلَهُ عليهِ وهو نَائِمٌ لِيقْتُلَهُ، فَجَعَلَتْ لَهُ في فِرَاشِ داودَ زِقَّ خَمْرٍ وَدَسَّتْهُ عليهِ، فَأَوْمَأَ بِٱلسَّيْفِ لِيقتُلَ نفسَهُ ومَعهُ ٱبنَتُهُ، فَأَمْسَكَتْ يَدَهُ وَحَدَّثَتْهُ ما فَعَلَتْهُ، فَشَكَرَهَا على ذلك.

ويكونُ ٱلسَّكْرَانُ إذا أَلَمَّ بذلِكَ ٱلْمَسْجِدِ، تُرتِرَ[5] ومُزمِزَ[6]، كَمَا في ٱلحَدِيثِ، وَٱسْتُنْكِه، فَإِنْ أَوْجَبَتِ ٱلصُّورَةُ أَنْ يُجْلَدَ جُلِدَ، ولا يَقْتَصِرُ لَهُ ٱلشَّيْخُ، أَغْرَاهُ ٱللَّهُ، أَنْ يَأْمرَ بِٱلمَعْرُوفِ وَيَنْهى عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، عَلَى أَرْبعينَ في ٱلحَدِّ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ ٱلحِجَازِ، ولٰكِنْ يَجْلِدُهُ ثَمَانِينَ على مَذْهَبِ أَهْلِ ٱلعِرَاقِ، فَإِنَّها أَوْجَعُ وَأَفْجَعُ. ويُقالُ: إِنَّ ٱلنَّبِيَّ، ﷺ، جَلَدَ أَربعينَ، فَلَمَّا صَارَ ٱلأَمْرُ إلى عمرَ بْنِ ٱلخَطَّابِ، عليهِ ٱلسَّلامُ، ٱسْتَقَلَّهَا فَشَاوَرَ عَلِيًّا، عليهِ ٱلسَّلامُ، فَجَعَلَاهَا ثمانينَ.

وَإِذَا صَحَّتِ ٱلأَخبارُ ٱلْمَنقولَةُ بِأَنَّ أَهلَ ٱلآخِرَةِ يَعْلَمُونَ أَخبارَ أَهْلِ ٱلعَاجِلَةِ، فَلَعَلَّ حواريهِ ٱلْمُعَدَّاتِ لَهُ في ٱلخُلْدِ، يَسْأَلْنَ عَنْ أَخبارِهِ مَنْ يَرِدُ عليهِنَّ مِنَ ٱلصُّلَحَاءِ، فَيَسْمَعْنَ مرةً أَنَّهُ بِٱلفُسْطَاطِ، وَتارةً أَنَّهُ بِٱلبَصْرَةِ، ومرَّةً أَنَّهُ بِبَغْدَادَ، وَخَطْرَةً أَنَّهُ بِحَلَب. فَإِذَا شَاعَ أَمرُ ٱلتَّوْبَةِ، وَمَاتَ ناسِكٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ أَخْبَرَهُنَّ

---

(١) الجنث: الأصل.

(٢) الأدم: الجلد.

(٣) ورد البيت في: ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، صفحة: ١٧١.
«إذا هـبـطَـتْ حَـوْرانَ مـن رَمـلِ عـالـجٍ ... فـقـولا لـهـا: لـيس ٱلـطَّـريـقُ هُـنـالِكِ»

(٤) المشمل: الخنجر.

(٥) الترتر: المتعته والذي ظنّ أنه شرب الخمر فقال: ترتَروه.

(٦) ومزمروه أي حركوه ليُستكنه هل يوجد منه ريح خمر أم لا.

بِذَلِك، فَسُرِرْنَ وَٱبْتَهَجْنَ، وَهَنَّأَهُنَّ جَارَاتُهُنَّ. وَلَا رَيْبَ قَدْ سَمِعَ حِكَايَةَ ٱلبيتينِ ٱلثَّابِتينِ في كِتَابِ ٱلاعْتِبَارِ:

[الخفيف]

أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِٱلخَيَالَيْنِ عَيْنَا وَبِمَسْرَاكِ يَا أُمَيْمَ إِلَيْنَا!
عَجَباً مَا جَزِعْتِ مِنْ وَحْشَةِ ٱللَّحْـ ـدِ وَمِنْ ظُلْمَةِ ٱلقُبُورِ عَلَيْنَا!

وأَعوذُ بِٱللَّهِ مِنْ قَوْمٍ يحثُّهُمُ ٱلمَشِيبُ على أَنْ يَسْتَكْثِروا مِنْ أُمِّ زَنْبَقٍ[1]، كَأَنَّهَا ٱلمُنْجِيَةُ مِنْ بِنْتِ طَبَقٍ[2]، كَما قَالَ حَاتِمٌ:

[الطويل]

وَقَدْ عَلِمَ ٱلأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِماً أَرَادَ ثَرَاءَ ٱلمَالِ، كَانَ لَهُ وَفْرُ[3]
يَفُكُّ بِهِ ٱلعَانِي، وَيُؤْكَلُ طَيِّباً وَلَيْسَتْ تُعَرِّيهِ ٱلقِدَاحُ وَلَا ٱلْيُسْرُ[4]
أَمَاوِيَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَايَ[5] بِقَفْرَةٍ[6] مِنَ ٱلأَرْضِ، لَا مَاءٌ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ
تَرَيْ أَنَّ مَا أَهْلَكْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّنِي وَأَنَّ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صَفْرُ[7]

وَقَالَ طَرَفَةُ:

[الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي[8]

---

(١) أُمّ زنبق: من أسماء الخمرة.
(٢) بنت طبق: الداهية والمصيبة.
(٣) وردت الأبيات في ديوان حاتم الطائي، صفحة ٥٠ و٥١.
(٤) ورد البيت الثاني على الشكل التالي:
يُفكّ بِهِ ٱلعانِي، ويُؤكَلُ طَيّباً، وَمَا إِنْ تُعَرِّيهِ ٱلقِداحُ ولا الخمرُ
العاني: الأسير. القِداح: أي قداح الميسر.
(٥) الصدى: طائر يخرج من رأس القتيل الذي لم يؤخذ بثأره، ويقول: اسقوني اسقوني، حتى يؤخذ بثأر القتيل.
(٦) القفرة: الأرض الموحشة.
(٧) صفر: فارغة، لا شيء فيها.
ورد البيت الأول في: شذور الذهب، لابن هشام: ٣٦٧، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، للسيوطي ١/ ١٥٤، الدرر اللوامع ١/ ١٣٧.
(٨) ورد البيت في: شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٦٠، جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي: ١٥٥، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ١٣٣. وانظر: ديوان طرفة بن العبد: ٣٢.

وَقَالَ عبدُ ٱللّهِ بْنُ ٱلمُعْتَزِّ:

[الخفيف]

لا تَطُلْ بِٱلكُؤوسِ مَطْلِي وَحَبْسِي لَيْسَ يَوْمِي، يَا صَاحِبِي، مِثْلَ أَمْسِي
لا تَسَلْنِي وَسَلْ مَشِيبِيَ عَنِّي، مُذْ عَرَفْتُ ٱلخَمْسِينَ أَنْكَرْتُ نَفْسِي

فهٰذا حَثَّتْهُ كَثْرَةُ سِنيهِ على أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ ٱلسُّلافَةِ، وما حَفِظَ حَقَّ ٱلخِلافَةِ، وإِنَّ ٱلعُشْبَ طَمَّعَهُ أَنْ يَلِيَ[١]، كَأَنَّهُ في ٱلعِبادَةِ شَحِبَ وَبَلِيَ، ولكنَّ ٱلقائلَ قالَ لِمُعاويةَ بْنِ يزيدَ:

[الوافر]

تَلَقَّاهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ، فَخُذْهَا يَا مُعَاوِي عَنْ يَزِيدَا!

وَقَدْ كَانَ محمدُ بْنُ يزيدَ ٱلمُبَرِّدُ يُنادِمُ ٱلبُحْتَرِيَّ ثُمَّ تَرَكَ.

وَأَنَا أَظُنُّ بِهِ[٢]، مَيَّزَ ٱللّهُ مِنَ ٱلغَيْظِ قَلْبَ عَدُوِّهِ، أَنْ يَكُونَ كَأَبِي عُثْمَانَ ٱلمَازِنِيِّ: عُوتِبَ في ٱلشَّرَابِ فَقَالَ: إِذَا صَارَ أَكْبَرَ ذُنُوبِي تَرَكْتُهُ.

التَّعْرِيضُ بِٱلكَأْسِ

وَأَمَّا إبراهيمُ بْنُ ٱلمَهْدِيِّ فقدْ أَساءَ في تَعْرِيضِهِ بِٱلكَأْسِ لِمحمدِ بْنِ حازمٍ، ولكنَّ مَنْ عَبَثَ بِٱلبَمِّ وَٱلزِّيرِ[٣]، لَمْ يَكُنْ في ٱلدِّيانَةِ أَخَا تَعْزِيرٍ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ٱلمُعْتَصِمَ دَعَا إبراهيمَ كَعَادَتِهِ فَغَنَّاهُ ٱلبيتينِ ٱللَّذَيْنِ يُقَالُ فِيهِمَا: غنى صَوْتَ ٱبنِ شَكْلَةَ[٤]، وَبَكَى إبراهيمُ، فقالَ لَهُ ٱلمُعْتَصِمُ: ما يُبْكِيكَ؟ فقالَ: كُنْتُ عَاهَدْتُ ٱللّهَ إذا بَلَغْتُ سَنَةَ أَنْ أَتوبَ، وَقدْ بَلَغْتُها. فَأَعْفاهُ ٱلمُعْتَصِمُ مِنَ ٱلغِنَاءِ وَحُضُورِ ٱلشَّرَابِ.

وَٱلتَّوْبَةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ نَصُوحاً، لَمْ يُلْفَ خُلُقُها مَنْصُوحاً. وَكَانَ في بلدِنا رجلٌ مُغْرَمٌ بِٱلقَهْوَةِ، فَلَمَّا كَبِرَ رَغِبَ في ٱلمَطْبُوخِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَعَ نُدَامَاهُ وبينَ يديهِ خُرْدَاذِيٌّ[٥] فيهِ مُطَبَّخَةٌ، وعندَهم قَدَحٌ واحِدٌ، فَيَشْرَبُ هو مِنَ ٱلمَطْبُوخِ وَيَشْرَبُ أَصْحَابُهُ مِنَ ٱلنَّيْءِ،

(١) أراد أن يعتلي سُدّة الخلافة.
(٢) يقصد ابن القارح.
(٣) البم والزير: من أوتار العود.
(٤) هو: ابن شكلة.
(٥) الخرداذي: من أسماء الخمرة.

فَإِذَا جَاءَ ٱلقَدَحُ إِليهِ لِيشرَبَ، غَسَلَهُ مِنْ أَثرِ ٱلخَمْرِ وَشَرِبَ فِيهِ؛ فَإِذا فَرغَ خُرْدَاذِيُّ ٱلمَطْبُوخِ، رَجَعَ فَشَرِبَ مِنْ شَرَابِ إِخْوَانِهِ.

الإِيْمَانُ

وَأَمَّا مُخَاطَبَتُهُ غيرَهُ وهو يَعْنِي نَفْسَهُ، فهو كَقَوْلِهِم في ٱلمَثَلِ: إِيَّاكِ أَعْنِي وَٱسْمَعِي يَا جَارَةُ. وَلَا عُندَدَ[1] عَنِ ٱلجِبِلَّةِ، يُرِيدُ ٱلمُتَنَسِّكُ أَنْ يَنْصَرِفَ حُبُّهُ عَنِ ٱلعَاجِلَةِ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى ذلك، كَمَا لا تَقدِرُ ٱلظَّبْيَةُ أَنْ تَصِيرَ لَبُوءَةً، وَلَا ٱلحَصَاةُ أَنْ تَتَصَوَّرَ لُؤْلُؤَةً: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٢٩].

وقولُ ٱلقائلِ في ٱلدُّعاءِ: اللهُمَّ ٱجْعَلْ وَصَعِي[2] بَازِياً يكونُ لِلسَّفَهِ مُوَازِياً.

[البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا أَنْهَاكَ عَنْ خُلُقٍ، أَنْ لَا يَكُونُ ٱمْرُؤٌ إِلَّا كَمَا خُلِقَا

وَإِنَّا لَنَجِدُ ٱلرَّجُلَ مُوْقِناً بِٱلآخِرَةِ، مُصَدِّقاً بِٱلقِيَامَةِ، مُعْتَرِفاً بِٱلوَحْدَانِيَّةِ، وهو يَحْجَأُ[3] عَلَى ٱلنَابحِ بِعَظْمٍ، وَعَلَى ٱلجَارِيَةِ بِعَارِيَةِ نَظْمٍ، كَأَنَّهُ في ٱلأَرْضِ مُخَلَّدٌ، وَإِنْ فَنِيَ سَهْلَ وجَلَدَ. وكثيرٌ مِنَ ٱلَّذين يَتْلُونَ ٱلآيةَ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] وهم بِهَا مُصَدِّقُونَ، وَمِنْ خَشْيَةِ إِلَهِهِمْ مُشْفِقُونَ، يَضِنُّونَ بِٱلقَلِيلِ ٱلتَّافِهِ، وَلَا يَسْمَحُونَ لِلسَّائِلِ وَلَا ٱلوَافِهِ؛ فكيفَ تكونُ حَالُ مَنْ يُنْكِرُ حَدِيْثَ الجَزَاءِ، وَلَا يَقْبَلُ عَنِ ٱلفَانِيَةِ حُسْنَ ٱلعَزَاءِ؟

وَقَدْ مَرَّ بِهِ حَدِيْثُ أَبِي طَلْحَةَ أَوْ أَبِي قَتَادَةَ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خَاصَمَ يَهُودِيًّا إِلى ٱلنَّبِيِّ، ﷺ، وَكَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ حَدِيقَةُ نَخْلٍ، وبينَهُ وبينَ ٱليَهُودِيِّ خُلْفٌ في نَخْلَةٍ وَاحِدَةٍ. فقالَ ٱلنَّبِيُّ، ﷺ، لِلْيَهُودِيِّ: أَتَسْمَحُ لَهُ بِٱلنَّخْلَةِ حتَّى أَضْمَنَ لَكَ نَخْلَةً في ٱلجَنَّةِ؟ وَنَعَتَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ، ﷺ، بِنُعُوتِ أَشْجَارِ ٱلجَنَّةِ. فَقَالَ ٱليَهُودِيُّ: لَا أَبِيْعُ عاجِلًا بِآجِلٍ. فقالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَتَضْمَنُ لِي يا رَسُولَ ٱللَّهِ كَمَا ضَمِنْتَ لَهُ حتَّى أُعْطِيَهُ الحَدِيقَةَ؟ فقالَ: نَعَمْ فَرَضِيَ أَبُو طَلْحَةَ بِذلِكَ.

---

(١) لا عندد: لا بدّ.
(٢) الوصع: ضرب من الطيور.
(٣) يحجأ: يبخل.

وَأَخَذَ ٱلْيَهُودِيَّ وَذَهَبَ إلى حَدِيقَتِهِ، فَوَجَدَ فيها ٱمْرَأَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ وهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ جَنَاهَا، فجعلَ يُدْخِلُ إصبعَهُ في أَفْوَاهِهِمْ فيخرُجُ ما فِيها مِنَ ٱلتَّمرِ. فَقَالَتِ ٱمْرَأَتُهُ: لِمَ تفعلُ هٰذا بِبَنِيكَ؟ فقالَ: إنِّي قَدْ بِعْتُ ٱلحَدِيقَةَ. فقالَتْ: إنْ كُنْتَ بِعْتَهَا بِعَاجِلٍ فَبِئْسَ ما فعلْتَ! فقصَّ عَلَيْها ٱلخبَرَ، فَفرِحَتْ بذَلِكَ.

وَلَوْ قِيْلَ لِبَعْضِ عِبَادِ هٰذا ٱلعَصْرِ: «أَعْطِ لِبْنَةً ذَاتَ قِضَّةٍ، لِتُعْطَى في ٱلآجِلَةِ لِبنةً مِنْ فِضَّةٍ»، لِمَا أَجَابَ. وَلَوْ سُئِلَ أَمةً عَوْرَاءَ، يُعَوَّضُ مِنْهَا في ٱلآخِرَةِ بِحَوْرَاءَ، لَمَا فَعَلَ. على أَنَّهُ مِنَ ٱلمُصَدِّقِينَ، فكيفَ مَنْ غُذِيَ بِٱلتَّكْذِيبِ، وَجَحَدَ وُقُوعَ ٱلتَّعْذِيبِ؟

وَأَمَا «فاذوه» فَلَقِيَ طَائِرَ ٱلحَيْنِ، مُتَكَفِّياً مِنْ بينِ جَنَاحَيْنِ، فَلَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، مَا أُعِدَّ ٱلمِهْرَاسُ[1]، لِيَفْضَخَ[2] بِهِ ٱلرَّأْسَ، وَلٰكنْ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَٱلشَّرُّ يُبَكِّرُ وَيَنْتَابُ[3]. مَنَّتْهُ نفسُهُ ٱلتَّوْبَةَ، فَكَانَتْ كَصَاحِبَةِ ٱمْرِئِ ٱلقَيْسِ لَمَّا قَالَ لَهَا:

مَنَّيْتِنَا[4] بِغَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ ... حَتَّى بَخِلْتِ كَأَسْوَإِ ٱلبُخْلِ[5]

وَيُحْكَى عَنْ أَبِي ٱلهُذَيْلِ ٱلعَلَّافِ[6] أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ في ٱلأَسْوَاقِ على حِمَارٍ ويقولُ: يا قَوْمُ ٱحذروا توبةَ غُلامِي. وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَعِدُ نفسَهُ ٱلتَّوْبَةَ، فَسَقَطَتْ عليهِ آجُرَّةٌ فَقَتَلَتْهُ، وَٱلدُّنْيا ٱلغَرَّارَةُ خَتَلَتْهُ[7].

بَدْءُ ٱلمَعْرِفَةِ بِٱبْنِ ٱلقَارِحِ

وَأَوَّلُ ما سَمِعْتُ بِأَخْبَارِ ٱلشَّيْخِ، أَدامَ ٱللَّهُ تَأْثِيلَ[8] ٱلفَضْلِ بِبَقائِهِ، مِنْ رَجُلٍ وَاسِطِيٍّ[9] يَتَعَرَّضُ لِعِلْمِ ٱلعَرُوضِ، ذَكَرَ أَنَّهُ شَاهَدَهُ بِنَصِيبِينَ، وفيها رجلٌ يُعْرَفُ بِأَبِي

---

(١) المهراس: الهاون.

(٢) يفضخ: يكسر.

(٣) ينتاب: يدخل.

(٤) منيتنا: جعلتنا نتمنى.

(٥) ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ١٥١.

(٦) هو: محمد بن الهُذَيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، مولى عبد القيس: من أئمة المعتزلة. ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. مات سنة ٢٣٥هـ = سنة ٨٥٠م. من كتبه: «ميلاس» انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٨٠، تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٦.

(٧) ختلته: خدعته.

(٨) التأثيل: التأصيل، وتأثيل المجد: بناؤه.

(٩) واسطي: نسبة إلى واسط وهي بنجد. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤٧.

ٱلْحُسَيْنِ ٱلْبَصْرِيِّ، مُعَلِّماً لِبَعْضِ ٱلْعَلَوِيَّةِ، وَكَانَ غلامٌ يَخْتَلِفُ إليهِ يُعْرَفُ بِٱبْنِ ٱلدَّانِ، وَقَدِ ٱجْتَازَ ٱلشَّيْخُ بِبَلَدِنا وَٱلواسِطِيُّ يومَئِذٍ فيهِ. وَقَدْ شَاهَدْتُ عِنْدَ أَحمدَ عبدَ ٱلسَّلامِ بْنَ ٱلْحُسَيْنِ[1] ٱلمَعْرُوف بِٱلوَاجِكَا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَحْرَارِ ٱلنَّاسِ، كُتُباً عَلَيْهَا سَمَاعٌ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ، وَمَا أَشُكُّ أَنَّهُ ٱلشيخُ، أَيَّدَ ٱللَّهُ شَخْصَهُ بِٱلتَّوْفِيقِ، وهو أَشْهَرُ مِنَ ٱلأَبْلَقِ ٱلعَقُوقِ[2]، لا يَفْتَقِرُ إلى تَعْرِيفٍ بِٱلقَرِيضِ، بَلْ يُصْدَحُ شَرَفُهُ بِغَيْرِ ٱلتَّعْرِيضِ. قَالَ ٱلبَكْرِيُّ ٱلنَّسَّابَةُ لِرؤبةَ: مَنْ أَنْتَ؟ قالَ: أَنَا ٱبْنُ ٱلعَجَّاجِ. قالَ: قَصَّرْتَ وَعَرَّفْتَ.

وَإِنَّمَا هو في ٱلاشْتِهَارِ، كَمَا سَطَعَ مِنْ ضَوْءِ نَهَارٍ؛ وَكَمَا قالَ ٱلطَّائِيُّ:

[البسيط]

تَـحْـمِـيْـهِ لأْلاؤُهُ[3] أَوْ لَوْذَعِـيَّـتُـهُ[4]، مِـنْ أَنْ يُـذَالَ بِـمَـنْ أَوْ مِـمَّـنِ ٱلـرَّجُـلُ

وَإِنْ تَنَاسَخَتِ ٱلأُمَمُ في ٱلعُصُورِ، فهو عليُّ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلَّذي مَدَحَهُ ٱلجُعْفِيُّ[5]، فقالَ، وَٱلخَالِقُ وَفِيٌّ:

[الكامل]

فِـي رُتْـبَـةٍ حَـجَـبَ ٱلْـوَرَى عَـنْ نَـيْـلِـهَـا وَعَـلَا، فَـسَـمَّـوْهُ عَـلِـيَّ ٱلْـحَـاجِـبَـا

حَجَبَ طُلَّابَ ٱلأَدَبِ عَنْ تلكَ ٱلرُّتْبَةِ، وَنَزَلَ بِٱلشَّامِخَةِ لَا ٱلعَتَبَةِ.

وَأَمَّا ٱلعُلَمَاءُ ٱلذين لَقِيَهُمْ، فَأُولئِكَ مَصَابِيحُ ٱلنَّاجِيَةِ، وَكَوَاكِبُ ٱلدَّاجِيَةِ، وَإِنَّ في ٱلنَّظَرِ إِليهِمْ لَشَرَفاً، فكيفَ بِمَنِ ٱغْتَرَفَ مِنْ كُلِّ بَحْرٍ وَجَدَ غُرَفاً؟ وَإِنَّما أقولُ ذلك على ٱلاقْتِصَارِ، ولعلَّهُ قَدْ نَزَفَ بِحَارَهُمْ بِٱلقَلَمِ وَٱلفَهْمِ، وَفَتَحُوا لَهُ أَغْلَاقَ ٱلبُهَمِ (جمعُ بُهْمَةٍ وَهُوَ ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي لا يُهْتَدَى لَهُ) فَأَخَذَ عَنِ ٱلكَتَّانِيِّ سُوَرَ ٱلتَّنْزِيلِ، وَفَازَ بِثَوَابٍ جَزِيلٍ، فَكَأَنَّما لَقَّنَهُ إِيَّاهُ ٱلرَّسُولُ، وَبِدُونِ تلكَ ٱلدرجةِ يَبْلُغُ ٱلسُّولَ[6]. أَوْ أَخَذَهَا جبرائيلُ، فَلا غَيْرٌ ولا تَبْدِيلٌ. وَسَهَّلُوا لَهُ ما صَعُبَ مِنْ جِبَالِ ٱلعَرَبِيَّةِ، فَصَارَتْ حُزُونَةُ[7] كتابِ سيبويهِ عندهُ كَٱلدِّمَاثِ[8]، وَغَنِيَ في ٱللُّجَجِ عَنْ رُكُوبِ ٱلأَرْمَاثِ[9].

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.
(٢) العقوق: الخارج عن طاعة وليه.
(٣) لألاؤه: ضياؤه، يقصد توقّد عقله.
(٤) اللوذعية: حدّة الذكاء والفطنة. والبيت لا يوجد في ديوان حاتم الطائي.
(٥) الجعفي: هو أبو الطيب المتنبي.
(٦) السول: السؤال، وهو أيضاً الكثير السؤال.
(٧) الحزونة: ما غلظ من الأرض.
(٨) الدماث: المكان اللين ذو الرمل.
(٩) الأرماث: جمع رمث: خشب يشد بعضه إلى بعض كالطّوف ثم يُركب عليه في البحر.

وَأَمَّا ٱنحِيَازُهُ إِلى أَبِي ٱلحَسَنِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقدْ كَانَ ذلك ٱلرَّجُلُ سَيِّداً، وَلِمَنْ ضَعُفَ مِنْ أَهْلِ ٱلأَدَبِ مُؤَيِّداً، وَلِمَنْ قَوِيَ منهم وَادًّا[١]، وَدُونَهُ لِلنُّوَبِ مَحَاداً[٢]، وَكَانَ كَمَا قَالَ ٱلقَائِلُ:

[الكامل]

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيْقَهُ وَشَقِيْقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوُو ٱلأَرْحَامِ

وَكَما قَالَ ٱلطَّائِيُّ:

[الخفيف]

كُلُّ شِعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهْبٍ ... فَهُوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كُلِّ أَدِيْبِ[٣]

وَٱلمَثَلُ ٱلسَّائِرُ: عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ[٤].

وَذَكَرَ ٱلصُّولِي أَنَّهُ دَخَلَ على ٱلمُتَّقِي بَعْدَمَا قَتَلَ بَنُو حَمْدَانَ محمدَ بْنَ رَائِقٍ[٥]، فَسَأَلَهُ عَنْ أَبْيَاتِ نَهْشَلِ بْنِ حُرَيٍّ[٦]:

[الطويل]

وَمَوْلًى عَصَانِي وَٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ ... كَمَا لَمْ يُطِعْ بِٱلبَقَّتَيْنِ قَصِيْرُ[٧]

فَلَمَّا رَأَى مَا غَبَّ أَمْرِي وَأَمْرَهُ ... وَنَاءَتْ بِأَعْجَازِ ٱلأُمُورِ صُدُورُ[٨]

---

(١) الواد: المحب.

(٢) المحاد: الخطم.

(٣) لا يوجد البيت في: ديوان حاتم الطائي.

(٤) براقش: اسم كلبة لقوم من العرب أُغير عليهم في بعض الأيام فهربوا وتبعتهم براقش، فرجع الذين أغاروا خائبين وأخذوا في طلبهم، فسمعت براقش وقع حوافر الخيل فنبحت فاستدلوا على موضع نباحهم فاستباحوهم.

(٥) هو: محمد بن رائق، أبو بكر: أمير، من الدهاة الشجعان. له شعر وأدب. ولي محمد شرطة بغداد للمقتدر سنة ٣١٧ ثم إمارة واسط والبصرة. وعلا شأنه. قتله ناصر الدولة سنة ٣٣٠هـ = سنة ٣٤٢م. انظر ترجمته في: زبدة حلب ١/ ١٠٢، ابن الأثير ٨/ ١٢٤.

(٦) هو: نَهْشَل بن حَرِّي بن ضمرة الدارمي: شاعر مخضرم. أدرك الجاهلية، وأسلم صحب علياً في حروبه. ورث صيتاً عظيماً من أجداده. مات نحو سنة ٤٥هـ = نحو سنة ٦٦٥م. وانظر ترجمته في: الأغاني طبعة الساسي ٨/ ١٥٣، خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ١٥٢.

(٧) قصير: وزير جذيمة الأبرش الذي احتال لقتل الزَّبَّاء ملكة تدمر، بعد أن احتال عليها وجدع أنفه. فقيل: «لأمر ما جدع قصير أنفه» فذهب مثلاً.

(٨) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٦٣٥ مادة «غبب».
«وغبَّ فلان عندنا غَبًّا وغِبًّا، وأغبَّ: بات. . وقال نشهل بن حُرَيٍّ:
فَلَمَّا رأى أَنْ غَبَّا أَمْرِي وَأَمْرُهُ، ... وَوَلَّتْ، بِأَعْجَازِ ٱلأُمُورِ، صدورُ» =

تَـمَـنَّـى نَـئِـيْـشـاً أَنْ يَـكُـونَ أَطَـاعَـنِـي وَقَـدْ حَـدَثَـتْ بَـعْـدَ ٱلأُمُـورِ أُمُـورُ

يُقَالُ: فَعَلَ كَذا نَئِيْشاً، أَيْ بعدَمَا فَاتَ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الوافر]

وَإِنَّـكَ يَـا قَـطِـيْـنُ وَلَسْـتَ مِـنْـهُـمْ لَألأَمُ مَـالِكٍ عَـقِـبـاً وَرِيْـشَـا

تَـنَـاءَتْ مِـنْـكُـمْ عُـدَسُ بْـنُ زَيْـدٍ[١] فَـلَـمْ تَـعْـرِفْـكُـمُ إِلَّا نَـئِـيْـشَـا

وَمَا زَالَ ٱلشُّبَّانُ ٱلمُحِسُّونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِٱلنَّهْضَةِ، يَبْغُونَ مَا شَرُفَ مِنَ ٱلمَرَاهِصِ[٢]، وكيفَ بِٱلسَّلَامَةِ مِنَ ٱلوَاهِصِ[٣]؟ وَٱلمَثَلُ ٱلسَّائِرُ: رَأْيُ ٱلشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ ٱلغُلَامِ. وَرُبَّمَا سَارَ ٱلطَّالِبُ سَوْرَةً، فَواجَهتْ مِنَ ٱلقَدَرِ زَوْرَةً، إِنَّ ٱلغُفَّةَ[٤] مِنَ ٱلعَيْشِ، لَتُغْنِي ٱلمُجْتَهِدَ عَنِ ٱلبَزْيِ وَٱلرِّيْشِ، وَلٰكِنْ لَا مَوْئِلَ مِنَ ٱلقَضَاءِ ٱلمَحْتُومِ، وَآهٍ مِنْ عُمْرٍ بِٱلتَّلَفِ مَخْتُومِ:

[الطويل]

وَسَـوْرَةِ عِـلْمٍ لَمْ تُـسَـدَّدْ، فَـأَصْـبَـحَـتْ وَمَـا يَـتَـمَـارَى أَنَّـهَـا سَـوْرَةُ ٱلـجَـهْـلِ

ٱلحِجَجُ ٱلخَمْسُ

وَأَمَّا حِجَجُهُ ٱلخَمْسُ فَهُوَ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ، يَسْتَغْنِي فِي ٱلمَحْشَرِ بِٱلأُوْلَى مِنْهُنَّ، وَيَنْظُرُ فِي ٱلمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِدُ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَحْجُجْ، فَيَتَصَدَّقُ عَلَيهِمْ بِٱلأَرْبَعِ.

= وأورد الأبيات الثلاثة لسان العرب ٦/ ٣٤٩ مادة «نأش».

«والنئيش الحركة في إبطاء وجاءَ نئيشاً أي بطيئاً: أنشد يعقوب لنهشل بن حَرِّيّ:

وَمَـوْلًـى عَـصَـانِـي وَٱسْـتَـبَـدَّ بِـرَأْيِـهِ، لَـمَـا لِـمِ يُـطَـعْ فِـيـمَـا أَشَـارَ قَـصِـيـرُ

فَـلَـمَّـا رأى مَـا غَـبَّ أَمْـرِي وأَمْـرَهُ، وَنَـاءَتْ بِـأَعْـجَـازِ ٱلأُمُـورِ صُـدُورُ

تَـمَـنَّـى نَـئِـيـشـاً أَنْ يَـكُـونَ أَطَـاعَـنِـي وَيَـحْـدُثُ مِـنْ بَـعْـدِ ٱلأُمُـورِ أُمُـورُ

قوله تمنى نئيشاً أي تمنى في الأخير وبعد الفَوْت أن لو أطاعني، وقد حدثت أُمورٌ لا يُسْتَدْرَك بها ما فات، أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة. ويقال: فَعَلَهُ نَئيشاً أي أخيراً..».

ورد البيت الثاني في: المخصص، لابن جني ١/ ٧٤، المحتسب، لابن جني ١/ ١٨٤.

(١) هو: عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم، من تميم، من العدنانية: جدّ جاهلي. من بنيه زرارة بن عدس ومسكين الدارمي الشاعر، والصحابي عطارد بن حاجب. انظر ترجمته في: جمهرة الأنساب: ٢٢١، أمالي ابن الشجري ١/ ١١٦.

(٢) المراهص، واحده مرهصة: الدرجة والمرتبة.

(٣) الواهص: كسر الشيء الرخو، يقال وهصه وهصاً أي دقّ عنقه.

(٤) الغُفّة من العيش: البلغة، ما يسدّ الرمق.

وَكَأَنِّي بِهِ وَعَمَاعِمُ[١] ٱلحَجِيجِ، يَرْفَعُونَ ٱلتَّلْبِيَةَ بِٱلعَجِيجِ[٢]، وهو يُفَكِّرُ فِي تَلْبِيَاتِ ٱلعَرَبِ وَأَنَّها جَاءَتْ عَلَى ثلاثةِ أنواعٍ: مَسْجُوعٌ لَا وَزْنَ لَهُ، وَمَنْهُوكٌ، وَمَشْطُورٌ.

فَٱلمَسْجُوعُ كَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ رَبَّنَا لَبَّيْكَ، وَٱلخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ

وَٱلمَنْهُوكُ عَلَى نَوْعَيْنِ: أَحدُهُما مِنَ ٱلرَّجَزِ، وَٱلآخَرُ مِنَ ٱلمُنْسَرِحِ[٣]، فَٱلَّذي مِنَ ٱلرَّجَزِ كَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ إِنَّ ٱلحَمْدَ لَكْ، وَٱلمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكْ

إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكْ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكْ

أَبُو بَنَاتٍ بِفَدَكْ

فَهٰذه مِنْ تَلْبِيَاتِ ٱلجَاهِلِيَّةِ، وَفَدَكُ[٤] يَوْمَئِذٍ فِيها أَصْنَامٌ، وَكَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ يَا مُعْطِيَ ٱلأَمْرِ، لَبَّيْكَ عَنْ بَنِي ٱلنَّمِرِ

جِئْنَاكَ فِي ٱلعَامِ ٱلزَّمِرِ نَأْمَلُ غَيْثاً يَنْهَمِرِ[٥]

يَطْرُقُ بِٱلسَّيْلِ ٱلخَمِرِ

وَٱلَّذي مِنَ ٱلمُنْسَرِحِ جِنْسَانِ: أَحدُهُما في آخِرِهِ سَاكِنَانِ، كَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ رَبَّ هَمْدَانْ، مِنْ شَاحِطٍ[٦] وَمِنْ دَانْ[٧]

جِئْنَاكَ نَبْغِي ٱلإِحْسَانْ بِكُلِّ حَرْفٍ مِذْعَانْ

نَطْوِي إِلَيْكَ ٱلغِيطَانْ[٨]: نَأْمَلُ فَضْلَ ٱلغُفْرَانْ

وَٱلآخَرُ لَا يَجْتَمِعُ فِيهِ سَاكِنَانِ كَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ عَنْ بَجِيلَهْ ٱلفَخْمَةِ ٱلرَّجِيلَهْ[٩]

وَنِعْمَةِ ٱلقَبِيلَهْ جَاءَتْكَ بِٱلوَسِيلَهْ

تُؤَمِّلُ ٱلفَضِيلَهْ

---

(١) عماعم الحجيج: مجموع الناس المتناثرين حول الكعبة.
(٢) العجيج: الضجيج.
(٣) الرجز والمنسرح: من الأوزان الشعرية التي اكتشفها الخليل في الشعر العربي.
(٤) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة مسير يومين.
(٥) العام الزمر: الشديد الذي قلّ عطاؤه. (٦) الشاحط: البعيد.
(٧) دانٍ: قريب. (٨) الغيطان، واحده غيطة: المطمئن من الأرض.
(٩) الرجيلة: القوية.

وَرُبَّما جَاءُوا بِهِ على قَوَافٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَمَا رَوَوْا في تلبيةِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ:

لَبَّيْكَ حَقّاً حَقّا تَعَبُّداً وَرِقّا
جِئْنَاكَ لِلنَّصَاحَةِ لَمْ نَأْتِ لِلرَّقَاحَةِ[١]

وَٱلْمَشْطُورُ جِنْسَانِ: أَحدُهُما عِنْدَ ٱلخَليلِ مِنَ ٱلرَّجَزِ، كَمَا رُوِيَ في تَلبيةِ تميم:

لَبَّيْكَ لَوْلَا أَنَّ بَكْراً دُونَكَا يَشْكُرُكَ ٱلنَّاسُ وَيَكْفُرُونَكَا
مَا زَالَ مِنَّا عَشَجٌ[٢] يَأْتُونَكَا

وَٱلآخَرُ مِنَ ٱلسَّرِيعِ وهو نَوْعانِ:

أَحدُهما: يَلْتَقِي فيهِ سَاكِنَانِ كَمَا يَرْوُونَ في تلبيةِ هَمْدَانَ:

لَبَّيْكَ مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ لَبُّوكَ هَمْدَانُ أَبْنَاءُ ٱلْمُلُوكِ تَدْعُوكَ
قَدْ تَرَكُوا أَصْنَامَهُمْ وَٱنْتَابُوكَ[٣]، فَٱسْمَعْ دُعَاءَ في جَمِيعِ ٱلأَمْلُوكَ[٤]

قَوْلُهُمْ: لَبُّوكَ، أَيْ لَزِمُوا أَمْرَكَ، وَمَنْ رَوَى: لَبُوكَ، فَهو سِنَادٌ مَكْرُوهٌ.
وَٱلْمَشْطُورُ ٱلَّذي لَا يَجْتَمِعُ فيهِ سَاكِنَانِ كَقَوْلِهِمْ:

لَبَّيْكَ عَنْ سَعْدٍ وَعَنْ بَنِيهَا وَعَنْ نِسَاءٍ خَلْفَهَا تَعْنِيهَا

وَٱلْمَوْزُونُ مِنَ ٱلتَّلْبِيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ مِنَ ٱلرَّجَزِ عِنْدَ ٱلعَرَبِ، وَلَمْ تَأْتِ ٱلتلبيةُ بِٱلقَصِيدِ. وَلَعَلَّهُمْ قَدْ لَبُّوا بِهِ وَلَمْ تَنْقُلْهُ ٱلرُّوَاةُ.

وَكَأَنِّي بِهِ[٥] لَمَّا ٱعْتَزَمَ عَلَى ٱسْتِلَامِ ٱلرُّكْنِ، وَقَدْ ذَكَرَ ٱلبَيْتَيْنِ ٱللَّذينِ ذَكَرَهُمَا ٱلْمُفَجَّعُ[٦] فِي حَدِّ ٱلإِعْرَابِ:

[الكامل]

لَوْ كَانَ حَيّاً قَبْلَهُنَّ ظَعَائِناً[٧]، حَيَّا ٱلْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ[٨]

---

(١) الرقاحة: الكسب.
(٢) العشج: مجموعة من الرجال.
(٣) انتابوك: قصدوك.
(٤) الأملوك: جمع ملك.
(٥) يقصد به ابن القارح.
(٦) هو: محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري، أبو عبد الله: شاعر عالم بالأدب. من غلاة الشيعة. من أهل البصرة. كانت بينه وبين ابن دريد مهاجاة. مات سنة ٣٢٠هـ = سنة ٩٣٢م. من كتبه: «الترجمان» في الشعر ومعانيه. «المنقد». انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ١٣، إرشاد الأريب ٦/ ٣١٤.
(٧) ظعائناً: راحلات.
(٨) الحطيم وزمزم: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء. وزمزم: هي البئر المباركة المشهورة.

لٰكِنَّهُ عَمَّا يَطِيفُ بِرُكْنِهِ مِنهُنَّ صَمَّاءُ ٱلصَّدَى مُسْتَعْجِمُ[(١)]

فَيَعْجَبُ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ ٱلْمُذَكَّرِ إلى ٱلْمُؤنَّثِ. وَإذَا حَمَلَ هٰذا عَلَى إِقَامَةِ ٱلصِّفَةِ مَقامَ ٱلْمَوْصُوفِ لَمْ يَبْعُدْ.

وكذلِكَ يذكرُ قولَ ٱلآخَرِ[(٢)]:

[الوافر]

ذَكَرْتُكِ وَٱلْحَجِيجُ لَهُ عَجِيجٌ[(٣)] بِمَكَّةَ، وَٱلْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبُ[(٤)]

فَقُلْتُ، وَنَحْنُ فِيَ بَلَدٍ حَرَامٍ بِهِ لِلَّهِ أَخْلَصَتِ ٱلْقُلُوبُ:

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَبَّاهُ مِمَّا جَنَيْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ ٱلذُّنُوبُ

فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَحُبِّي زِيَارَتَهَا، فَإِنِّي لَا أَتُوبُ

فيقولُ: أَلَيْسَ قالَ ٱلبصريُّونَ: إنَّ هاءَ ٱلنُّدْبَةِ لا تثبُتُ في ٱلْوَصْلِ، وَٱلهاءُ في قولِهِ: يا رَبَّاهُ، مِثْلُ تِلك ٱلهاءِ ليسَ بينَهُما فرقٌ؟ ولكنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَغْزاهُمْ في ذلك ٱلمنثورِ مِنَ ٱلكَلامِ، إِذْ كانَ ٱلْمَنْظُومُ يَحْتَمِلُ أَشْيَاءَ لَا يَحْتَمِلُها سِوَاهُ.

وَلَعَلَّهُ قَدْ ذَكَرَ هٰذه ٱلأَبْيَاتَ في ٱلطَّوَافِ:

[المتقارب]

أَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ فِيمَنْ يَطُوفُ، وَأَرْفَعُ مِنْ مِئْزَرِي ٱلْمُسْبَلِ

وَأَسْجُدُ بِٱللَّيْلِ حَتَّى ٱلصَّبَاحِ، وَأَتْلُو مِنَ ٱلْمُحْكَمِ ٱلْمُنْزَلِ

عَسَى فَارِجُ ٱلْكَرْبِ عَنْ يُوسُفٍ يُسَخِّرُ لِي رَبَّةَ ٱلْمَحْمَلِ

فَقَالَ: ما أَيْسَرَ لفظَ هٰذِه ٱلأبياتِ لَوْلَا أَنَّهُ حَذَفَ أَنْ مِنْ خَبَرِ عَسَى؟ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ، لَا تَعْدِمُ ٱلحَسْنَاءُ ذَامًا، وَأَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ؟

وَذَكَرَ عِنْدَ ٱلنَّفْرِ وَتَفَرُّقِ ٱلنَّاسِ هٰذينِ ٱلبيتينِ:

[الخفيف]

وَدِّعِي ٱلْقَلْبَ يا قُرَيْبُ وَجُودِي لِمُحِبٍّ فِرَاقُهُ قَدْ أَحَمَّا[(٥)]

---

(١) مستعجم: مفحم.

(٢) هو قيس بن الملوّح..

(٣) «عَجَّ يَعِجُّ ويَعَجُّ عَجًّا وعجيجاً، وضجَّ يَضِجُّ: رفع صوته وصاح: وقيّده في التهذيب فقال: بالدعاء والاستغاثة..» انظر: لسان العرب ٢/ ٣١٨ مادة «عجج».

(٤) الوجيب: الخفقان.

(٥) أحمّ: سخُن.

لَيسَ بَينَ ٱلحَياةِ وَٱلمَوْتِ إِلّا أَنْ يَرُدُوا جِمَالَهُمْ فَتُزَمّا[١]

وقولَ قيسِ بْنِ ٱلخَطِيمِ[٢]:

[الطويل]

دِيَارُ ٱلَّتي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِنًى تَحُلُّ بِنَا، لَوْلَا نَجَاءُ[٣] ٱلرَّكَائِبِ[٤]
وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مِنًى وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتُ ذَوَائِبِ
تَبدَّتْ لَنا كَٱلشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا، وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ[٥]

وَمَيَّزَ بينَ هٰذينِ ٱلوَجْهَيْنِ في قولِهِ: تَحُلُّ بِنَا، لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: تَحُلُّ فِينا، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: تَحِلُّنَا؛ كَمَا يُقالُ: انزِلْ بِنَا ههُنا، أَيْ أَنْزِلْنَا، ومنهُ قولُهُ: «كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلْمُتَنَزِّلِ»[٦].

وَإِنْ كَانَتِ ٱلحُجَجُ ٱلتي أتى بِها مُجَاوِرَةً، فَقَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ أَعْلَمَ بِها مِنِ ٱبنِ دَأْيةَ[٧] بِوَكْرِهِ، وَٱلكُدَرِيِّ[٨] بِأَفاحِيصِهِ[٩]، وَٱلحِرْبَاءِ بِتَنْضُبَتِهِ.

وَإِنْ كَانَ سافَرَ إِلى ٱليمنِ أو غيرِهِ، وَجَعَلَ يَحُجُّها في كُلِّ سنةٍ، فذلِكَ أَعْظَمُ درجةً في ٱلثَّوابِ، وأَجْدَرُ بِٱلوُصُولِ إِلى محلِّ ٱلأَوَّابِ.

---

(١) «زمَّ الشيءَ يَزُمُّهُ زَمًّا فانزَمَّ: شدّه. والزِّمام: ما زُمَّ به، والجمع أزِمّة. فالزِّمام الحبل الذي يجعل في البُرةِ والخشبة، وقد زمَّ البعير بالزِّمام..» انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٧٢ مادة «زمم».

(٢) مرَّت ترجمته.

(٣) النجاء: ضرب من السير السريع.

(٤) الركائب: المطايا.

(٥) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٢٩٩ مادة «حجب» ولم يعزه لقائله. «وحاجب الشمس: ناحية منها؛ قال:

تراءتْ لنا كَٱلشَّمْسِ، تحت غَمامةٍ بَدَا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ»

(٦) ورد البيت في: لسان العرب ١٤/ ٤٦٤ مادة «صفا».

كُمَيْتٌ يَزِلُّ ٱللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ، كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلمُتَنَزِّلِ

ابن السكيت: «الصفا العريض من الحجارة الأملس، جمع صفاة يكتب بالألف،..» المتنزل: المطر المنهمر من السماء.

ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ٥٣، شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي: ٧٣، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٣١، جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي: ١٠١، حاشية الدمنهوري على متن الكافي: ٩١.

(٧) ابن دأية: الغراب.

(٨) الكدري: ضرب من القطا.

(٩) الأفاحيص، مفرد أفحوص: الموضع الذي تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه.

وَلَعَلَّهُ قَدْ وَقَفَ بِٱلْمُغَمَّسِ، وَتَرَحَّمَ عَلَى طُفَيْلٍ ٱلْغَنَوِيِّ[١] لِقَوْلِهِ:

[البسيط]

هَلْ حَبْلُ شَمَّاءَ بَعْدَ ٱلْهَجْرِ مَوْصُولُ ... أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ ٱلدَّارِ مَشْغُولُ؟

إِذْ هِيَ أَحْوَى[٢] مِنَ ٱلرَّبْعِيِّ، حَاجِبُهُ، ... وَٱلعَيْنُ بِٱلإِثْمِدِ[٣] ٱلحَارِيِّ مَكْحُولُ

تَرْعَى أَسِرَّةَ مُولِّي أَطَاعَ لَهَا ... بِٱلجِزْعِ، حَيْثُ عَصَى أَصْحَابَهُ ٱلفِيلُ

وإِنَّما أَطْلَقْتُ ٱلتَّرَحُّمَ عَلَى طُفَيلٍ إِذْ كَانَ بَعْضُ ٱلرُّوَاةِ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَدْرَكَ الإِسْلَامَ، وَرُوِيَ لَهُ مَدْحٌ فِي ٱلنَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ أَسْمَعْهُ في دِيوَانِهِ، وهو:

[الكامل]

وَأَبِيكَ خَيْراً إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ ... عُزْلٌ تَنَاوَحَ أَنْ تَهُبَّ شِمَالُ

وَإِذَا رَأَيْنَ لَدَى ٱلفِنَاءِ[٤] غَرِيبَةً ... فَاضَتْ لَهُنَّ مِنَ ٱلدُّمُوعِ سِجَالُ[٥]

وَتَرَى لَهَا حَدَّ ٱلشِّتَاءِ عَلَى ٱلثَّرَى ... رَخَماً[٦]، وَمَا تَحْيَا لَهُنَّ فِصَالُ[٧]

وَأَنْشَدَ أَبياتَ ٱبنِ أَبِي ٱلصَّلْتِ ٱلثَّقَفِيِّ[٨]:

[الخفيف]

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ظَاهِرَاتٌ ... مَا تُمَارِي[٩] فِيهِنَّ إِلَّا ٱلكَفُورُ

حَبَسَ ٱلفِيلَ بِٱلمُغَمَّسِ[١٠] حَتَّى ... ظَلَّ يَحْبُو، كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ عِنْدَ ٱللَّـ ... ـهِ إِلَّا دِينَ ٱلحَنِيفَةِ بُورُ

---

(١) مرّت ترجمته.

(٢) أحوى، من الحوّة: وهو السواد إلى الخضرة.

(٣) الإثمد: الكحل.

(٤) الفِناء، بكسر الفاء: ساحة الدار.

(٥) السجال: الدلاء.

(٦) الرخم: اللبن الغليظ.

(٧) الفصال، واحده فصيل: ولد الناقة.

(٨) هو: أميّة بن عبد اللّه أبي الصلت بن ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. مات ولم يسلم سنة ٥هـ = سنة ٦٢٦م. انظر ترجمته في: خزانة الأدب، للبغدادي ١/ ١١٩، الشعر والشعراء: ١٧٦.

(٩) تماري: تجادل.

(١٠) «والمغمّس: موضع من مكة» انظر: لسان العرب ٦/ ١٥٧ مادة «غمس» موضع قرب مكة في طريق الطائف. انظر: معجم البلدان ٥/ ١٦١.

وَمَا عَدِمَ أَنْ تَخْطُرَ لَهُ أَبياتُ نُفَيْلٍ:

[الوافر]

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مَعَ ٱلإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ، فَلَا تُرِيهِ، لَدَى جَنْبِ ٱلْمُغَمَّسِ مَا رَأَيْنَا
إِذاً لَعَذَرْتِنِي وَرَضِيتِ أَمْرِي، وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ ٱللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْراً وَحَصْبُ حِجَارَةٍ تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ ٱلْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا!

وَلَيْتَ شِعْرِي أَقَارِناً[1] أَهَلَّ أَم مُفرِداً[2]؟ وَأَرْجُو أَنْ لَا تَكُونَ لَقِيَتْهُ بِمَكَّةَ شَهْلَةٌ[3] نَعْرُضُ عليهِ فُتْيَا ٱبْنِ عَبَّاسٍ، تَحْلِفُ مَا بِهَا مِنْ باسٍ، فتذكرُ قَوْلَ ٱلقائِلِ:

[البسيط]

قَالَتْ، وَقَدْ طُفْتَ سَبْعاً حَوْلَ كَعْبَتِهَا: هَلْ لَكَ يَا شَيْخُ فِي فُتْيَا ٱبْنِ عَبَّاسِ
هَلْ لَكَ فِي رَخْصَةِ ٱلأَطْرَافِ نَاعِمَةٍ تُمْسِي ضَجِيعَكَ حَتَّى مَصْدَرِ ٱلنَّاسِ

فَأَمَّا ٱلْمُنْتَسِبُون إلى جَوْهَرٍ، فَٱلْجَوْهَرُ بَعْدَ إدراكِ ٱلْحَظِّ، يَرْجِعُ إِلى تَغْيِيرٍ وَتَشَظٍّ[4]، كَمْ دُرَّةٍ في تاج مَلِكٍ، لَمَّا رُمِيَ بِٱلْمَهْلَكِ، فَضَّتْهَا مِنَ ٱلأَسَفِ حَظَايَاهُ، وَهَلْ تُثْنِي مِنَ ٱلأَجَلِ سَرَايَاه؟ وَأُخْرَى عَلَى نَحْرِ كَعَابٍ، شَطَتْ عَنِ ٱلدَّنَسِ وَٱلعَابِ، مُنِيَتْ بِٱلنَّقَابَةِ أَوِ ٱلنُّحَازِ[5]، فَجَعَلَتْهَا ٱلْوَالِدَةُ في مِنْحَازٍ[6]!

وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ مَرَّ بِأَنْطَاكِيَةَ فَذَكَرَ قَوْلَ ٱمرِئِ ٱلْقَيْسِ:

[الطويل]

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ، كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبِ[7]

---

(١) القارن: هو الحاج الذي يحرم بالحج والعمرة معاً.
(٢) المفرد: هو الحاج الذي يحرم بالحج فقط.
(٣) الشهلة: الحيزبون.
(٤) التشظي: الانقسام والتبعثر إلى شظايا.
(٥) النحاز: داء يصيب الإبل في رئتها تسعل من جرائه سعالاً شديداً.
(٦) المنحاز: الهاون.
(٧) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ٩٠ مادة «جرم».
«والجزمة: القوم يجترمون النخل أي يصرمون: قال امرؤ القيس:
عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَةَ، فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أو كجنةِ يَثْرِبِ»
وأورد لسان العرب ١/ ٢٦٠ مادة «جرب» عجز البيت.
=

وَخطَرَ لَهُ أَنَّ النَّطْكَ، وهو ٱللَّفظُ ٱلَّذِي يَجِبُ أَنْ يُشتَقَّ مِنهُ أَنْطَاكِيَّةُ، لَوْ كَانَتْ عربِيَّةً، مُهمَلٌ لَمْ يَحْكِهِ مَشْهُورٌ مِنَ ٱلثقاتِ.

وَلَمَّا مَرَّ بِمَلْطِيَة[١] أَنكَرَ وَزْنَهَا وَقَالَ: فَعلْيَة، مِثَالٌ لَمْ يُذْكَرْ، وَإِذا حَملْنَاهَا عَلَى ٱلتَّصْرِيفِ وَجَبَ أَنَّ تكُونَ يَاؤُها زَائِدَةً لِأَنَّ قَبْلَها ثلاثة مِنَ ٱلأُصُولِ.

وَأَمَّا صَدِيقُهُ ٱلَّذِي جَدَبَ عَقْدَ ٱلسَّبْرِ[٢]، فَهُوَ يَعْرِفُ ٱلمَثَلَ: أَعَرِضْ عَنْ ذِي قَبْرِ؛ إِذَا حَجَزَ دُونَ ٱلشَّخصِ تُرَابٌ، فَقَدْ تَقَضَّتِ ٱلآرابُ؛ مَنْ لِيمَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، ٱسْتَحَقَّ ٱلمَعْذِرَةَ فِي مَمَاتِهِ؛ وَلَعَلَّهُ نَطَقَ بِمَا نَطَقَ فِي مَعْنَى ٱنْبِسَاطِ، لا، وَهْوَ بِٱلكَلِمِ سَاطٍ[٣]، وَمَنْ غَفَرَ ذَنْبَ حَيٍّ وَهْوَ يُلْحِقُ بِهِ ٱلأَذَاةَ، فَكَيْفَ لَا يَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ ٱلْمَيْتَةِ وَقَدْ عَدِمَ مِنْهُ ٱلشَّذَاةَ[٤]؟ وَسَلَامٌ عَلَى رَمْسٍ مِنْ مُخَالِسٍ[٥] يَعْدِلُ بِأَلْفِ تَسْلِيمَةٍ فِي ٱلمَجَالِسِ، وَهْوَ يَعْرِفُ مَا قَالُوهُ فِي مَعْنَى ٱلبَيْتِ:

«وآتِـي صَـاحِـبِـي حَـيْـثُ وَدَّعَـا»

أَيْ أَزُورُ قَبْرَهُ.

وَأَمَّا ٱلَّذِي أُنكِرَهُ مِنَ ٱلْبَذْيَةِ، فَمَوْلَايَ ٱلشَّيْخُ مُكَرَّرٌ فِي ٱلأَدَبِ تَكْرِيرَ ٱلحَسَنِ وَٱلحُسَيْنِ فِي آلِ هاشِمٍ، وَٱلوَشْمِ ٱلمُرَجَّعُ بِكَفِّ ٱلوَاشِمِ، وَهَلْ يُعْجَبُ لِسَجْعَةٍ مِنْ قُمْرِيٍّ، أَوْ قَطْرَةٍ تَسْبِقُ مِنَ ٱلسَّحَابِ ٱلمُرِيِّ؟ وَلَوْ بَادَهُ خُزَامَى عَالِجٍ[٦] بِٱلرَّائِحَةِ لَجَازَ أَنْ يَرْعَفَ[٧] غَضِيضَهَا، أَوْ ٱلبُرُوقَ ٱلوَامِضَةَ لَمَا ٱمْتَنَعَ أَنْ يَعْجَلَ وَمِيضُهَا. وفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَكُونُ طَبْعُهُ ٱلمُمَاظَّة[٨]، فَيُؤذِي ٱلجَلِيسَ،

= «والجزبة: القَراح من الأرض؛ قال أبو حنيفة، واستعارها امرؤ القيس للنخل، فقال:

كَـجِـرْبَـةِ نَـخْـلٍ، أو كـجـنَّـةِ يـثـربِ»

ورد البيت في: ديوان امرئ القيس: ٦٥.

العقمة: ضرب من ثياب الهوادج موشى.

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم تتاخم بلاد الشام. انظر: معجم البلدان ٥/ ١٩٢.

(٢) السبر: الخصام.

(٣) الساط: الظالم.

(٤) الشذاة: الحِدَّة.

(٥) المخالس: الناظر خلسة.

(٦) عالج: رمال معروفة بالبادية.

(٧) يرعف: يسبق.

(٨) المماظة: الخصام والجدال.

وَيُكْثِرُ ٱلتَّدْلِيسَ[١] وَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فَاضِلٌ، لا يَنْضِلُهُ فِي ٱلرَّمْيِ مُنَاضِلٌ.

وَٱلْبَدِيهُ يَنْقَسِمُ أَفَانِينَ، وَيَصْرِفُ لِلنَّظَرِ أَظَانِينَ.

فَمِنْهُ ٱلقَبَلُ[٢]، وَلَعَلَّهُ فِيهِ أَجْرَى مِنْ سَبَلٍ، أَوْ هُوَ ٱلسَّبَلُ. وَٱلْمُرَادُ بِسَبَلٍ ٱلفَرَسُ ٱلأُنْثَى ٱلمَعْرُوفَةُ؛ وَٱلسَّبَلُ: ٱلمَطَرُ.

وَبَدِيهُ ٱلتَّمْلِيطِ[٣]، وَلَا تَجُودُ ٱلرَّاسِيَةُ بِٱلسَّلِيطِ.

وَبَدِيهُ ٱلإِعْنَاتِ[٤]، وذٰلِكَ ٱلمُوْقِظُ مِنَ ٱلسِّنَاتِ، وَهْوَ يَخْتَلِفُ كَٱخْتِلَافِ ٱلأَشْكَالِ، وَلَا يَنْهَضُ بِهِ ذُو ٱلوَكَالِ[٥].

عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ خَالَوَيه

وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنُ خَالَوَيهِ وَإِحْضَارُهُ لِلْبَحْثِ ٱلنُّسَخَ، فَإِنَّهُ مَا عَجِزَ وَلَا أَفْسَخَ، أَيْ نَسِيَ، ولٰكِنَّ ٱلحَازِمَ يُرِيدُ ٱسْتِظْهَاراً، وَيَزِيدُ عَلَى ٱلشَّهَادَةِ ٱلثَّانِيَةِ ظَهَاراً:

[الوافر]

أَرَى ٱلحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ، وَلَا أُمَيَّةَ فِي ٱلبِلَادِ

أَيْنَ كَأَبِي عَبْدِ ٱللّٰهِ؟ لَقَدْ عَدِمَهُ ٱلشَّامُ! فَكَانَ كَمَكَّةَ إِذْ فُقِدَ هِشَامٌ، عَنَيْت هِشَامَ بْنَ ٱلمُغِيْرَةِ[٦]، لأَنَّ ٱلشَّاعِرَ رَثَاهُ فَقَالَ:

[الوافر]

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا ... كَأَنَّ ٱلأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

يَظَلُّ كَأَنَّهُ أَثْنَاءَ سَوْطٍ ... وَفَوْقَ جِفَانِهِ شَحْمٌ رِكَامُ

فَلِلْكُبَرَاءِ أَكْلٌ كَيْفَ شَاءُوا ... وَلِلصُّغَرَاءِ حَمْلٌ وَٱقْتِثَامُ[٧]

---

(١) التدليس: الكذب على الغير والادعاء.

(٢) القبل: من معانيه: ارتجال الكلام، والشيء أول ما يرى، ولطف القابلة بإخراج الولد.

(٣) التمليط: من ملط فلان فلاناً إذا قال نصف بيت وأتمّه الآخر بيتاً.

(٤) الإعنات: الوقوع في أمر شاق.

(٥) الوكال: الضعف والبلادة.

(٦) هو: هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي: من سادات العرب في الجاهلية. من أهل مكة. كان ابنه الحارث بن هشام من الصحابة. وكان هشام من شهد حرب «الفجار» رئيساً على بني مخزوم. انظر ترجمته في: نسب قريش: ٣٠٠ ـ ٣٠١، الأغاني. الساسي ١٩/ ٧٤ ـ ٧٧.

(٧) أورد لسان العرب الأبيات الثلاثة ١١/ ٤٦١ مادة «قثم».

«قَثَمَ الشيءَ يَقْثِمه قَثْماً واقتثمه: جمعه واحترفه. ورجل قثوم، جمّاع لعياله. والقُثَم والقَثُوم: الجموع للخير. ويقال في الشرّ أيضاً: قَثَمَ واقتثم. ويقال: إنه لقثوم لَلطعام وغيره؛ وأنشد:

لأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا، ... كَأَنَّ ٱلأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

=

أَبُو ٱلطَّيِّبِ ٱللُّغَوِيُّ

وَأَبُوْ ٱلطَّيِّبِ ٱللُّغَوِيُّ ٱسْمُهُ عَبْدُ ٱلوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ، لَهُ كِتَابٌ فِي ٱلاتِّبَاعِ صَغِيْرٌ عَلَى حُرُوْفِ ٱلمُعْجَمِ فِي أَيدي ٱلبَغْدَادِيِّيْنَ، وَلَهُ كِتَابٌ يُعْرَفُ بِكِتَابِ ٱلإِبْدَالِ، وَقَدْ نَحا بِهِ نَحْوَ كِتَابِ يَعْقُوْبَ[1] فِي ٱلقَلْبِ، وَكِتَابٌ يُعْرَفُ بِشَجَرِ ٱلدُّرِّ، سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ أَبِي عُمَرَ فِي ٱلمَدَاخِلِ، وَكِتَابٌ فِي ٱلفَرْقِ قَدْ أَكْثَرَ فِيْهِ وَأَسْهَبَ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ ضَاعَ كَثِيْرٌ مِنْ كُتُبِهِ وَتَصْنِيْفَاتِهِ، لِأَنَّ ٱلرُّوْمَ قَتَلُوْهُ وَأَبَاهُ، فِي فَتْحِ حَلَبَ. وَكَانَ ٱبْنُ خَالَوَيْهِ يُلَقِّبُهُ «قرموطة الكبرتل»، يُرِيْدُ دَحْرُوْجَةَ ٱلجُعَلِ، لِأَنَّهُ كَانَ قَصِيْراً.

وَحَدَّثَنِي ٱلثِّقَةُ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ خَالَوَيهِ قَدْ جَاءَهُ رَسُوْلُ سيفِ ٱلدَّوْلَةِ يَأْمُرُهُ بِٱلحُضُورِ وَيَقُوْلُ لَهُ: قَدْ جَاءَ رَجُلٌ لُغَوِيٌّ، يَعْنِي أَبَا ٱلطَّيِّبِ هٰذَا، قال: السَاعَةَ يُسْأَلُ ٱلرَّجُلُ عَنْ شَوْطِ بَرَاحٍ[2]، وَٱلعِلَّوْضِ[3]، وَنَحْوِ ذٰلِكَ، يَعْنِي أَنَّهُ يُعْنِتُهُ.

وَكَانَ أَبُو ٱلطَّيِّبِ ٱللُّغَوِيُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي ٱلعَبَّاسِ بْنِ كَاتِبِ ٱلبُكْتُمْرِيِّ مَوَدَّةٌ وَمُؤَانَسَةٌ، وَلَهُ يَقُوْلُ:

[البسيط]

يَا عَبْدُ إِنَّكَ عِنْدَ ٱلقَلْبِ جَنَّتُهُ ... حُبّاً، وَإِنَّكَ عِنْدَ ٱلطَّرْفِ نَاظِرُهُ

أَزْمَعْتُ سَيْراً، فَقُلْ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ ... وَٱذْكُرْ لِرَاعِي ٱلهَوَى، مَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ

لَا أَشْتَكِي سَهَراً طَالَتْ مَسَافَتُهُ ... ٱللَّيْلُ يَعْلَمُ أَنِّي، ٱلدَّهْرَ، سَاهِرُهُ

قَوْلُهُ: يَا عَبْدُ، يُرِيْدُ: يَا عَبْدَ ٱلوَاحِدِ، كَمَا قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي ٱلأَبْيَاتِ ٱلصَّادِيَّةِ ٱلَّتِي مَضَتْ:

[الرجز]

غُيِّبْتَ عَنِّي عَبْدُ فِي سَاعَةِ ٱلشَّرْ ... رِ وَجُبُنْتَ أَوَانَ ٱلعَوِيْصِ

يُرِيْدُ عَبْدَ هِنْدٍ.

وَقَدْ كَانَ أَبُوْ ٱلطَّيِّبِ يَتَعَاطَى شَيْئاً مِنَ ٱلنَّظْمِ.

= يَظَلُّ كَأَنَّهُ أَثْنَاءَ سَوْطٍ، ... وفوق جفانِهِ شَحْمٌ رُكامُ

فَلِلْكُبَرَاءِ أَكْلٌ حيثُ شَاءُوا ... وَلِلصُّغَرَاءِ أَكْلٌ واقْتِثَامُ

قال ابن بري: يعني هشام بن المغيرة، والاقتثام: التزليل..».

(١) هو: يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت (ت ٢٤٤هـ).

(٢) شوط براح: ابن آوى.

(٣) العلّوض: ابن آوى بلغة حمير.

فِي مَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ

وَقَدْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنِّي لَا في ٱلعِيْرِ وَلَا فِي ٱلنَّفِيْرِ[١]، وَمَنْ لِلْجَارِمَةِ[٢] بِٱلتَّكْفِيْرِ؟ كُلَّمَا رَغِبْتُ فِي ٱلخُمُولِ، قُدِّرَ لِي غَيْرُ ٱلمَأْمُولِ، كَانَ حَقُّ ٱلشَّيْخِ إِذَا أَقَامَ فِي مَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ سَنَةً أَنْ لَا يَسْمَعَ لِي بِذِكْرٍ، وَلَا أَخْطُرُ لَهُ عَلَى فِكْرٍ، وَٱلآنَ فَقَدْ غَمَرَ إِفْضَالُهُ، وَأَظَلَّنِي دَوْحُ أَدَبِهِ لَا ضَالُّهُ، وَجَاءَتْنِي مِنْهُ فَرَائِدُ لَوْ تَمَثَّلَتْ ٱلوَاحِدَةُ مِنْهَا تَوْمَةً[٣] لَمْ تَكُنْ بِٱلصُّحُفِ مَكْتُومَةً، وَلَا سْتُغْنِي بِثَمَنِها ٱلقَبِيْلَ، وَعَمَرَ إِلَيْهَا ٱلسَّبِيْلُ؛ يَنْظُرُ مِنْهَا ٱلنَّاظِرُ إِلى جَوْهَرَةٍ، مِثْلِ ٱلزَّهْرَةِ، كَمَا قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

ذَهَبَ لَمَّا أَنْ رَآهَا تُزْمَرَهْ[٤] وَقَالَ: يَا قَوْمُ، رَأَيْتُ مُنْكَرَهْ

شَذَرَةً[٥] وَادٍ إِذْ رَأَيْتُ ٱلزُّهَرَهْ

وَبَعْضُهُمْ يَرْوِي: تُزْمَلَة، مَكَانَ: تُزْمَرَهْ، وَهِيَ أَكْثَرُ ٱلرِّوَايَتَيْنِ عَلَى مَا فِيْهَا مِنَ ٱلإِكْفَاءِ.

وَهْوَ، أَدَامَ ٱللَّهُ عِزَّ ٱلأَدَبِ بِحَيَاتِهِ، كَرِيْمُ ٱلطَّبْعِ، وَٱلكَرِيْمُ يُخْدَعُ، وَمَنْ سَمِعَ جَازَ أَنْ يُخَالَ، وَٱلجَنْدَلُ لا يُنْتِجُ ٱلرِّخَالَ[٦].

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَيْلِهِ فِي مِصْرَ إِلى بَعْضِ ٱللَّذَّاتِ، فَهُوَ يَعْرِفُ ٱلحَدِيْثَ: «أَرِيْحُوا ٱلقُلُوبَ تَعِ ٱلذِّكْرُ». وَقَالَ أُحَيْحَةُ بْنُ ٱلجُلَاحِ[٧]:

[الوافر]

صَحَوْتُ عَنِ ٱلصِّبَا، وَٱللَّهْوُ غُوْلُ، وَنَفْسُ ٱلمَرْءِ آوِنَةً مَلُولُ

وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ فِي هٰذَا ٱلوَقْتِ يَضْبِطُ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلأَدَبِ بِدَرْسٍ

---

(١) يضرب هذا المثل لمن لا ينتفع بكثير أو قليل.

(٢) الجارمة: التي تجني ثمار النخيل.

(٣) التومة: تنفر منه.

(٤) تزمره: تنفر منه.

(٥) الشذرة: ما يلتقط من برادة الذهب.

(٦) الرخال، مفرده رخلة: وهي صغيرة الضأن.

(٧) هو: أُحَيحة بن الجُلاح بن الحريش الأوسي، أبو عمرو: شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. كان سيد يثرب وله حصن فيها سمّاه «المستظلّ..» ومال وفير. مات نحو سنة ١٣٠ق.هـ = نحو سنة ٤٩٧م. انظر ترجمته في: الأغاني ١٣/ ١١٥. أمثال الميداني ١/ ٢٥٩.

مَنْ يَدْرُسُ عَلَيْهِ، إِذْ كَانَتِ ٱلسِّنُّ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَأْثِيرِ، وَأَنْ تَرْمِيَ بِقِلَّةٍ كُلَّ كَثِيرٍ، وَلٰكِنْ قَطْرَتُهُ ٱلْفَارِدَةُ[١] تَغرَقُ، ونَفَسُهُ إِذا بَرَدَ يَحرقُ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ:

[الطويل]

لِلَّهِ دَرِّي حِيْنَ أَدْرَكَنِي ٱلْبِلَى ... عَلَى أَيِّمَا تَأْتِي ٱلْحَوَادِثُ أَنْدَمُ؟!

أَلَمْ أَجْتَلِ ٱلْبَيْضَاءَ يُبْرِقُ حِجْلُهَا[٢] ... لَهَا بَشَرٌ صَافٍ وَوَجْهٌ مُقَسَّمُ

وَلَمْ أَصْطَبِغْ قَبْلَ ٱلْعَوَاذِلِ شُرْبَةً ... مُشَعْشَعَةً، كَأَنَّ عَاتِقَهَا ٱلدَّمُ

وَلَعَلَّهُ قَدْ قَضَى ٱلأَرَبَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ، وَٱلأَشْيَاءُ لَهَا أَوَاخِرُ، وَإِنَّمَا ٱلعَاجِلَةُ سَرَابٌ سَاخِرٌ، وَقدْ عَاشَرَ مُلُوكاً وَوُزَرَاءَ، فَلَا مَنْقَصَةَ وَلَا إِزْرَاءَ، وَقَدْ سَمِعَ نَبَأَ ٱلنُّعْمَانِ ٱلأَكْبَرِ، إِذْ فَارَقَ مُلْكَهُ فِرَاقَ ٱلمُعْبَرِ، وَتَعَوَّضَ مِنَ ٱلحَرِيْرِ ٱلْمُسُوحَ[٣]، وَرَغِبَ فِي أَنْ يَسُوحَ، وَإِيَّاهُ عَنَى ٱلعِبَادِيُّ فِي قَوْلِهِ:

[الخفيف]

وَتَذَكَّرْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ إِذْ فَكَّـ ... ـرَ يَوْماً وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ[٤]

سَرَّهُ مُلْكُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ... ـلِكُ وَٱلْبَحْرُ مُعْرِضاً وَٱلسَّدِيرُ

فَٱرْعَوَى جَهْلُهُ فَقَالَ: وَمَا غِبْـ ... ـطَةُ حَيٍّ إِلى ٱلْمَمَاتِ يَصِيْرُ؟

وَٱلسُّكْرُ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ ٱلمِلَلِ، وَيُقَالُ: إِنَّ ٱلهِنْدَ لَا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً يَشْرَبُ مُسْكِراً، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ مُنْكَراً، وَيَقُولُونَ: يَجُوزُ أَنْ يَحْدُثَ فِي ٱلمَمْلَكَةِ نَبَأٌ وَٱلمَلِكُ سَكْرَانُ، فَإِذَا ٱلمَلِكُ ٱلمُتَّبَعُ هَكْرَانُ[٥].

---

(١) الفاردة: التي تنفرد في المرعى أو التي أفردتها في بيتك.

(٢) الحِجل: كسر الحاء: الخلخال.

(٣) المسوح، مفرده مسح: الكساء من شعر.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة في لسان العرب ١٠/ ٧٩ مادة «خرنق».

«والخورنق: اسم قصر بالعراق، فارسي معرّب، بناه النعمان الأكبر الذي يقال له الأعور، وهو الذي لبِس المسوح فساحَ في الأرض قال عدي بن زيد يذكره:

وتَبَيَّنْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ، إذا أشْـ ... ـرفَ يوماً، ولِلْهُدى تفكيرُ

سَرّهُ حالُهُ، وكثرةُ ما يَمْـ ... ـلِكُ، والبحرُ مُعْرِضاً وٱلسَّدِيرُ

فَٱرْعَوى قَلْبُهُ فقال: وما غِبْـ ... ـطةُ حَيٍّ إلى ٱلمَماتِ يَصِيرُ»

رب الخورنق: هو النعمان والخورنق قصره.

(٥) الهكران: النعسان.

[أقوال في الخمرة]

لُعِنَتِ ٱلقَهْوَةُ، فَكَمْ تَهْبِطُ بِهَا رَهْوَةٌ؛ لَا خَيرَةَ فِي ٱلخَمْرِ، تُوْطِئُ عَلَى مِثْلِ ٱلجَمْرِ. مَنِ ٱصْطَبَحَ فَيْهجاً[١]، فَقَدْ سَلَكَ إلى ٱلدَّاهِيَةِ مَنْهَجاً. مَنِ ٱغْتَبَقَ[٢] أُمَّ لَيْلَى، فَقَدْ سَحَبَ بِٱلبَاطِلِ ذَيْلاً. مَنْ غَرِيَ بِأُمِّ زَنْبَقٍ، فَقَدْ سَمَحَ بِٱلعَقْلِ ٱلمُوْبِقِ. مَنْ حَمَلَ بِٱلرَّاحَةِ رَاحاً، فَقَدْ أَسرَعَ لِلرُّشْدِ سَرَاحاً. مَنْ رَضِيَ بِصُحْبَةِ ٱلعُقَارِ، فَقَدْ خَلَعَ ثَوْبَ ٱلوَقَارِ. مَنْ أَدْمَنَ قَرْقَفاً[٣]، فَلَيْسَ عَلَى ٱلوَاضِحَةِ مُوَقَّفاً. مَنْ سَدِكَ[٤] بِٱلخُرْطُومِ، رَجَعَ إِلَى حالِ ٱلمَفْطُومِ. ٱلمُوَاظَبَةُ عَلَى ٱلعَانِي، تَمْنَعُ بُلُوغَ ٱلأَمَانِي. ٱلخَيْبَةُ لِسَبِيئَةٍ، تُخْرِجُ مِنْ سِرٍّ كُلَّ خَبِيئَةٍ. لَا فَائِدَةَ فِي ٱلكُمَيْتِ، تَجْعَلُ حَيَّهَا مِثْلَ ٱلمَيْتِ. مَنْ بُلِيَ بِٱلصَّرْخَدِيِّ، لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلفَاضِحَةِ بِٱلمَفْدِيِّ. مَا أَخْوَنَ عُهُودَ ٱلسُّلَافِ، تَنْقُضُ مَرِيرَ ٱلأَحْلَافِ. أَمَّا ٱلسُّلَافَةُ، فَسَلٌّ وَآفَةٌ. كَمْ شَابٌّ فِي بَنِي كِلَابٍ، مَاتَ عَبْطَةً[٥]! رَمَاهُ بِسِخَافٍ[٦] قَاتِلٍ، إِدْمَانُ ٱلمُعَتَّقَةِ ذَاتِ ٱلمَخَاتِلِ[٧]. مَنْ إِلَى ٱلشَّمُولِ، فَرَأْيُهُ يُنْظَرُ بِطَرْفٍ مَسْمُولٍ. أَقَلُّ عَنَتاً مِنْ كَرِينَةٍ[٨]، لَيْثٌ زَأَرَ فِي ٱلعَرِينَةِ. كَمْ بَرْبَطٍ، عَصَفَ بِجَعْدٍ وَسَبْطٍ! كَمْ مُزْهِرٍ، أَوْقَعَ هَاجِداً فِي ٱلسَّهَرِ!

وَهُوَ يَعْرِفُ أَبْيَاتَ ٱلمُتَنَخِّلِ[٩]:

مِمَّا أُقَضِّي وَمَحَارُ ٱلفَتَى ... لِلضَّبْعِ وَٱلشَّيْبَةِ وَٱلمَقْتَلِ
إِنْ يُمْسِ نَشْوَانَ بِمَصْرُوفَةٍ ... مِنْهَا بِنَيْءٍ، وَعَلَى مِرْجَلِ[١٠]

---

(١) الفيهج: من أسماء الخمرة.

(٢) اغتبق: شرب الغبوق، وهو شراب المساء.

(٣) القرقف: الحمرة الحاذة التي تقرقف شاربها.

(٤) «سَدِك به، بالكسر، سَدكاً وسَدَكاً، فهو سَدِكٌ ولَعِيَ به لَعًى: لزمه، والسَّدِكُ: المُولَعُ بالشيء، طائية . .».

(٥) عبطة: عَبَطَ الذَّبيحة يعبطُها عَبْطاً واعتبطها اعتباطاً: نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتيَّة، وهو العَبْط، وناقة عبيطة.

(٦) سحاف: السمّ.

(٧) المخاتل: المخادع.

(٨) الكرينة: العازفة على العود.

(٩) هو: مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر، أبو أثيلة: شاعر من نوابغ هذيل. انظر ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ١٤٥، التاج ٨/ ١٣١.

(١٠) «المِرْجَل: القِدْر من الحجارة والنحاس، مذكر . .» انظر: لسان العرب ١١/ ٢٧٤ مادة «رجل».

لَا تَـقِـهِ ٱلْـمَـوتَ وَقـيَّـاتُـهُ خُـطَّ لَهُ ذٰلِكَ فِـي ٱلْـمَـحْـبَـلِ[١]

وَيَنْبَغِي أَنْ يُزْهِدَهُ فِي ٱلصَّهْبَاءِ ٱلصَّافِيَةِ، أَنَّ نَدَامَاهُ ٱلْأَكْرَمِيْنَ أَصْبَحُوا فِي ٱلْأَجْدَاثِ[٢] ٱلعَافِيَةِ؛ كَمْ جَلَسَ مَعَ فِتْيَانٍ، أَتَى عَلَيْهِمُ ٱلزَّمَنُ كُلَّ ٱلإِتْيَانِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ٱلْجَعْدِيُّ:

[الطويل]

تَـذَكَّـرْتُ وَٱلـذِّكْـرَى تُـهِـيـجُ لِيَ ٱلْـهَـوَى وَمِـنْ حَـاجَـةِ ٱلْـمَـحْـزونِ أَنْ يَـتَـذَكَّـرَا

نَـدَامَـايَ عِـنْـدَ ٱلْـمُـنْـذِرِ بْـنِ مُـحَـرِّقٍ فَـأَصْـبَـحَ مِـنْـهُـمْ ظَاهِـرُ ٱلأَرْضِ مُـقْـفِـرَا

وَهُوَ يَعْرِفُ ٱلأَبْيَاتَ ٱلَّتِي أَوَّلُهَا:

[الطويل]

خَـلِـيْـلَـيَّ هُـبَّـا طَـالَ مَـا قَـدْ رَقَـدْتُـمَـا، أَجِـدَّكُـمَـا لَا تَـقْـضِـيَـانِ كَـرَاكُـمَـا[٣]؟

وَهَلْ يَعْجَزُ أَنْ يَكُوْنَ كَمَا قَالَ ٱلآخَرُ:

[البسيط]

أَمَّـا ٱلـطِّـلَاءُ[٤] فَـإِنِّـي لَسْـتُ ذَائِقَـهَـا حَـتَّـى أُلَاقِـي بَـعْـدَ ٱلْـمَـوْتِ جَـبَّـارَا

كَأَنَّهُ كَانَ نَدِيْمَهُ عَلَى ٱلطِّلَاءِ، فَلَمَّا رَمَاهُ ٱلتَّلَفُ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ، حَرَّمَ عَلَيْهِ شُرْبَهَا، حَتَّى تُسْكِنَهُ ٱلرَّاكِدَةُ تُرْبَهَا.

وَسَرَّتْنِي فَيْئَةُ[٥] ٱلدَّنَانِيرِ إِلَيْهِ، فَتِلْكَ أَعْوَانٌ، تَشْتَبِهُ مِنْهَا ٱلأَلْوَانُ، وَلَهَا عَلَى ٱلنَّاسِ حُقُوْقٌ، تَبَرُّ إِنْ خِيْفَ عُقُوقٌ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: رَأَيْتُ فِي ٱلنَّوْمِ أَنَّ ٱلقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَجِيءَ بِكَ وَقَدْ أَلْجَمَكَ ٱلعَرَقُ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَلْ رَأَيْتَ ثَمَّ مِنْ دَنَانِيرِ مِصْرَ شَيْئاً؟

وَهٰذِهِ لَا رَيْبَ مِنْ دَنَانِيرِ مِصْرَ لَمْ تَجِئْ مِنْ عِنْدِ ٱلسُّوقِ، وَلٰكِنْ مِنْ عِنْدِ ٱلْمُلُوكِ، وَلَمْ تَكُنْ مُهْرَ هَلُوكٍ[٦]، فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي سَلَّمَهَا إِلى هٰذَا ٱلْوَقْتِ وَلَمْ تَكُنْ كَذَهَبٍ مَخْزُونٍ، صَارَ إِلى ٱلْخَمَّارَةِ مَعَ ٱلْمَوْزُوْنِ، كَمَا قَالَ:

[المتقارب]

وَخَـمَّـارَةٍ مِـنْ بَـنَـاتِ ٱلْـمَـجُـوسِ تَـرَى ٱلـزِّقَّ فِـي بَـيْـتِـهَـا شَـائِلَا[٧]

---

(١) المحبل: أوان الحبل.

(٢) الأجداث، واحده جدث: القبور.

(٣) كراكما: نومكما.

(٤) الطِّلاء: من أسماء الخمرة.

(٥) الفيئة: الرجوع.

(٦) الهلوك: المتهالكة على الرذيلة والفساد.

(٧) الشائل: التي ترفع بقوائمها وتشيل بذنبها.

وَزَنَّا لَهَا ذَهَباً جَامِداً، فَكَالَتْ لَنَا ذَهَباً سَائِلَا

وَلَا أُلْغِزُ عَنْهَا هٰذَا ٱلْبَيْتَ:

[الطويل]

دَنَانِيرُنَا مِنْ قَرْنِ ثَوْرٍ، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَضْرُوبِ بَيْنَ ٱلصَّفَائِحِ

لَوْ رَآها ٱلْمُرَقِّشُ لَعَلِمَ أَنَّهَا أَحْسَنُ مِنْ وُجوهِ حَبَائِبِهِ، لَمَّا غَدَا ٱلظَّاعِنُ بِرَبَائِبِهِ، فَقَالَ:

[السريع]

ٱلنَّشْرُ مِسْكٌ، وَٱلْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ، وَأَطْرَافُ ٱلأَكُفِّ عَنَمْ[1]

وَأَنَّهَا لَأَحْسَنُ مِنَ ٱلْوُجُوهِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا ٱلْجَعْدِيُّ، وَزَعَمَ أَنَّ حُسْنَها بَدِيٌّ، فَقَالَ:

[الخفيف]

فِي فُتُوٍّ شُمِّ ٱلْعَرَانِينِ[2] أَمْثَا لِ ٱلدَّنَانِيرِ شُفْنٍ[3] بِٱلْمِثْقَالِ

أُخِذَتْ مِنْ جَوائِزِ كِرَامٍ صِيْدٍ[4]، تارةً بِٱلْخِدْمَةِ وَتَارَةً بِٱلْقَصِيْدِ، وَلَمْ تَكُنْ فِي ٱلْعَيْدِيَّةِ مُرْهَنَاتٍ، وَلَا عِنْدَ ٱلْغَرَضِ مُوهَّنَاتٍ، كَمَا قَالَ رَدَّادٌ ٱلْكِلَابِيُّ[5]:

[البسيط]

يَطْوِي ٱبْنُ سَلْمَى بِهَا عَنْ رَاكِبٍ بُعُراً عَيْدِيَّةٌ، أُرْهِنَتْ فِيهَا ٱلدَّنَانِيرُ

وَهِيَ عِنْدَ ٱلْبَلَهِ وَٱلْكَيْسِ، أَجْوَدُ مِنَ ٱلْخَاتَمِ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ ٱبْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ:

[المنسرح]

إِنْ خُتِمَتْ جَازَ طِينُ خَاتَمِهَا كَمَا تَجُوزُ ٱلْعَبْدِيةُ ٱلْعُتُقُ

---

(١) «العَنَم: شجر لين الأغصان لطيفها يُشبَّهُ به البنان كأنه بنان العذارى واحدتها عنمة، وهو مما يستاك به، وقيل: العنم أغصان تنبت في شوكِ العِضاه رطبة لا تشبه سائر أغصانها حمرُ اللون، وقيل: هو ضرب من الشجر له نَوْرٌ أحمر تُشبّه به الأصابع المخضوبة» انظر: لسان العرب ١٢/ ٤٢٩ مادة «عنم».

البيت للمرقش الأكبر، وورد في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٣٩، أسرار البلاغة. للجرجاني: ١٢٣، معاهد التنصيص، للعباسي ١/ ١٦٢، المفضليات: ٣٢٨، حاشية الدمنهوري، على متن الكافي: ٥٩.

(٢) شمّ العرانين: مرتفعو الأنوف، كناية عن الكبر والزهو.

(٣) الشُفِن: الكَيّس العاقل.

(٤) الصِّيد: السادة.

(٥) لم أعثر على ترجمته.

أَرَادَ بِٱلعَبْدِيَّةِ دَنَانِيْرَ نَسَبَها إِلى عَبْدِ ٱلمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، ويُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ ٱلدَّنَانِيْرَ فِي ٱلإِسْلَامِ.

وَجَلَّتْ عَنْ نَقْدِ ٱلصَّيْرَفِيِّ، وَهِيَ ٱلرَّوَاجِحُ لَدَى ٱلمِيْزَانِ ٱلوَفِيِّ؛ حَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱلفَرزدقُ:

[البسيط]

تَنْفِي يَدَاهَا ٱلحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ ٱلدَّنَانِيْرِ تَنْقَادُ ٱلصَّيَارِيفِ[1]

وَهٰذَا ٱلبَيْتُ يُنْشَدُ عَلَى وَجْهَيْنِ: ٱلدَّنَانِيرُ وَٱلدَّرَاهِيمُ.

وَلَا هِيَ مِنْ دَنَانِيْرِ أَيْلَةَ[2]، بَاعَ بِهَا ٱلبَائِعُ نَخِيْلَهُ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا دَنَانِيرَ أَيْلَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي حَيِّزِ ٱلرُّوْمِ، فَتَأْتِيْهَا ٱلدَّنَانِيرُ مِنَ ٱلشَّامِ، قَالَ:

[الطويل]

وَمَا هِبْرِزِيٌّ مِنْ دَنَانِيْرِ أَيْلَةَ بِأَيْدِي ٱلوُشَاةِ مُشْرِقاً يَتَأَكَّلُ[3]

ٱلوُشَاةُ: النَّقَّاشُونَ ٱلَّذِينَ يَشُونَهُ.

وَلَوْ رَآهَا ٱلضَّبِّيُّ مُحْرِزٌ[4]، لَشَهِدَ أَنَّهَا حِيْنَ تَبْرُزُ، أَجَلُّ مِنْ تِلْكَ ٱلقَسَمَاتِ[5] وَإِنْ كَانَتْ فِي أَوْجُهٍ ذَاتِ سِمَاتٍ، قَالَ:

[الطويل]

كَأَنَّ دَنَانِيْراً عَلَى قَسَمَاتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلوُجُوهَ لِقَاءُ

---

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٩/ ١٩ مادة «صرف».
«والتصريف في جميع البياعات: إنفاق الدراهم. والصَّراف والصَّيْرف والصيْرفي: النقاد من المُصارفة وهو من التصرُّف، والجمع صَيارِف وصيارفةٌ، والهاء للنسبة، وقد جاء في الشعر الصيارف؛ فأما قول الفرزدق:

تَنْفي يداها ٱلحصى في كلّ هاجِرَةٍ، نَفْيَ ٱلدَّراهيمِ تَنْقَادُ الصَّياريفِ

فعلى الضرورة لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتى صار حرفاً...» وأورد لسان العرب ٣/ ٤٢٥ مادة «نقد» البيت أيضاً.

(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام؛ وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٩٢.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٥/ ٤٢٣ مادة «جرز».
«ابن الأعرابي: الهِبْرِزِيُّ الدينار الجديد: وأنشد لرجل رثى ابناً له:

فَمَا هِبْرِزِيٌّ مِن دَنانِيرِ أَيْلَةَ، بِأَيدي ٱلوُشاةِ ناصِعٌ يَتَأَكَّلُ

قال: الوشاةُ ضَرَّبوا الدنانير. يتأكَّلُ: يأكل بعضه بعضاً من جنسه..»

(٤) هو: محرز من المكعبر الضبي: شاعر جاهلي، من بني ربيعة بن كعب، من ضبة. انظر ترجمته في: معجم ما استعجم: ١٠٧٣، التبريزي ٤/ ١٥.

(٥) القسمات: الوجوه.

وَمَعَاذَ ٱللَّهِ أَنْ تُقْرَنَ بِحَوْذانٍ[١] وَادٍ، سَقَتْهُ رَوَائِحُ وَغَوَادٍ، حَتَّى إِذَا ٱلقَيْظُ وَهَجَ، تَمَزَّقَ مَا لَبِسَ وَأَنْهَجَ، قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[البسيط]

وَرُبَّ وَادٍ سَقَاهُ كَوْكَبٌ أَمِرٌ فِيهِ ٱلأَوَابِدُ وَٱلأُدْمُ ٱليَعَافِيرُ[٢]

هَبَطْتُهُ غَادِياً وَٱلشَّمْسُ شَارِقَةٌ كَأَنَّ حَوْذَانَهُ فِيهِ ٱلدَّنَانِيرُ

وَلَوْ أَخَذَ مِثْلَهَا ٱلنَّادِمُ عَلَى بَيْعِ كُمَيْتِهِ، لأَسْكَنَتِ ٱلبَهْجَةَ فِي خَلَدِهِ وَبَيْتِهِ، وَلَمْ يَأْسَفْ أَنْ عُوِّضَ حِمَاراً مِنْ فَرَسٍ، وَلَوَجَدَ عَلَى ٱلشَّكْوَى ذَا خَرَسٍ، وَلَمْ يَقُلْ:

[الطويل]

نَدِمْتُ عَلَى بَيْعِ ٱلكُمَيْتِ، وَإِنَّمَا حَيَاةُ ٱلفَتَى هَمٌّ لَهُ وَخَسَارُ

وَلَمَّا أَتَانِي بِٱلدَّنَانِيرِ سَائِمِي[٣]، أَصَاخَتْ[٤] وَهَشَّتْ لِلْبِيَاعِ نَوَارُ

وَقَالَتْ: أَتِمَّ ٱلبَيْعَ وَٱشْتَرِ غَيْرَهُ، فَحَوْلَكَ فِي ٱلمَشْتَى بَنُونَ صِغَارُ

فَأَنْفَقْتُ فِيهِمْ مَا أَخَذْتُ، وَلَمْ يَزَلْ لَدَيَّ شَرَابٌ رَاهِنٌ وَقُتَارُ[٥]

إِلَى أَنْ تَدَاعَى ٱلجُنْدُ بِٱلغَزْوِ وَٱنْجَلَتْ غُيُومُ شِتَاءٍ سُحْبُهُنَّ غِزَارُ

وَأَعْوَزَنِي مُهْرٌ يَكُونُ مَكَانَهُ كَأَنْ لَيْسَ بَيْنَ ٱلعَالَمِينَ مِهَارُ

وَسَارَ عَلَى ٱلخَيْلِ ٱلمُغِذَّةِ[٦] صُحْبَتِي وَسِرْتُ وَتَحْتِي لِلشَّقَاءِ حِمَارُ

وَلِلَّهِ ٱلمِنَّةُ كَمَا نَجَاهَا بِٱلقَذْرِ مِنْ بكورٍ، لَيْسَ مَنْ بَكَرَهُ بِٱلمَشْكُورِ، يَحْمِلُ مَعَهُ دَنَانِيرَ، وَلَا يَصْحَبُ مِنَ ٱلقَوْمِ صَنَانِيرَ، أَيْ بُخَلَاءَ، فَيُقِيمُ بِهِمْ فِي ٱلدَّسْكَرَةِ أَيَّاماً، أَيْقَاظاً فِي ٱلسُّكْرِ أَوْ نِيَاماً، فَتَفْنِي ٱلذَّهَبَ أَقْدَاحٌ، كَأَنَّهَا جَزُورُ ٱلمَيْسِرِ وَهِيَ ٱلقِدَاحُ، قَالَ ٱلجَعْدِيُّ:

[المتقارب]

وَدَسْكَرَةٍ[٧] صَوْتُ أَبْوَابِهَا كَصَوْتِ ٱلمَوَاتِحِ[٨] فِي ٱلحَوْأَبِ[٩]

---

(١) الحوذان: ضرب من الأعشاب ذات الأزهار الجميلة.

(٢) اليعافير، واحده يعفور: ولد الظبية.

(٣) السائم: المشتري.

(٤) أصاخت: أصغت واستمعت.

(٥) القتار: الدخان الذي يحمل رائحة المأكولات.

(٦) المغذة: السريعة العدو.

(٧) «الدسكَرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي..» انظر: لسان العرب ٤/ ٢٨٥ مادة «دسكر».

(٨) المواتح: جمع ماتح وهو الدلو الصغير.

(٩) الحوأب: موضع بعينه.

سَبَقْتُ إِلَيْهَا صِيَاحَ ٱلدُّيُوكِ، وَصَوْتُ نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

وقَالَ آخَرُ:

[البسيط]

وَقَبْضَةٌ مِنْ دَنَانِيرٍ غَدَوْتُ بِهَا لِلدَّسْكَرِيِّ[1] وَحَوْلِي فِتْيَةٌ سُمُحُ

وَلَمْ يَزَلْ ثَمَّ يَسْقِينَا وَيَأْخُذُهَا حَتَّى ٱسْتَقَلَّ بِمَا فِي ٱلصُّرَّةِ ٱلْقَدَحُ

وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْخُ أَدْرَكَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ، لَكَانَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَٱلَّذِي قَالَ فِيهِ ٱلْقَائِلُ:

[المتقارب]

وَأَصْفَرَ مِنْ ضَرْبِ دَارِ ٱلْمُلُوكِ يَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ جَعْفَرُ

يَزِيدُ عَلَى مَائَةٍ وَاحِداً، إِذَا نَالَهُ مَعْشَرٌ أَيْسَرُوا

وَدَنَانِيرُهُ، بِإِذْنِ ٱللَّهِ، مُقَدَّسَاتٌ، مَا هُنَّ بِالحرج مُلَدَّسَاتٍ[2]، وَٱلْحَزَامَةُ[3] مِنْ سُوسِهِ وَشِيَمِهِ، فَلَا يَدْفَعُ إِلَى مُقَارِضٍ شَيْئاً مِنْ عَيَمِهِ، أَيْ مُخْتَارَاتِهِ، وَفِي ٱلْكِتَابِ ٱلْعَزِيزِ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. وَهٰذَا قِيلَ لِرَسُولِ ٱللَّهِ، ﷺ، وَقَدْ كَانَ فِي زَمَانِهِ مَنْ يَتَحَرَّجُ، يَتَضَمَّخُ بِٱلنُّسْكِ وَيَتَأَرَّجُ، فَأَمَّا ٱلْيَوْمَ فَلَوْ أَمِنَ كِتَابِيٌّ على نُمِيٍّ، لأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ٱلظِّنَنُ إِسْرَاعَ رَمْيٍ، وَٱلرَّمْيُ هٰهُنَا سَحَابٌ سَرِيعُ ٱلإِقْشَاعِ، مِنْ قَوْلِ ٱلْهُذَلِيِّ:

[الوافر]

أُولٰئِكَ لَوْ دَعَوْتِ أَتَاكِ مِنْهُمْ رِجَالٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيمِ[4]

وَمَا عَنَيْتُ بِٱلْكِتَابِيِّ، مِنْ نَسَبَ إِلَى تَوْرَاةٍ وَإِنْجِيلٍ، دُونَ مَنْ نُسِبَ إِلَى ٱلْقُرْآنِ ٱلْبَجِيلِ.

---

(١) الدسكري: صاحب الخمّارة.

(٢) ملدّسات: مدنّسات.

(٣) الحزامة: الإتقان.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١٢/ ١٥٥ مادة «حمم».
«والحميم: المطر الذي يأتي في الصيف تسخن الأرض: قال الهذلي:
هنالك لو دَعَوْتَ أتاك منهم رجالٌ مثل أرمية الحميم
وقال ابن سيده: الحميم المطر الذي يأتي بعد أن يشتدّ الحرّ لأنه حارّ. والحميم: القيظ. والحميم العرق. .».

عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَمَانَةٍ مُفْتَرَقَةٍ فِي ٱلْبِلَادِ، تَكُوْنُ لِلْخَيْرِ مِنَ ٱلتِّلَادِ، وَإِنَّهَا فِي ٱلآخِرَةِ لَأَشْرَفُ، وَأَرْحَضُ[١] لِمَا يُقْتَرَفُ، فَلْيُشْفِقْ عَلَى هٰذِهِ ٱلصَّبَابَةِ، إِشْفَاقَ ٱلنَّدُسِ[٢] ذِي ٱللُّبَابَةِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا دِيْنَارُ أَعِزَّةٍ، يَبْعَثُ ٱلرَّابِي عَلَى ٱلْهِزَّةِ، كَمَا قَالَ سُحَيْمٌ[٣]:

[الطويل]

تُرِيْكَ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ كَفّاً وَمِعْصَماً ... وَوَجْهاً كَدِيْنَارِ ٱلأَعِزَّةِ صَافِيَا

وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ ٱلْخَطِيْمِ[٤] لَمَا شَبَّهَ بِهِ كَنُوْدَهُ[٥]، وَجَعَلَهُ مِنْ أَنْصَرِ جُنُودِهِ، وَلَمْ يَسْمَحْ أَنْ يَقُوْلَ:

[الوافر]

صَرَمْتَ ٱلْيَوْمَ حَبْلَكَ مِنْ كَنُودَا ... لِتُبْدِلَ وَصْلَهَا وَصْلاً جَدِيْدَا

عَشِيَّةَ طَالَعَتْ فَأَرَتْكَ قَصْراً ... مَحَاسِنَ فَخْمَةً مِنْهَا، وَجِيْدَا

وَوَجْهاً خِلْتُهُ لَمَّا بَدَا لِي ... غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ دِيْنَاراً نَقِيْدَا[٦]

وَلِمِثْلِهِ قَصَدَ رَبِيْعَةُ بْنُ ٱلْمُكَدَّمِ[٧]، لَمَّا أَيْقَنَ بِحَتْفٍ مُقَدَّمٍ، فَقَالَ:

[الرجز]

شُدِّي عَلَيَّ ٱلْعَصْبَ أُمَّ سَيَّارِ ... فَقَدْ رُزِيْتِ[٨] فَارِساً كَٱلدِّيْنَارِ

أَوْ مَلَكَهُ مَالِكُ بْنُ دِيْنَارٍ[٩] مَعَ زُهْدِهِ، وَبُلُوغِهِ فِي ٱلْوَرَعِ أَقْصَى جُهْدِهِ، لَجَازَ أَنْ يَحْجَأَ[١٠] بِهِ عَلَى دِينَارِ أَبِيهِ، وَقَدْ يَكْذِبُ قَائِلٌ فِي ٱلتَّشْبِيهِ.

وَكُلُّ هَبْرَزِيٍّ[١١] مِنْ هٰذِهِ ٱلصُّفْرِ ٱلْمُبَارَكَةِ، أَبْلَغُ فِي قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ مِنْ دِيْنَارِ ٱلَّذِي ٱخْتَارَهُ لِلْمَأْرَبَةِ قَائِلُ هٰذَا ٱلْبَيْتِ:

[البسيط]

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِيْنَارٍ لِحَاجَتِنَا ... أَوْ عَبْدُ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ

---

(١) أرحض: أنظف.
(٢) الندس: الذكي.
(٣) مرّت ترجمته.
(٤) مرّت ترجمته.
(٥) الكنود: الكافر. وكنوده هنا: اسم امرأة.
(٦) الدينار النقيد: الثمين.
(٧) مرّت ترجمته.
(٨) رزئت: فجعت بمصيبة.
(٩) هو: مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعاً، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة: توفي في البصرة سنة ١٣١هـ = سنة ٧٤٨م انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٤٠، حلية الأولياء ٢/ ٣٥٧.
(١٠) يحجأ: يضنّ به، يلزمه ويتمسّك به.
(١١) الهبرزي: الذهب الخالص.

وَهٰذَا ٱلبَيْتُ يَتَدَاوَلُهُ ٱلنَّحْوِيُّونَ، وَزَعَمَ بَعْضُ ٱلمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ، وَمَا أَجْدَرَهُ بِذٰلِكَ!

فَأَمَّا قَوْلُ ٱلفَرَزْدَقِ:

[الطويل]

رَأَيْتُ ٱبْنَ دِينَارٍ يَزِيدَ رَمَى بِهِ إِلَى ٱلشَّامِ يَوْمَ ٱلعَنْزِ، وَٱللَّهُ قَاتِلُهْ

فَلَوْ كَانَ دِينَارٌ هٰذَا ٱلمَذْكُورِ كَأَحَدِ هٰذِهِ ٱلدَّنَانِيرِ، لِأَرَبٍ بِهِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ. وَأَيْنَ هِيَ مِنْ دَنَانِيرِ ٱلنَّخَةِ[1] ٱلَّتِي قَالَ فِي وَاحِدِهَا ٱلقَائِلُ:

[البسيط]

عَمِّي ٱلَّذِي مَنَعَ ٱلدِّينَارَ ضَاحِيَةً، دِينَارَ نَخَّةِ جَرْمٍ وَهْوَ مَشْهُودُ[2]

وَدِينَارُ ٱلنَّخَّةِ دِينَارٌ كَانَ يَأْخُذُهُ ٱلمُصَدِّقُ إِذَا فَرَغَ مِنَ ٱلجِبَايَةِ.

وَكُلُّ نَقِيشٍ مِنَ ٱلرَّاجِعَةِ بَعْدَ ٱليَأْسِ، أَنْقَعُ لِغَلِيلِ ٱلصَّدْيَانِ[3]، مِنْ دِينَارِ ٱلَّذِي دَعَاهُ لِسَقْيِهِ رَاكِبُ فَلَاةٍ، وَهْوَ عَلَى كُورِ عَلَاةٍ، فَقَالَ:

[الطويل]

أَقُولُ لِدِينَارٍ وَهُنَّ شَوَائِلٌ[4] بِنَا كَنَعَامٍ طَالِبَاتِ رِئَالِ[5]

لَكَ ٱلوَيْلُ أَدْرِكْنِي بِشُرْبَةِ آجِنٍ[6] مِنَ ٱلمَاءِ، مَا مَشْرُوبُهَا بِزُلَالِ

فَمَا كَادَ دِينَارٌ يُغِيثُ بِنُطْفَةٍ حُشَاشَةَ[7] نَفْسٍ آذَنَتْ بِزَوَالِ

وَلَا هُوَ كَدِينَارِ ٱلأَخْطَلِ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ:

كُمَّتْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ بِطِينَتِهَا حَتَّى ٱشْتَرَاهَا عِبَادِيٌّ بِدِينَارِ

لَوْ وَقَعَ إِلَى عِبَادِيٍّ لَمَا مَذَلَ[8] بِهِ لِخَمَّارٍ، وَلَوْ حُسِبَ فِي ٱلضِّمَارِ.

---

(١) «دنانير النخة: هي التي يستأديها الرجل ضريبة بعد قهر القوم، فيقال: صاروا نخة له..» انظر: لسان العرب ٣/ ٦٠ مادة «نخخ».

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٣/ ٦٠ مادة «نخخ» ولم يعزه لقائله «.. والنَّخة، بالفتح: أن يأخذ المصدّق ديناراً لنفسه بعد فراغه من الصدقة: قال:
عَمِّي ٱلَّذي مَنَعَ ٱلدينارَ ضَاحِيَةً، دِينارَ نَخَّةِ كَلْبٍ، وهو مشهودُ»

(٣) الصديان: العطشان.

(٤) الشوائل: التي تشيل بذنبها تبتغي السفاد.

(٥) الرئال، وحده رأل: ولد النعام.

(٦) الآجن: الماء المتغيّر الطعم واللون.

(٧) الحُشاشة، بضم الحاء: بقية الروح في المريض.

(٨) مذل: تكرم وجاد.

وَلَا كَالدِّينَارِ فِي ٱلبَيْتِ ٱلَّذِي أَنْشَدَهُ أَبُو عُمَرَ ٱلزَّاهِدُ:

[الرجز]

وَفِي ٱلكِتَابِ أَسْطُرٌ مَحْكُوكَهْ، لَا حَظَّ فِي ٱلدِّينَارِ لِلْكَارُوكَهْ[١]

زَعَمَ أَنَّ ٱلكَارُوكَةَ ٱلقَوَّادَةُ.

وَٱلعَجَبُ لَهَا تَفِرُّ مِنْ بَنَانِ ٱلسَّارِقِ، فِرَارَ دَنَانِيرِ ٱلشَّارِقِ، وَصَفَهَا أَبُو ٱلطَّيِّبِ فَقَالَ:

[الوافر]

وَأَلْقَى ٱلشَّرْقَ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيراً تَفِرُّ مِنَ ٱلبَنَانِ

لَوْ رَآهَا كُثَيِّرُ عَزَّةَ لَآلَى أَوْكَدَ أَلِيَّةٍ، أَنَّهَا أَحْسَنُ مِنَ ٱلهِرَقْلِيَّةِ[٢]، ٱلَّتِي شَبَّهَ بِمُنْفَرِدِهَا نَفْسَهُ فَقَالَ:

[الطويل]

يَرُوقُ عُيُونَ ٱلنَّاظِرِينَ كَأَنَّهُ هِرَقْلِيُّ[٣] وَزْنٍ، أَحْمَرَ ٱلتِّبْرِ، رَاجِحُ

وَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى ٱلثَّمَانِينَ، فَقَدْ أَوْفَتْ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ موسى ٱلَّذِينَ جَاءَ فِيهِمْ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥] وعلى عِدَّةِ ٱلاسْتِغْفَارِ ٱلمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وعَلَى عِدَّةِ أَذْرُعِ ٱلسِّلْسِلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢].

وَلَوْ كَانَ ٱلإِنْسَانُ فِي قَلِيبٍ عُمْقُهُ ثَمَانُونَ قامة، لَجَازَ أَنْ تُسْتَنْقِذَهُ هٰذه ٱلمُصْفَرَّةُ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ، وَٱلزَّائِلَةُ بِمَا يَعْتَرِضُ مِنَ ٱلجَرَضِ[٤]، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِقَوْلِ ٱلأَعْشَى:

وَلَوْ كُنْتَ فِي جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَلَوْ كَانَتْ سِنُو زُهَيْرٍ مِثْلَهَا لَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِٱلسَّآمَةِ، وَلَكَانَتْ لَهُ أَنْهَضَ قَامَةً؛ وَٱلقَامَةُ ٱلأَعْوَانُ، كَأَنَّهَا جَمْعُ قَائِمٍ. قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

وَقَامَتِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبِ حَسْبُكَ مَا عِنْدَهُمْ وَحَسْبِي

---

(١) ورد عجز البيت في: لسان العرب ١٠/ ٤٨١ مادة «كرك».
«قال أبو عمر الزاهد: الكاروكة القوّادة: قال:
لا حَظَّ فِي ٱلدِّينَارِ لِلْكَارُوكَهْ»
(٢) الهرقلية: البيعة لأولاد الملوك عند الروم والعجم سنة متبعة.
(٣) الهرقلي: الدينار المنسوب إلى هرقل، أحد قياصرة الروم المشاهير..
(٤) الجرض: اللعاب.

وَلَوْ أَدْرَكَهُ عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ[(١)] وَهُوَ يَقُولُ:

[الطويل]

يُكَلِّفُنِي عَمِّي ثَمَانِينَ نَاقَةً ... وَمَا لِيَ يَا عَفْرَاءُ غَيْرُ ثَمَانِ

لَجَازَ أَنْ يرقَّ لَهُ فَيَغِيثُهُ مِنْ هٰذه الثَّمَانِينَ بِبَعْضِهَا أَوْ يَسْمَحُ لَهُ بِكُلِّهَا، لِأَنَّهُ كَرِيمُ طَبْعٍ، وَعُودُهُ فِي النُّوبِ عُوْدُ نَبْعٍ[(٢)]؛ وَلَوْ صَارَتْ فِي يَدِ عُرْوَةَ هٰذِهِ الثَّمَانُونَ، لَبَلَغَ بِهَا الأُمْنِيَةَ، لِأَنَّ النَّاقَةَ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ كَانَتْ رُبَّما اشْتُرِيَتْ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ. وَفِي بَعْضِ أَخْبَارِ الفَرَزْدَقِ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ مُلُوكِ بني أُمَيَّةَ أَعْطَاهُ مَائَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ. فَبَاعَهَا بِأَلْفٍ وَخَمْسِمَائَةِ دِرْهَمٍ، وَزِيدَ فِي الثَّمَنِ. وَقَدْ مَرَّتْ بِهِ الحِكَايَةُ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَصْحَابُ التَّارِيخِ؛ أَنَّ الجَمَلَ كَانَ يُبَاعُ فِي زَمَنِ أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ بِدِرْهَمٍ، وَأَنَّهُ صَادَرَ قَوْماً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَتْ لَهُمْ نِعَاجٌ، فَبَاعُوْهَا ثَمَانِي نِعَاجٍ بِدِرْهَمٍ. هٰذَا مِمَّا وُجِدَ بِخَطِّ المُرْزُبَانِيِّ فِي تَارِيخِ ابْنِ شَجَرَةَ.

وَهِيَ أَنْصَرُ مِنَ الثَّمَانِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا العَلَوِيُّ البَصْرِيُّ في قَوْلِهِ:

[الطويل]

عَبَرْتُ إِلَيْهِمْ فِي ثَمَانِينَ فَارِساً، ... فَأَدْرَكْتُ مِنْهُمْ بُغْيَتِي وَمُرَادِيَا

وَلَوْلَا خَشْيَةُ الغُلُوِّ لَقُلْتُ: وَمِنْ ثَمَانِينَ أَلْفاً ذَكَرَهَا السَّنْبُسِيُّ[(٣)] في قَوْلِهِ:

[المتقارب]

ثَمَانُونَ أَلْفاً، وَلَمْ أُحْصِهِمْ، ... وَقَدْ بَلَغَتْ رَجْمَهَا أَوْ تَزِيدُ[(٤)]

---

(١) هو: عُرْوَة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة: شاعر من متيمي العرب. كان يحب ابنة عمّ له اسمها «عفراء» نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمّ له. ولما كبر خطبها عروة. فطلبت أمّها مهراً كبيراً لا قدرة له عليه. فرحل إلى عمّ له في اليمن، فإذا هي قد زوّجت بأمويّ من أهل البلقاء. فقضى عروة حباً نحو سنة ٣٠هـ = نحو سنة ٦٥٠م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٢٣٧، مصارع العشاق: ١٣٢.

(٢) النبع: ضرب من الشجر الكثيف الملتف، يستعمل بصنع النبال والقسي.

(٣) هو: محمد بن خليفة بن حسين، أبو عبد الله النميري السنبسي الأنباري: شاعر قائد. أصله من «هيت» أقام بالحلة، عند سيف الدولة صدقة بن منصور، فكان شاعره وشاعر ابنه دبيس. نسبته إلى سنبس بن معاوية، من طيئ. مات سنة ٣١٥هـ = سنة ٩٢١م. انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠، الوافي بالوفيات ٣/ ٤٨.

(٤) الرجم: الاعتقاد.

وَكَيْفَ لِهَمَّامِ بْنِ غَالِبٍ[1] أَنْ تَرْمِيَهُ ٱلحَوَادِثُ بِهٰذِهِ ٱلثَّمَانِيْنَ، كَمَا رَمَتْهُ بِسِنِّيهِ فِي قَوْلِهِ:

[الوافر]

رَمَتْنِي بِٱلثَّمَانِيْنَ ٱللَّيَالِي، وَسَهْمُ ٱلدَّهْرِ أَقْتَلُ سَهْمِ رَامِ

وَلَوْ مَلَكَهَا رَاعِي ثَمَانِيْنَ ٱلَّذِي يُقَالُ فِيْهِ أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِيْنَ[2]، لَجَعَلَتْ لَهُ عَقْلاً صَافِياً، وَثَوْباً مِنَ ٱلدِّعَةِ ضَافِياً.

وَٱلمَثَلُ ٱلسَّائِرُ: وُجْدَانُ ٱلدَّعَةِ وَٱلرَّقِينِ، يُذْهِبُ أَفَنَ ٱلأَفِيْنِ[3]، وَيُرْوَى: يُغَطِّي أَفَنَ ٱلأَفِيْنِ. وَلَيْسَ لِلرِّقَّةِ، شَرَفُ هٰذِهِ ٱلأَشْكَالِ ٱلمُشْرِقَةِ؛ وَلِلذَّهَبِ عَلَى ٱلفِضَّةِ صَرَفٌ، وَٱلمَكَارِمُ لَهَا عُرْفٌ.

وَهُوَ يَعْرِفُ حِكَايَةَ ٱلحُطَيْئَةِ مَعَ سَعِيْدِ بْنِ ٱلعَاصِ، لَمَّا قَالَ لَهُ: أَيُّ ٱلنَّاسِ أَشْعَرُ؟ قال: ٱلَّذي يَقُول، وَهوَ أَبُو دُؤَادَ ٱلأَيَادِيُّ[4]:

[الخفيف]

لَا أَعُدُّ ٱلإِقْتَارَ[5] عُدْماً وَلٰكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُهُ[6] ٱلإِعْدَامُ

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ ٱلَّذِي يَقُوْلُ، وَهوَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ ٱلمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ ٱلنَّعِيْمُ

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ ٱلَّذِي يَقُوْلُ، وَهوَ أَعْشَى قَيْسٍ:

[مَجزوء الرجز]

بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا، وَصَفْـ رَاءُ ٱلعَشِيَّةِ كَٱلعَرَارَهْ[7]

---

(١) هو الفرزدق.

(٢) مثل يضرب للدلالة على الحمق: ذلك أن أحد الرعاة نقل خبراً هاماً لكسرى فأعجبه، وأراد مكافأته فسأله ما يريد، فأجاب: ضأن ثمانين.

(٣) وفيه قول آخر وهو: «كثرة الترقيف تصفّي على أفن الأفين» أي تغطي حمق الأحمق.

(٤) مرّت ترجمته.

(٥) الإقتار: الرُّمْقة من العيش.

(٦) رزأه ماله ورَزِئه يَرْزَؤه فيها رُزْءاً: أصابَ من ماله شيئاً.

(٧) «قال الأعشى:

بَيْضَاءُ غُدْوَتُهَا، وَصَفْـ راءُ ٱلعَشِيَّةِ كَٱلعَرارَه

معناه أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيضّ بالغداة بياض الشمس، وتصفَرّ بالعشيّ باصفرارها. والعرارة: الحَنْوَةُ التي يتيمّن بها الفرس..».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ حَسْبُكَ بِي إذا وَضَعْتُ رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ، ثُمَّ عَوَيْتُ فِي آثَارِ ٱلْقَوَافِي، كَمَا يَعْوِي ٱلْفَصِيلُ فِي آثَارِ ٱلإبِلِ.

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

[الطويل]

وَجَدْتُ بَنِي ٱلْجَعْرَاءِ[1] قَوْماً أَذِلَّةً ... وَمَنْ لَا يُهِنْهُمْ يُمْسِ وَغْداً مُهَضَّمَا[2]

وَأَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ثَمَانِينَ تَرْتَعِي ... بِجَنْبِ ٱلسِّتَارِ بَقْلَ رَوْضٍ مُوَسَّمَا

وتِلْكَ ٱلثَّمَانُونَ، أُلْقِيَ فِيهَا ٱلرَّبْعُ إلى أَنْ يَصِيرَ قِيرَاطُهَا قِنْطَاراً، وَلَا فَتِئَ كُلُّها مِعْطَاراً، أَي هُوَ قريبٌ مِنْ عِطْرٍ، لا يُعْدَمُ فِي صِيَامٍ وَلَا فِطْرٍ، أَوْفَرُ حَظًّا فِي ٱلْمَحْمَدَةِ مِنَ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا ٱلْحَرَّانِيُّ ٱلسَّلَمِيُّ، أَبُو ٱلْمُحَلّمِ عَوفُ بْنُ ٱلْمُحَلِّمِ[3] فِي قَوْلِهِ:

[الرجز]

إنَّ ٱلثَّمَانِينَ، وَبُلِّغْتُهَا، ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تُرْجُمَانِ

وَبَدَّلَتْنِي بِٱلشِّطَاطِ[4] ٱنحِنَا ... وَكُنْتُ كَٱلصَّعْدَةِ[5] تَحْتَ ٱلسِّنَانِ

لِأَنَّ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا تُضْعِفُ، وَهٰذِهِ تُنْعِشُ وَتُسْعِفُ، وَتِلْكَ تَجْعَلُ ٱلرَّجُلَ بَعْدَ كَوْنِهِ كَٱلْقَنَاةِ، كَأَنَّهُ قَوْسٌ فِي أَيْدِي ٱلْحُنَاةِ[6]، وَهٰذِهِ تُقِيمُ ٱلأَوَدَ[7] وتَسُرُّ ٱلأَسْودَ. وَٱلْبَيْتُ ٱلْمَنْسُوبُ إلى أَبي ٱلْعَتْرِيفِ مَعْرُوفٌ:

حَبَشِيٌّ لَهُ ثَمَانُونَ عَيْباً ... كَسَّبَتْهُ مَهَابَةً وَجَلَالَا

وَلَعَلَّهُ قَدِ ٱجْتَازَ فِي أَرْضِ ٱلْمَوْصِلِ، بِٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي تُعْرَفُ بِثَمَانِيْنَ، وَهِيَ قَرِيْبَةٌ مِنَ

---

(١) الجعراء: الأست. «وبنو الجعراء: حيّ من العرب يُعيَّرون بذلك..» انظر: لسان العرب ٤/ ١٤٠ مادة «جعر».

(٢) المهضَّما: الذليل.

(٣) هو: عوف بن محلِّم الخزاعي: بالولاء، أبو المِنهال: أحد العلماء الأدباء الرواة الندماء الشعراء. أصله من حرّان. من موالي بني أمية أو بني شيبان. اختصّ بطاهر بن الحسين مات في طريقه إلى حرّان نحو سنة ٢٢٠هـ = نحو سنة ٩٨٥م. انظر ترجمته في: إرشاد الأريب ٦/ ٩٥، فوات الوفيات ٢/ ١١٨.

(٤) «الشِّطاط، بكسر الشين: الطول واعْتِدال القامة، وقيل: حسن القوام..» انظر: لسان العرب ٧/ ٣٣٣ مادة «شطط».

(٥) الصعدة: القناة المستوية المستقيمة.

(٦) الحُناة، جمع حانٍ من انحناء الظهر.

(٧) الأود: الاعوجاج.

ٱلجَبَلِ ٱلمَعْرُوفِ بِٱلجُودِيِّ، فَإِنْ كَانَتْ ثَمَانُوْنَ ٱلقرية وَطَنَ أُنَاسٍ، فَهٰذِهِ تَجْرِي مَجْرى ٱلوَطَنِ فِي ٱلإِينَاسِ، كَمَا قال:

ٱلـفَـقْـرُ فِـي أَوْطَـانِـنَـا غُـرْبَـةٌ، وَٱلـمَـالُ فِـي ٱلـغُـرْبَـةِ أَوْطَـانُ

لِلَّهِ دَرّ ٱلذَّهَبِ مِنْ خَلِيْلٍ، فَإِنَّهُ يَفِيءُ بِظِلٍّ ظَلِيْلٍ؛ وَإِنْ دُفِنَ لَمْ يُبَالِ، مَا كَغَيْرِهِ بَالٌ؛ أُعْطِيَ نَفِيسَ ٱلمِقْدَارِ، فَمَا هَمَّ شَرَفُهُ بِٱنْحِدَارٍ؛ وَٱلدُّرُّ إذا كُسِرَ ذَهَبَتْ قِيْمَتُهُ، وَلَمْ يُخفَظْ إِنْ تَنْحَطِمْ كَرِيمَتُهُ، وَرُبَّ ذَهَبٍ فِي سِوَارٍ، غَبَرَ زَمَاناً غَيْرَ مُتَوَارٍ، ثُمَّ جُعِلَ فِي خَلْخَالٍ، تَخْتَالُ بِلُبْسِهِ ذَاتُ ٱلخَالِ، ثُمَّ نُقِلَ إلى جَامٍ[١] أَوْ كَأْسٍ، وهو بِحُسْنِهِ كَاسٌ، مَا تَغَيَّرَ لِبَشارٍ[٢] ٱلنَّيْرَانَ، وَلَا غَدَرَ بِوَفِيٍّ ٱلجِيْرَانِ.

وَلَعَلَّ هٰذِهِ ٱلثَّمَانِيْنَ، قَدْ أَدْرَكَ ذَهَبُهَا قَارُونَ، وَمُوسى ٱلمُرْسَلَ وَأَخَاهُ هارونَ، وَلَيْسَ لِلْهَلَكَةِ بِهِ ٱتِّصَالٌ، وَلَا مِنَ ٱلعِزَّةِ لَهُ ٱنْفِصَالٌ، يُعَظَّمُ فِي أَرْضِ ٱلسِّنْدِ، وَبِلَادِ ٱلهِنْدِ.

ٱبْنَةُ ٱلأُخْتِ وَٱلخَالُ

وَأَمَّا ٱبْنَةُ ٱلأُخْت، أَدَامَ ٱللَّهُ لَهَا ٱلصِّيَانَةَ، فَإِنَّهَا أَدَلَّتْ عَلَى ٱلخَالِ إِذْ كَانَ أَحَدَ ٱلوَالِدَيْنِ، فَهَمَّتْ أَنْ تَأْكُلَ بِيَدَيْنِ، وَمَا هِيَ بِأُخْتٍ لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي قَالَ فِيْهِ ٱلقَائِلُ:

وَوَراءَ ٱلـثَّـأْرِ مِـنِّـي ٱبْـنُ أُخْـتٍ مَـصِـعٌ، عُـقْـدَتُـهُ مَـا تُـحَـلُّ[٣]

وَلَا تَجْعَلُهَا أُخْتاً لِلْهَجْرِسِ[٤] لِأَنَّهُ طَالَبَ خَالَهُ بِثَارٍ، فَلَمْ يَقْبُحْ مَا فَعَلَ مِنَ ٱلآثَارِ، وَلٰكِنْ تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ أُخْتاً لابْنِ مُضَرِّسٍ، حِيْنَ فَاتَتها ٱلأُخُوَّةُ مِنَ ٱلهَجْرَسِ، وَهُوَ ٱلمَعْرُوفُ بِٱلخُنُوتِ[٥] وَٱسْمُهُ تَوْبَةُ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ، فَقَتَلَهُ رَهْطُ خَالِهِ، فَرَأَى أَنْ يَقْتُلَ خَالَهُ، وَقَالَ:

[الطويل]

بَـكَـتْ جَـزَعـاً أُمِّـي رَمِـيْـلَةُ أَنْ رَأَتْ دَماً مِـنْ أَخِـيْـهَـا فِـي ٱلـمُـهَـنَّـدِ بَـادِيَـا

---

(١) الجام: الكأس.

(٢) البشار: لمس البشرة.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ٨/ ٣٣٨ مادة «مصع».
«ورجل مَصِعٌ: مقاتل بالسيف. قال:
وَوَراءَ ٱلـثَّـأْرِ مِـنِّـي ابـنُ أُخْـتٍ مَـصِـعٌ، عُـقْـدَتُـهُ مَـا تُـحَـلُّ»

(٤) الهجرس: ابن كليب وائل.

(٥) الخنوت: الصمت من شدّة الخوف.

فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَجْزَعِي إِنَّ طَارِقاً ... حَمِيمِي ٱلَّذِي كَانَ ٱلْخَلِيلَ ٱلْمُصَافِيَا

وَمَا كُنْتُ، لَوْ أُعْطِيتُ أَلْفَيْ نَجِيبَةٍ ... وَأَوْلَادَهَا لَغْواً تُسَاقُ، وَرَاعِيَا

لَأَرْضَى بِوِتْرٍ مِنْهُمُ دُونَ أَنْ أَرَى ... دَماً مِنْ بَنِي عَوْفٍ عَلَى ٱلسَّيْفِ جَارِيَا

وَمَا كَانَ فِي عَوْفٍ دَمٌ لَوْ أَصَبْتُهُ ... لِيُوفِيَنِي مِنْ طَارِقٍ غَيْرُ خَالِيَا

وَهْوَ ٱلْقَائِلُ:

[الطويل]

لِتَبْكِ ٱلنِّسَاءُ ٱلْمُعْوِلَاتُ لِطَارِقٍ ... وَيَبْكِينَ مِرْدَاساً قَتِيلَ قَنَانِ

قَتِيلَانِ لَا تَبْكِي ٱلْمَخَاضُ عَلَيْهِمَا، ... إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ[١] وَأَفَانِ[٢]

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَشَجَ[٣] إِلَى هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةِ شَيْءٌ مِنْ آدَابِ ٱلْخُؤُولَةِ، فَلْيَتَّقِ مَعَرَّةَ بَيَانِها، أَكْثَرَ مِنِ ٱتِّقَائِهِ خِلْسَةَ بَنَانِها. فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلشِّعْرَ وَرِثَهُ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى مِنْ خَالِهِ بَشَّامَةَ بْنِ ٱلْغَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ فِي مُزَيْنَةَ[٤] شِعْرٌ يُذْكَرُ، وَحَضَرَهُ زُهَيْرٌ عِنْدَ ٱلْوَفَاةِ فَأَرَادَ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئاً مِنْ مَالِهِ، فَقَالَ بَشَّامَةُ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنِّي وَرَّثْتُكَ غَرَائِبَ ٱلْقَصِيدَةِ؟

وَرُبَّمَا كَانَ فِي نِسَاءِ حَلَبَ، حَرَسَهَا ٱللَّهُ، شَوَاعِرُ، فَلَا يَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ مِنْهُنَّ، فَطَالَمَا كُنَّ أَجْوَدَ غَرَائِزَ مِنْ رِجَالِهِنَّ، وَحَدَّثَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ مِنْ أَهْلِ آمِدَ[٥] يَحْفَظُ ٱلْقُرْآنَ، وَيَأْنَسُ بِأَشْيَاءَ مِنَ ٱلْعِلْمِ، أَنَّهُ كَانَ وَهْوَ شَابٌّ لَهُ ٱمْرَأَةٌ مُقَيِّنَةٌ تُزَيِّنُ ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْأَعْرَاسِ، وَكَانَ يُنَجِّمُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ، وَكَانَتْ لَهُ قُرْعَةٌ[٦] فِيهَا أَشْعَارٌ كَنَحْوِ مَا يَكُونُ فِي ٱلْقَرَعِ، وَكَانَ يَعْتَمِدُ حِفْظَ تِلْكَ ٱلْأَشْعَارِ وَيُدَرِّسُهَا فِي بَيْتِهِ، وَلَا غَرِيزَةَ لَهُ فِي مَعْرِفَةِ

---

(١) «القرمل: نبات، وقيل: شجر صغار ضِعاف لا شوك له، واحدته قرملة. قال اللحياني: القرملة شجرة من الحَمْض ضعيفة لا ذرَى لها ولا شُتْرَة ولا ملجأ..» انظر: لسان العرب ١١/ ٥٥٥ مادة «قرمل».

(٢) «الأفاني: نبت، وقال ابن الأعرابي: هو شجر بيض.. وقال أبو حنيفة: الأفاني من العُشب وهي غبراء لها زهرة حمراء وهي طيّبة تكثر ولها كلأ يابس، وقيل: الأفاني شيء ينبت كأنه حَمْضة يُشبَّه بفراخ القطاحين يُشَوِّك تبدأ بقلة ثم تصير شجرة خضراء غبراء..» انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٠ مادة «أفن».

(٣) وشج: وصل.

(٤) مزينة: هي قبيلة الشاعر زهير بن أبي سلمى.

(٥) آمد: بلد في الجزيرة العربية. انظر: معجم البلدان ١/ ٥٦.
«وآمِد بلد بالثغور في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم..» انظر: لسان العرب ٣/ ٧٤ مادة «أمد» حاشية رقم ٢.

(٦) القرعة: وعاء كالجراب.

ٱلأَوْزَانِ، فَيَكْسِرُ ٱلبَيْتَ، فَتَقُوْلُ لَهُ ٱمْرَأَتُهُ ٱلمَاشِطَةُ: وَيْلِي! ما هٰذا جيد! فَيَلاجُها[(١)] وَيزْعَمُ أَنَّها مُخْطِئَةٌ. فَإِذَا أَصْبَحَ مَضى فَسَأَلَ مَنْ يَعْرِفُ ذٰلِكَ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ ٱلصَّوَابَ مَعَهَا، وَعَرَّفَهُ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ، فَإِذَا لَقِنَهُ عَنْهُ، عَادَ في ٱللَّيْلَةِ ٱلثانِيةِ، فَذَكَرَهُ وَقَدْ أَصْلَحَ، فَتَقُوْلُ ٱلمَاشِطَةُ: هٰذَا ٱلساعة جَيِّدٌ.

وَكَانَ لِي كَرِيٌّ[(٢)] مِنْ أَهْلِ ٱلبَادِيَةِ يُعْرَفُ بِعَلْوَانَ وَلَهُ ٱمْرَأَةٌ تَزْعَمُ أَنَّهَا مِنْ طَيٍّ، فَكَانَ لا يَعْرِفُ مَوْزُوْنَ ٱلأَبْيَاتِ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَتِ ٱلمَرْأَةُ تُحِسُّ بِذٰلِكَ. وَكَانَتْ تَتَأَسَّفُ عَلَى طِفْلٍ مَاتَ لَهَا يُقَالُ لَهُ رَجَبٌ، وَكَانَتْ تُنْشِدُ هٰذَا ٱلبَيْتَ:

إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرَّا حَبِيْبِكَ مُوْجَعاً   فَلا بُدَّ يَوْماً مِنْ فِرَاقِ حَبِيْبِ

فَقَالَتْ يَوْماً: «إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرًّا رُجَيْبٍ مُوَجَّعاً».

فَعَلِمَتْ أَنَّ ٱلوَزْنَ مُخْتَلٌّ، فَقَالَتْ: «إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرّا رُجَيْبِنِ مُوَجَّعاً».

فَحرَّكَتِ ٱلتَّنْوِينَ وَأَنْكَرَتْ تَحْرِيكَهُ بِٱلطَّبْعِ فَقَالَتْ: «إِذا كُنْتَ مِنْ جَرّا رُجَيْبِكَ مُوَجَّعاً».

فَأَضَافَتْهُ إِلى ٱلكَافِ فَٱسْتَقَامَ ٱلوَزْنُ وَٱللَّفْظُ.

وَفي ٱلكِتَابِ ٱلعزِيزِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

الشِّبْليُّ ٱلصُّوفيُّ

وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ ٱلشِّبْلِيُّ[(٣)]، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَلا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلفَضْلِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَالِماً مِنْ مَذْهَبِ ٱلحُلُولِيَّةِ.

وَأَنْشَدَنِي لَهُ مُنْشِدٌ:

[الخفيف]

بَاحَ مَجْنُونُ عَامِرٍ[(٤)] بِهَوَاهُ   وَكَتَمْتُ ٱلهَوَى، فَفُزْتُ بِوَجْدِي[(٥)]

وَإِذا كَانَ فِي ٱلقِيَامَةِ نُودِي: أَيْنَ أَهْلُ ٱلهَوَى؟ تَقَدَّمْتُ وَحْدِي

---

(١) يلاجها: يخاصمها ويناقشها ويلحّ عليها في ذلك.

(٢) الكري: المكاري.

(٣) هو أحد المتصوّفة. مرّت ترجمته.

(٤) مجنون بني عامر هو قيس بن الملوّح الذي أحبَّ ابنة عمّه عبلة.

(٥) وجدي: عشقي.

هٰكَذَا أَنْشَدْتُهُ: نُودِي بِسُكُونِ ٱلْيَاءِ، وَلَا أُحِبُّ ذٰلِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزاً، وَإِنَّمَا يُوْجَدُ فِي أَشْعَارِ ٱلضَّعَفَةِ مِنَ ٱلْمُحْدَثِيْنَ.

فَإِنْ صَحَّ أَنَّ هٰذَيْنِ ٱلبيتينِ لَهُ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ قَائِلٌ فَيَقُوْلَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ صَافٍ، فَمَا يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِ ٱلإِنْصَافِ؛ وَٱدِّعَاؤُهُ ٱلانْفِرَادَ مِنَ ٱلعَالَمِ لا يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِ ٱلْبَشَرُ، إِنْ كَانَ هَوَاهُ لِلْمَخْلُوقِيْنَ أَوِ ٱلخَالِقِ وَلَا يَقِيْنَ، فَلَهُ فِي ٱلأُمَمِ نُظَراءُ كَثِيْرٌ.

خَاتِمَةُ ٱلرِّسَالَةِ

وَأَنَا أَعْتَذِرُ إِلى مَوْلَايَ ٱلشيخِ ٱلجَلِيلِ مِنْ تَأْخِيرِ ٱلإِجَابَةِ، فَإِنَّ عَوَائِقَ ٱلزَّمَنِ مَنَعَتْ مِنْ إِملاءِ ٱلسَّوْدَاءِ، كَأَنَّها سَوْدَاءُ ٱلَّتِي عَنَاهَا ٱلقَائِلُ:

[البسيط]

نُـبِّـئْـتُ سَـوْدَاءَ تَـنْـآنـي وَأَتْـبَـعُـهَـا ... لَقَـدْ تَـبَـاعَـدَ شَـكْـلَانَـا وَمَـا ٱقْـتَـرَبَـا

وَجَـدْتُـهـا فِـي شَـبَـابِـي غَـيْـرَ مُـطَّـلَـبَـةٍ، ... فَكَيْفَ وَٱلرَّأْسُ جَوْنٌ، تُسْعِفُ ٱلطَّلَبَا(١)

وَأَنَا مُسْتَطِيعٌ بِغَيْرِي، فَإِذَا غَابَ ٱلكَاتِبُ، فَلَا إِمْلَاءَ. وَلَا يُنْكِرُ ٱلإِطَالَةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ ٱلخَالِصَ مِنَ ٱلنُّضَارِ ٱلعَيْنُ(٢)، طَالَمَا أَشْتَرِي بِأَضْعَافِهِ فِي ٱلزِّنَةِ مِنَ ٱللُّجَيْنِ(٣)، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ٱلثَّمَنُ مِنَ ٱلنُّفَيَّاتِ، يُوْجَدْنَ فِي ٱلطَّرِيقِ مَرْمِيَّاتٍ؟

وَعَلَى حَضْرَتِهِ ٱلجَلِيلَةِ سَلَامٌ يَتْبَعُ قُرُومَهُ(٤) إِفَالُهُ(٥)، وَتَلْحَقُ بِعُوذِهِ(٦) أَطْفَالُهُ.

ـ تمت رسالة الغفران ـ

لأبي العلاء المعري

---

(١) الجون: الأبيض، والجون من التضاد يعني السواد أيضاً.

(٢) العين: الصافي الذي لا تشوبه شائبة.

(٣) اللجين: الفضة.

(٤) القروم، واحده قرم: السادة.

(٥) الإفال: صغار الإبل.

(٦) العوذ: الناقة الحديثة النتاج، يحتاجها ولدها ويحتمي بها.

فهرس المحتويات

رسالة ابن القارح

رسالة الغفران


AL-OBEIKAN
01077994
SR- 14.00